القرطاس

شرح راتب الإمام عمر بن عبد الرحمن
بن عقيل العطاس باعلوي الحضرمي

للإمام
بركة الأنام وعلم الإسلام
علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس
باعلوي الحضرمي

المتوفى سنة ١١٧٢ هـ



القـــرطاس

شرح راتب الامام عمر بن عبد الرحمن

بن عقيل العطاس باعلوى الحضرمي

للامام

بركة الأنام وعلم الإسلام

على بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس

باعلوى الحضرمى

المتوفى سنة ١١٧٢ هـ

الطبعة الأولى

١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م
بالقاهرة

مطبعة المدني
٦٨ شارع العباسية - عمارة النعيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الجلال والإكرام والصلاة والسلام على أفضل الرسل وأ
الأنام سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلام (وبعد) فهذا شرح لل
العلامة . للناثر الشاعر الصوفى الذائق البحر الزاخر الحبيب على بن -
بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس الشافعى الحضرى مولدا والمتوفى بالم
بالبحرين سنة ١١٧٢ ﻫ (سنة ١٧٩٥ م) صاحب المطلبة الحنية وخلاصة
وبقية المهتم باسم الله الأعظم والمختصر فى سيرة سيد البشر وديوان الشعر ل
قلائد الحسان — كتبه بقلمه البليغ على راتب الإمام العارف بالله ا
البركة القدوة عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن سالم بن عبد الله بن عبد ال
ابن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف باعلوى الحضرى متع الله به المسمى [
المنال وفتح باب الوصال] الذى وضعه وأشار بقراءته بعد صلاة العشاء كل
وفى شهر رمضان قبل صلاة العشاء، وصباحا ومساء لمن له همة عالية فى طلب ا

وهذا الراتب — كما فى الشرح — مشتمل على سبعة عشر ذكرا و

(الذكر الأول) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم « ثلاثا

(« الثانى) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق « ثلاثا

(« الثالث) بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض
السماء وهو السميع العليم « ثلاثا » .

(الذكر الرابع) بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله
العظيم « عشرا » .

(الذكر الخامس) بسم الله الرحمن الرحيم « ثلاثا »

(الذكر السادس) بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا على الله « ثلاثا » .

(« السابع) بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لاخوف عليه « ثلاثا » .

(الذكر الثامن) سبحان الله عز الله سبحان الله جل الله « ثلاثا » .

(« التاسع) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « ثلاثا » .

(« العاشر) سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر (أربعا) .

(الذكر الحادى عشر) يا لطيفا بخلقه ياعليما بخلقه ياخبيرا بخلقه الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير « ثلاثا » .

(الذكر الثانى عشر) يا لطيفا لم يزل الطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل الطف بنا وبالمسلمين « ثلاثا » .

(الذكر الثالث عشر) لا اله إلا الله « مائة أو سبعين أو أربعين » وتقول بعد تمام العدد « محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » « مرة » .

(الذكر الرابع عشر) حسبنا الله ونعم الوكيل « سبعا » .

(« الخامس عشر) اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم « إحدى عشرة « مرة » .

(الذكر السادس عشر) استغفر الله « احدى عشرة مرة » ثم يقول تائب إلى الله « مرة » .

(الذكر السابع عشر) يا الله بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة « ثلاثا » .

وقد شرحه العلامة الشيخ على بن عبد الله با رأس شرحا صوفيا مشتملا مع اختصاره على حقائق ودقائق لايدركها إلا ذائق .

ثم شرحه الإمام المترجم شرحا مطولا ضافيا ، جامعا للشوارد وافيا ، حافلا بالفوائد والفرائد ، فيه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والاخبار

المروية وأقوال أعلام الأئمة السالفين مالا يستغنى عنه طالب شريعة وحقيقة » وقد سماه « القرطاس » والتزم فيه أن يصدر كل مبحث بما قاله الشارح الأول بتمامه ثم يقفى عليه بشرحه الجديد بأن يسمى موسوعة صوفية شرعية جزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

ولم أقف الآن منه إلا على جزئين مخطوطين [أولهما] بعنوان « السفر الأول من النصف الثانى من كتاب القرطاس » وقد اشتمل على شرح الراتب المذكور من أوله لغاية الذكر السابع .

[والثانى] بعنوان الجزء الرابع من كتاب القرطاس وقد اشتمل على شرح الراتب من ابتداء الذكر العاشر إلى آخره ، ورقمهما بخطه السيد سالم بن محمد بن عبد الله بن محسن بن سالم بن أبى بكر بن حسين بن أبى بكر بن سالم بن عمر العطاس وقد فرغ من نسخ الأول ليلة السبت آخر يوم من شهر رمضان سنة ١٣٥٩ ومن الثانى فى غرة ذى القعدة سنة ١٣٥٩ بالجهة الشرقية بجاوه .

أما شرح الذكر الثامن والتاسع فلم نره فى هذين الجزئين فلعله فى جزء ثالث لم يصل إلينا وإن سبق الكلام فى التسبيح والحمد والتهليل والتكبير فى غير موضع من الجزئين .

وكان فى النسخة الخطية أخطاء فصححناها بقدر الطاقة . ونسقناها ووضعنا تراجم للمباحث التى ليس لها تراجم فى الأصل ليعلم القارىء ما فى هذا الشرح من المباحث والفوائد التى يعسر الوقوف عليها لولا هذه التراجم التى سيذوه عنها فى الفهرس آخر الجزء المطبوع واقتصرنا على ذلك .

ونسأله تعالى أن يجزل المثوبة والرضوان لصاحب الراتب وشارحيه ولمن يعنى بالعلم والعمل بما فى الشرحين ولمن يسعى فى نشرهما بين الأنام إنه تعالى خير مسئول وأكرم الأكرمين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين » .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الحقير الفقير إلى الله (على بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس) : أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، الحمد لله الذى تعالى عن أن تحيط به الأوهام والأفهام والأجناس . وتقدس عن أن تدركه الخمس الحواس ، وتنزه عن أن يكيفه التخمين والتحديد والحصر والقياس ، وعز عن أن تحويه الجهات الست أو يكون له بها تماس ، نحمده ، ونشكره على فضله العظيم الذى لنا به تجلل وفيه انغماس ، وهو الذى تفضل علينا بالإيجاد ثم بالإمداد بالمعارف التى صفا منها لنا الكأس ، وخص الخواص من أصفيائه بأن جلا عن قلوبهم جلابيب الأغلاس ، وهداهم لطاعته من بين سائر الأجناس ، وفضلهم بالاعتراف بالضعف والافتقار والذل والعجز والإفلاس ، وأصلى وأسلم على رسوله محمد وآله وصحبه المطهرين عن الأدناس والأرجاس ، صلاة وسلاماً دائمين عدد ما ترنح السانق المياس[1] ، وأينعت مجانى أثمار الأشجار بحوالى الانقاس[2] .

(وبعد) فهذا النصف الثانى من كتابنا المسمى بالقرطاس . نذكر فيه الفوائد الجليلة . والأذكار الفضيلة . والرواتب المغنية عن الأعوان والأجناد والحراس . والموائد العظيمة والعوائد الكريمة . والزوائد الجسيمة . والفرائد الوسيمة ، التى لا تقاس بمقياس . وأثمار القرائح وأبراز النصائح . وادرار المنائح . وأنوار اللوائح المجلية لجميع الاشكالات والالتباس . ومنافع الأسماء

---

(١) السانق : المترف ، المياس : المتبختر .

(٢) كذا بالأصل .

الحسنى ذوات المحل ا... ى . المنيلة كل المنى والغنى . المزيلة لكل عنا وخوف وإيجاس . مما ورد فى ... شائل راتب» سيدنا ومولانا الوالد عمر بن عبد الرحمن ابن عقيل العطاس . ... المقصود بذلك ... ن شاء الله التقرب من باب الوهاب الكريم . البر الرحيم ... المتجاوز الحليم . بخدمة لهذا الإمام الكامل العظيم . والهمام الفخيم . وإن ... نكن أهلا لذلك . ولا محلا لما هنالك . فالظن جميل فى عالى جناب الأمجاد ... القادة الأطياب . أن لا يخيبوا طلاب ... عفاة الطُّلاب . إذا وقفوا لهم على باب ... فهم أهل الجود وإكرام الوفود . وبحبهم منهم ممدود . وبهم مشدود ... وفيهم محفود[1] . وإن كان مقصرا أو مطرود[2] . ومتعديا للحدود . ... ال الرسول المحمود ... فى حديثه الشهير المشهود « المرء مع من أحب » وقال ... يه السلام : « من أحب قوماً ووالاهم حشر معهم يوم القيامة » . وقال صلى الله عليه وسلم : « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله » فيا ... من بشائر بها تعلو السدود . وبها تنثنى العمود . وقد قال القائل فى نظمه الم... ود :

لى سادة من عز ... أقدامهم فوق الجباه

إن لم أكن منهم فلى فى قربهم عز وجاه

وقال آخر :

أحب الصالحين ولست منهم ... ولكن أرتجى منهم شفاعة

وأبغض من بضاعته المعاصى ... وإن كنا سواء فى البضاعة

فأجابه آخر وق... :

تحب الصا... وأنت منهم ... رفيق القوم يلحق بالجماعة

---

(١) المحفود : الم... م .

(٢) وقف عليه با... ن المسجع .

وتسكره من بضاعته المعاصي　　حماك الله من تلك البضاعة

وقال آخر :

كفى شرفاً أني مضاف إليكم　　وأني بكم أدعى وأرعى وأعرف
إذا بملوك الأرض قوم تشرفوا　　فلي شرف منكم أجل وأشرف

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي نفع الله به : فمن لا يقدر على أن يكون من أولياء الله عز وجل فليكن محباً لأولياء الله مؤمناً بهم ، فعسى أن يحشر مع من أحب اهـ .

فإنا نتوسل إلى ربنا بجاههم لديه وبحقهم نقسم عليه أن يرزقنا محبتهم ويسلك بنا طريقتهم ويكرمنا بكرامتهم ويجعلنا من جماتهم آمين . ونرجو أيضاً من الله الكريم البر الرحيم أن يتقبل ذلك وينفع به ويجعله لنا ذخيرة لديه . ووسيلة إليه . إنه ولى ذلك والقادر عليه . وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فصل
في بركة هذا الراتب وفضله

اعلم وفقنا الله وإياك لمرضاته . وصرف نفائس أوقاتنا في عرائس طاعاته . وغمرنا بسوابغ نفحاته . وأيقظنا بدواعي جذباته . وختم لنا بالحسنى في أسعد ساعاته — أن هذا الراتب المعظم . والحزب الفخيم . والمشرب العذب الوسيم . أعنى راتب سيدنا عمر العطاس قد انطوى على أسرار وأنوار . ومنافع كبار . وفوائد غزار . يجل قدرها . ويتعذر حصرها . ولا يطمع الإنسان في استيفاء إيرادها . ولا يتأتى له حصر أعدادها . إلا البعض من أفرادها . والمقدور من فيض أمدادها . فإن هذا الراتب هو المنحة التي منحها الله الكريم عباده على

يد هذا الإمام المظهر . القطب الحائز قصبات السبق والتقديم . ولم نعلم أن سيدنا عمر رضى الله عنه نسب إلى نفسه شيئاً غيرة أو آثر أثراً سواه من ورد أو نظم أو نثر . أو رسالة أو مصنف . وأما هذا الراتب فقد نسبه إلى نفسه . حتى قال السيد الإمام عيسى بن محمد الحبشى إنه قد ورد عن سيدنا عمر المذكور نفع الله به كلام كثير فى فضائل هذا الراتب : قال وأتى إليه أناس يشكون الجدب وضيق المعاش فأمرهم بقراءته ثم التوحيد المعروف بعده ففعلوا ففرج الله عنهم ببركته .

وقال السيد المذكور أخبرنى الثقة عن الشيخ على بن عبد الله باراس[1] تلميذ سيدنا عمر أنه رأى كتاباً فيه أن من واظب على قراءة هذا الراتب المذكور يرجى أن تغفر ذنوبه .

وحكى جماعة من الثقات الأثبات عن السيد علوى بن علوى بن عبد الله ابن مساوى با علوى أنه لما كان فى أواخر عمره زار تريم ، وذلك فى حياة سيدنا عبد الله بن علوى الحداد نفع الله بهما فحصلت على السيد علوى تعبة الموت وأشرف عليه . فقال الحبيب عبد الله الحداد يا سيد علوى إن الأجل قد حضر لا محالة . فقال يا سيد عبد الله أدع لى بالمهملة إلى أن أصل بلدى « عمد » وأنظر أولادى وأهلى . فقال له الحبيب عبد الله كرر قول سيدنا عمر فى راتبه : « يا لطيفاً ، لم تزل ألطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل الطف بنا والمسلمين » . إلى أن تصل بلدك فجعل السيد علوى يكرر ذلك . ومن حينئذ حصلت له العافية وسار من تريم يكرر ذلك الذكر فى طريقه حتى وصل بلده « عمد » وأقام بها بعد وصوله شهرين . ثم توفى بها رحمه الله .

---

(١) سيأتى أنه شارح الراتب هذا أولا .

قلت وبلغنا أيضاً عن الشيخ على بن عبد الله باراس أن هذا الراتب إذا قرىء فى قرية أو محلة كان أمانا لأهلها من الآفات وأنه فى حمايته لهم وحراسته إياهم من الآفات مثل سبعين فارساً ولاشك فى ذلك ولامرية .

قالوا وكان سيدنا عمر يحب الإسرار بقراءته ويكره شهرته والجهر به . وذلك لأنه نفع الله به بنى أمره كله على اللطف والخمول . وأيضا فالسر أقرب إلى الإخلاص . وقد قال تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين) وقوله تعالى (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوتُ الحمير) .

قلتُ والأحسن فى قراءة هذا الراتب إذا كانوا جماعة أو أفراداً أن يتوسطوا فيها بين الجهر والإسرار بحيث يسمع بعضهم بعضاً لقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافتْ بها وابتغ بين ذلك سبيلا) .

وحكى لى غير واحد أن أهل محلة من البادية يقال لهم آل مسعود قبيلة من قبائل « نوح » لهم محبة واعتقاد فى سيدنا عمر وانهم كانوا يقرؤن راتبه هذ أينما نزلوا من الجبال حتى النساء منهم والصبيان . بل قد نزلت أنا بهم فى باديتهم فرأيت غالبهم يحفظه كما ذكروا . فاتفق أن غزاهم عدوٌّ لهم من البادية فى وقت من الأوقات فجاؤهم ليأخذوهم فى جيش كبير فبينما هم فى بعض الليالى يقرؤن الراتب أتتهم الجواسيس من العدوّ ليلا ليطلعوا بمكانهم ليصبحوهم . فلما شارفوا مكانهم سمعوهم فى أثناء قراءتهم يقولون « بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لاخوف عليه » فقال واحد من العدوّ أنا مشفقٌ عليكم من ذى صحابه لاتغيروا عليهم أبداً . فرجعوا إلى أصحابهم ونكثوا أمرهم .

وكذلك كنت أنا إذا قرأته فى المخاوف لا أرى بها باساً وأخبرنى بعض المحبين أنه قرأه فى خوف واغارت عليه جماعة من الحرامية ليأخذوه فما قدروا

عليه وهم نحو خمسة عشر . وذلك أنه أمره ان يقرأه الصنو العلامة أبو بكر ابن الوالد الحسن رحمه الله لما أراد المسيرة من عنده وحده فى تلك المخافة .

(قلتُ) وقد شكى إلى جماعة مرة فى خوف شديد وزمان عنيد . من خيفة بطش قوم حراميه . وهم محيطون بهم من فوقهم . ومن تحتهم . فأمرتهم بقراءته وقلتُ لهم إذا فات عليكم شىء بعد قراءة هذا الراتب فأنا ضامن به . فقرؤه فما رأوا من باس . ولا راعهم عدوٌ من الناس . ببركة قراءة ورد العطاس . نفعنا الله بسره .

فصل

تقديم الشرح الأول ثم تعقيبه بهذا الشرح

اعلم أن الشيخ الأجل على بن عبد الله باراس نفعنا الله بسره وأعاد علينا من بركته وبره قد وضع على هذا الراتب شرحا فائقا ولمعانيه مطابقاً لائقا . يشتمل على حقائق ودقائق ورقائق وطرائق . لا يفهمها إلا كل ذائق عاشق مطلع على الحقائق . عارف بالطرائق . لكنه لم يتعرض للتفصيل . مما جاء من آيات التنزيل . عن الحق الوكيل والأحاديث عن المصطفى الجليل . وأقوال السلف الصالح من كل قبيل إلا القليل من الجزيل والوجيز من الطويل . بل شرحه بالوارد الالهامى من النكات المطابقات التى لا يفهمها إلا أهلها نفع الله بهم .

ومن هذا الجنس من كلام الشيخ على المذكور قوله فى خطبة شرحه على كتاب الحكم العطائية : وأنا انتظر مايلقى فى الفؤاد من فيض الوداد فآخذه بلا تقليد اه فافهم فحوى قوله بلا تقليد .

ونحن الآن نورد كلامه بتمامه . ولا نخل بشىء من أحكامه . ولا ننقض حبلا من إبرامه . ولا نقصر أصلا من مرامه . ثم نتبعه بذكر ماقصدنا . ونشفعه

بوتر ما أردنا . ليكون هذا الشرح إن شاء الله كاملا شاملا موفيا بالمقصود للجميع ولئلا يكون لشىء من مقاصده تضييع . ولكى يشرب من مشاربه العذبة الضالع والضليع والرفيع والوضيع . والمعذور والمستطيع . مما يسره الله الكريم المنان . الموفق الإنسان للاحسان . من الفوائد الحسان . مما ورد فى الاستعاذات والأذكار والأدعية من ذكر فضائلها . وفواضلها ونشر شمائلها . وشرح مسائلها .

مقدمة

ونقدم على ذلك كله مقدمة لتكون بين يدى قدومنا مقدمة . فيها خمسة فصول .

الفصل الأول : فى الحث على ذكر الله ونشر فضائله .

الفصل الثانى : فى منافع الدعاء واتصال وسائله .

الفصل الثالث : فى منافع الأوراد والحث على المداومة عليها .

الفصل الرابع : فيه سبع فوائد من آداب الذكر ومسائله .

الفصل الخامس : نذكر فيه من منافع الأسماء ما يحصل به عظيم الأنوار . وجسيم المواهب وكريم الأسرار لقائله ، ثم بعد ذلك نشرع فى مقصود الكتاب وبث فرائضه ونوافله . ونورد فيه من الهدايا . والعطايا ما تقر به العينان اقارئه وسامعه وناقله .

الفصل الأول

فى فضائل الذكر والحث عليه

(أما الآيات) فقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (أقم الصلاة طرفى النهار وزُلَفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين) وقال تعالى (فاذكرونى أذكركم) وقال تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله). وقال تعالى (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) وقال تعالى (ولذكر الله أكبر). وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب). وقال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقال تعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقال (واذكر ربك فى نفسك الآية). وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) الآيات. وقال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون). إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى لايمكن حصرها بل القرآن كله. والحديث جله إنما ساقهما وشائقان إلى ذكر الله قولا واعتمادا. وعملا واعتقاداً فافهم الإشارة من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) وقوله (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم)، واحذر من تقليل ذلك والاعراض عنه أو

التعامى عن سبيله أو اشمئزاز القلب من أهله أو النسيان لفضله فيجرى عليك الذم فى قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) . وقوله تعالى (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا) وقوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) . وقوله تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) وقوله (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) فافهم والزم تسلم وتغنم وتكرم .

(وأما الأخبار عن المختار) فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مالك بلاغاً عنه « ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس » وفى رواية « مثل الشجرة الخضراء وسط الشجر اليابس » وذاكر الله فى الغافلين مثل المصباح فى بيت مظلم وذاكر الله فى الغافلين يريه الله مقعده فى الجنة وهو حى . وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجم .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جُمدان فقال سيروا سبق المفردون . فقيل وما المفردون يا رسول الله . قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ، وقيل المفردون من أفردوا الحق عن غيره بحسن التوحيد فى العقائد . وحسن الاخلاص فى الأعمال .

وفى كلام الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يا كُميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع فى قلب سروراً الا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً فإذا نزلت نائبة جرى إليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد

غريبة الإبل فإذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة . وقد علمنا أن ذكر الله أفضل من هذا .

وفي حديث قدسي « يقول الله تعالى أهل ذكرى أهل مجالستي وأهل شكرى أهل زيادتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم فإني أحب التائبين . وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ابتليهم بالمصائب لأطهرهم عن المعائب » .

وورد أيضاً أن الله تعالى أوحى إلى موسى إني أريد أن أجاورك فلما سمع موسى قام وقعد فأوحى إليه ياموسى إذا ذكرتني فقد جاورتك .

نقله والذي قبله بعض الكبار ، ثم قال وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب قد أنعمت على كثيراً فدلني أن أشكرك كثيراً . قال أذكرني كثيراً فاذا ذكرتني كثيراً شكرتني كثيراً . وإذا نسيتني فقد كفرتني .

وذكر البيهقي أيضاً في كتاب شعب الإيمان عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قال موسى يارب ما الشكر الذي ينبغي لك . فأوحى الله عز وجل إليه أن لا يزال لسانك رطباً من ذكري . وقال مكحول ذكر الله شفاء وذكر الناس داء وقال الشاعر

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس

ونقل أن رجلا قال للحسن يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي . قال أذبه بالذكر .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه وبخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه فاكثروا ذكر الله عز وجل ، نقله بعض الكبار في تعليقة له في فضل الأذكار . ثم قال ومن اتخذ ذكر الله

شعاره وأنس به أحبه وأحب ما يحبه فلا يبقى شىء أحب إليه من القيام بامره بيسر وسهولة وطيب الطبع وسماحة النفس ألبتة ألبتة وخصوصاً ذوى الفطرة القليلة الالتباس والتخبيط وأن الامتحان يؤدى إلى العيان .

وقال كعب الأحبار من أكثر ذكر الله فهو برىء من النفاق . وذلك لأن الله وصف المنافقين بانهم لا يذكرون الله إلا قليلا .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلث الليل قام فقال ياأيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » الحديث أخرجه الترمذى . الراجفة النفخة الأولى التى يموت بها الخلائق . الرادفة النفخة الثانية التى يحيون بها يوم القيامة .

وعن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أشد الأعمال ثلاثة إعطاء الحق من نفسك ، وذكر الله تعالى على كل حال ، ومواساة الاخ بالمال

وعن مالك أنه بلغه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم وإن القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون . ولا تنظروا فى ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد فانما الناس مبتلى ومعافى . فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية .

وعن عمرو بن عبسة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة أخرجه النسائى ، وعن ابن أبى أوفى رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ولا يقول اللغو ويطيل الصلاة ولا يأنف أى لا يكره أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى لهم الحاجة أخرجه النسائى . اللغو الهذر من القول .

وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم ومعنى فقد لغوت . أى قلت اللغو

وهو الكلام للغى الساقط الباطل المردود . وقيل معناه مات عن الصواب . وقيل معناه تكلمت بما لا ينبغى .

وقال صلى الله عليه وسلم ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضاً ياجارة هل مر بك اليوم عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله فان قالت نعم رأت أن لها بذلك فضلا . ونفس من عارف أفضل من صلاة الصالح عمره كله .

وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله . ومن تكبر وضعه الله . ومن أكثر ذكر الله أحبه الله تعالى .

وقال عليه السلام يقول الله أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه
وقال عليه السلام من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تره ومن اضطجع مضجعاً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تره . قال الامام النووى ترة بكسر التاء المثناة فوق وتخفيف الراء معناه نقص وقيل تبعة .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يامعاذ والله إنى لأحبك فى الله . فقال أوصيك يامعاذ لا تدعن فى « دبر كل صلاة » أن تقول اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) قال ذكر العبد الله تعالى بلسانه كبير وذكره له وخوفه منه إذا أشفى على ذنب فتركه من خوفه أكبر من ذكره بلسانه من غير نزع عن الذنب أخرجه رزين .

وقال صلى الله عليه وسلم من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن . ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن . رواه الثعالبى والواحدى ونقله صاحب كتاب البركة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله . قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع .

وقال عليه الصلاة والسلام الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم فقالوا ما ذلك يارسول الله قال ذكر الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب . وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى ، وقال عليه السلام كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالى ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارب وددت لن أعلم من تحب من عبادك فأحبه قال إذا رأيت عبدى يكثر ذكرى فأنا أذنت له فى ذلك . وأنا أحبه . وإذا رأيت عبدى لا يذكرنى فأنه حجبته عن ذلك وأنا أبغضه .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله إن شرائع الاسلام قد كثرت على فاخبرنى بشىء أتشبث به . قال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله رواه الترمذى ونقله النووى وقال الترمذى حديث حسن .

وعن بعض الحكماء أنه قال ثلاثة تفرج الغصص ذكر الله تعالى ولقاء

الأولياء وكلام الحكماء . وعن أبى قال الحصون ثلاثة المسجد حصن وذكر الله حصن وقراءة القرآن حصن وروى فى الخبر من غدا إلى المسجد يذكر الله تعالى ويذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله .

وسئل صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش قلت من هذا ملك قيل لا قلت نبى قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولا يسب والديه . قال بعض العلماء وهذا حديث مرسل .

وكان داود عليه السلام يقول إلهى إذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى فانها نعمة تنعم بها على .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه . وقال عليه السلام لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله .

وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله .

فانظر إلى هذه المنفعة العظيمة . والفائدة الجسيمة وما يدفع الله بالذكر عن الكل .

وقال عليه السلام من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر من ذكر الله .

وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة .

وقال عليه السلام قال الله تعالى إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى

نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلى هرولت إليه . ويعني بالهرولة سرعة الإجابة .

وقال عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله سبحانه على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال عليه السلام يأيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة قالوا وما رياض الجنة قال مجالس الذكر ثم قال اغدوا وروحوا أذكروا الله من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربِّى أمرنى أن يكون نطقى ذكراً وصمتى فكرة ونظرى عبرة .

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكثر ذكر الله فقد برىء من الإيمان أخرجه الطبرانى فى مسنده عن أبى هريرة .

وقال أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون أخرجه أحمد وأبو يعلى وابن حِبَّان والحاكم وصححه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى .

وقال أذكروا الله ذكراً حتى يقول المنافقون انكم مراءون أخرجه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال بعض العلماء عند ايراده هذا الحديث وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم فانه قد ظهر من يقول لهذا كرين الله انكم مراءون ويضربونهم ويخرجونهم حتى من المسجد الحرام اهـ فلا يعذر فى ترك الذكر أحد الا المغلوب على عقله .

والصَّلاةُ والسَّلام على النبى صلى الله عليه وسلم نوع من أنواع الذكر وسيأتى

بيان فضلها فى محلها عند قول سيدنا عمر ه اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم » فنسأل الله أن يجعلنا من خواص أهلها .

والمعنى فى قوله تعالى (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) يعنى بالليل والنهار والصحة والسقم والسفر والحضور ، فى الغنى والفقر والبر والبحر والسر والعلن ، خيفة مع الخائفين وجهراً وعلانية مع الجاهرين وقال عليه السلام ذكر الله تعالى فى الغداة والعشى أفضل من حطم السيف فى سبيل الله .

وأورد العلماء فى شمائل النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لايقعد ولا يقوم الا على ذكر الله تعالى .

وقال الإمام النووى روينا فى كتاب الترمذى عن أنس وغيره قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقعد ولايقوم الا على ذكر الله تعالى .

وروينا فى كتاب الترمذى عن أنس وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة قال الترمذى حديث حسن .

وروى الإمام البغوى بسنده إلى أنس قال إنى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد أناملى هذه العشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يقول يابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منه وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً . وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعاً . وإن مشيت إلى هرولت إليك وإن هرولت إلىّ سعيتُ إليك وإن سألتنى أعطيتك وإن لم تسألنى غضبت عليك انتهى الحديث .

وفى مناجاة داود عليه السلام قال الله ياداود احفظنى بظهر الغيب أحفظك

فى الملأ وأكثر ذكرى أكثر لك من الرزق .

ومما كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد فى حرب القادسية أمّا بعد فان الله عز وجل أنزل فى كل شىء رخصة فى بعض الحالات إلا فى أمرين العدل فى السيرة والذكر لله فلا رخصة لأحد فيهما فى حالة من الحالات ولم يرض الا بالكثير قلت وأشار عمر فى ذلك إلى قوله تعالى فى الحث على الذكر (يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً) وفى الحث على العدل إلى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) الآية .

رجعنا إلى تمام كلام عمر فى كتابه .

قال وأمّا العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ولا فى شدة ولا فى رخاء والعدل وإن رُئىَ ليناً فانه أقوى وأطفى للحرب وأقمع للباطل من الجور وإن رُئىَ شديداً انتهى كلام سيدنا عمر بن الخطاب .

وقال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حداً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً فى تركه الا مغلوباً على عقله وأمرهم به فى الأحوال كلها . فقال فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم وقال أذكروا الله ذكراً كثيراً أى بالليل والنهار فى البر والبحر فى الصحة والسقم فى السر والعلانية .

وقال مجاهد الذكر الكثير أن لاتنساه أبداً نقله البغوى فى تفسيره .

وقال بعض العلماء فبقرب الساعة يقل ذكر الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة وفى الأرض من يقول الله الله فاغتنم أيها القادر على ذلك فقل

لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد خلق الله بدوام الله .

وقال الفضيل بن عياض بلغنا أن الله يقول ابنَ آدم أُذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وصليا أو صلى ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات رواه أبو داود .

وقال بعض العلماء إن الله تعالى يقول أيما عبد أطّلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه .

وروى الامام البغوى بسنده إلى أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلاّ ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته أمرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه .

وقال الحسن البصرى الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله تعالى ماأحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله عند ماحرم الله .

وقال الغزالى ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشانه إلاّ ذاكر الله وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه يرفعه ليس يتحسرّ أهل الجنة على شيء إلاّ على ساعة مرّت بهم ولم يذكروا الله فيها ، ونقل النووى من كتاب ابن السنّى عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل إذا أوى إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اللّهم اختم بخير ويقول الشيطان اللّهم اختم بشر فإن ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك يكلؤه .

(وأمّا فضيلة مجالس الذكر) فقد قال عليه السّلام ما جلس قوما مجلساً يذكرون الله تعالى إلاّ حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ، وقال أيضاً مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الاّ وجهه الاّ ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفورا لكم ذنوبكم قد بدلت سيئاتكم حسنات، وقال أيضاً ماقعد قوم مقعداً لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ كان عليهم حسرة يوم القيامة ، وقال أيضاً المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء ..وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن أهل السماء يتراؤن بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله كما يترا آ النجم الغائر فى الأفق .

وقال الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين رضى الله عنهما ان الصاعقة تصيب للمؤمن والكافر ولا تصيب ذاكر الله عز وجل ومامن شىء أحب إلى الله ممّن يسأله ولا يدفع القضاء إلاّ الدعاء .

وفى كتاب بستان العارفين للامام النووى قال قال الإمام الشافعى رضى الله عنه أفضل الأعمال ثلاثة ذكر الله ومواساة الأخ وإنصاف الناس من نفسك يعنى أن هذه الثلاثة من أفضل الأعمال لأنها من أشق الأشياء على النفوس وفى الحديث أفضل الأعمال ما أكرهتم عليه النفوس .

وقال كعب الأحبار لو أن ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه .

وقال الربيع بن خيثم رأيت فى بعض الكتب أن الله عز وجل يقول إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا ان أخرج حلاوة ذكرى من قلبه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالِم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف

إلى منزله وما عليه ذنوب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على الأرض تربة أعز عليه من مجالس الذكر ذكره حجة الإسلام الغزالى فى الاحياء .

وفيه أن عماراً الراهب رأى مسكينة الطفارية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر . فقال مرحباً يامسكينة . فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال بخ فقالت ما تسأل عمن أبيحت له الجنة بحذافيرها قال فبم ذلك قالت بمجالس أهل الذكر انتهى .

وفى تهذيب النووى روينا عن سعدان بن نصرة قال قال سفيان بن عيينة قرأت القرآن وأنا ابن أربع سنين وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين ولما بلغت خمس عشر سنة قال لى أبى يابنى قد انقطعت عنك شرائع الصبا فاختلط بالخير تكن من أهله واعلم أنه لن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم فأطعهم تسعد واخدمهم تقتبس من علمهم فجعلت أميل إلى وصية أبى ولا أعدل عنها اه وقال سفيان بن عيينة أيضاً إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا ياأبا هريرة ما رأينا ميراثاً قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى بعض الأخبار المرفوعة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله قال الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل ، ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى إن أوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم .

وفى كتاب الفصول المهمة فى مناقب الأئمة من آل الرسول من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة عن على الرضى بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن موسى بن عمران عليه السلام لما ناجى ربه قال يارب أبعيد أنت فأناديك أم قريب فأناجيك . فأوحى الله إليه ياموسى أنا جليس من ذكرنى . قال موسى يارب إنى أكون فى حال أجلك أن اذكرك فيها . قال ياموسى اذكرنى على كل حال .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال لما نزلت (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فقال بعض أصحابه نزلت فى الذهب والفضة ولو علمنا أى المال خير اتخذناه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذى .

وفى حديث آخر أخرجه أبو داود قال لعمر ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته .

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من اعتق أربعة من ولد إسماعيل . ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلى من أن اعتق أربعة أخرجه أبو داود .

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين

فى الأرض فضلا عن كتّاب الناس فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى نادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى سماء الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى على أى شىء تركتم عبادى يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول وهل رأونى فيقولون لا فيقول كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد لك تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً فيقول لهم من أى شىء يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً . فيقول وأى شىء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جلّ جلاله إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إنما مرّ لحاجة فجلس فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم أخرجه الشيخان والترمذى .

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم ، وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم ،

ذكر القلب وذكر اللسان

ثم قال القاضى عياض وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته سمواته وأرضه . ومنه الحديث خير الذكر الخفى والمراد به هذا والثانى ذكره بالقلب عند الأمر والنهى فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه ، وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث .

ثم قال القاضى وذكر ابن جرير الطبرى وغيره اختلاف السلف فى ذكر

القلب واللسان أيهما أفضل ثم قال القاضي والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحاً وتهليلا وشبههما وعليه يدل كلامهم لا أنهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه أولا فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله . وإنما الخلاف في ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب فان كان لاهياً فلا ، واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل ومن رجح ذكر اللسان قال إن العمل فيه أكثر فانه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر ، ثم قال قال القاضي واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويجعل الله لهم علامة يعرفونه بها . وقيل لا يكتبونه لانه لا يطلع عليه غير الله تعالى ثم قال شيخنا النووي قلت الصحيح أنهم يكتبونه وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده والله أعلم .

وقال الامام أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري في رسالته المشهورة أعلم أن الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه بل هو العمدة في هذه الطريقة ولا يصل أحد إلى الله عز وجل إلا بدوام الذكر ، قال والذكر على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه ثم روى عن شيخه أبي علي أنه يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل . وقال بعضهم إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب وكشف له الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج عن حسه ودعاوى نفسه ويحصل حينئذ في مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فيسمع مالم يسمع ويفهم مالم يفهم .

وقال ذو النون المصرى من ذكر الله ذكراً على الحقيقة نسي فى جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء .

وسئل الشيخ أبو عثمان فقيل له ما لنا نذكر الله ولا نجد فى قلوبنا حلاوة. فقال أحمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته .

قلت أشار إلى ذلك الشيخ أحمد بن محمد بن عطاء الله الشاذلى[1] فى كتاب الحكم حيث يقول لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالى فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك مع وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود حضور رفع إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز اه .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت أخرجه الشيخان .

الذكر غير مؤقت بوقت ولا مقيد بحال

وقال الأستاذ أبو القاسم فى رسالته : ومن خصائص الذكر أنه غير موقت . بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله فيه إما فرضاً وإما ندباً . قال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ . قال الإمام ابن فورك رحمه الله : معنى قياماً أى بحق الذكر ، وقعوداً عن الدعوى فيه .

وقال القشيرى : ومن خصائص الذكر أنه جعل فى مقابلة الذكر له يعنى

---

(١) هو الإمام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الجذامى السكندرى الشاذلى المتوفى سنة ٧٠٩ هـ .

للذاكر ، قال تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ ، وفى خبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول : « أعطيت أمتك ما لم أعطه أمة من الأمم » ، فقال : وما ذاك يا جبريل ، قال : قوله ﴿ اذكرونى أذكركم ﴾ .

قراءة القرآن أفضل الأذكار

وقال الإمام النووى : اعلم أن المذهب المختار الذى عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار ، قال : وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ذكره فى التبيان . وقال فى كتاب الأذكار له : اعلم أن تلاوة القرآن هى أفضل الأذكار وآكدها ، فينبغى المداومة عليها فلا يخلو عنها يوماً ولا ليلة ويحصل أصل القراءة بقراءة الآيات القليلة .

قال : وقد روينا فى كتاب ابن السنى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ فى يوم وليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين » الحديث . وقد قال تعالى : ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله إلى قوله . . . يرجون تجارة لن تبور ﴾ وقوله : ﴿ أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ﴾ الآية .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ، ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف » أخرجه الترمذى وصححه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا القرآن واقرءوه وقوموا به فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه فى كل

مكان . ومثل من تعلمه ورقد عنه وهو فى جوفه كمثل جراب أوكى على مسك »
أخرجه الترمذى عن أبى هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين . ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » .

وقال على كرم الله وجهه : من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو قاعد فى الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة . ومن جعله وراء ظهره ساقه إلى النار » الحديث .

وقال من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ، ومن قرأها كانت له نوراً يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن » .

وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن البكرى فى كتابه « نتائج الفكر فى حقائق الذكر » فى أثناء كلام له نقله بعض العلماء : ألا ترى الحداد إذا أدخل حديدته ليحميها فى النار بعد أن كانت قاسية وباردة تراها محمرة اللون بعد أن كانت سوداء مظلمة ، وأضاء نورها وقوى إشراقها وانقدح شررها ، فالاستغراق فى المذكور بالتخلى عن السوى والتحلى بشهود نعوت ذى الجلال مستغرقاً له فيها تذهب أوصاف البشرية بما يكسبه الذاكر من أنوار المعارف القدسيه

فيتبدل وصفه وتتغير حُلاَه . وتشرق أنوار علاه . فهناك تذهب الرسوم ويتجلى الحى القيوم وإلى ذلك الإشارة بقولى :

أنوار ذاتك أشرقت فى ذاتى	فعميت عن كونى وكل صفاتى
وخرجت عن كل الوجود حقيقة	فجمال وجهك فاتن الـــذاتى

انتهى كلام البكرى .

وقال سهل بن عبد الله التسترى : ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادى « عبدى ما أنصفتنى ! أذكرك وتنسانى ، وأدعوك إلى وتذهب إلى غيرى ، وأذهب عنك البلاء وأنت معتكف على الخطأ ، يا ابن آدم ما تقول غداً إذا جئتنى » ، وقال أبو سليمان : أن قيعاناً فى الجنة فإذا أخذ الذاكرون فى الذكر أخذت الملائكة فى غرس الأشجار ، فربما يقف بعض الملائكة فيقال له لم وقفت فيقول فتر صاحبى .

وقال الحسن البصرى : تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء : فى الصلاة والذكر وتلاوة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق . وزاد غيره وعند الصدقة وبالأسحار .

وقال سفيان الثورى : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر ، وقيل : إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان صرع « أى الشيطان » كما يصرع الإنسان إذا ادنا منه الشيطان فتجتمع عليه الشياطين ، فيقولون: ما لهذا الشيطان فيقال قد مسه الإنس . وقال سهل : ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب ، وأنشد الشبلى :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة	وأيسر ما فى الذكر ذكر اللسان
وكدت بلا وجد أموت من الهوى	وهام على القلب بالخفقــان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى	شهدتك موجوداً بكل مكان

نخاطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوى الحداد :

وإن شئت أن تحظى بقلب منور نقيٍّ عن الأغيار فاعكف على الذكر
وواظب عليه فى الظلام وفى الضيا وفى كل حال باللسان وبالسر
فإنك إن لازمته بتوجّـــه بدا لك نور ليس كالشمس والبدر
ولكنه نور من الله وارد أتى ذكره فى سورة النور فاستقر

أراد بقوله فى سورة النور قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ الآية فافهم .

وقال أيضاً :

والذكر لازمه وواظبه على مر الزمان مع الحضور الأجمع

اشتمال الراتب على جميع أنواع الذكر

(فإن قلت) حقق لى جميع أنواع الذكر الذى وردت فيه هذه الفضائل واختص بهذه المنافع الجلايل فى العاجل والآجل . (قلت) : اعلم أن جميع أنواعه قد شملها واحتوى عليها هذا الراتب العظيم البركة أعنى راتب سيدنا عمر المنقذ من كل هلكة . فإنه لم يترك نوعاً من أنواع الذكر إلا دخل فيه كما يعرف ذلك من تأمله وبالله التوفيق .

(فإن قلت) لم اختار سيدنا عمر غالب أعداد هذا الراتب ثلاثاً . ثلاثاً .

سبب جعل أعداد الراتب ثلاثاً

(قلت) : لما ورد فى الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً

أخرجه أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه أخرجه الترمذى ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلى جزور بنى فلان فيضعه بين كتفى محمد إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وضعه بين كتفيه فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة لطرحته عن ظهره ، والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى أنطلق إنسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاث مرات ، وإذا سأل سأل ثلاثاً ، ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاثاً ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال اللهم عليك بفلان وفلان إلى آخر الحديث أخرجه الشيخان والنسائى .

وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك يقولها ثلاث مرات رواه أبو داود .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استوى على بعيره خارجاً يريد سفراً كبر ثلاثاً ، ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا الآية إلى آخر الحديث . فافهم سر التثليث فى غالب أعداد هذا الراتب .

(فإن قلت) فهل وردت هذه الأعداد فى جميع تلك الأذكار المذكورة فى هذا الراتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هو من اختيار سيدى عمر

نفع الله به . (قلت) : بل هى جميعها مما وردت بها الأحاديث الصحيحة الصريحة كما يعلم ذلك من له إطلاع ومعرفة بالسنة وكما سترى تحقيق ذلك فى مواضعه من هذا الشرح مبسوطاً محرراً إن شاء الله تعالى .

وأيضاً فقد كان سيدى عمر المذكور ممن يكلمه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة فى اليقظة بل كان لا يفعل شيئاً ولا يتركه إلا بأمره لأنه فى مقام الوراثة والنيابة عن جده . وقد قدمنا أول الكتاب فى فصل الحكايات ما رويناه عنه ، أنه كما قال الشيخ أبو العباس المرسى ، فيما حكى عنه الشيخ ابن عطاء أنه قال : لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين ، بل زاد سيدنا عمر على ذلك فقال : كيف يحتجب عنا وهو عين وجودنا صلى الله عليه وسلم اهـ .

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى ذكر فضائل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وآخر هذا الشرح عن الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى[1] صاحب كتاب العهود والميزان وطبقات الصوفية الكبرى أن بين الولى وبين الأخذ عن رسول الله فى اليقظة وسماع صوته مشافهة من قبره بالرد عليه مائتا ألف مقام وسبعة وأربعين ألف مقام وتسعمائة وتسعة تسعين مقاما ألف إلا واحداً . ثم قال من ادعى هذا المقام طالبناه بأن يتكلم معنا على هذه المقامات فإذا رأيناه لا يعرفها كلها كذبناه اهـ .

ونقل الشعرانى أيضاً عن الشيخ أحمد الزواوى أنه كان يقول طريقتنا ان نكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حتى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة رضى الله عنهم ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التى ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها ومالم يقع لنا ذلك فلسنا من المكثرين للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من علماء الصوفية ولد بساقية أبى شعره من قرى المنوفية بالقطر المصرى وتوفى بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ .

وقال الشعرانى أيضاً كان الشيخ أبو العباس المرسى المذكور يصلى الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أيضاً وكذلك كان أخى أفضل الدين رحمه الله وقال أيضاً إنى سمعت سيدى على الخواص نفع الله به يقول لا يحق لأحد قدم الولاية المحمدية حتى يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالخضر والياس عليهما السلام وقد درج الصادقون كلهم على ذلك ولا يقدح فيه إنكار بعض المحجوبين .

وكان مالك بن دينار يقول من لم يجالس النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر فقد خابت عزلته قيل له وكيف ذلك قال يدرس القرآن بالتدبر وينظر فى أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعال أصحابه وأقوالهم فمن فعل ذلك فقد حادث الله تعالى وحادث رسوله صلى الله عليه وسلم وحادث أصحابه رضى الله عنهم فافهم والزم تغنم وسلِّمْ تسلمْ والله أعلم وأحكم ، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم اللهم ياحكيم ياحليم ياعلى ياعظيم وفقنا للعمل بكل خلق كريم واصرفنا واصرف عنا كل خلق ذميم .

وقد حكى عن عبد الواحد بن زيد قال مررت فى بعض البلاد بشيخ أعمى مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج يصرع فى كل وقت والزنابير تنهش من لحمه والدود يتناثر من جوانبه وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه قال فتقدمت إليه وقلت له ياأخى وأى شىء عافاك منه والله ما أجد جميع البلايا ألا محيطة بك . قال فرفع رأسه وقال لى يابطال إليك عنى فإنه عافانى إذ أطلق لى لساناً يوحده وقلبا يعرفه وفى كل لحظة يذكره .

فائدة

قال الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد النفرى فى شرح الحكم وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء

الناس فقيل فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) يعنى خالصاً فسمى الخالص كثيراً . وهو ماخلصت فيه النية لوجه الله تعالى . ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الإخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى (يراؤن الناس ولايذكرون الله الا قليلا) يعنى غير خالص .

فائدة أخرى

قال الشيخ داود الشاذلى فى كتابه [اللطيفة المرضية] الذى شرح به حزب البحر للشيخ أبى الحسن الشاذلى نفع الله بهما : اعلم أن الله تعالى كلف الخلق أجمعين بطاعته ونهاهم عن كل معصيته قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) . جاء فى التفسير مرفوعا هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر وقال تعالى (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمداً بعيداً) الآية . وقال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين) ثم قال وفى ذلك أعظم دليل على أن الله كلفنا أن نخرج عن كل ذنب نهانا عنه وأن نفعل كل طاعة أمرنا بها ؛ والكتاب والسنة مشحونان بذلك .

خاتمة

نختم بها هذا الفصل الذى أشار إلى قطرة من بحر فضائل ذكر الله تعالى الشهيرة ومنافعه الكثيرة وفيها فوائد .

قال حجة الإسلام الغزالى فى كتاب الأربعين الأصل . واعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال ولكن له أيضا قشور ثلاثة من حيث حال الذاكر وإخلاص نيته وصفاء طويته أو الضد من ذلك . وأما صيغة الذكر فهى واحدة وإنما الفرق بين أحوال الذاكرين أن بعضها أقرب

إلى لب من بعض . وله لب من وراء القشور الثلاثة ، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه . فالقشر الأعلى منه ذكر اللسان فقط ، والثانى ذكر القلب إذا كان القلب يحتاج إلى المراقبة حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل فى أودية الأفكار ، والثالث أن يتمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث لا يحتاج إلى تكلف مراقبة ولا يصرفه عن الذكر صارف إلى غيره كما يحتاج فى الثانى إلى تكلف فى قراره معه ودوامه عليه ، والرابع وهو اللباب أن يتمكن المذكور من القلب ويستولى عليه ويمحق الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق المذكور جملته .

ثم قال بعد كلام ذكره هناك فإذا فهمت الفناء فى المذكور فاعلم أنه أول الطريق وهو الذهاب إلى الله تعالى وإنما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكر القلب طبعا ثم استيلاء المذكور على القلب وإنما الهدى بعده وأعنى بالهدى هدى الله تعالى وهو الذى أشار إليه بقوله (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) فأول الأمر ذهاب إلى الله ثم ذهاب فيه وذلك هو الفناء فى الله والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق أولا يكون كبرق خاطف قل أن يثبت ويدوم فإن دام ذلك وصار عادة راسخة . وهيئة ثابتة عرج به إلى العالم الأعلى وطالع الوجود الحقيقى الأصفى فإذا صار كذلك انطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت وأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء فى صور جميلة يفيض الحق يرى بواسطتها بعض الحقائق وذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق فى كل شىء وذلك حقيقة الهدى فإذا نظر إلى هذا العالم المجازى الذى هو كالظل نظر إلى الخلق نظر مترحم عليهم بحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس وتعجب منهم فى قناعتهم بالظل وانخداعهم بعالم الغرور وعالم الخيال فيكون معهم حاضراً بشخصه غائباً بقلبه يتعجب هو من حضورهم ويتعجبون

هم من غيبته فهذه ثمرات لباب الذكر وإنما مبدؤها ذكر القلب تكلفاً ثم ذكر القلب طبعاً ثم استيلاء المذكور وانمحاق الذكر ، وهذا سر قوله عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر من ذكر الله تعالى. بل سر قوله عليه الصلاة والسلام بفضل الذكر الخفى على الذى يسمعه الحفظة سبعين ضعفاً ، ثم قال وأنا عالم أن كل ذكر يشعر به قلبك يسمعه الحفظة فإن شعورهم يقارن شعورك ومادام القلب يشعر بالذكر ويلتفت إليه فهو معرض عن الله غير منفك عن شرك خفى حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق فذلك هو التوحيد ، قال وكذلك فى المعرفة فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثانى . ومن وجدها فكأنه لايجدها بل يجد المعروف بها فهو الذى استمكن من حقيقة الوصال وحل حظيرة القدس ، ثم قال بعد أن شرح الأحوال وضرب الأمثال للرجال الأبطال أهل الوصال والكمال والجمال: فهذه أمور نبهت عليها فتكون متشوقا إليها إلى أن تصير من أهل الذوق بها فإن لم تكن فمن أهل العلم بها فإن لم تكن فمن أهل الإيمان بها فيرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . وإياك أن تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد إذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذى كنت منه تحيد وقيل لك كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد انتهى كلام الغزالى المفيد فتدبره بالنظر الأكيد ففيه كما قال تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

وقال عبد الله بن المبارك : من ختم نهاره بذكر الله فهو كمن ذكره النهار كله .

وقال الشيخ ابن عطاء الله فى صدر كتابه مفتاح الفلاح القسم الأول فى ماهية الذكر وبيانه : الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور

القلب مع الحق، وقيل ترديد اسم للذكور بالقلب واللسان وسواء فى ذلك ذكر الله تعالى أو صفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء، أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه أو من ينسب إليه، أو يتقرب إليه بوجه من الوجوه، أو يسبب من الأسباب، أو فعل من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية. فالمتكلم ذاكر والمدرس ذاكر والمفتى ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر فى عظمة الله تعالى وجبروته وآياته فى أرضه وسمواته ذاكر والممتثل ما أمر الله به والمنتهى عما نهى الله عنه ذاكر.

قال والذكر قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان، وقد يكون بأعضاء الإنسان. وقد يكون بالجهر والاعلان. والجامع لذلك كله ذاكر كامل وذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور وهو الذكر الظاهر وله فضل عظيم شهدت بذلك الآيات والأخبار والآثار. فمنه المقيد بالزمان والمكان. فالمقيد بهما كالذكر فى الصلاة وعقيبها والحج وقبل النوم وبعد اليقظة وقبل الأكل وعند ركوب الدابة وطرفى النهار وغير ذلك. والمطلق وهو مالا يتقيد بزمان ولامكان ولا وقت ولا حال. منه ما هو ثناء على الله تعالى كما فى كل واحدة من هذه الكلمات وهى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ومنه ماهو ذكر فيه دعاء مثل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا الآية. أو مناجاة، وكذلك الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد وهو أشد تأثيراً فى قلب المبتدى من الذكر الذى لا يتضمن مناجاة لأن المناجى يشعر قلبه قُرْبَ من يناجيه وهو مايؤثر فى قلبه وتليه الخشية ومنه ماذكر فيه رعاية أو طلب دينوى أو أخروى والرعاية مثل قولك الله تعالى معى، الله ناظرى أو ناظر إلى أى يرانى فإن فيه رعاية لمصلحة القلب فإن فيه ذكراً يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الأدب معه والتحرز من

الذلة والاعتصام من الشيطان الرجيم . وحضور القلب مع العبادات انتهى كلام ابن عطاء الله نفع الله به .

فائدة لغوية

قال أهل اللغة الذكر ذكران ذكر باللسان وذكر بالجنان . فالذكر باللسان ضد الانصات وذاله مكسورة . وذكر بالقلب ضده النسيان وذاله مضمومة قاله الكسائى ، وقال غيره هما لغتان بمعنى واحد حكاه الماوردى فى تفسير سورة البقرة ونقله الأزهرى فى شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .

فائدة

قال بعض العلماء اعلم أن العلماء اختلفوا فى الإنسان أى وقت يدخل فى زمرة الذاكرين الله كثيراً والذاكرات المشار إليهم بقوله تعالى : (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) فقال قال الواحدى قال ابن عباس المراد أنهم يذكرون الله أدبار الصلوات وغدواً وعشياً . وفى المضاجع وكلما استيقظ من منامه وكلما غدا أوراح ذكر الله .

وقال مجاهد لا يكون منهم حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وقال عطاء من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فيهم ثم قال وهذا نقل الواحدى وقد جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أيقظ الرجل أهله وصليا أو صلى ركعتين معاً كتبا فى الذاكرين الله كثيراً .

وسئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح عن القدر الذى يصير الإنسان به منهم قال إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساء وفى الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً وهى مثبتة فى كتاب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين

الله كثيراً ثم قال إن الظاهر والذى يفهم من أقوال الأئمة أن الإنسان إذا صار الذكر غالب أوقاته فهو من الذاكرين الله كثيراً بالاجماع .

فائدة أخرى

نذكر فيها الحديث الذى قال فيه من نقله من الكبار إنه حديث عظيم شريف المقدار ينبغى لكل مسلم أن يحفظه لعموم فائدته ومسيس حاجة الخلق كلهم إليه . ومعناه أن الذكر نجاة من الأعداء . قال وهو حديث صحيح رواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب الترغيب فى الخصال المنجية . والترهيب من الخلال المرديه . وبنى كتابه كله عليه وجعله شرحاً عليه . وقال هذا حديث حسن صحيح جداً رواه عن سعيد بن المسيب وعمرو بن ذر وعلى بن زيد بن جُدْعان وهلال بن جَبَلة وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سَمُرة بن جُنْدب قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن فى صُفَّة بالمدينة فقام علينا وقال رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالدته فرد عنه ملك الموت . ورأيتُ رجلاً من أمتى بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشاً كلما دنا من حوض طرد ومنع فجاءه صيام شهر رمضان فاسقاه وأرواه . ورأيت رجلاً من أمتى ورأيت الأنبياء حِلَقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه جنبى . ورأيت رجلاً من أمتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور . ورأيت رجلاً من أمتى يتقى بيده وهَجَ النار وشررها فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظلا على رأسه ورأيت رجلاً من أمتى يكلم

المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت يامعشر المسلمين كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون فصافحهم وصافحوه ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه وأدخلاه فى ملائكة الرحمة . ورأيت رجلاً من أمتى جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلاً من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها بيمينه . ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءه أفراطه يعنى أولاده الذين ماتوا قبله فثقلوا ميزانه . ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكى بها من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ورأيت رجلاً من أمتى قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصفة فجاءة حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعده ومضى . ورأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط يحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وأنقذته ورأيت رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة

الفصل الثانى

فى الدعاء وأحكامه وفضائله

وأقسامه . وما يتعلق بذلك

قال الله تعالى (واسألوا الله من فضله) وقال تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيبُ دعوة الداع إذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) قال الإمام البغوى الاجابة من الله العطاء ومن العبد الطاعة . وقيل

فلستجيبوا لِى أى ليستدعوا منى الإجابة . وحقيقته فليطيعونى . ثم قال (فإن قيل) وجه قوله تعالى (أجيب دعوة الداعى) وأمثالها وقدُ يدْعَى كثيراً ولا يجيب (قلنا) قد اختلفوا فى معناه فقيل معنى الدعاء ههنا الطاعة . ومعنى الاجابة الثواب، وقيل معنى الآيات خاص وإن كان اللفظ عاماً . تقديره أجيب دعوة الداعى إن شئت كما قال فيكشف ماتدعون إليه إن شاء أو أجيب دعوة الداعى إن وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيراً له أو أجيبه إن لم يسأل محالاً . وفى الحديث يستجيب الله لأحدكم مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل، قالوا وما الاستعجال يارسول الله قال يقول قد دعوتك يارب قد دعوتك يارب قد دعوتك يارب ولا أراك تستجيب لى فيستحسر عند ذلك فيدَع الدعاء وقيل هو عام . ومعنى قوله أجيب أى أسمع ويقال ليس فى الآية أكثر من إجابة الدعوة فأمّا إعطا الأمنية فليس بمذكور فيها . وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سُؤْله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة ، وقيل معنى الآية أنه يجيب دعاءه فإن قدّر له ما سأل أعطاه وإن لم يقدر له ادّخَر له الثواب فى الآخرة أو كفّ عنه به سوءاً انتهى .

وقال (تعالى قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيّا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى) وقال تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلةَ أيّهم أقربُ ويرجُونَ رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) وقال تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إنى مُمِدُّكمُ بألف من الملائكة مُرْدفين) نزلت يوم بدر لما ألحّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه فى الدعاء وقال عز من قائل (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذِكراً فمن الناس من يقول ربّنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا

حسنةً وفى الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب).

قال على بن أبى طالب فى الدنيا حسنة أمرأة صالحة وفى الآخرة حسنة الجنة وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار وقال تعالى (ما يَعْبَأُ بكم ربى لولا دُعاؤكم) وقال تعالى (أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء).

قلتُ الحمد لله الذى لم يشرط فى اجابة دعاء المضطر إذا دعاه الاضطراره وافتقاره وضعفه وذله وانكساره ولم يشرط ان يكون من المتقين بل قال أمّن يجيب المضطر إذا دعاه.

وبهذا حصلت منى المناجاة حين استسقيت فى سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف وقد بينت ذلك بياناً شافياً فى ترجمة قصيدة لى فى ديوانى المسمَّى قلائد الحسان وفرائد اللسان التى مطلعها .

ألا يالله بجاه للظلَّل بالغمامهْ تولَّ العبد وأهدِهْ وبشّرْ لَهْ بَرامَهْ
ترى ضيفَكْ على الباب عجِّلْ بالكرامهْ

(تبصرة وتذكرة) اعلم انه ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا مزيد عليه من التصريح الصّريح الصحيح بالوجوب للدعاء والتّلميح مثل الفاتحة وغيرها ، وورد أيضاً الأمرُ بالتوسَل إلى الله تعالى بأنبيائه وأسمائه وبالأعمال الصالحة مثل حديث آدم لما قال اللّهم إنى أسألك بمحمد أن تغفر لى خطيئتى وحديث أصحاب النار الذين سقطت عليهم الصخرة كما أورده البخارى فى صحيحه مراراً وسنذكره بلفظه فى فصل تفسير الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشرح إن شاء الله تعالى وغيره .

ماجاء فى القرآن من دعاء الأنبياء والملائكة والمؤمنين

وورد من الآيات مالا يحصى ولا يحد ولا يستقصى منه الأدنى دون الاقصى من التعريف بدعاء الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام وكذلك تحقيق ما حقق به لهم من إنجاز وعده بالإجابة مثل قوله تعالى حاكياً عن آدم وحواء اذ قالا (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وقال على لسان نوح عليه السلام (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) وأمره أيضاً بالدعاء فقال (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلاً مباركا وأنت خير المنزلين) وقوله (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء) الآية وقال على لسان إبراهيم عليه السّلام (رب هب لى حكماً والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم) (ربّ اجعلنى مقيم الصّلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقال على لسان يوسف عليه السّلام (ربى قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) ، وقال على لسان أيوب عليه السلام : (وأيوب إذ نادى ربه إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر) الآية . وقال على لسان داود ومن معه : (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) وقال على لسان سليمان : (رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب) ، وقال على لسان عيسى : (اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير

الرازقين ﴾ ، وقال على لسان موسى عليه السلام : ﴿ رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير ﴾ ، ﴿ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ الآيات . وقال على لسان يونس عليه السلام : ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين . وزكريا إذ نادى ربه رب لاتذرنى فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ ، وقال على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما أمره أن يدعوه به : ﴿ وقل ربى أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا ﴾ وأمره والمؤمنين من أمته فقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ، ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ . وقال على لسان التابعين إلى يوم الدين : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم ﴾ ، وقال حاكياً عن ملائكته المقربين وراضياً دعاءهم للمؤمنين : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

فافهم معانى الآيات فإنها إنما وردت للتعليم والإقتداء والتأسى والإهتداء

والإغراء بالدعاء والحث عليه ، وكم فرج الله بالدعاء من كربة ، وكم يسر به من طلبة. وفضائل الدعاء لا تحصى ، فالزمه تظفر إن شاء الله بكل مطلوب وتحظى بكل مرغوب وتكفى كل مرهوب فى الدنيا والآخرة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ما ورد فى الدعاء من الأخبار

وأما الأخبار فقد روى فى الصحيح عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل أنه قال : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ولا تدابروا ، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى اكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » رواه مسلم .

وفى الاحياء قال صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريماً » . وقال : « إذا سألتم الله تعالى فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شىء » .

وفى الإحياء أيضاً أن رجلين كانا عابدين متساويين فى العبادة . قال فإذا دخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول : يا رب ما كان هذا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين ، فيقول الله تعالى : إنه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت تسألنى النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤاله .

وفى جامع الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : يا ذا الجلال والإكرام . فقال : قد استجيب لك فاسأل هكذا ، نقله عنه بعض العلماء الثقات .

ونقل أيضاً من مسند الإمام أحمد قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى الدعاء أفضل ، فقال : أن تسأل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . ثم أتاه من الغد فسأله فأجابه بذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال مثل قوله الأول ، ثم قال إنك إذا أعطيتهما فى الدنيا والآخرة أفلحت .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » أخرجه الترمذى . قلت : ومعنى انتصر أى حصلت له النجدة والعون من الله تعالى على ذلك الظالم فلا يحتاج إلى نصرة غير الله تعالى .

وقال عليه السلام : « ليس شىء أكرم على الله من الدعاء » .

وقال عليه السلام : « إن العبد لا يخطئه من الدعاء أحد ثلاثة ، إما ذنب يغفر له ، وإما خير يعجل له ، وإما خير يدّخر له .

وقال عليه السلام : « سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج بالصبر » .

وقال عليه السلام : « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين » الحديث .

وقال عليه السلام : « لا يرد القضاء إلا الدعاء . ولا يزيد فى العمر إلا البر » .

وقال : « لا يهلك مع الدعاء أحد » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عاد مريضاً لم يحضر أجله ، فقال : عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك عافاه الله تعالى من ذلك المرض » أخرجه أبو داود والترمذى .

وقال الإمام أبو القاسم القشيرى : الدعاء مفتاح قضاء الحاجات وهو مستروَح أصحاب الفاقة وملجأ للمضطرين ومتنفَّس ذوى الألباب . وقد ذم الله قوماً تركوا الدعاء . فقال (ويقبضون أيديهم) .

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة من جملة حديث طويل عنه عليه الصلاة والسلام قال : « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الله : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

وقال عليه السلام : « إن الله يحب الملحّين فى الدعاء » .

وقال سهل بن عبد الله : خلق الله تعالى الخلق فقال ناجونى فإن لم تفعلوا فانظروا إلى ، فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى ، فإن لم تفعلوا فلوذوا ببابى ، فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بى :

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبنىُّ آدم حين يُسأل يغضب

وروى الإمام البغوى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول : أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له » .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هوالعبادة ، ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعونى استجب لكم﴾ الآية » أخرجه أبو داود وهذا لفظه وصححه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة : وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ولا يرد القضاء إلا الدعاء فعليكم بالدعاء » أخرجه الترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فى إجابتهن دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » وقال أيضاً أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال وهو أن يكون صاحبه مضطرا إليه لابدّ له مما يدعو لأجله وقال عليه السلام « والذى نفسى بيده إن العبد ليدعو الله ، وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعو فيقول الله تعالى للملائكة أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له .

وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب وقيل الدعاء جزء من العطاء .

وقال الكتانى لم يفتح لسان المؤمن بالمعذرة إلا لفتح باب المغفرة .

وقال أبو حازم الأعرج لأن أحرم الدعاء أشد من أن أحرم الإجابة .

وقال عليه الصلاة والسلام «إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه» .

وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « أدعو الله تعالى وأنتم موقنون بالإجابة وأعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه ساه » .

وعن ابن سيرين قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين » .

وقال أبو قلابة أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسى على قبر فنمت ثم انتبهت وإذا بصاحب القبر يشتكى لقد آذيتنى منذ الليلة . ثم قال انكم لا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيراً أقرهم السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه فلما انتهى إليها قال اللهم إنهم جياع فأشبعهم . اللهم إنهم حفاة فاحملهم . اللهم إنهم عراة فاكسهم ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا أخرجه أبو داود .

وعن عائشة رضى الله عنها قال شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له فى المصلّى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه قالت نخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانكم وقد أمركم الله تعالى أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد .

اللهم أنت الله لا إله إلاّ أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث

وأجمل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين ، ثم رفع يديه حتى بدأ بياض أبطيه ثم حول إلى الناس ظهره ، وحول رداءه ، وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل ، وصلى ركعتين فأنشأ الله سحاباً فرعدت ، وبرقت ثم أمطرت باذن الله تعالى فلم يأت مسجده حتى سالت السيول . فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأنى عبده ورسوله » أخرجه أبو داود .

وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك » .

وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان « يقول دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير . قال : الملك الموكل به آمين ولك مثل ذلك » .

وفى كتاب الترمذى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ فى الثناء » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفى كتاب أبى داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن وقال لا تنسنى يا أخى من دعائك . فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا .

وفى رواية أشركنا يا أخى فى دعائك . قال الترمذى حديث حسن صحيح وكان يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه يقول إلهى كيف أدعوك وأنا عاص وكيف لا أدعوك وأنت كريم .

وذكر الإمام النووى فى كتابه الأذكار مما أورده حجة الإسلام فى الاحياء عن الإمام سفيان بن عيينة أنه قال لا يمنعنّ أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله أجاب شر المخلوقين إبليس إذ قال (رب انظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظَرين) .

وقال سيدى الشيخ محمد بن محمد بن محمد العمرى الخطابى المخزومى القرشى فى كتابه بحر الأنوار إن أردت استجابة الدعاء فعليك بأربعة أشياء . أولها القوت الحلال . الثانى التوبة . الثالث الاخلاص . الرابع أن لا تدعو بمحرم قال وأعلم أن من الرجال من يقول : بجوارحنا تقضى حوائجنا . ومنهم من إذا مر الخاطر له بالقلب استجاب له الرب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقال الشعرانى فى العهود ، ومن كسب اليدين بسطهما الدعاء . قلت وأعلم أن الدعاء فرض واجب وحتم لازم بل يجب عيناً على العبد أن يدعو الله كل يوم سبع عشرة مرة وذلك فى قراءة الفاتحة فى الصلوات الخمس لأن نصفها دُعاء ونصفها ثناء فالعجب كل العجب ممن يقول السكوت ، والجود أتم منه فإن قصد بذلك الرضا بما سبق من اختيار الحق فهو حاصل مع الدعاء .

قال الامام أبو القاسم القشيرى فى رسالته وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعاً اه .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى شرح الرسالة ، ولم يزل العلماء الراضون بقضاء الله الواقع يسألون الزيادة وذلك حسن وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل ربى زدنى علماً انتهى كلامه .

وقال الإمام عبد الله الحداد فى رسالة المعاونة ، وأعلم أن الدعاء والإلحاح لا يقدح فى الرضا بل هو من الرضا كيف والدعاء معرب عن التحقق بالتوحيد

وهو لسان العبودية ، وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار والذلة والافتقار ومن تحقق بهذه الأوصاف عرف ووصل وعلى غاية القرب من الله حصل .

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الدعاء مخ العبادة وسلاح المؤمن ونور السموات والأرض ، وأن من لا يسأل الله يغضب عليه . وقال مولانا جلت قدرته (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) . وقال تعالى (وقال ربكم أدعونى أستجب لكم) قال ، وما وقع من الخليل عليه السلام من الإمساك عن الدعاء حين طرح فى النار إنما ذلك لسر اختص بتلك الحال وإلا فقد حكى الله عنه الدعاء فى مواضع عديدة من كتابه بل لم يحك عن أحد من الأنبياء أكثر مما حكى عنه فتفقه فى كتاب الله ، واستخرج العلوم منه فإنها بجملتها مودعة فيه لا يشذ منها دقيق ولا جليل ولا جلى ولا خفى . قال الله تعالى (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) اه .

قال وحكم الرضا بأفعال الله على وجه الاجمال أن تعتقد أن جميع أفعال الله وقعت على وجه لا أحكم منه ولا أعدل ولا أفضل منه ولا أكمل ، وذلك واجب على كل مؤمن . قال وليس من الرضا فى شىء ما يجده بعض الأغبياء من الطمأنينة عند ترك بعض المأمورات أو ارتكاب بعض المحظورات فإن فعل المعاصى وترك الطاعات مما يسخط الله تعالى فكيف يرضى هو بشىء لا يرضى به الله . (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفروان تشكروا يرضه لكم) وإنما رضى هذا المسكين عن نفسه فظن أنه رضى عن ربه والرضا عن الله وعن النفس بعيد أن يجتمعا فى موطن واحد . قال وما أحسن ما قاله الإمام الغزالى رضى الله عنه فى رسالته إلى أبى الفتح الدمشقى رحمه الله الرضا هو أن ترضى بما يفعل الله باطناً ، وتفعل ما يرضيه ظاهراً وباطناً انتهى كلام الحداد فاقد أحسن وأجاد فتدبره تظفر بالرشاد وتسلك سبيل السداد .

وقال الغزالى إن قيل فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لامرد له . فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء اه .

وفى حديث صحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه بعد التشهد «يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ثم يسلم».

وعن جابر بن سليم قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه ، قلت من هذا قالوا : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت عليك السلام يارسول الله مرتين قال لا تقل عليك السلام ، عليك السلام تحية الموتى قل السلام عليك . قال قلت أنت رسول الله قال أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك الحديث .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بنى سليمان بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثا سأله حكماً يصادف حكمه فأوتيه وسأل ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه وسأل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا تنهزه الا الصلاة إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه أخرجه النسائى. تنهزه أى تدفعه وتحركه .

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجاركم الله من ثلاث خلال أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً . وأن لا يظهر الله تعالى أهل الباطل على أهل الحق وأن لا تجتمعوا على ضلالة أخرجه أبوداود ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة : أخرجه الثلاثة .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فشق عنه . ومن ولى من

أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » رواه مسلم .

فهذه الآيات والأحاديث وأقوال السلف من أدل الدلالات وأوضح العلامات على فضل الدعوات الصالحات وأنها مفتاح باب قضاء الحاجات . وإنما أوردناها مجملات . وهى كما هى مفصلات . وقد استغنينا بألفاظها الواضحة . عن الكلام عليها لأنها لا تحتاج إلى شىء من الزيادات .

شروط الداعى

قالوا : ومن شروط الداعى أن لا يستبطىء الإجابة ولا يشك فيها فقد جاء فى بعض الأخبار : يبعث الله عبداً فيقول الله تعالى: ألم آمرك برفع حوائجك إلى فيقول بلى وقد رفعتها إليك فيقول الله ماسألت شيئاً إلا أجبتك فيه . لكن أنجزت لك البعض فى الدنيا ومالم أنجزه فى الدنيا فهو مدخر لك تأخذه الآن فيقول العبد : ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا » . ذكره الشيخ محمد بن ابراهيم بن عباد فى شرح الحكم وحكى أن الشيخ يحيى بن سعيد القطان رأى الحق سبحانه وتعالى فى المنام فقال الهى أدعوك فلا تستجيبنى ؟ فقال سبحانه وتعالى يا يحيى أحب أن أسمع صوتك ، وقيل فى المعنى:

دعوتك مضطراً وأنت سميع وجئتك محتاجاً فكيف أضيع
أتطردنى عن باب فضلك سيدى وعندى على طردى إليك رجوع
فلو كان لى رب سواك قصدته وأى حمى الا حماك منيع

وانشد سيدى شعيب أبو مدين :

يامن علا فرأى ما فى الغيوب وما تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه أنت الدليل لمن حارت به الحيل
إنا دعوناك والآمال واثقة فالكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فان عفوت فذو فضل وذو كرم وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

وقال بعضهم:

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لايرجوك الا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما امرت تضرعا فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنى مسلم

آداب الدعاء وأوقات الاجابة

(تحقيق وتدقيق) وتتميم وتعليم فى آداب الدعاء وأوقات الإجابة مختصر من كتاب بحر الأنوار للعمرى . قال أما آداب الدعاء فهى طهارة الباطن والظاهر والثياب والبقعة . وخلو المعدة وطيب الرائحة وتقديم العمل الصالح والصدقه وإن قلت : (قلت) وينبغى أن يكون فى الغالب بعد صلاة مكتوبة لأن أوقات الصلوات أفضل الأوقات لما روى فى كتاب الترمذى ونقله محيى الدين النووى عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع . قال:جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال الترمذى حديث حسن .

رجعنا إلى كلام العمرى قال :وأن يكون مستقبل القبلة حانى الرأس مطرقا فى الأرض مع توجه الهمة بالخشوع وقوة الخضوع بعزم وجزم فى حصول الإجابة .ولا يقل اللهم افعل لى كذا إن شئت فإن الله لامكره له ، وأن يكون الدعاء مع الرغبة والرهبة والرقة والمخافة وهى المخافة أى الرغبة والرهبة المعبر بهما عن الرجاء فى الله والخوف من الله المشار إليهما بقوله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) يبدى حديدا بلا تفن ولا نغمة إلا أن يكون فى الطبع من غير تكلف . ولا يدعو بمستحيل ولا بما لا يصح طلبه شرعا مما اختص به الأنبياء والرسل والملائكة وأن يؤمن من سمعه ثلاثا وان يكون فى أوقات الإجابة وأماكنها المباركة نحو ما فضل من ظرفى الزمان والمكان كمسجد ووقت سحر

وعند نزول المطر وليلة الجمعة ويومها وقبل الغروب من يومها وعشية الخميس وساعة الجمعة بين الخطبتين وقبيل آمين من كل مصل ويوم عرفة وعقيب طهر أكبر وأصغر وتوبة وطاعة وشهر رمضان وطرفى الليل ووسطه وعند التحام الحرب والاجتماع على فعل الخير وإقامة الصلاة وفى السجود وبعد التلاوة وعند ختم القرآن خصوصاً من القارىء وعند شرب ماء زمزم وعند تغميض الميت واحتضاره وبين الجلالتين فى سورة الأنعام جرّبه غير واحد وعند بقعة شريفة كعرفة والحجر الأسود والملتزم ومقام إبراهيم وحجر إسماعيل وعند قبور الأنبياء والأولياء سيما عند قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) يعنى وقوله (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وعند قبر شيخك يعنى إن كان قد مات وإلا فالحى أفضل وفى مكان المتعبدات من المساجد لاسيما الثلاثة المساجد وعند الإفطار من كل صوم .

ومن آدابه أن يجعل يديه حذو منكبيه وان يرفع بطن كفيه ويقلبهما عند الاستعاذة كالمستدفع للشر لقوله تعالى (ويدعوننا رغباً ورهباً) وتكون اليدان مكشوفتين فى الحالتين . انتهى كلام العمرى :

(قلت) ومن آدابه المهمة الثناء الكثير على الله تعالى وتقديسه وتنزيهه سبحانه عز وجل،ومن جوامع الثناء الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده ياربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحانك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . إلى آخره ثم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى أوله ووسطه وآخره .

ومن جوامع الصلاة عليه : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كلما ذكرك وذكره الذاكرون وسهى وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون ، وأن

تدعو للاخوان فى الله الحاضرين والغائبين بما تحب أن تدعو به لنفسك ليقول الملك ولك مثله .

رأى بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم يقول إذا طلبت خيراً لنفسك فاطلبه لغيرك . ورأى بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم يقول لآخر يا شيخ من أراد السلامة فليطلبها فى سلامة غيره منه ، وكان بعضهم إذا أراد أن يطلب شيئاً يسأله من الله لبعض الإخوان .

ومن آداب الدعاء وهيئاته بسط الكف عند الدعاء ، والنظر إلى السماء كما قيل إن السماء للداعى كالكعبة للمصلى .

وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتستروا الجدار . ومن نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار وسلوا الله تعالى ببطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » أخرجه أبو داود .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار ، ونحن معه إذ حادت به بغلته فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة فقال صلى الله عليه وسلم من يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل أنا فقال متى ماتوا قال فى الشرك . قال إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ثم قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر . قال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار . قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال أخرجه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد

صالح يدعو له أخرجه الخمسة إلا البخارى . الصدقة الجارية المستمرة المتصلة كالوقف ومايجرى مجراه . فاعلم بهذا الحديث ، وما قبله وما بعده فضل الدعاء وأعلم أنه ينفع الإنسان إذا دعا لنفسه فى حياته ولوالديه بعد وفاتهما كما نص عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال تعالى فى وصف إبراهيم عليه السلام إنه لحليم أواه منيب قيل الأواه كثير الدعاء .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أتانى جبريل برسالة من ربى أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد لها جزاء إلا الدعاء فقد كافأه .

وعن سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفراً أخرجه أبو داود والترمذى . الصفر الذى ليس فيه شىء .

وقال الشيخ محمد العمرى بل يكون مؤثراً أخاه يعنى فى الدعاء وانظر إلى فائدة الإيثار لما طلب الهدهد لغيره الماء الجاحة أراه الأرض كزجاجة وعندما آثر نفسه بحبة هلك ولم ير الفخ .

قال عارف لما طلب موسى حاجة لأهله لعلهم يصطلون أوصله الله بالوادى المقدس ولما طلب الخضر حاجة لغيره أوصله الله بمدِّ الحياة . وينبغى أن يدعوه بما جاء من الدعوات فى القرآن ، والسنة أو على ألسنة السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والعلماء الصالحين لأن بذلك تحصل الإجابة . وذلك لأن الكلمات المؤيدة بتأييد العناية من أهل النبوة ، والولاية منطوية على خصوصية ، ونورانية وعلى القبول ، وربما كان فيها الاسم الأعظم من حيث لا يعلم ولا يفهم .

وقال بعض الأئمة إياك أن تدعو الله بدعوات من عندك بل تضرع إليه

مما ورد عن نبيك من الدعوات يفتح لك باب الإجابة فإن الدعوات المأثورة تعرف طرق السماء اه .

خاتمة

قال حجة الإسلام فى كتابه الأربعين : ولا تظنّن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء ، بل ولا ترك السهم الذى أرسل إليك فلا تتقيه حتى يصلك مع قدرتك على دفعه بالترس بل تعبدك الله تعالى بالدعاء يعنى أنه فرضه عليك ليستخرج به من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعد به لقبول الألطاف والأنوار فمن جملة الرضا بقضائه أن يتوصل إلى محبوباته بمباشرة ما جعله سبباً لها بل ترك الأسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضائه فليس من الرضا بالقضاء للعطشان أن لا يمد يده إلى الماء البارد زاعماً أنه رضى بالعطش الذى هو من قضاء الله تعالى . بل من قضاء الله تعالى أن يزال العطش بالماء وتزال العلة بالدواء . فليس من الرضا بالقضاء ما يوجب الخروج من حدود الشرع وترك رعاية سنة الله تعالى أصلا بل معناه ترك الاعتراض على الله تعالى إظهاراً واضماراً مع بذل الجهد فى التوصل إلى محاب الله تعالى من عباده وذلك بحفظ الأوامر وترك النواهى فافهم ما رقم تغنم وتسكرم .

(فائدة) قال بعض العلماء ، قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى طبقات النحاة الصغرى له : رأيت بخط القاضى عز الدين بن جماعة وجد بخط الشيخ محيى الدين النووى ما نصه : ما قرأ أحد هذه الأبيات ودعا الله تعالى عقبها بشىء إلا استجيب له اه . قال ابن خلكان فى تاريخه : قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية : أنشدنى يعنى عبد الرحمن بن الخطيب الآتى ذكره بعد الأبيات ، وقال : ما سأل الله أحد حاجته بها إلا أعطاه إياها وكذلك من

استعمل إنشادها وهي هذه :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع　　أنت المُعَدُّ لكل ما يُتوقع
يا من يرجَّى للشدائد كلها　　يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن　　أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة　　فبالافتقار إليك ربي أضرع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة　　ولئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه　　إن كان فضلك عن عُبيدك يمنع
إن كان لا يرجوك إلا محسن　　فالمذنب العاصي إلى من يرجع
حاشا لجودك أن تقنِّط عاصياً　　الفضل أجزل والمواهب أوسع

قال : وهي من كلام عبد الرحمن بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن اصبع بن حسين بن سعدون بن رضوان الله بن صوح المالقي رحمه الله تعالى .

(قلت) : وأنا العبد الفقير إلى الله علي بن حسن العطاس مؤلف هذا القرطاس قد خمست هذه الأبيات مع زيادة [يا ربنا] في كل بيت وزدت بيتاً بتخميسه آخرها :

فقري وضعفي واقع . ذلي وعجزي واقع
ربي غنيٌ قادر عزٌ القويُ الأرفع
لما تحقق ذا وذا ناديته أتضرع
يا ربنا (يا من يرى ما في الضمير ويسمع)
يا ربنا (أنت المعدُّ لكل ما يتوقع)
يا من لها إن لم تكلها في المكالي من لها
جارت على العبد السكر وب نعضلات حلها

ناداك لما كلّ من كلّ الكلال بحملها

يا ربنا (يا من يرجّى للشدائد كلها)

يا ربنا (يا من إليه للشتكى والمفزع)

يامن هو المبدى المعيد لما يريدبنا بكن قدقلت إنى عند ظن العبد ماشا فليظن

فالطف بنافاذالطفت فظننا الأسواحسن ياربنا (يامن خزائن رزقه فى قول كن)

يا ربنا (أمنن فإن الخير عندك أجمع)

وعواطف إلا لديك من الأولى بليلة هطالها لا ينتهى بنوالها مطلولة[1]

وأنا الذى لى بافتقارى وصلة موصولة ياربنا (مالى سوى فقرى إليك وسيلة)

ياربنا (فبالافتقار إليك ربى اضرع)

أوصافنا أوصافنا فيها العيوب أصيلة وسناننا مما جرى فى الاجترام كليلة

وعيون آمال طوال الإله طويلة[2] يا ربنا (مالى سوى قرعى لبابك حيلة)

يا ربنا (والئن رددت فأى باب أقرع)

يا من بدانا فى الوجود المستبين بعلمه وأنا لنا من جوده ما نستسيم بوسمه

وبدا لنابالمحكمات من الصفات وحكمه ياربنا(ومن الذى ندعو ونهتف باسمه)

ياربنا (إن كان فضلك عن عبيدك يمنع)

أنت الذى فضلا واحسانا على الأسرى تمن

والعفو عمن أحسن الحسنى عبيدك ما يكن

ودلائل الآيات فوز المحسنين بماحسن ياربنا (إن كان ما يرجوك إلا محسن)

يا ربنا (فالمذنب العاصى إلى من يرجع)

فارحم عبيداً فى بيدا للعاصى قاصياً قاد الهوى والنفس والشيطان منه نواصياً

و بقابأرواح الرجا لك موصياًمتواصياً يا ربنا (حاشالجودك أن تقنط عاصياً)

ياربنا (الفضل أجزل والمواهب أوسع)

---

(١) كذا هذا البيت بالأصل فليحرر . (٢) كذاهذا الشطر بالأصل فليحرر .

يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا ... يا ربنا يامن يفرج بالمواهب كربنا[1]

يا ربنا يا من يدير بمدنا أو قربنا ... يا ربنا يا من يوفقنا إذا شا شربنا

يا ربنا أنت الإله المستغاث الأنفع

وقال فى كتاب زهر الأكام : ذكر الله تعالى فى سبع طاعات سبع كرامات فى السجود القربة قال تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾ ، وفى الصيام التيسير قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، وفى الزكاة الفلاح قال تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ ، وفى الحج الأمن من النار قال تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ ، وفى الجهاد الجنة قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ ، وفى الصدقة التضعيف قال تعالى : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ ، وفى الدعاء الإجابة قال تعالى : ﴿ أدعونى أستجب لكم ﴾ .

الخاتمة لهذا الفصل

فى فضل إتمام الدعوات بالتأمين وأن الفاتحة التى هى لكل خير فاتحة أفضل الدعاء وأكمله ، وأوفاه وأجزله ، وأشفاه وأعدله . فيتبين لك كما قدمناه فى أول الفصل أن الدعاء واجب على الإنسان كل يوم سبع عشرة مرة بعدد ركعات الصلوات الخمس المفروضات وفيها أعنى الخاتمة فى الحديث الآخر منها كما سيأتى أن الجماعة إذا اجتمعوا فى غير الصلاة ودعابهم كبيرهم فهم يؤمنون عليه كما فى قراءة الفاتحة فى الصلاة وكما فى حديث المباهلة إذا أنا دعوت فأمنوا .

أورد الشيخ عبد العظيم المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين . فإنه من وافق قوله قول

---

(١) كذا بالأصل فليحرر .

الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » ، رواه مالك والبخارى واللفظ له ومسلم وأبو داود ، والنسائى وابن ماجه . وفى رواية للبخارى : إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة فى السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه . وفى رواية لابن ماجه والنسائى : إذا أمن القارىء فأمنوا . وفى رواية للنسائى إذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين . فإنه إن وافق كلام الملائكة غفر لمن فى المسجد .

وفيه آمين تمد وتقصر وتشديدُ الميم لغة ، قيل هو اسم من أسماء الله تعالى ، وقيل معناه اللهم اسمع واستجب أو كذلك فافعل أو كذلك فليكن .

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما حسدتكم اليهود على شىء ما حسدتكم على السلام والتأمين » ، رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، وابن خزيمة فى صحيحه ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عنده اليهود فقال : « إنهم لم يحسدونا على شىء كما يحسدونا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين » .

ورواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن ولفظه قال : إن اليهود قد شتموا دينكم وهم قوم حُسد ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث رد السلام وإقامة الصفوف وقولهم خلف الإمام فى المكتوبة آمين ، وفيه أيضاً عن أنس رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم جلوساً فقال : إن الله أعطانى خصالا ثلاثاً أعطانى صلاة فى الصفوف ، وأعطانى التحية إنها لتحية أهل الجنة ، وأعطانى التأمين ولم يعطه أحداً من النبيين قبلى إلا أن يكون أعطاها هارون يدعو موسى ويؤمن هارون ، رواه ابن خزيمة فى صحيحه من رواية زربى مولى آل المهلب ، وتردد فى ثبوته .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال الذى خلفه آمين والتقت من أهل السماء والأرض آمين ، غفر الله للعبد ماتقدم من ذنبه . قال ومثل الذى لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فأقرعوا فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فيقول ما لسهمى ما خرج قالوا إنك لم تقل آمين » ، رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبى سليم .

وفيه أيضاً عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله رواه الطبرانى فى الكبير ورواه مسلم وأبو داود والنسائى فى حديث طويل عن أبى موسى الأشعرى قال : إذا صليتم فأقيموا صفوفكم وليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله . وفيه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حسدتكم اليهود على شىء ماحسدتكم على قول آمين فأكثروا من قول آمين رواه ابن ماجه ..

وفيه أيضا عن أبى مصبح المقراى قال : كنا نجلس إلى أبى زهير النميرى وكان من الصحابة يتحدث أحسن الحديث فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال اختمه بآمين فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة .

قال أبو زهير أخبركم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نمشى فأتينا على رجل قد ألحَّ فى المسألة ، فوقف النبى صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوجبَ إن ختم ، فقال رجل منا بأى شىء يختم ، فقال بآمين فإن ختم بآمين فقد أوجب فانصرف الرجل الذى سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأتى الرجل فقال يا فلان اُختم بآمين وأبشر ، رواه أبو داود .

ثم قال المنذرى ومصبح بضم الميم وكسر الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة .

والقرائى بضم الميم وقيل بفتحها والضم أشهر وسكون القاف وراء مهملة ممدودة نسبة إلى قرية بدمشق .

وفيه أيضا عن حبيب بن سلمة الفهرى وكان مجاب الدعوة . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعض إلا أجابهم الله رواه الحاكم ، وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن بتأمينه فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه . قال علماء العربية آمين اسم فعل ومعناه استجب .

وقال صلى الله عليه وسلم إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله رواه مسلم وهو بالجيم أى يستجيب . وفى رواية لمسلم إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة فى السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفى صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثله . وفى رواية قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله . وفى رواية دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله .

قال الإمام النووى فى شرح مسلم . وفى هذه الأحاديث فضل الدعاء لأخيه بظهر الغيب أى فى غيبته ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً . وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها اه .

(فائدة) قال المؤلف أعلم أنه يستحب الداعى رجاء سرعة الإجابة لدعائه أن يتوسل إلى الله بذاته وبأسمائه وبصفاته كالرحمة والمنة والحلم والحنانة والرأفة واللطف والفضل والكرامة ، ويتوسل إليه بأنبيائه سيما محمد

وآله وصحبه وأوليائه ، ومن أعظم ما يستجاب به الداعى أن يتوسل إلى الله بصالح أعماله كما جاء فى حديث أصحاب الغار . قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم استدل أصحابنا يعنى فقهاء الشافعية بهذا الحديث يعنى حديث أصحاب الغار على أنه يستحب للانسان أن يدعو فى حال كربته وفى دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل به إلى الله تعالى لأن هؤلاء يعنى أصحاب الغار فعلوه فاستجيب لهم وذكر النبى صلى الله عليه وسلم قصتهم حين وقعت الصخرة عليهم فى معرض الثناء وجميل فضائلهم انتهى كلام النووى .

قلت وقد تقدم قريبا شىء من قصة أصحاب الغار وحديثهم وما يناسب ذلك والله أعلم . وسيأتى الحديث بكماله فى آخر فصل فضل الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم أحد تأويله إلا الله ، وقيل آمين درجة فى الجنة تجب لقائلها . وقيل هو طابع الله على عباده يدفع به عنهم الآفات انتهى . وقد حرر القول فى آمين الإمام النووى فى كتابه تهذيب الأسماء واللغات فى أول قسم اللغات بما لامزيد عليه فراجعه إن شئت فإن فيه من التحقيق ما شئت .

الفصل الثالث

فى منافع الأوراد والحث على المداومة عليها

أما الآيات فقد قال تعالى : (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه مُلتحداً واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطا) وقال تعالى : (وهو الذى جعل الليل والنهار خِلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورا) .

قال العلماء : ومعنى قوله خلفة أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك ما فات فى أحدهما فى الآخر . ومن ذلك الشكر والذكر معرفة مقادير الأوقات فيشتغل فيها بأنواع الطاعات وأعمال الخيرات .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله تعالى » .

وعن معاذ الجهنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتى الضحى لا يقول إلا خيراً غفر الله له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر أخرجه أبو داود ، والتسبيح ههنا صلاة النافلة .

قال الإمام الغزالى فى أول كتاب العلم فى بيان العلم الذى هو فرض عين عن الإمام مالك أنه سئل ما تقول يا مالك فى طلب العلم فقال حسن جميل ولكن أنظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه .

وقال فى كتاب ترتيب الأوراد فى الأوقات : أما بعد فاعلم أن الناس فى هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافته فسنونه مراحله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطواته ، وطاعته بضاعته ، وأوقاته رؤس ماله ، وشهواته قطاع طريقه ، وربحه الفوز بلقاء الله فى دار السلام ، وخسرانه البعد من الله فى دركات الجحيم فلا ينبغى للعاقل أن يضيع نفساً من أنفاسه فى غير طاعة الله تعالى .

الأوراد وتأكدها وفضلها

وقال الشيخ المصرى فى كتابه بحر الأنوار : الورد هو فعل من الورود وموارد الصفا هى حضرات القرب والشهود ، والأسباب الموصلة إليها والدالة عليها هى الأوراد التى يجلى بها صدأ القلوب وتزال بها أكدار الشهوات ووساوس الصدور (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وفى الحديث إذا مررتم

برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حِلَق الذكر به
فالورد سبب فى حصول صفاء القلب .

ثم قال العُمرى قال فى لطائف المنن أعلموا أن الله أودع أنوار الملكوت
فى أصناف الطاعات فمن فاته من الطاعات صنف . أو أعوزه من الموافقات
جنس فقد فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئاً من الطاعات ولا تستغنوا
عن الأوراد بالواردات ولا ترضوا لأنفسكم ما رضى به المدعون جرى الحقائق
على ألسنتهم مع خلو قلوبهم من أنوارها ، وإن الحق سبحانه بحكمته جعل الطاعات
الجارية على العبادة مستقرِعَةً نباب الغيب فمن قام بالطاعات والمعاملة بشرط
الأدب لم يحتجب الغيب عنه قال والتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب
فلا تكن ممن يطالب الله لنفسه ، ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين
الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم الفهم من الله ، والمؤمن ليس كذلك
بل المؤمن يطالب نفسه لربه ، ولا يطالب ربه لنفسه . فإن توقف الوقت
عليه استبطأ أدبه ولا يستبطىء مطلبه .

ثم ذكر كلاماً طويلا ، وفى كلامه نفع الله به تنبيه على تأكد أمر
الأوراد للواردين ، وعظم موقعها من الدين ، وأن مراعاتها من أحسن سمات
العارفين الهادين الراشدين المرشدين ، وأنها سبب صفاء للقلب بل الدين كله
أوراد . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون) .

وقد رئى الجنيد رحمه الله وفى يده سُبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ
بيدك سبحة فقال نعم هى سبب وصولنا إلى ما وصلنا إليه فلا نتركها أبداً .
وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود إلى
منزله . وقال احفظوا ساعاتكم فإنها زائلة غير راجعة والحسرة على الغفلة بفواتها
واقعة وصلوا أورادكم تجدوا نفعها فى دار الإقامة ولا يشغلكم عن الله قليل.

الدنيا فإن قليلها يشغل عن كثير الآخرة ، وقال لا يرتقى فى الدرجات من لم يحكم فيما بينه وبين الله أول البدايات وهى الفروض الواجبة ثم الأوراد الراتبة ومطايا التفضل وعزائم الأمر فمن أحكمها منّ الله عليه بما بعدها ، ورئى فى النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال ذهبت تلك العبارات واضمحلت تلك الإشارات وتبدلت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم . وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها فى السحر .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال أخرج ابن أبى شيبه فى مصنفه عن اسماعيل بن ابراهيم عن خالد عن عكرمة عن أبى هريرة قال إنى لأسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة قيد ديتى أو قال قد ردبتى ، وفيه أخرج أبو نعيم الأصبهانى فى كتاب الحلية بسنده عن خالد بن معدان أنه كان يسبح فى اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات ووضع على سريره ليغسل جعل يقول باصبعه هكذا يحركها يعنى بالتسبيح . وفيه قال أخرج أبو نعيم فى الحلية بسنده عن سعيد بن عبد العزيز قال قلت لعمير بن هانى إن لسانك لا يفتر من ذكر الله فكم تسبح كل يوم وليلة قال مائة ألف الا أن تخطئ الأصابع ، وفيه أخرج عبد الملك فى كتاب الذكر عن عبد الكريم أنه بلغه أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ربح قال أدلكم على خير من ذلك تسبيحة وفيه قال أخرج ابن وهب فى جامعه عن ابن زيد بن أسلم أنه بلغه أن من قال بعد المغرب الله أكبر عدد كل شىء كتبه وعدد كل شىء خلقه وعدد كل شىء أحصى عدده «عشر مرات» شغل كاتبيه من حين يمسى حتى يصبح . وإذا قال ذلك حين يصبح شغل كاتبيه حتى يمسي .

وقال الجنيد رضى الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤس الملوك .

وقال الشيخ أبو القاسم النصر اباذى التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات .

وقال الشيخ أبو حفص عمر بن سالم الحداد من لم يزن أفعاله وأقواله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده من الرجال .

وقال الإمام ابن عطاء الله السكندرى لا يستحقر الورد الاجهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة ، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار . وأولى ما يعتنى به ما يتخلف عنك وجوده ، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلوبك منه ، ثم قال ورود الأمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار .

وقال أيضاً إذا رأيت عبداً أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الأزمان فلا تحتقرن مامنحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين . ولا بهجة المحبين . فلولا وارد ما كان ورد .

ما أقبح الدعوى بلا شاهد   ما وردك حين يرد واردُ
يا ساهرا وقلبه راقــــدُ   عن لذة الفكر والذكر

وقال بعضهم :

كل له ورد يكون وسـيلة   لمعاشه ومعاذه ومعاده
وجعلت وردى فى الخروج عن السوى   وأكون مع مولاى تحت مراده

وقال ابن عطاء الله إن أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك .

الفرق بين الورد والوارد

تقدم قول ابن عطاء الله وأعلم أن الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة وباطنة . والوارد هو الذى يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار وأسرار ومكاشفات أستار ينشرح بها صدره . ويستنير بها قلبه وسره .

فالورد هو ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية ، والوارد هو ما من الحق سبحانه وتعالى للعبد من لطف وكرامة . فالورد أحق أن يعتنى به من وجهين أحدهما أن الورد مختص بهذه الدار الدنيا لا يقع إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها فانٍ بفنائها . فينبغى للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها إذ لا يمكنه خلف عما فات منها : والثانى أن الورد هو حق الحق منك . والوارد حظك منه ، وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها كذا ذكره العلماء .

فإذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استخفافه به من نهاية الجهل وكان المستحقر به جهولا :

ملازمة الورد والتنقل فيه

قال الشيخ العمرى ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ، ويصلح لقوم التنقل فى الأوراد من عبادة فعلية إلى ذكر قولى يعنى من ورد إلى ذكر ومن ذكر إلى ورد ، ويصلح لقوم من الأوراد الأسماء ، ولا ينتقل من اسم حتى يأتيه الاسم الذى يليه ولا ينتقل من النفى والإثبات إلى الجلالة والهوية إلا كذلك .

ثم قال الشيخ العمرى وينبغى المريد أن يشتغل أولا بقراءة الفاتحة عقب الصلوات الخمس وبقية النهار ألف مرة . ثم بالاستغفار كل يوم بعدها مائة مرة حتى تزول القساوة من قلبه .

قلت ويروى عن الغزالى ماهو أقرب من هذا فى قراءة الفاتحة بعد الصلوات كل يوم مائة مرة وهى إحدى وعشرون بعد صلاة الصبح واثنتان وعشرون بعد صلاة الظهر وثلاث وعشرون بعد صلاة العصر وأربع وعشرون بعد صلاة المغرب وعشر بعد صلاة العشاء فتصح الجملة مائة ثم يشتغل بعد ذلك بالذكر .

وأنفع ما اختاره السادة الاجلاء العارفون لا إله إلا الله . وقالوا هى أنفع شىء فى علاج المريدين حتى ينقله الوارد إلى الجلاله ثم إلى الهويه . ومنهم من سلك الطريق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا ارتياب فى ذلك . ومنهم من سلك بمداومة قراءة القرآن فليلزم المريد مراقبة أوراده فأى ورد رأى زيادته فيه لازمه ودام عليه فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

قال الشيخ العمرى وإذا كان المريد فى حجر شيخه فلا يشتغل إلا بما يأمره به شيخه من الأذكار والأوراد وغيرها من سائر عباداته .

وقال محمد بن ثابت البنانى رضى الله عنهما لما حضرت أبى الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لى يا بنى دعنى فإنى فى وردى السابع اهـ . نقله والذى قبله الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد فى شرح الحكم .

ثم قال قال أبو طالب المكى رضى الله عنه ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى بريد الإيمان وعلامة الإيقان .

وفى الخبران عائشة رضى الله عنهما سئلت عن عمل رسول الله صلى الله فقالت كان عمله ديمة . وفى لفظ آخر كان إذا عمل عملا أتقنه وأثبته . وقال بعضهم الزم الأدب ظاهراً ، وباطناً فما أساء أحد الأدب فى الظاهر إلا عوقب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً .

وقال ذو النون المصرى إذا خرج المريد عن حد الأدب فإنه يرجع من حيث جاء . وقال النووى رضى الله عنه من لم يتأدب للوقت مقت .

وسئل بعضهم هل يجد العاصى حلاوة الطاعة قال لا ولا من همّ بالمعصية .

وقال بعض العلماء موازين الليل والنهار أربعة من حفظها حفظ وقته ومن ضيعها ضيع وقته . وهى آخر الليل سحراً وبعد صلاة الصبح إلى الإشراق . وقبل الغروب . وبين صلاة المغرب والعشاء حتى قال الشيخ أحمد بن سعيد ابن على بن محمد بن عفيف الهجرانى الملقب بالاوعار نفع الله به لأن يضرب وجهى بشعلة من نار أحب إلى من أن يكلمنى أحد بكلمة بين المغرب والعشاء .

وكان أيضاً إذا قرئ عنده صفات الأولياء ، ومناقب الأصفياء وكرامات الأتقياء يقول إن سبقونا بالمواهب سبقناهم بالأعمال يعنى المكاسب وذلك حث منه على ملازمة الأوراد والأذكار آناء الليل والنهار طلباً لنفحات الرحيم الغفار وتعرضاً لفيض فائضات فضله الغزار ومنح مواهبه الكبار فتح الله علينا بما فتح عليهم به بجاه نبيه المختار وآله الأطهار آمين اهـ .

وحكى الشيخ ابن عباد فى شرح الحكم قال . قال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه كنت جالساً فى مسجد الشونيزية انتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيراً عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلى وكان لى شىء من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغيره فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى عينى فرأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان ممدود فقالوا لى كل لحمه فقدا غتبته . وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته ولكن قلت فى نفسى شيئاً فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك بمثله إذهب واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته فى موضع يلتقط

من الماء عند تردد الماء أوراقاً من البقل مما يتساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال لى تعود يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك انتهى ما نقلناه من هذه الحكاية التى أمرها فليح وقدرها رفيع والله يتولى توفيق الجميع فإنه للدعاء سميع وبالإجابة سريع .

خاتمة

لهذا الفصل يكمل بها مبناه ويتم بها معناه

قال بعض العلماء ينبغى للعبد أن ينتحل ما ترجحت حقيقته من الأذكار والأوراد ليكون معيناً له على مقصده بدوامه فإنه ما قصر حينئذ عن همته . ويعين الله العبد على قدر نيته . وما دخل فيه بالبسط كان أدعى إلى الدوام . وإذا لازم شيئاً لا ينتقل عنه حتى تحصل نتيجته وإلا فالمنتقل قبل الفتح كحافر بئر لا يدوم على محل واحد . وكالمقطر قطرة على كل محل يريد تأثر المحل بالقطر أترى يظهر لعمله مع ذلك أثر قبل ، والدوام على الشىء زيادة فيه باعتبار العمر لا باعتبار المدد ومن استوى يوماه فهو الذى لم يعمل فيهما شيئاً . ومن احتوى يومه على خلاف أمسه فهو المحروم لأنه ليس عنده إلا عمل أمسه والأوراد تعمم الأوقات بالعبادات التى هى الغدوة والروحة والدلجة . فالغدوة للتحصيل والروحة للتفصيل والدلجة للتوصيل ووقت السحر للمناجاة . وذكر ما بعد صلاة الصبح مفتاح الطاعات وما بعد صلاة العصر للاستغفار من الواقعات . وقد صح الترغيب فى الذكر أدبار الصلوات . وبعد الصبح إلى طلوع الشمس وقبل الغروب إلى المغرب والسنة فى ذلك معلومة مشهورة وأنواعها غير محصورة والله أعلم

حسن القصد فى العبادة

قلت ثم اعلم أنه يحسن القصد فى العبادة كلها وملازمة ما يعتاده من الأوراد كلها بحيث لا ينقص منها شىء البتة إلا لضرورة أو سفر أو مرض

أو هرم لحديث عائشة رضى الله عنها . قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير يحتجزه فى الليل فيصلى فيه ويبسطه فى النهار فيجلس عليه فجعل الناس يثبون إليه يصلون بصلاته حتى كثروا فأقبل عليهم فقال ياأيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وان قل وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملا أثبتوه أخرجه الستة ، وفى رواية البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه سددوا وقاربوا وأغدوا وروحوا وشيئاً من الدجلة والقصد القصد تبلغوا . وأعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة . قالوا ولا أنت يا رسول الله . قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة ، وفى أخرى للبخارى والنسائى إن هذا الدين يسرٌ ولن يشادَّ أحدٌ هذا الدين إلا غلبه يحتجزه بالزاى يجعله كالحجزة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أقول لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت . فقال أنت تقول ذلك فقلت له قد قلته بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم . الحديث أخرجه الخمسة إلا الترمذى .

وفى حكمة آل داود ينبغى للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات فساعة فيها يناجى ربه وساعة فيها يحاسب نفسه وساعة يفضى إلى إخوانه الذين يصدقونه عن عيوب نفسه . وساعة يخلى بين نفسه ولذاتها فيما يحل ويجمل . فإن فى هذه الساعة عونا لتلك الساعات اه .

قال حجة الإسلام فى بداية الهداية ولا ينبغى أن تكون أوقاتك مهملة فتشغل كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغى أن تحاسب نفسك وترتب أورادك ووظائفك فى ليلك ونهارك فتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تؤثر فيه غيره ولا تودع فيه سواه فبذلك تظهر بركة الأوقات ، وأما من ترك أوقاته

مهملة إهمال البهائم لا يدرى بماذا يشتغل فى كل وقت فينقضى أكثر أوقاته ضائعاً . وأوقاتك عمرك وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم الأبد فى جوار الله وكل نفَس من أنفاسك جوهرة لا قيمة له إذ لا بدل له فإذا فات فلا عود له فلا تكن كالحمقى المغرورين إلى آخر ما قال نفع الله به آمين .

ونقل الإمام النووى فى كتابه حلية الأبرار عن الإمام البغوى فى كتاب شرح السنة قال : قال علقمة بن قيس بلغنا أن الأرض تعج إلى الأرض من نومة العالم بعد صلاة الصبح .

قلت : والقصدَ القصدَ فى جميع الأعمال مع المداومة والإكمال وعدم الاخلال والاملال وقد قال لى بعض مشايخى حصول الأحوال يكون بالإقبال . وهو كما تقدم من الحديثين السابقين قريباً . وكما روى أيضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى امرأة من بنى أسد . فقال من هذه . قلت : فلانة لا تنام الليل . فقال مه عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه أخرجه مالك والبخارى ومسلم والنسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأمور أوساطها أخرجه رزين .

وقال الإمام النووى فى حلية الأبرار وينبغى لمن كان له وظيفة من الذكر فى وقت من ليل أو نهار أو عقيب صلاة أو حالة من الأحوال ففاته أن يتداركها ويأتى بها إذا تمكن منها ولا يهملها فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرِّضها للتفويت وإذا تساهل فى قضائها سهل عليه تضييعها فى وقتها . قال وقد ثبت فى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل .

تكملة لهذه الخاتمة

أقول : ومما ينبغي لك أن تتخذه ورداً من سور القرآن العظيم ﴿ سورة الكهف ﴾ تقرؤها ليلة الجمعة ويومها ففي الحديث أنها تحول بين قارئها و بين النار وأنها لذلك تسمى الحائلة . وورد أيضاً من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وحديث من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق رواه الدارمي في مسنده . وسورة يس تقرؤها بعد كل فريضة فقد جاء في الحديث الصحيح من قرأ (سورة يس) كان كمن قرأ القرآن عشر مرات فعلى هذا من قرأها بعد الفرائض كان كمن قرأ القرآن كل يوم خمسين مرة فافهم (وسورة الواقعة) تقرؤها كل ليلة فقد ورد في الحديث أن عثمان بن عفان قال لعبد الله ابن مسعود حين عاده في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي فقال ما تشتهي قال رحمة الله . قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضني قال ألا آمر لك بعطاء . قال لا حاجة لي فيه . قال يكون لبناتك . قال أتخشى على بناتي الفقر إني أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ، ومما ينبغي لك أن تتخذ قراءته ورداً لك وتلازمه في دبر كل صلاة (الفاتحة وآية الكرسي وشهد الله . وقل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب) لما في ذلك من جزيل الثواب . ولو لم يكن إلا ما رواه الإمام البغوي في تفسيره بسنده إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكفى ــ قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله إن الدين عند الله الإسلام . وقل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب : قلن يا رب تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولأسكنته حظيرة القدس ولنظرت إليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة الحديث .

وليكن أيضاً من وردك الدائم وبدك اللازم وجدك القائم قراءة (هذا الراتب المذكور) المشهور بالبركة والنور أعني راتب سيدنا عمر المعمور كل ليلة وذلك بعد صلاة العشاء الأخيرة فقد أدركنا سيدنا الحسين بن عمر على ذلك مدة حياته كما أخذه عن والده عمر . الذي أنشأه وبه أمر وسيأتي الراتب المذكور بعد تمام المقدمة أصلا ثم شرحاً . وإن اتفق مع جمع فهو حسن .

وَلْيكن أيضاً من وردك قراءة (حزب البحر المشهور) بعد صلاة العصر للشيخ الكبير القطب الشهير أبي الحسن الشاذلي نفع الله به ، ولا تغفل عن قراءة (حزب البر) له ولو في السنة مرة وقد أثبته في الجزء الثاني من كتابي المسمى سفينة البضائع وضمينة الضوائع ونقلته من نسخة صحيحة بقلمي وأخذت الاجازة فيه عن خالي سهل بن أحمد بن سهل بن اسحاق . وهو أخذه عن الشيخ محمد بن أحمد النقشبندي الحساوي .

راتب للشارح رحمه الله

وهذا راتب جمعته ، وللاخوان الصادقين ونفسي وضعته . فلازمه ان شئت بعد صلاة الصبح . وسميته (الحصن المانع . والحرز الجامع . والكنز الواسع . والطب النافع) وهو هذا .

بسم الله والحمد لله «أربع مرات» والمنقذات وهن : الكوثر والكافرون.
وإذا جاء وتبت والاخلاص والمعوذتان . «مرة مرة» (ومن أحسن قولاً ممن دعا
إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم، وما يلقاها إلا الذين
صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله إنه هو السميع العليم) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، أعوذ
بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماذرأ وبرأ في الأرض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق النهار
إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن (اللهم) إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا
مطلعاً على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فأيئسه منا كما أيئسته
من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين
جنتك إنك على كل شئ قدير ، بسم الله ماشاء الله لا يسوق الخير إلا الله ، ماشاء
الله لا يصرف السوء إلا الله ، ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، ماشاء الله لا حول
ولا قوة إلا بالله ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش
العظيم ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ،
أعلم أن الله على كل شئ قدير ، وان الله قد أحاط بكل شئ علما (اللهم) إني أعوذ
بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط
مستقيم (اللهم) يامن لا يشغله سمع عن سمع ولا تغالطه للسائل ولا يبرمه الحاح
الملحين صل على محمد وعلى آل محمد وأذقني برد عفوك وحلاوة جنتك ياأرحم
الراحمين ، «ثلاثاً» (اللهم) إني أسألك الصبر والعفة والصحة والعافية وحسن الخلق
لا إله إلا الله أفنى بها عمرى ، لا إله إلا الله أدخل بها قبرى ، لا إله إلا الله أخلو بها
وحدى ، لا إله إلا الله ألقى بها ربي ، يامدبر لي ولا ادرى إليك صرفت أمرى
دبر لي ياالله بحسن تدبيرك : يارب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفرلي كل

شيء ولا تسألني عن شيء وأعطني من خير كل شيء واكفني من شر كل شيء (اللهم) صل على محمد اللهم صل عليه وسلم واذهب حزن قلبي في الدنيا والآخرة «سبعا» (اللهم) أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر (اللهم) زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا (اللهم) هب لي حقك وأرض عني خلقك ياأحد ياواحد ياواجد ياجواد انفحنا منك بنفحة خير إنك على كل شيء قدير ياأرحم الراحمين. ياالله يارحمن يارحيم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والإكرام ياإلهنا وإله كل شيء واحداً لااله إلا أنت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (اللهم) إن العلم عندك وهو محجوب عني ولاأعلم أمراً فأختاره لنفسي وقد فوضت إليك أمري ورجوتك لفاقتي وفقري فارشدني اللهم إلى أحب الأمور إليك وأرضاها لديك وأحمدها عاقبة عندك انك تفعل ماتشاء وأنت على كل شيء قدير، اللهم أنت خلقتني وأنت تهديني وأنت تطعمني وانت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني. «سبع مرات» (اللهم) ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي الله الله ربي لاأشرك به شيئاً «سبع مرات» : ياالله ياواجد ياموجود ياجواد يا باسط يا كريم يا وهاب ياذا الطّول ياغني يامغني يافتاح يارزاق ياعليم ياحي ياقيوم يارحمن يارحيم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحنّان يامنان انفحني منك بنفحة خير تغنيني بها عمن سواك (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح). (انا فتحنا لك فتحاً مبينا). (نصر من الله وفتح قريب) اللهم ياغني ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود ياذا العرش المجيد يافعال لما يريد أكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك واحفظني بما حفظت به الذاكرين وانصرني بما نصرت به الرسل انك على كل شيء قدير (اللهم) اقسم لنا من خشيتك مايحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك

مما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا (اللهم) متعنا بأسماعنا وابصارنا وقوتنا أبداً ما أبقيتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا (اللهم) نور بكتابك بصرى وأطلق به لسانى واشرح به صدرى وأستعمل به جسدى بحولك وقوتك انه لا حول ولا قوة إلا بك ، لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث ومن عذابك أستجير لا تكلنى إلى نفسى ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك واصلح لى شأنى كله يامصلح الصالحين ياقوى ياقائم ياقادر يامقتدر ، ياغنى من للفقير غيرك ، ياقوى من للضعيف غيرك ، ياقادر من للعاجز غيرك ، ياعزيز من للذليل غيرك ، اجلسنى على بساط الصدق وأكسنى لباس التقوى الذى هو خير وهو من آياتك ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، يادليل المتحيرين دلنا إلى أقرب الطرق إليك (اللهم) اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ماقضيت ، سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الملك القدوس سبوح قدوس رب الملائكة والروح (اللهم) انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت استغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفرلى ذنوبى جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إنك انت الغفور الرحيم التواب الحليم الوهاب الكريم يا كريم يا كريم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم « سبع مرات » دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين – تم الراتب المبارك .

خاتمة لهذه التكملة

قال فى اللطايف لاتتفقد الوقت بظهور واردات، ولا بكثرة طاعات ولكن انظر إلى تفتك بالله واجلالك لأوامر الله وترك الاختيار مع الله فان وجدت واحد من ذلك عندك ولا يوجد واحد منها الا وجد بقيتها فاعلم ان لله بك عناية أبداها . وودائع أخذها . فاشكره على ما أسدى . وأحمده على ما أهدى .

الأذكار العشرة

(فائدة) قال المؤلف عفا الله عنه ولنختم هذا الفصل العظيم الفائدة ؛ العميم العائدة بهذا الورد الفائق وهو من أتم أو رادى . وأهم اجتهادى . اللاتى بلغت بها أقصى مرادى . وأهديته لأهل ودادى من إخوانى وأولادى . وعممت به أعدائى وحسادى .

وقد عنَّ لى أن أذكره فى هذا الجزء الثانى من كتابى هذا مرتين الأولى فى هذا الفصل ، والثانية فى آخر فوائد (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وذلك لأجل التقرير وزيادة التنوير ، ولا ينبئك مثل خبير وهو ورد عظيم المنفعة ؛ كثير الفضل والسعة ، وهو من أوراد العباد والزهاد . ومن الكنوز العظيمة . والحروز الكريمة . وقد حافظوا على ترتيبه كل يوم بعد صلاة الصبح ، وكل ليلة بعد صلاة المغرب ، فمن رتبه بعد صلاة المغرب كفاه الله ما أهمه ، فما أعظم هذه النفاعة ، وما أكرم هذه الشفاعة .

وقد لازمه أهل الفضل والصلاح . وعرفوا فيه الخير والبركة والفلاح . جربوه لتيسير الرزق وكفاية الهموم ، وتسخير الخلق ، والحفظ من كيد

الأعداء ومن السحر والجن والشياطين ، والحفظ من كل عاهة فى النفس والأهل والمال ولشرح الصدر وحسن الثناء والذكر وغير ذلك مما لا يحصى ، هذا فى هذه الحياة وفى الآخرة بفضل الله إن شاء الله وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا . وهو هذه العشرة الأذكار ، الكاملة المشرقة الأنوار . الأول منها تقول : بسم الله الرحمن الرحيم « مائة مرة » الثانى تقول الحمد لله رب العالمين « مائة مرة » . الثالث اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم « مائة مرة » . الرابع لا إله إلا الله محمد رسول الله « مائة مرة » . الخامس سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « مائة مرة » . السادس استغفر الله العظيم وأسأله التوبة « مائة مرة » . السابع اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى « مائة مرة » . الثامن تقرأ قل هو الله أحد « مائة مرة » . التاسع حسبنا الله ونعم الوكيل « مائة مرة » . العاشر اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آل محمد وسلم « ثلاثا » .

الفصل الرابع

فيه سبع فوائد هامة يحسن إيرادها هنا لتعلقها بما نحن بصدده ، تعلقا وثيقا والاستفادة منها فى شرح الأذكار الآتية ونختمه بما يتعلق بأسماء الله الحسنى . نقلتها من شرح العباب لابن حجر ومن غيره .

الفائدة الأولى

فيما يتعلق بالأعداد الواردة والزيادة عليها

نقل الشيخ البكرى عن أبى الفضل الزين العراقى ، قال اختلفت الأحاديث فى التسبيح وما بعده ، يعنى من الأذكار بعد الصلوات ، ففى حديث التسبيحُ ثلاث وثلاثون ، وفى آخر خمس وعشرون ، وفى آخر إحدى عشرة ،

وفى آخر ثلاثاً ، وفى آخر مرة واحدة ، وفى آخر سبعون ، وفى آخر مائة .
وفى حديث التحميد ثلاث وثلاثون ، وأربع وثلاثون ، وخمس وعشرون ،
وإحدى عشرة ، وعشر ، ومائة . وورد التهليل عشرة ، وخمساً وعشرين ،
ومائة . قال : وكل ذلك حسن وما زاد فهو أحب إلى الله وجمع البغوى بين
ذلك بأنه يحتمل صدور ذلك فى أوقات متعددة ، أو أن يكون ذلك على سبيل
التخيير أو يفترق بافتراق الأحوال .

وظاهر كلام العراقى ترجيح الثانى وهو أن يكون على سبيل التخيير .
لكن نقل عن بعض مشايخه أن هذه الأعداد الوارده فى الأذكار مما ورد له
عدد مخصوص مع ثواب مخصوص لا يحصل ذلك الثواب لمن زاد فى
أعدادها عمداً فلعله لحكمة تفوت بمجاوزتها ، ثم نظر العراقى فيه بأنه قد أتى بها
فلا تكون الزيادة مزيلة لذلك الثواب بعد حصوله . قال وقد صح ما يدل لذلك
وهو حديث من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت
أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه اهـ .

قال ابن حجر : وفيما استشهد به العراقى نظر ثم قال : وقد يقال ما ذكره
واضح فيما نحن فيه ونحوه من الأعداد المتعاقبة ، لأن الزيادة تقطع الموالاة بينه
وبين ما بعده . وربما كان للتوالى حكمة خاصة ، نقل الحافظ ابن حجر ذلك ،
ثم بحث التفرقة بين أن ينوى عند الانتهاء إليه الامتثال ، ثم يزيد عليه ما يشاء
فيثاب وبين أن يزيد بغير نية بأن يكون الثواب على عشرة فيرتبه هو مائة
فيتجه عدم الثواب . قال ومثله بعضهم بالدواء تضره الزيادة فيه يعنى تفسد
نفعه . وبالمفتاح إذا زيد فى أسنانه لا يفتح .

ثم قال ابن حجر : ومن ثم بالغ العراقى وقال إن الزيادة بدعة مكروهة .
ونقل بعض المتأخرين عن ابن الصلاح أن الزيادة تضاعف الثواب . ونقل
عن البلقينى أنه يحصل له ثواب السنة وثواب الزيادة بالنية . ثم قال ابن حجر

الهيتمى بعد نقله : وهذا أوفق للمعنى ولكلام الحافظ ابن حجر العسقلانى .

ثم قال ابن حجر الهيتمى رحمه الله : ثم رأيت ابن العماد ساق قول العراقى أن لا ثواب عند الزيادة والنقص . ثم قال وهذا مردود لا يحل اعتقاده لأنه قول بلا دليل ، ولم يعثر العراقى على المعنى الذى لأجله سيق العدد ، ثم بينه وأطال فيه وساق فيه أحاديثه ، وقال : إنها تدل على عدم اختيار منع الزيادة والنقص وأن المقصود الإتيان بهذه الثلاثة أنواع من الذكر وأن أصل السنة يحصل بدون المائة وأن الأكمل مائة بعدد أسمائه الحسنى وما زاد عليه أفضل ، انتهى وهو حسن ولكنه مقيد بما مر عن ابن حجر وهو الإتيان بنية الزيادة عند انتهاء العدد الوارد

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء عند قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى كل يوم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة ، لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » . فى هذا دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة كان له هذا الأجر المذكور فى الحديث على المائة ويكون له ثواب آخر على الزيادة . قال وليس هذا من الحدود التى نهى الله عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها ، وأن زيادتها لا فضل فيها أو تبطلها كالزيادة فى عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة . قال ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير لا من نفس التهليل ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة سواء كانت من التهليل أو من غيره أو منه ومن غيره . وهذا الاحتمال أظهر ، وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر المذكور فى هذا الحديث لمن قال هذا التهليل مائة مرة فى يومه سواء أقالها متوالية أو متفرقة فى مجالس أو بعضها أول النهار وبعضها فى آخره . لكن الأفضل أن يأتى بها

متوالية فى أول النهار لتكون حرزاً له فى جميع نهاره .

ثم قال الإمام النووى : قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث التهليل : « ومحيت عنه مائة سيئة » . وفى حديث التسبيح « حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » ظاهره أن التسبيح أفضل ، وقد قال فى حديث التهليل ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به . ثم قال : قال القاضى فى الجواب عن هذا إن التهليل المذكور أفضل ويكون ما فيه من زيادة الحسنات ومحو السيئات وما فيه من فضل عتق الرقاب وكونه حرزاً من الشيطان زائداً على فضل التسبيح وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار ، فقد حصل بعتق رقبة واحدة تكفير جميع الخطايا مع ما يبقى له من زيادة عتق الرقاب الزائدة على الواحدة ومع ما فيه من زيادة مائة درجة وكونه حرزاً من الشيطان ، ويؤيده ما جاء فى الحديث الآخر بعد هذا أن أفضل الذكر التهليل مع الحديث الآخر : « أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له » الحديث ، وقيل إنه اسم الله الأعظم وهى كلمة الإخلاص ، وقد سبق أن معنى التسبيح التنزيه عما لا يليق به سبحانه وتعالى من الشريك والولد والصاحبة والنقائص مطلقاً ، وسمات الحدوث مطلقاً .

الفائدة الثانية فى الذكر بالقلب واللسان

قال ابن حجر نقل بعضهم خلافاً فى مجرد الذكر باللسان العرىّ عن النية وأن ظاهر كلام القاضى عياض وغيره أنه لا ثواب فيه وهو بمنزلة أصوات مالا يعقل ، ثم قال : قال الجلال البلقينى وهو حق لاشك فيه ، ثم قال وقد ينظر فى هذا القول .

قال النووى فى الأذكار : الذكر يكون بالقلب واللسان والأفضل ما كان

بهما ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، وإذا واظب الإنسان على الأذكار الواردة المأثورة صباحا ومساء ، وعند اختلاف أحواله اندرج وانتظم فى سلك الذاكرين الله كثيراً والذاكرات اه .

وقال فى الأذكار : وينبغى لمن بلغه شىء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة وإن كان الحديث ضعيفاً اه .

ومن كتاب الوظايف للحافظ أبى موسى محمد بن أبى بكر بن عيسى المدنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بلغه عن الله عز وجل شىء فيه فضيلة فأخذه إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه الله عز وجل ذلك وإن لم يكن كذلك » .

ومن الكتاب المذكور ذكر بعضهم أن الفضل بن العباس بلغه الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع المؤذن مرحباً بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحباً وسهلا أعطاه الله مائة ألف حسنة ، ومحا عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة درجة» . ففكر فى نفسه وقال : كيف يكون هذا إذاً لا يبقى على أحد ذنب ، فرأى فى المنام كأن قائلا يقول له : إن ربك عز وجل يقول : أتبخلنى يا فضيل وعبدى فلان بن فلان الملك قال لبعض الشعراء أنشدنى شعراً، فقال له الشاعر : إن شعرى لا يقاوم عطاءك فإنك تكثر العطاء ، فقال الملك : أعطوه مائة ألف درهم لهذا الكلام ، ثم قال : إذا كان المخلوق يعطى كل هذا العطاء فى كلمة ارتضاها فأنا لا أعطى ما بلغك والمخلوقون بأجمعهم فقراء وأنا الغنى الحميد اه .

الفائدة الثالثة

فيما يتعلق بالذكر والصدقة من الغنى والفقير

إن الذكر أفضل من الدعاء على الأصح عند ابن حجر لحديث من شغله

ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وأن الصدقة من الغنى أفضل من الذكر منه مع الشح بالمال. وأن الذكر من الفقير أفضل من الصدقة إذا عدم المال وتعذر عليه الجمع بينهما لأنه الكمال . قال بعض العلماء وَرَدَ مايقتضى تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث أحمد والترمذى ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا : بلى يا رسول الله . قال ذكر الله عز وجل ، وحديث أحمد والترمذى أى العباد أفضل عند الله يوم القيامة ؟ قال الذاكرون الله كثيراً . قلت يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويتخضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة . وحديث الطبرانى لو أن رجلاً فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله أفضل. وحديثه أيضاً من كبّر مائة وسبّح مائة وهلّل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها ، قال وأخذ بقضية هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا إن الذكر أفضل من الصدقة بعدده من المال ، ويدل له أيضاً حديث أحمد والنسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم هانى سبحى الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل واحمدى الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها فى سبيل الله . وكبّرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللى الله مائة تهليلة ولا أحسبه إلا قال تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع لأحد يومئذ مثل عملك إلا أن يأتى بمثل ما أتيت به . والأحاديث فى فضل الذكر كثيرة اه ما أورده . (قلت) ويحسن أن يقال إن التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير من الفقير له فضل كبير لقوله تعالى (ولا على الذين لايجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل

والله غفور رحيم) إلى أن قال (إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) .

وأما الغنى إذا شح بالمال أن ينفقه واستغنى عن ذلك بثواب التسبيح فذلك غير مرضى منه والله أعلم .

وقد قال حجة الإسلام فيما يناسب هذا الكلام : والتحقيق فيه أن الغنى الذى معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج درهم له أفضل من قيام الليل وصيام أيام وناهيك بقوله تعالى (إن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدّده يحسب أن ماله أخلده كلاّ لينبذنّ فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة .)

ومما يدل على أفضليه الصدقة من الغنى على التلاوة والذكر من غيره ما صح عن عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل قال الصدقة فإنها ستر من النار قال قلت بعد الصدقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شىء بعد الصدقة أفضل منها فإنها تنجى يوم القيامة من ألف هول . قال قلت قراءة القرآن العزيز . قال تمرة واحدة ولقمة واحدة من خبز يتصدق بها المؤمن خير له من قراءة القرآن المجيد ألف مرة .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن العزيز قال عليك بالصدقة فإنها نور فى القلب . قال قلت فالتسبيح قال عليك بالصدقة فإنها مهور الحور العين . قال قلت فقيام الليل ؟ قال لا يقاس على قيام الليل ولكن الصدقة أفضل من قيام الليل بألف درجة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له إن أردت أن يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح رأس اليتيم .

وعن جابر بن عبد الله قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزبير إمساك خرج من منزله فقال أين الزبير فقيل له في السوق فتبعه حتى لحقه فأخذ بعمامته فجذبه إليه ثم قال يا زبير أنا رسول الله إلى الخلق أجمعين عاما وإليك خاصاً يقول الله تعالى ذكره أنفق أنفق عليك إن في السماء بابا مفتوحا ينزل منه رزق كل عبد من عبادي على قدر نفقته وصدقته ونيته فمن قلل قللتُ عليه ومن كثر كثرت عليه فكان الزبير بعد ذلك يعطي يمينا وشمالا حتى إنه إذا لم يجد ماينفقه في سبيل الله وفي وجوه الخير أجمع تديَّن أو اقترض وخبره مشهور .

وفي بعض الأخبار أن خليل الرحمن الرحيم نبي الله إبراهيم لما بنى البيت الكريم وفرغ من بنائه صلى في كل ربع من أرباعه ألف ركعة فأوحى الله إليه يا إبراهيم ما أحسن ما فعلت ولكن لقمة في بطن جائع تنفقها عليه خير من هذا كله . فعند ذلك اجتهد ابراهيم الخليل في إطعام الطعام وبنى داراً سماها دار الضيفان وجعل يستدين ويستلف لأجل ذلك وهي ببيت المقدس معمورة إلى الآن .

هذا في فضل الإنفاق من الموسر ذي الإرفاق . وأما المعسر ذو الإملاق فصدقته كما أشار إليها الحبيب عبد الله الحداد في مكاتبة لبعض الأمجاد بقوله وأجاد . وبلغنا أنه التمس دابتك منك بعض أصحابنا أعني من الأشراف فوهبتها منه وسرت ماشياً وكذلك أعطيت ثوبك لإنسان آخر فاسمع وفقت وامتثل مانشير به عليك إن الجود وصف الله الأعظم وبه زين أنبياءه وأولياءه ولكن أنت تعلم فراغ يدك من الأملاك جملة ، ولأنه لايصير إليك شيء إلا من

هذا المتاع الخبيث فواجب عليك أن تقتصر منه فى نفسك على قدر الضرورة، ومازاد على ذلك فتعطيه لأولادك فانهم أحوج إليه من غيرهم والذين يسألونك ماهم بمحتاجين ولكن من قل حياؤه دخل مداخل السوء فلا ينبغى لك أن تساعده فتكون شريكه . وأما إذا صادفت مؤمناً تقياً محتاجاً فلو أمكنك أن تجود له بروحك لكان ينبغى لك أن تفعل وإن لم يسألك فعليك بالاقتصاد وهو وضع كل شىء موضعه فان المبذر عند الله بمنزلة المقتر والمحمود عند الله ماهو بين ذلك ، هذا فى حق من عنده شىء وأما من ليس له شىء كمثلى ومثلك فما صدقاتنا إلا فى الصلاة والذكر والتسبيح والتهليل، وذرة من ذلك من مثلنا خير من انفاق ملء الأرض ذهباً من غيرنا والسلام اه .

الفائدة الرابعة فى مراتب الذكر وأقسامه

قال بعض العارفين أعلم أن مراتب الذكر أربع لاخامس لها الأولى ذكر اللسان وهو ذكر لاإله إلا الله ، الثانية ذكر القلب المسمى الجنان . وذكر اللسان مفتاح ذكر القلب وذكر القلب الله الله واللسان مع ذكر القلب ساكنة مالها حركة. الثالثة ذكر الروح ومفتاحه ذكر اللسان وذكر القلب معاً . ومعنى ذكر الروح أن كل منبت شعرة يقول الله الله . ومن هذا الذكر وهو ذكر الروح يسمع الذاكر ذكر جميع الكائنات بأذن رأسه . الرابعة ذكر السر ومفتاحه ذكر اللسان والقلب والروح معاً وذكر السر هو هُو ولأنه ماذكره إلا بالهوية وهو يستوعب الأذكار كلها ويستغرقها استغراق الكوكب والقمر والشمس فيظن صاحب ذكر الروح أنه مسلوب حيث فقد ذكر روحه وهو فى مقام النهاية وهو مقام ذكر وهو قولهم الفناء فى المذكور وهذا هو الغاية القصوى عند الموحدين والعارفين ومع هذا لاينبغى له ترك الذكر باللسان أبداً لأن مواهب الحق مالها نهايه .

(قلت) ولعل مرادهم بقولهم أهل المقام الرابع، هو صاحب هذه المرتبة الرابعة

من مراتب الذكر ، أو يكون مرادهم بقولهم أهل المقام الرابع هذا وقول بعض العلماء إنما هي أي المقامات أربعة وهي الجهل ثم العلم ثم المعرفة ثم المشاهدة[١] والله أعلم .

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم قال القاضي عياض وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان . وذكر القلب نوعان (أحدهما) وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته وسمواته وأرضه . ومنه الحديث خير الذكر الذكر الخفي والمراد به هذا (والثاني) ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه . وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث .

ثم قال: قال القاضي وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل ، ثم قال قال القاضي والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحاً وتهليلا وشبههما وعليه يدل كلامهم لا أنهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه أولا فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله وإنما الخلاف في ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه . والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب . فان كان لاهياً فلا ، واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل . ومن رجح ذكر اللسان قال لأن العمل فيه أكثر فإنه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر ، ثم قال القاضي واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويجعل الله له علامة يعرفونه بها . وقيل لا يكتبونه لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالى ثم قال شيخنا النووي قلت الصحيح انهم يكتبونه . وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده والله أعلم .

---

(١) كذا بالأصل فليحرر .

وقال بعضهم أعلم أن الذكر أربعة أقسام فى اعتبارها . فالذاكرون كذلك فى ذلك الإعتبار (القسم الأول) أن يكون الذاكر بلا تأمل شىء من كمالاته الجلالية والجمالية بل بمجرد أنه حسن مندوب فهذا صاحب الحسنات إن باشر ذلك بالأدب والحضور .

(القسم الثانى) أن يكون مع ذلك ومع غلبة التفكر والتأمل والاستحضار لكمالاته الجلالية فهذا الذاكر يغلب عليه الحياء والخوف والورع والخشية والتقوى وأن الذكر كذلك يورثه ذلك ولكن ينبغى أن لا يؤدى ذلك إلى اليأس لاتيأسوا من روح الله .

(القسم الثالث) أن يذكر مع الحضور والأدب والاستحضار لكمالاته الجمالية من الفضل والرحمة واللطف والكرامه وغيرها فهذا تغلب عليه المحبة والشوق والرجاء والانبساط وهذه الغلبة ذات خطر إن لم يتدارك الخوف والخشية . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

(القسم الرابع) أن يذكر مع الأدب والحضور ومع التأمل والاستحضار فى كمالاته الجلاليات والجماليات بلا غلبة أحدهما على الآخر فهذا يورث الاعتدال فى الخوف والرجاء والقبض والبسط وهذا الاعتدال المحمدى ولا طيران إلا باعتدال الجناحين والذاكر الطالب لهذا الاعتدال الأولى به أن يذكر باسم من أسماء الذات لا باسم من أسماء الصفات . أو بمثل ياذا الجلال والإكرام وقد ورد ألظوا بيا ذا الجلال واكرام .

الفائدة الخامسة فى عد الذكر بالأنامل والسبحة

ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعقد التسبيح بيمينه رواه أصحاب السنن الثلاثة وابن حبان فى صحيحه وروى البيهقى بسند ضعيف أعقدوه بالأنامل فانهن مسئولات مستنطقات . قال ابن حجر وهذا يشمل أنامل كل من اليمين

والشمال فاما أن يحمل على ما يوافق الأول أى بأنامل اليمين ، أوذلك لبيان الأفضل وهذا لبيان ما يحصل به أصل السنة قال وظاهر كلام الأذرعى أن المراد بالعقد هنا مايتعارفه الناس وقال غيره المراد عقد الحساب لا الذى يعمله الناس وعلى تساويه فالظاهر أن بالأول يحصل السنة بكمالها إن لم يعرف غيرها و يؤيده ماورد بسند ضعيف عن على مرفوعاً نعم المذكر السبحة . وعن أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلاينام حتى يسبح به وفى رواية كان يسبح بالنوى والروايات فى التسبيح بالنوى والحصى كثيرة عن الصحابة وبعض أمهات المؤمنين بل رآها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تسبح بالحصى وأقرها على ذلك قيل : وعقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة وقيل إن أمن الغلط فهو أولى وإلا فهى أولى يعنى السبحة وهو الأقرب لبعده عن مواطن الرياء والله أعلم

الفائدة السادسة فى الذكر باللسان و بالقلب

المحدث والجنب ونحوهما

قال النووى فى كتابه الأذكار اعلم أن الاسرار بالقراءة والتكبيرات وغيرها من الأذكار المشروعة فى الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة لا يحسب شىء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لاعارض به فان لم يسمع لم تصح قراءته ولا غيرها من الأذكار بلاخلاف اهـ .

وقال أيضاً أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء وكذلك فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء وغير ذلك ولكن قراءة القرآن حرام على الجنب والحائض والنفساء سواء قرءوا من القرآن قليلا أو كثيراً حتى بعض آية ويجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير تلفظ وكذلك النظر فى المصحف وامراره على القلب . قال أصحابنا ويجوز للجنب والحائض أن يقولا عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون وعند ركوب الدابة سبحان الذى سخر لنا هذا

الآية ، وعند الدعاء ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة الآية إذا لم يقصدا به القرآن . ولهما أن يقولا بسم الله والحمد لله إذا لم يقصدا به القرآن سواء قصدا به الذكر أو لم يكن لهما قصد ولا يأثمان إلا إذا قصدا به القرآن ، ويجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة . وأما إذا قالا لإنسان خذ الكتاب بقوة ، أو قالا ادخلوها بسلام آمنين ونحو ذلك فإن قصدا غير القرآن لم يحرم . وإذا لم يجدا الماء تيمما وجاز لهما القراءة ، فإن أحدث أحدهما بعد ذلك لم تحرم عليه القراءة كما لو اغتسل ثم أحدث، ثم لا فرق بين أن يكون تيممه لعدم الماء فى الحضر أو فى السفر فله أن يقرأ القرآن بعده وان أحدث . وقال بعض أصحابنا إن كان فى الحضر صلى به وقرأ به فى الصلاة ولا يجوز له أن يقرأ خارج الصلاة والصحيح جوازه كما قدمناه لأن تيممه قام مقام الغسل ، ولو تيمم الجنب ثم رأى ماء يلزمه استعماله فإنه تحرم عليه القراءة وجميع ما يحرم على الجنب حتى يغتسل ، ولو تيمم وصلى وقرأ ثم أراد التيمم لحدث أو فريضة أخرى أو لغير ذلك لم تحرم عليه القراءة هذا هو المذهب الصحيح المختار ، وفيه وجه ضعيف لبعض أصحابنا أنه يحرم، أما إذا لم يجد الجنب ماء ولا ترابا فإنه يصلى لحرمة الوقت على حسب حاله وتحرم عليه القراءة خارج الصلاة ويحرم عليه أن يقرأ فى الصلاة ما زاد على الفاتحة . وهل تحرم عليه الفاتحة ؟ وجهان أصحهما لا تحرم بل تجب فإن الصلاة لا تصح إلا بها وكما جازت الصلاة للضرورة تجوز القراءة ، والثانى تحرم بل يأتى الأذكار التى يأتى بها من لا يحسن شيئاً من القرآن اه .

وقال النووى أيضاً : من لم يجد ماء فتيمم حيث يجوز له التيمم فيجوز له مس المصحف سواء كان تيممه للصلاة أو لغيرها مما يجوز له التيمم ، قال وأما من لم يجد ماء ولا ترابا فإنه يصلى على حسب حاله ولا يجوز له مس المصحف لأنه محدث جوز له الصلاة للضرورة فلو كان معه مصحف ولم يجد من يودعه

إياه وعجز عن الوضوء جاز له حمله للضرورة . أما إذا خاف على المصحف من حرق أو غرق أو وقوع نجاسة أو حصول فى يد كافر فإنه يأخذه وإن كان محدثاً للضرورة اه .

قال : وينبغى للذاكر أن يستقبل القبلة ويكون متذللا متخشعاً متواضعاً لربه تعالى بسكينة ووقار مطرقاً رأسه ، فى موضع نظيف خال عما لا يليق ، ويجتنب الذكر فى حالة الجلوس على الخلاء فإنه مكروه وكذا فى حالة الجماع وفى حالة الخطبة إذا لم يسمع هو صوت الخطيب ، وكذا فى القيام فى الصلاة بل يشتغل بالقراءة ، وكذا فى حالة النعاس ، ولا يكره فى الطريق ، ولا فى الحمام اه .

الفائدة السابعة

فى الحث على اقتناء كتاب الأذكار للنووى

اعلم أيها الأخ الناصح لنفسه القاصد رضى ربه أنه ينبغى لك أن تحصل على نسخة من كتاب الأذكار المشهور المسمى « بحلية الأبرار » تصنيف الإمام النووى وأن تلازم المطالعة فيه وذلك بعد أن تحققه قراءة على شيخ يوضح لك معانيه ويبين لك مبانيه . ويظهر لك خوافيه ويفهمك ما فيه ، فإن فيه ما تشتهيه من الآداب والمعارف ، والمسائل واللطائف ، وتحقيق الحقائق ، وتدقيق الدقائق ، وتوضيح الطرائق . وما يطلبه القاصد والوارد من المطالب والموارد والأوراد والمنافع الدينية والدنيوية والأخروية ، بحيث لا يخلو وقت من أوقات الإنسان وتقلباته فى أطوار عبوديته وعباداته وعاداته وجميع معاملاته . للخالق ومخلوقاته . من لدن مولده إلى وقت وفاته له وعليه إلا وقد حققه هذا الإمام وأشار إليه فى هذا الكتاب وهو « بغية ألباب الالباب » .

وقد قال مصنفه رحمه الله كتاب الأذكار الذى لا يستغنى طالب الآخرة عن

حمله . وسمعت شيخنا الوالد الحسين بن عمر نفع الله به فى حال قراءتى عليه فيه كثيراً ما يقول قالوا من لم يقرأ كتاب الأذكار فليس بذكر وليس بذكار . وقال الشيخ أحمد بن عبد اللطيف يا جابر المندلى ثلاثة كتب لا ينبغى لطالب العلم أن يخلو عنها أو أحدها كتاب رسالة الإمام القشيرى وكتاب بداية الهداية . وكتاب الأذكار المذكور فلله دره من كتاب لقد احتوى على نفائس الآداب التى لم يكتب مثلها فى كتاب .

وقال السيد عبد الله بن علوى الحداد فى كتاب النصائح الدينية : اعلم أنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذكار والأدعية المطلقة والمقيدة بالأوقات المتعاقبة والأحوال المتغايرة ما كثر وانتشر ، وقد رتبها صلى الله عليه وسلم ورغبهم فيها لتكون سبباً لهم إلى نيل الخيرات والسلامة من الشر والآفات الواقعة بمشيئة الله فى تلك الأحوال والأوقات ، فمن حافظ عليها نجى وسلم وفاز وغنم . ومن فرط فيها وأهمل العمل بها فلا يلومن إلا نفسه وما ربك بظلام للعبيد .

ثم قال : وقد جمع الإمام النووى رحمه الله تعالى فى كتابه الأذكار جملة مستكثرة من ذلك ، وضم إليها من الإيضاح والبيان ونفائس الأحكام ومهمات الفوائد ما يطمئن به القلب وينشرح له الصدر ، شكر الله سعيه وجزاه عن المسلمين خيراً اهـ .

فانظر رحمك الله إلى هذا الشأن العظيم والتبجيل الفخيم لهذا الكتاب من السادة الأقطاب ، والصالحين من أولى الألباب : أهل الفضل والإنصاف والآداب ، فعليك به .

الفصل الخامس

فى فوائد تتعلق بالأسماء الحسنى

نقلتها من كتاب بحر الأنوار لسيدى محمد العمرى وغيره

(أما الآيات) فقد قال الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ .
وقال عز من قائل : ﴿ أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ . وقال تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

(وأما الأخبار) فقد روى فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله علمنى اسم الله الذى إذا دعى به أجاب . قال : « قومى فتوضىء وأدخلى المسجد وصلى ركعتين ثم ادعى حتى أسمع » ففعلت وقالت : اللهم إنى أسألك بجميع أسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر الذى من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته .
فقال صلى الله عليه وسلم : أصبته أصبته مرتين .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كثر همه فليقل اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، فى قبضتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فىّ حكمك ، عدل فىّ قضاؤك أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور بصرى وربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى . ما قالها عبد قط إلا أذهب الله همه وأبدله فرحاً » رواه فى السنن .

خصائص بعض أسماء الله الحسنى

وهذا أوان الشروع فى مقصودنا بهذا الفصل من ذكرنا منافع بعض الأسماء الحسنى هدية للاخوان ، والأبناء والخلان والأصفياء قال الشيخ العمرى فى صدر كتابه بحر الأنوار :

(فائدة) فى منافع الأسماء : الاسم الأول اسمه تعالى ﴿ فعال ﴾ من تلاه بعدد جمله وهى (ف ع ا ل) مائة وإحدى وثمانين مرة فى كل يوم انقطعت عنه الخواطر المذمومة ، وإن واظب على قراءته من غير عدد كل يوم فذلك أسرع فى إزالة الخواطر المذكورة ، ومنهم من يستعمله على عدد اسم التالى .

الثانى اسمه تعالى ﴿ الخالق ﴾ من داوم على قراءته تكلم بعلم لا يفهمه إلا من سلك مسلكه ، ويكون له عملا فى الأعمال ، ولاسيما لمن يريد أن يبتدع الحكمة .

والثالث اسمه تعالى ﴿ المبدىء ﴾ من داوم على ذكره ألف العلوم السنية ونعلق بالعلوم الحكمية وتكلم بالشعر .

الرابع اسمه تعالى ﴿ المميت ﴾ ما دام أحد على ذكره ثم ذكر من أراد هلاكه إلا أهلكه الله .

الخامس اسمه تعالى ﴿ الصمد ﴾ ذاكره لا يحس بألم الجوع البتة ما لم يدخل عليه ذكر غيره .

السادس والسابع أسماه تعالى ﴿ السميع البصير ﴾ تسرع بهما الإجابة .

الثامن اسمه تعالى ﴿ المقيت ﴾ من اتخذه ذكراً أقيت بأنواع الحكم الكثيرة ورودها عليه واضيف إلى ذلك الأدعية اللائقة به . يا مقيت أعذنا

بلطائف أنوارك وأثبت فى من غرائب أسرارك .

التاسع اسمه تعالى ﴿ المحيط ﴾ من داوم على ذكره إلى أن يغلب عليه منه حال رأى ببصيرته ما فى ضمير غيره وهو من أسماء المكاشفات لا يستطيع حمله إلا أرباب الأحوال لأنه يندرج لهم منه نور يضىء فيرون منه جميع الأسرار والآيات .

العاشر اسمه ﴿ الفاطر ﴾ اسم لا يكاد يعرفه إلا الآحاد وهو من المفردات ليس له أخ ولا نظير وهو من الأسماء التى بها قوام الأرواح فمتى داوم على ذكره سالك انبسط سره فى الوجود وظهرت عليه براهين المحبة والإجابة ونفذ أمره فى العالم .

الحادى عشر اسمه تعالى ﴿ المجيد ﴾ من داوم على ذكره هانت عليه المصائب وتروحنت روحه وقوى جلده وأتاه الله رزقه رغداً .

الثانى عشر اسمه تعالى ﴿ ذو الجلال ﴾ من داوم عليه هابه كل من رآه وصار له تصريف فى الأرواح ينسب إليه وهو من بديع الأسماء .

الثالث عشر اسمه تعالى ﴿ العليم ﴾ من داوم على ذكره تكلم بعلم لم يكن يعلمه وظهرت على لسانه الحكمة .

الرابع عشر اسمه تعالى ﴿ الحكيم ﴾ من داوم عليه حكم فى جميع الأرواح أجمع . قال الشيخ الأجل محمد العمرى بعد إيراد هذه الأسماء وخيرها الذى سما وتما ومن هنا حصل لى الفتح من الجمع بين الأسماء .

ثم قال الخامس عشر اسمه تعالى ﴿ البديع ﴾ ذاكره لا يزال مبدعاً للعلوم الإلهية وينبع الله العلوم على لسانه .

السادس عشر اسمه ﴿ النور ﴾ اسم تام من جعله ذكراً أقدح الله النور فى قلبه وأنار باطنه وكوشف على الخلق .

السابع عشر اسمه تعالى (الظاهر) من داوم على ذكره إلى أن يظهر عليه منه حال لا يخفى عليه من أمور الخلق شيء .

الثامن عشر اسمه تعالى (الباطن) من داوم على ذكره إلى أن تصحبه عوالمه وتذكره معه فإنه لا يأتى إلى أرض إلا وفزع إليه أهلها بالبر والطاعة وتتبعه سائر العوالم وكل من وقع عليه نظره أجاب دعوته .

التاسع عشر اسمه تعالى (الكريم) من داوم على ذكره رزقه الله من غير مشقة .

العشرون اسمه تعالى (ذو الطَّول) من أراد أن تأتيه الدنيا راغمة صاغرة فليصم ثلاثة أيام متوالية ويداوم ذكره فيأتيه أمره دون سؤال . ومن كتبه سبع مرات فى سبع نسخ من سبعة أشهر بنية ما يرومه على ذكر وطهارة يسره الله عليه ومن أكل الحلال سبعة أسابيع ونام على طهارة مستقبل القبلة يقول ياذا الطول يا عزيز رأى فى العالم الروحانى عجباً .

الحادى والعشرون اسمه تعالى (الوهاب) من داوم على ذكره من السالكين رأى الأرزاق كيف تقسم على الخلائق ولم يسأل من أحد شيئاً إلا أعطاه إياها اه .

ثم قال الشيخ محمد العمرى فعلى هذا قال الشيخ العارف بالله خلف بن يحيى فى رسالته إلى العميان ولا شك فى تأثير الأسماء . قال بعض العارفين آثار الأسماء أبدت بدائع اه .

وقال سيدى الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس يخاطب بعض الظلمة من ولاة الأمور لما حصل منه القدوم على بعض من يلوذ بالشيخ وحصل من ذلك السلطان إدبار عن سيدنا الشيخ بعد الإقبال فقال :

لا ترجفونى فاننى لا أجزع من رجفكم كلا ولا أتزعزع

عندى محقق أن كل رجوفكم بى لا تضر وودكم لا ينفع
أنتم أقل أذل من أن تجلبوا نفعاً ولستم للضرائر ترفعوا
النافع الضار المهيمن ربنا ان شا يذل عبيده أو يرفع
ما إن ذكرت تقرباً منكم مضى إلا وكدت لذكره أتقطع
أسِفاً على بذر الجميل ببقعة بطحا سباخاً بذرها لا يزرع
فالآن قد عاهدت نفسى يا فتى عهداً وثيقاً لا إليكم أرجع
حسبى ببعدى عنكم لى راحة ما شئتمُ من بعد هذا فاصنعوا
ما مثلكم فى الحق إلا نملة قالت ترانى للشوامخ أصرع
فإن احتميت بسيفك المندى فلى سيف إلى ضرب المفارق أسرع
سيفى هو اسم الله لا عظم حصنى أرثنا به جدى الشجاع الأورع
وإن التجأتَ لحصنك العالى أنا حصنى أعز لدى الخصام وأمنع
حصنى هو القرآن والأسماء العظا م فمن هنا يا ذاك حصنىَ أرفع
فإن اعتزيت لنا بجد ظالم جدى الذى فى العالمين يشفع
الهاشمى المصطفى خير الورى ذخرى إذا بالهول شاب الرضع
وإذا صرخت إلى عساكرك التى لا يبلغنك جمعها ما تطمع
ناديت كل الصالحين فأبرموا أمراً به تلقى الهلاك فأجمعوا

وقال سيدى الفقيه الأجل عمر بن عبد الله مخرمه نفع الله به :

قلبى اقطع مطاليق الطماعات باليأس
واعدم النفس وازجرها عن الخوض فى الناس
كيف ما كان واغلق عنهم أبواب لاهجاس
واعلم أن الغنى بالناس وأشياهم إفلاس

وإن دنوا منك واستدنوك من ميد لإيناس

فابق ما بينهم مثل الذى ما له إحساس

والق مبنى الثقة فى القلب بالله على ساس

واعتصم به ولذ به وادعه إن حل بك بأس

وامس له جار واجعل لك من أسماء حراس

فإنها والله أحمى من كليب وجساس

وإن دنا منك شيطانك بشك أو بوسواس

أو بدا لك بتمويه أو بتزوير لباس

قل هو أو قل بدلها الله إذا دارك السكاس

﴿ خاتمة ﴾ فى ذكر أسماء الله الحسنى التى من أحصاها دخل الجنة وذكر معرفة ما لله من الأسماء والصفات وما ينبغى أن ينسب إليه . وما ينبغى أن ينزه تعالى عنه مما لا يليق بجلاله جل وعلا ، وذكر أقسامها نقلا وحكاية من غير مبالغة فى تحقيق ما لها من المدانى وما عليها من المبانى من حيث النحو واللغة وغيرها إيثاراً للاختصار وترغيباً للأخيار فى سرعة تناول مجانى تلك الأثمار ثم نختم ذلك بتعدادها المذكور فى الحديث الصحيح الحسن المشهور .

قال عماره بن يزيد أحد رواة الحديث الذى فيه ذكر الأسماء المذكورة فكنت أطلبها وأسأل عنها أهل العلم فلم أجد أحداً يخبرنى بها على هيآتها حتى وجدت رجلا ذاهمة واستنباط وهو من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالماً ناسكاً ورعاً مجاب الدعوة فسألته من هذه الأسماء فقال لى بعد تلون وامتناع لولا ثقتى بك وعلى برغبتك فى العلم ما أخبرتك فلا تعلمها أحداً إلا من تثق به فان فيها الاسم الأعظم فإذا أردت الدعاء بها فصم يوم الخميس وادع بها ليلة الجمعة فى وقت السحر فوالله الذى لا إله إلا هو لا يدعو بها عبد مؤمن إلا

أجابه الله تعالى حتى لو سأل الله أن يمشى على الماء أو على متن الريح لأجيب .

مافى القرآن من الأسماء الحسنى

قال عمارة فقلت له بين لى هذه الأسماء يرحمك الله فقال هى فى كتاب الله فمنها خمسة أسماء فى الفاتحة . وهى ياالله يارب يارحمن يارحيم يامالك وثلاثه وعشرون فى البقرة وهى يامحيط ياقدير ياعليم ياحكيم ياتواب يابصير ياواسع ياسميع يابديع يا كافى يارؤف يا شاكر يا واحد ياغفور ياحليم ياقابض ياباسط ياحى ياقيوم ياعلى ياعظيم ياولى ياغنى : وفى آل عمران أربعة أسماء وهى ياقائم ياوهاب ياسريع ياخبير . وفى النساء سته أسماء وهى يارقيب ياحسيب ياشهيد ياعفو يامقيت ياوكيل. وفى الأنعام خمسة أسماء وهى يافاطر ياقاهر ياظاهر ياقادر يالطيف. وفى الأعراف إسمان وهى يامحيي يامميت . وفى الأنفال إسمان وهى يانعم المولى ويانعم النصير . وفى هود سبعة أسماء وهى ياحفيظ ياقريب يامجيب ياحميد يامجيد يافعّال لمايريد ياودود . وفى الرعد إسمان وهى ياكبير يامتعالى وفى سورة إبراهيم اسم واحد وهو يامنان . وفى سورة الحجر اسم واحد وهو ياخلاق ، وفى سورة مريم اسمان وهما ياصادق ياوارث ، وفى الحج اسم واحد وهو ياباعث . وفى المؤمنون اسم واحد وهو يا كريم . وفى النور ثلاثة أسماء وهى ياحق يامبين يانور . وفى الفرقان اسم واحد وهو ياهادى . وفى سبأ أسم واحد وهو يافتاح ومن فاطر اسم ياشكور . وفى المؤمن أربعة أسماء وهى ياغفار ياقابل التوب ياشديد العقاب ياذا الطول . وفى الذاريات ثلاثة أسماء وهن ياحيّ يارزاق ياذا القوه المتين . وفى الطور اسم وهو يابر . وفى القمر إسمان وهما يامليك يامقتدر . وفى الرحمن ثلاثة أسماء وهن يارب المشرقين يارب المغربين ياذا الجلال والإكرام . وفى الحديد أربعة أسماء وهن يا أول يا آخر ياظاهر يا باطن . وفى الحشر أحد عشر اسماً وهن يامالك ياقدوس ياسلام يامؤمن يامهيمن ياعزيز

ياجبار يامتكبر ياخالق يابارىء يامصور . وفى البروج أسمان وهما يامبدىء يامعيد . وفى الإخلاص اسمان وهما يا أحد ياصمد .

قال عمارة فدعوت بهذه الأسماء غير مرة فرأيتها قريبة الإجابة . وكتبها جماعة وكلهم أخبرونى أن إجابتها سريعة .

وقال القاضى مجد الدين الشيرازى مسند حديثها فوالله الذى لا إله إلا هو لقد دعوت بها مراراً كثيرة عند مهمات خفت على نفسى منها الهلكة فخلصنى الله تبارك وتعالى منها والله أعلم .

وقال الشيخ الإمام عبد الرازق القاشانى رحمه الله فى كتاب شرح أسماء الله الحسنى أعلم أن الله تبارك وتعالى له أسماء ذاتية لا سبيل للكون إلى معرفتها فهى مستأثرة عنده فى غيبه لأن رتبة المخلوقات المربوبات تأبى ذلك ولكون قوابلهم لا يمكنها معرفة ذلك فهى أعنى الأسماء الذاتية المستأثرة من خصوصياته وحده سبحانه ، وله أسماء مستأثرة عن بعض خلقه مباحة لبعض فهى من خصوصيات خواصه تعالى . وله أسماء تعرف بها إلى خلقه وهى كثيرة لا تحصى . قال ويجمعها مائة وتسعة وثلاثون اسماً تسمى بها سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز قال ويجمع هذه الأسماء المائة والتسعة والثلاثين أسماؤه الحسنى التى هى تسعة وتسعون اسماً ويجمع هذه الأسماء الحسنى اسمه الرحمن ويجمع ماتضمنه اسمه الرحمن الإسم الذى هو تمام المائة وهو اسمه (الله) وهو للتعلق لا للتخلق .

أقسام الأسماء الإلهية

ثم قال اعلم أن سائر الأسماء الالهية تنقسم إلى قسمين أسماء سلب وأسماء ايجاب فأسماء السلب كلها ذاتية . وأما أسماء الإيجاب فتنقسم إلى أربعة أقسام . القسم الأول هى الأسماء الذاتية . القسم الثانى هى الأسماء النفسية . القسم الثالث هى الأسماء الصفاتية . القسم الرابع هى الأسماء الفعلية . فالأسماء الذاتية منها أسماء ذاتية على الإطلاق . ومنها أسماء ذاتية على التقييد فهى من وجه

أسماء ذات ومن وجه أسماء صفات . فالأسماء الذاتية المطلقة نوعان . مظهرة ومضمرة . فالمظهرة ثلاثة : اسمه الله واسمه الأحد واسمه الحق والمضمرة سبعة وهى هو وأنا وكاف الخطاب وياء المتكلم وتاء المخاطب ونون المتكلم وياء الإضافة . فهذه عشرة وهى الاسماء الذاتية المطلقة . والاسماء المقيدة يعنى التى تفيد معنى الوصفية من وجه على أنها أسماء ذاتية هى سبعة الرحمن والواحد والفرد والوتر والصمد والقدوس والنور قال . وأما الاسماء النفسية فسبعة وهى الحى العليم المريد القادر السميع البصير المتكلم .

وأما الاسماء الصفاتية فهى أربعة أقسام ، قسم هى الاسماء الكمالية وهى أربعة عشر أسما الرحمن من وجه لاجل المرتبة الرحمانية والملك والرب والمهيمن والحكيم والحكم والولى والقيوم والوالى والمتعال والمقسط والجامع والغنى والكامل .

وقسم هى الأسماء الجلالية وهى ثمانية عشر اسماً الكبير العزيز العظيم الجليل القهار الماجد الجبار المتكبر الواسع القوى المتين ذو الجلال المحيط الديان المجيد الشديد رفيع الدرجات ذو العرش .

وقسم هى الأسماء الجمالية وهى ستة عشر اسماً الرحيم السلام المؤمن اللطيف الخبير الحسيب الجميل الحليم الكريم الحميد الدائم الباقى الواجد بالجيم الرؤف ذو الطول الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد .

قال وقسم هى الأسماء الإضافية وهى ستة أسماء الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد فهذه أربعون اسماً هى الأسماء الصفاتية .

وأما الأسماء الفعلية فهى على قسمين قسم يتعلق بالجلال . وقسم يتعلق بالجمال وهذان القسمان هما المشار إليهما بقدمى الرحمن المتدليتين على الكرسى . قال فالقسم الذى يتعلق بالجلال من صفات الأفعال سبعة عشر اسماً القابض والخافض والمذل والرقيب والشهيد والمعيد والمميت والمنتقم والمانع والضار والوارث وذ البطش وشديد العقاب والمضل والمفنى والمعدم والقاهر .

قال والقسم الذى يتعلق بالجمال من صفات الأفعال أربعة وأربعون اسما البارئ والمصور والخالق والرازق والغفار والوهاب والفتاح والباسط والرافع والمعز والمغنى والحفيظ والمقيت والباعث والوكيل والمبدى والمحيي والموجد والمبقى والنصير بالنون وواسع المغفرة والصبور والتواب والغفور والمنعم والشكور والمعطى والجواد والنافع والهادى والمحسن والمغيث وحسن التجاوز والبديع والرشيد والمجمل والمجيب والكفيل والحنان والمنان والشافى والمعافى والموسع[١].

قال رحمه الله فهذه مائة وثمانية وثلاثون اسما يكرر فيها الرحمن مرتين فبقيت مائة وسبعة وثلاثون انتهى كلام الشيخ القاشانى رحمه الله فتدبره فانه مفهم بمهم ومُحِل عُقد الخطب للدلهم و بالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق

قال والإسم (الله) هو الجامع لما الذي لا يختص بمرتبة دون أخرى بل هو سار فى جميع المراتب وظاهر فى جميع المظاهر ومتصرف فى سائر الأفعال وبارز فى سائر الشئون وهو اسم يتعلق بحضرة الحضرات ومرتبة المراتب وجامع لسائر الصفات ومتسم بسائر أسماء الذات وهو اسم الله الأعظم انتهى.

وقد قال الإمام الحافظ القاضى أبو بكر بن العربى المقرى المالكى فى كتابه الأحوذى فى شرح الترمذى. قال بعض الصوفية لله عز وجل ألف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم . قال ابن العربى فاما أسماء الله فهذا العدد حقير فيها. وأما أسماء النبى صلى الله عليه وسلم فلم احصها إلا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء المبينة فوعيت منها أربعة وستين اسما ثم قال وله وراء هذا أسماء نقله عنه محيي الدين النووى فى تهذيبه.

(تكملة) نثبت فيها ما وعدنا به من الختم بذكر تعداد أسماء الله الحسنى ذوات النور الأسنى التى من أحصاها دخل الجنة . قال الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال.

---

(١) المذكور هنا ٤٣ لا ٤٤ .

إن لله تسعة وتسعين أسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر وهى هذه :

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدى المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور . انتهى عدد الأسماء وسمعت بعض مشايخى يقول بعدها ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

قال الإمام النووى فى كتاب الأذكار هذا الحديث رواه البخارى ومسلم إلى قوله يحب الوتر وما بعده حديث حسن رواه الترمذى وغيره . قال وقوله المغيث روى بدله المقيت بالقاف والتاء المثناة . وروى القريب بدل الرقيب . وروى المبين بالياء الموحدة بدل المتين بالمثناة فوق والمشهور المثناه فوق قال ومعنى أحصاها حفظها هكذا فسره البخارى والأكثرون ويؤيده أن فى رواية فى الصحيح من حفظها دخل الجنة . وقيل معناه من عرف معانيها وآمن بها . وقيل معناه من أضافها بحسن الرعاية وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها وبالله التوفيق .

وقال أبو إسحاق الاسفراينى من أحصاها دخل الجنة على العاقبة . إما

بالتوبة من الذنوب فى الدنيا وإما بالشفاعة فى الآخرة .

انتهاء المقدمة والبداءة فى الشرح

قلت وقد انتهت الفصول الخمسة المحكمة . التى جعلناها لهذا الشرح مقدمة وعن بعض مهمانه مترجمة . وبقطرة من بحر فضائله متكلمة . وللعارفين بمعانيه مفهمة . وللعلماء العلماء بمبانيه مفلمة ومعلمة . ولما نقص من لواحقه مكملة ومتممة . وفيها من الفوائد موائد مفتنمة وأسرار من الأسرار المكتتمة . ونسأل الله الكريم . البر الرحيم . الذى لا يخيب من قصده وأمه . أن يتقبله منا بواسع الجود وفيض الفضل والرحمة . وأن يجعله خالصاً لوجهه ومبرءا من كل عيب ووصمة . بجاه شفيع الأمة ، ونبى الرحمة . وكاشف الغمة .

خطبة شرح الشيخ على بن عبد الله باراس

وهذا أوان الشروع فى المقصود . من شرح الراتب المعقود . والدر المنضود . والمنهل العذب المورود . ونبتدى أولا بإيراد خطبة شرح الشيخ على بن عبد الله باراس ثم نتبع ذلك بفصل فيه أصل الراتب منقول من نسخ معتمدة ومحفوظ من أفواه المشايخ الأجلاء المسندة . الذين أخذوه بالتلقى عن صاحبه وأجلهم مولانا الوالد الحسين ابن سيدنا عمرفانا بمحمد الله قد سمعناه عنده ومنه وعليه مدةوهو شيخنا الذى أخذناه عنه . وعليه بعد الله ورسوله الاعتماد . ومنه الاستمداد على الإطلاق فى أخذ هذا الراتب العظيم وغيره ونرجو من كرم الله الكريم وخيره ان يجعلنا من محبيه السائرين بسيره .

قال الشيخ على فى شرحه : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله حمده الأقدم واسمه الأعظم ، وقوله الأقوم . وأصلى وأسلم . على نبيه الأشرف محمد الأفخم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، و بعد فقد استخرت

الله تعالى ولجأت إليه بكلية الافتقار وجمعية الاضطرار . وقد كنت منذ زمان أجد الإشارة الغيبية فى تعليق كلمات تنبه الغافل وتوجد الواصل . إلى منال ما انطوى عليه مجموع راتب رتبه وجمعه قطب الزمان ، وكنز العرفان . سيدى عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف باعلوى نفع الله بهم . ونظمنا فى منظوم سلكهم وقد ألح على فى ذلك بعض الإخوان فلم يسعنى أيضاً إلا قبول إشارته وإسعافه . بما أمد الله من نفثات أبرزها مخرج الخبء فى السموات والأرض، وأما ما وردت به الآيات وما صحت به الروايات من الأخبار والآثار فى فضائل هذا الراتب فأكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر فقد جاء فى الكتاب العزيز من الاستعاذات من كافة شرور الدنيا ودفع ضرائرها الضارة عن أسماء الجلال ومحرقات آثار العدل . فمن ذلك أول من استعاذه ولاذ به . الاستعاذة بالاسم الاعظم الجامع لمظاهر الألوهية . انتهى ما أورده الشيخ على فى خطبته على الشرح .

فصل

فى بيان اسم هذا الراتب المبارك وبيان أعداد كلمات أذكاره وبيان الوقت الذى يختار ويحسن قراءته فيه . وبيان ما يرتب بعده من قراءة الفواتح وغير ذلك من الفوائد الجليلة .

فأما اسمه فهو [عزيز المنال وفتح باب الوصال] .

الراتب وما يذكر قبله وما يذكر بعده

وأما تعداد كلمات أذكاره . فالذكر الأول قبل أن يقرأه اخترت زيادته . وآثرت إفادته ، قوله تعالى هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ثم يقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ثلاثاً .

(الثالث) (بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم) ثلاثاً .

الرابع (بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم)عشراً.

الخامس (بسم الله الرحمن الرحيم) ثلاثاً .

السادس (بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا على الله) ثلاثاً .

السابع (بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه) ثلاثاً .

الثامن (سبحان الله عزّ الله سبحان الله جلّ الله) ثلاثاً .

التاسع (سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم) ثلاثاً .

العاشر (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) أربعاً .

الحادى عشر (يالطيفاً بخلقه ياعليما بخلقه ياخبيراً بخلقه ألطف بنا يالطيف ياعليم ياخبير) ثلاثاً .

الثانى عشر (يالطيفاً لم يزل ألطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل ألطف بنا والمسلمين) ثلاثاً .

الثالث عشر (لا إله إلا الله) مائة أو سبعين . أو أربعين . ويقول : تمام المائة (محمد رسول الله) . مرة .

الرابع عشر (حسبنا الله ونعم الوكيل) سبعاً .

الخامس عشر (اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم)إحدى عشرة مرة.

السادس عشر (استغفر الله) إحدى عشرة مرة ، ثم يقول تائب إلى الله «مرة»

السابع عشر (بالله بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة) ثلاثاً ، انتهى .

ويقول بعده ما اخترت زيادته . وآثرت لأهل هذا الراتب إفادته .

قوله تعالى (غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) آمين .

وقد بينت بعض ما فى ذلك بقولى (قلت) :

وينبغى لمن أراد الشروع فى قراءة هذا الراتب أن يقرأ قبله ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وسيأتى الحديث الشهير ، الذى هو إلى فضلها و إلى أنها كائنة من جملته مشير . ولا ينبئك مثل خبير ، قريباً إن شاء الله تعالى .

ثم يقول بعد تمام الراتب (غفرانك ربنا وإليك المصير) إلى آخر سورة البقرة ، وقد دعوت إلى ذلك جماعات من أهل الإنصاف والعدل ، والائتلاف والفضل فعملوا عليه ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه ، تقبل الله منهم وأجزل ثوابهم لديه .

ذكر التوحيد

ومما يحسن بعده أن يأتى بذكر التوحيد . وهو الذى أخذه على هذه الصفة المعروفة سيدنا عمر عن الشيخ عمر بن عيسى باركوه السمرقندى « المتقدم ذكره عند ذكر مشايخ سيدنا عمر فى الجزء الأول من هذا الكتاب » وهو أن يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثلاثاً ، ثم يقول (لا إله إلا الله) خمس مرات ثم يقول (الله الله) خمساً وعشرين مرة ، ويحسن أن لا ينقص عن ذلك فان زاد أو نقص فلا بأس ، ثم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثلاثاً (ثم إلا الله هو) « خمس مرات » وهذا العدد المذكور اختيار من غير تقييد فان زاد زيد له فى الثواب . وإن نقص نقص عليه ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وقت قراءة الراتب

وأما وقت القراءة لهذا الراتب والاتيان به فالأحسن والمختار والمعمول به سلفاً وخلفاً أن يكون بعد صلاة العشاء الأخيرة ، كذا أدركنا شيخنا الوالد الحسين بن عمر نفع الله به يأتي به بعد صلاة العشاء مع من حضر من أصحابه . وأما في شهر رمضان فهو قبل الصلاة أعني العشاء لئلا يفصل بين الصلوات بكثير شغل ، (قلت) والأحسن لمن كانت له همة عالية في طلب الخير ، وحرص عليه أن يقرأ هذا الراتب صباحاً ومساء لأن جملة ما جاء فيه من الأذكار وردت السنة بالإتيان بها صباحاً ومساء كما يعلم ذلك من له أدنى إشراف على كتب الحديث وكما سيأتي في مواضعه هنا إن شاء الله تعالى .

الفواتح بعد قراءة الراتب

ثم بعد تمام قراءة الراتب يرتب (الفاتحة) لسيدنا الفقيه المقدم محمد بن على باعلوى وأصوله وفروعهم وكافة سادتنا آل باعلوى أينما كانوا وجميع أولياء الله من مشارق الأرض إلى مغاربها أن الله يعلى درجاتهم وينفعنا ببركاتهم ويحمينا بحمايتهم في الدنيا والآخرة .

(الفاتحة الثانية) : لسيدنا عبد الرحمن بن عقيل وسيدنا صاحب الراتب عمر ابن عبد الرحمن وسيدنا عقيل بن عبد الرحمن وعبد الله بن عبد الرحمن وصالح ابن عبد الرحمن وحسين بن عمر وأصولهم وفروعهم وأهل تربهم وجميع الآخذين عن سيدنا عمر واللائذين به والمنتسبين إليه في جميع أقطار الأرض أن الله يغفر لهم ويرحمهم ويعلى درجاتهم ويعيد علينا من أسرارهم وأنوارهم وبركاتهم في الدنيا والآخرة .

(الفاتحة الثالثة) أن الله يصلح أمور المسلمين وينزل غيثهم ويغزر أمطارهم ويرخص أسعارهم ويشفي أمراضهم ويصلح قضاتهم وولاتهم ويخمد

نار الفتن ما ظهر منها وما بطن ويصلح الشأن كله ويختم لنا بالحسنى فى خير وعافية لكم ولنا وأن الله يجعلنا وإياكم من المقبولين ويوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى من القول والعمل ويحفظنا وإياكم من الزيغ والزلل .

(الفاتحة الرابعة) يرتبها للسكان إن قرىء الراتب فى مسجد أو بيت. لمن عمر هذا المسجد وأقام فيه وتصدق عليه وصلى فيه وسعى إليه بخير أن الله يتقبل من الجميع ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً إلى جنات النعيم . أو لصاحب المسكان أن الله يكون فى عونه ، ويتقبل منه وييسر عليه ويجمل حاله ويغفر لوالديه ويعطيه مطلوبه فى الدارين . ويزيد وينقص بحسب الحالة فى ترتيب الفاتحة كيف شاء مع التخفيف ، ثم يدعو بهم فإذا ختموا الدعاء تصافحوا مع الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(فائدة)

قولهم الراتب مأخوذ من ترتيب الحرس للحماية . فإذا كان فى القرية جند يحمونها قيل لهم رتبة . وإن كان فيها واحد قيل له راتب أى دائم لا ينفك عن حمايتها . وهذا مناسب للمعنى أو هو مأخوذ من دوام الملازمة له . وقال أهل اللغة وأصل الترتيب من رتب بتخفيف التاء رتوباً إذا ثبت ولم يتحرك . وقولهم ترتب الأمر أى ثبت واستقام فهو مستقيم دائماً .

الذكر الأول وشرحه

ومن هنا ابتدأ سيدنا عمر بالاستعاذة لتقدمها فقال : (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) « ثلاثا »

قال الشيخ على بن عبد الله باراس فى شرحه . وصفه تعالى بهذين الاسمين يعنى (السميع العليم) وهما الوصفان الجامعان لعالم الغيب والشهادة إذ الاسم العليم مجلى الاسم الأعظم فى عالم الغيب ، ثم قال والغيوب خمسة : غيب

فى الملكوت ، وغيب فى الجبروت ، وغيب فى السماء ، وغيب فى العرش ، وغيب فى الصور . وهذا الاسم ـ شامل لهذه الغيوب كلها ، وتجلى السميع على سائر الصور والمعانى وما احتوى عليه هذا الاسم من التجليات الحسيات والمعنويات ، وكل أسمائه الوصفية تصبح بتجلى سائرها . قال والشيطان هو الحاذق بدقائق الأمور وجلائلها . وهو البعيد عن الرحمة القائم بمظاهر الفتنة والنقمة . والرجيم هو الطريد عن الحضرة القائم فى مقام الخزى واللعنة وهو البعيد عن الرحمة المستعاذ من شروره ومكائده ودواعيه ومصائده الباطنة والظاهرة ، انتهى ما أورده الشيخ بكماله .

ونحن نشرع فى تحقيق ماقصدنا وإنجاز ماوعدنا وإليه صمدنا وله أردنا وفيه اجتهدنا ، فنقول :

مبحث الاستعاذة من الشيطان الرجيم

ما جاء فيه من الآيات

أما الآيات فقد قال الله الكريم : ﴿ وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ وقال : ﴿ وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ، إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مبصرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزَات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضُرونِ ﴾ وقال جل ذكره : ﴿ قل أعوذ برب الفَلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ السورتين ، وقال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا ﴾ ، فينبغى أن يتعوذ ثم يقرأ من القرآن ما تيسر لدفع وساوس الشيطان كذا قاله العلماء .

وقد ذكر الإمام الغزالى فى كتابه خواص القرآن العزيز : عن ابن قتيبة أنه قال تخيل لرجل فى الليل خيال فجرى على لسانه ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ ، فقال له الذى تخيل له : أتدرى ما الحجاب المستور ، فقال : لا ، فقال اقرأ ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ إلى قوله : ﴿ أساطير الأولين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ، أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؛ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً ﴾ . هذا هو الحجاب المستور الذى جعله الله بين يدى رسوله صلى الله عليه وسلم وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة . ثم انصرف ذلك الشخص عنه .

وقال بعض العلماء قوله تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ نفورا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ، هاتان الآيتان لطرد المردة من الجن والشياطين وتخويفهم إذا كتبت للخائف المذعور الذى تتخيل له الخيالات الفاسدة ذهب ذلك عنه بعون الله تعالى .

ما ورد فيه من الأخبار

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه : « اقرأ يا جابر ، قلت : وماذا اقرأ بأبى أنت وأمى ، قال : اقرأ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ؛ فقرأتهما ، فقال : اقرأ بهما فان تقرأ بمثلهما » أخرجه النسائى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنَس ، وإذا غفل وسوس له » أخرجه البخارى تعليقاً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين حتى إذا قضى التثويب أقبل يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا واذكر كذا لما لم يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى » ، متفق عليه . (التثويب) الإقامة .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من ثلاثة لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » رواه أبو داود بإسناد حسن .

وروى الإمام أحمد والطبرانى بإسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية ، إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد » ، وفى رواية لمسلم « إن الشيطان ليحضُر أحدكم عند كل شىء من شأنه حتى يحضُر عند طعامه فإذا سقط من أحدكم اللقمة فليُمِط ما كان بها من أذى فليأكلها ولا يدَعها للشيطان » .

وفى صحيح مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلُّوهم وأغلقوا الباب واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً وأوكوا قِرَبكم واذكروا اسم الله وخمّروا آنيتكم واذكروا اسم الله لو أن تعرُضوا عليها شيئاً وأطفئوا مصابيحكم » اهـ الحديث نقله الإمام النووى

فى شرح المهذب . وقال جنح الليل بضم الجيم وكسرها ظلامه . قال وفائدة التغطية ثلاثة أشياء : أحدها ما ثبت فى الصحيح أن الشيطان لا يحل سقاء ولا يكشف إناء . الثانى جاء فى رواية لمسلم أن فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس له غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء . الثالث صيانته من النجاسة وشبهها والله اعلم . وقوله تعرضوا بضم الراء وروى بكسرها والضم أفصح ، ومعناه يضع عوداً أو نحوه عرضاً اه .

ونقل الإمام النووى عن ابن السنى وغيره من العلماء بإسنادهم عن معقِل ابن يسار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من سورة الحشر ، وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة .

السر فى العدد وفى قراءة آخر الحشر قبل الراتب

(قلت) فلهذا الحديث المشهور وما فيه من الفضل المذكور وأمثاله من الأعداد التى تعدادها من المأثور اختار سيدنا عمر أعداد كلمات هذا الراتب ثلاثاً ثلاثاً لورودها عن جده عليه الصلاة والسلام كما قدمنا التنبيه على ذلك . والتوجيه لما هنالك فى آخر فصل فضل الذكر وكما سيأتى فى مواضعه ، ولأجله أيضاً زدت هذه الآيات التى هى آخر سورة الحشر فى أول هذا الراتب تقرأ قبل الشروع فيه . وهى قوله تعالى : ﴿ هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو

الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

فينبغى المحافظة على قراءتها قبل الراتب لهذا الحديث . ولقوله صلى الله عليه وسلم « من قرأ آخر الحشر غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر » .

وقال بعض العلماء من أراد أن يدعو الله باسمه الأعظم يقرأ أول سورة الحديد إلى قوله عليم بذات الصدور وآخر الحشر هو الله الذى لا إله إلا هو إلى آخرها . ثم يقول اللهم يامن هو هكذا ولا يزال هكذا وليس هكذا أحد غيره أسألك أن تفعل لى كذا وكذا ولو دعا بها على ميت لحيى . وذكر أنه وجدها مروية عن البراء بن عازب عن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن الفقيه العالم على المقدسى أن الاسم الاعظم على اختلاف مذاهب الناس فيه هو هذه الكلمات يا حليم يا عليم يا على يا عظيم يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام برحمتك استغيث لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين وكان الفقيه الكبير أحمد بن موسى بن عجيل يقول ذلك .

قال بعضهم إن إدمان قولك يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت يورث حياة القلب والعقل ، قال وكان بعض المشائخ لهجاً به جداً قال ومن قال بين ركعتى الفجر وصلاة الصبح يا حى يا قيوم برحمتك استغيث حصلت له حياة القلب ولا يموت قلبه أبداً .

وحكى بعض العلماء عن ابن قتيبة قال : كان رجل يعرف بالزيات وكان فى وسطه منطقة فيها حروف مقطعة ، وكان يدخل أينما أراد ولا يرى . فلما مات أخذت المنطقة وجمع ما فيها من الحروف فإذا هن : هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة إلى آخر سورة الحشر وآخر سورة براءة حسبى الله

لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

وقال الإمام النووى روينا فى كتاب ابن السنى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا إذ أخذ مضجعه أن يقرأ سورة الحشر قال إن يمت مت شهيداً أو قال من أهل الجنة انتهى .

وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن اسم الله الأعظم فقال للسائل عليك بآخر سورة الحشر قاله مراراً رواه الثعالبي ونقله الحبشي في كتاب البركة فافهم والزم تكرم وتغنم والله أعلم .

عود إلى القول فى الاستعاذة

وفى صحيحى البخارى ومسلم عن سليمان بن صرد الصحابى رضى الله عنه قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبّان وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد . فقالوا له ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال وهل بى من جنون .

وفى صحيح البخارى رحمه الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن استعاذنى لأعيذنه ولئن استنصرنى لأنصرنه » .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى آخر وتره « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » أخرجه أصحاب السنن .

وقال عليه السلام « إذا غضب أحدكم فقال أعوذ بالله سكن غضبه » .

كيد الشيطان للانسان

وروينا فى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يارسول الله سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم تقله قبل هذا ورأيناك تبسط يدك ، قال إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة ثلاث مرات فاستأخر ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثوقاً يلعب به ولدان أهل المدينة (قلت) أراد بدعوة سليمان قوله ربى هب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب المشار إلى قبولها بقوله فسخرنا له الريح تجرى بأمره إلى قوله والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد . ثم امتن عليه فقال هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب .

(قلت) أيضاً ومعنى قوله بغير حساب . إما أنه مأخوذ من ترك العد المشار إليه بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أو هو مأخوذ من ترك المحاسبة فى الآخرة على عدم القيام بشكر النعم . إما لخصوصية اختص بها سليمان أو لأن آل دواد قد وفقهم الله للشكر الذى هو العمل فى نعم الله بطاعة الله . قال الله اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور فافهم والله أعلم .

وقد اختلف العلماء فى قوله لاينبغى لأحد من بعدى . على أقوال كثيرة منتشرة شهيرة . أحدها أنه على ظاهر ما أشار إليه ظاهر هذه الآيات . وقال بعضهم (٢) أراد سليمان بقوله لا ينبغى لأحد من بعدى طلب الأمان من السلب لأن

أكثر من يخاف مكر الله أنبياء الله ، وللعلماء فى هذا كلام طويل محل بسطه كتب تأويل التنزيل .

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله فإن ذلك يرد ما فى نفسه » أخرجه أبو داود والترمذى . وقال أبو الليث السمرقندى قال رجل فى الزمان الأول لابليس أحب أن أكون مثلك قال اترك الصلاة ولا تحلف صادقاً (قلت) أشار اللعين لعنه الله لهذا المستشير له بأن يكون مثله للخصلتين اللتين طرد ولعن بسببهما وهما عدم السجود لآدم عليه السلام لما جعله الله كعبته ، والثانية أنه أول من أقسم بالله كاذباً لما أراد إغواء آدم عليه السلام وحواء فدلاهما بغرور وقاسمهما أى حلف لهما بالقسامة بالله أنه لهما لمن الناصحين حيث علم أنهما يصدقانه لظنهما أنه لا يجسر أحد على الحلف بالله كاذباً .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل » ، رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب » رواه أبو داود ، والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة ونقله عنهم النووى فى رياضه وقال قال الترمذى حديث حسن ، وفيه عن شكل بن حميد رضى الله عنه قال قلت يارسول الله علمنى دعاء ، قال « قل اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر منيى » رواه أبو داود ، والترمذى وقال حديث حسن ، وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم إنى أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيىء الأسقام ، رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة » . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم « من تأنى أصاب أو كاد . ومن عجل أخطأ أو كاد . والعجلة من الشيطان » .

وعن الإمام الاوزاعى أنه قال تخيل لى خيال ففزعت منه فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . فقال لى لقد استعذت بعظيم وانصرف عنى .

وقال الإمام النووى روينا فى سنن أبى داود والنسائى بإسناد الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه ومن دعا كم بالله فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

وروى مسلم فى صحيحه « من استعاذ بالله فى اليوم عشر مرات من الشيطان وكل الله به ملكا يرد عنه الشياطين » .

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » .

وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس قلت يارسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن » .

وقال مالك بن دينار إن شياطين الانس أشد على من شياطين الجن وذلك أنى إذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن . وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى .

وقال عليه السلام « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هى من الله فلا يحدث بها إلا من يحب . وإذا رأى غير ذلك مما يكرهه فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره » رواه البخارى ، قال بعض العلماء ولفظ التعوذ أن يقول أعوذ بالله رب موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى ومحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم من شر ما رأيت فى رؤياى أن تضرنى فى دينى ودنياى وآخرتى عز جار الله وجل ثناء الله وتقدست أسماء الله ذكره فى تجريد الصحاح .

(فائدة) يحسن ذكرها هنا لأنها مجربة فى أن من قالها عند النوم فانه إذا رأى رؤيا كانت صالحة صادقة نافعة . وهى مانقله الإمام النووى فى الأذكار عن عائشة رضى الله عنها ، أنها كانت إذا أرادت النوم تقول اللهم إنى أسألك رؤيا صالحة غير فاسدة ، صادقة غير كاذبة ، نافعة غير ضارة وكانت إذا قالت هذا عرفوا أنها غير متكلمة بشىء حتى تصبح أو تستيقظ من الليل . فالزم هذا الدعاء عند النوم فانه عجيب التجريب من فضل القريب المجيب .

وروينا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم حديث حسن رواه أبو داود باسناد جيد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال النبى صلى الله عليه وسلم إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفى يده غمر فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه أخرجه أبو داود والترمذى ونقله النووى ثم قال حساس

شديد الحس والادراك . لحاس كثير الحس لما يصل إليه والغمر بفتح الميم ريح اللحم وزهومته .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ومن عين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ماسواهما أخرجه الترمذى .

وعن أبى وائل قال دخلنا على عروة بن محمد السعدى فكلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ . فقال حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفى النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ أخرجه أبو داود .

وعن جابر رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عرش ابليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس وأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنه فيجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا . ثم يجىء آخر فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويلتزمه فيقول نعم أنت أخرجه مسلم ، وعن أبى أوفى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله تعالى مع القاضى مالم يجر فاذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان أخرجه الترمذى .

وعن أبى السايب رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه سلم إن بالمدينة جنا قد أسلموا يعنى الحيات فإن رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان أخرجه مسلم ومالك وأبو داود ومعنى فآذنوه هو أن يقول له أنت فى حرج إن عدت إلينا فلا تأمنا أن نضيق عليك بالطرد والتتبع .

وعن أبى أمامه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا أراد أن

يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس وأجلبت واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها . فإذا قام أحدكم من باب المسجد فليقل اللهم إنى أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنه إذا قالها لم يضره . واليعسوب أمير النحل .

وفى سنن أبى داود وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال قبل القراءة فى الصلاة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . قال النووى وجاء فى تفسير الحديث أن همزه الموته وهى الجنون ونفخه الكبر ونفثة الشعر يعنى المحرم والله أعلم .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر سمين دهين كاس وإذا شيطان المؤمن مهزول أشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فاظل جائعاً وإذا شرب سمى الله فاظل عطشانا : وإذا أدهن سمى الله فاظل أشعث وإذا لبس سمى الله فأظل عاريا . فقال شيطان الكافر والكنى مع رجل لايفعل شيئا مما ذكرت فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه انتهى من الاحياء .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة لايقرءان فى دار ثلاث مرات فيقربها شيطان أخرجه الترمذى .

وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى من قرأ آية الكرسى حين يأوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقرب به شيطان حتى يصبح .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة يابن آدم وللملك لمة[1] فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب

---

(١) اللمه بفتح اللام المس أو قليل منه .

بالحق . وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر) الآية أخرجه الترمذي .

ونقل الإمام النووي فى شرح صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتفل عن يسارك ثلاثاً » ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى .

وفى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء ، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت . قال الأعمش أراه قال فيلتزمه .

وهذه استعاذة الشيخ الكبير محمد بن واسع ذكرها حجة الإسلام فى كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء أحببت ذكرها لما فيها من كراهة إبليس لها . كان محمد بن واسع يقولها كل يوم بعد صلاة الصبح فتعرض له إبليس يوماً فى طريق المسجد فقال له يا بن واسع هل تعرفنى . فقال ومن أنت قال اللعين قال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك أبداً قال لا والله لا منعتها لمن أرادها فاصنع الآن ما شئت وهى هذه :

اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا مطلعاً على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فأيئسه منا كما أيئسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك إنك على كل شىء قدير .

(تنبيه) قال المؤلف « غفر الله له سيئاته . وتقبل حسناته ، وأصلح نياته » اعلم أيها الأخ الشفيق ، الناصح الرفيق ، الواقف على هذا التأليف وفقنا الله وإياك لمرضاته ، وجعلنا من القائمين بوظائف طاعاته الذاكرين الشاكرين المتفكرين فى ملكوت أرضه وسمواته ـ أنى أكثر ما أعتمد عليه فى نقل الفضائل وإيراد الحجج والدلائل فى هذا الشرح على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما صح ووضح وملح من أقوال السلف الصالح فأوردها غالباً فى المحل المطابق لها من غير توطئة كلام قبلها وبعدها إلا القليل رغبة فى كثرة إيراد الآيات والأحاديث فى الكتاب واكتفاء بكلام الله ورسوله وأوليائه عن غيرها ومتى أمكن لى البسط فى ذلك بسطت الكلام رغبة فى زيادة الخير وتحصيل الفائدة لى ولإخوانى المشار إليهم فى آخر التعريف من الجزء الأول فينبغى لمن أراد مطالعة هذا الكتاب أن يقصد بذلك تحصيل الفوائد الكثيرة ولا يمل من الخير الطويل فإن كل سطر منه يحتو على فائدة أو فوائد كثيرة كما لا يخفى ذلك على من له أدنى بصيرة .

وفى الحديث ما شبع مؤمن من خير قط حتى يكون منتهاه الجنة . وفى الحديث الآخر منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا .

ثم اعلم أيضاً أنى اخترت فى غالب هذا الشرح تقديم ذكر الفضائل على ذكر شرح المعانى . وذلك لعلمى بقلة الرغبات وضعف العزمات وفتور الهمم عن المطالعات فقدمت ذكر الفضائل أولا ليراها الناظر مقدّمة فى هذا الشرح فيغريه ذلك بملازمة قراءة هذا الراتب والأعمال بالنيات .

فصل

فى معنى قوله . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

اعلم أن (معنى أعوذ) أستكفى وألوذ وأعتصم وآوى . قال البخارى فى صحيحه ومعنى الاستعاذة الاعتصام بالله ، قال الله تعالى (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ومعناه إذا أردت أن تقرأ فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلاة أى إذا أردتم القيام للصلاة وروى سليم عن حمزة ابن حبيب الزيات الكوفى أحد القراء السبعة أنه كان يتعوذ بعد القراءة أخذاً بظاهر هذا اللفظ .

واعلم أن التعوذ مستحب ليس بواجب وهو أيضاً مستحب من كل قارىء سواء كان فى الصلاة أو فى غيرها ويستحب فى الصلاة فى كل ركعة على الصحيح من الوجهين فإن تركه فى الركعة الأولى أتى به فى الثانية . ويستحب التعوذ فى التكبيرة الأولى من صلاة الجنازة على أصح الوجهين – ذكر ذلك كله النووى فى كتاب التبيان .

واعلم أنه يستحب أن يكون التعوذ جهراً فى ابتداء القراءة إذا كانت بحضرة مستمع وسواء أكان فى أول سورة أو جزء أو آية . لا فى أثناء دراسة ويسر بها فى الصلاة مطلقاً .

ثم اعلم أن الاستعاذة قد روى فيها عن أهل الحرمين والعراق والشام وغيرهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وروى عن أبى عمرو . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . والمشهور المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كذا ذكره العلماء .

ثم اعلم أن التعوذ مقدم على البسملة فى جميع المواضع الا فى دخول الخلاء فيقدم بسم الله ، ولا يزيد عليها الرحمن الرحيم ثم يتعوذ ، قال ابن حجر وإنما قدم التعوذ عليها أى البسملة فى القراءة لأنها منها .

وقوله (بالله) أى ابتدىء متبركا مستعينا ومتعوذا لا ابدأ بالله[1] إذ من فوائد هذا الإسم تمام الأمر المبدوء به فيه . وكله وعماؤه أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله وفى رواية بذكر الله فهو أبتر مقطوع البركة . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمر لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع . وفى رواية بحمد الله . وفى رواية بالحمد فهو أقطع وفى رواية أجزم ، وفى رواية لا يبدأ فيه بذكر الله وفى رواية ببسم الله الرحمن الرحيم ذكر هذه الألفاظ الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم ثم قال روينا كل هذه الألفاظ فى كتاب الأربعين للحافظ عبد القادر الرهاوى بسماعنا من صاحبه الشيخ أبى محمد عبد الرحمن بن سالم الأنبارى عنه ثم قال النووى أقطع قليل البركة وكذلك أجذم بالجيم والذال المعجمة ويقال منه جذم بكسر الذال يجذم بفتحها والله أعلم .

والباء فى قوله (بالله) للاستعانة نحو كتبت بالقلم وقيل الباء للالصاق أى بالله تكونت الموجودات و بالله قامت . فإذا قال المبتدئ بسم الله فمعناها أبتدئ باسم الله وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد .

قال سيدى محمد العمرى فى كتابه بحر الأنوار وأكثر أهل العلم على أنه اسم الله الأعظم . قال وقد ذكر هذا الإسم وهو اسم الجلالة فى القرآن وهو الله فى ألفين وثلاثمائة وستين موضعا وقد ورد به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة ، ولم يسم به غير الله ولو تعنتا فى الكفر بخلاف الرحمن ، وهو أصل لجميع الأسماء الواردة اهـ .

وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمع رسول الله

---

(١) هذا المعنى الأخير هو المناسب لما نحن بصدده وللمعانى الأولى مناسبة للبسملة فى ابتداء كل ذى بال أمر .

صلى الله عليه وسلم عمر يحلف بأبيه فقال «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» أخرجه الستة.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره» أخرجه البخارى.

وعن أبى أمامة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئا يسيراً يارسول الله قال وإن كان قضيباً من أراك» رواه مسلم وفى الحديث «ويل للتاجر من لا والله وبلى والله وويل للصانع من غد وبعد غد».

فضل سورة الاخلاص وآية الكرسى

وفى مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن. وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن قال النووى قال القاضى عياض قال المازرى وقيل معناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص. واحكام. وصفات الله تعالى. وقل هو الله أحد مختصة بالصفات فهى ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء. وفى مسلم قال صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب أى آية من كتاب الله معك أعظم قال الله لا إله إلا هو الحى القيوم. قال النووى فى شرح صحيح مسلم قال العلماء إنما تميزت آية الكرسى بكونها أعظم آية لما جمعت من أصول الأسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة. قال وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات اه.

خصائص اسم الجلالة « الله »

وقال سيدى العمرى فى كتاب بحر الأنوار فى خصائص اسم الجلالة الله. ومن خصائصه أنه لاينقص بنقص بعض حروفه فتقول الله فاذا اسقطت الألف تقول لله فإذا اسقطت الألف واللام الاولى تقول له فإذا أسقطت الألف واللامين تقول هو . وهو الاسم الباطن . قال العمرى وللعلماء فيه عشرة أقوال . الأول ونكتفى بذكره هنا وهو أنه غير مشتق لايجرى مجرى الأعلام لأن جميع الأسماء تضاف إليه فتقول الرحمن الرحيم العظيم الجليل من أسماء الله . ولاتقول الله من أسماء الرحمن ويجتمع فيه حرف النداء مع الألف واللام يعنى من غير زيادة فيه بهما ولا نقص منه بتركهما فتقول ياالله ولا يجتمعان فى غيره من الأسماء. قال حجة الإسلام الغزالى هو أعظم الأسماء المذكورة يعنى الله قال لأنه يدل على الموجود الحق الجامع لصفات الالهية المنفرد بنعوت الربوبية . قال وجميع ماذكر فى اشتقاقه تعسف وإنما أثر معرفة هذا الاسم استغراق القلب بذكر الله عزّ وجل اه.

وقال سيدى العمرى أيضاً ويقال إن هذا الاسم يعنى اسم الجلالة الله هو أكثر الأسماء ثواباً وأكثرها تعظيما . والرب تعالى مختص به فلا يسمى به غيره شرعاً . وقبض الألسن والعقول عن التسمى به طبعاً ، وله سبحانه فى هذا الاسم أوصاف . وهى القدرة على الايجاد وأنه لا يكون إلا ما يريد وأنه القاهر الذى لايقهر . والغالب الذى لايغلب وأنه لايصح التكليف إلا منه ولاتجوز العبادة إلا له ولا ترفع الرغبة إلا إليه ولا تكون الرهبة إلا منه ، المبتدَى منه والمنتهى إليه وأنه لاينتظر المنع والعطاء إلا منه .

وقال ومن آثار معرفة هذا الإسم التبرى من الحول والقوة ، وأن تسلم إليه كلك وتحمل عليه كلك ، وأن لاتجزع من الفقر والذل ولاتفرح بالغنى والصحة وترك تدبيرك لشهود تقديره ، والتسليم لمراده والرضا بقضائه ، وامتثال أمره .

واجتناب نهيه والخوف من مكره والأمان من غيره ، قال ومعرفة هذا الاسم تعدل معرفة معانى جميع الأسماء فإن لااله الحق من له الأسماء الحسنى والصفات العلى فهو كامل الالهية تام الربوبية هو الله كلّت ألسن الخلق كلهم ولم يبلغوا حق التوحيد فقف بين يدى مولاك بوصف الافتقار ونكس رأس الذل والانكسار ولا تبرح أبداً عن الباب فعسى أن تقرّب مع الاحباب وعليك بالتفرد فى الخلوات والتضرع فى الليالى المظلمات والتوجه إلى مولاك بذكره فى جميع الحالات إلى أن يصير الذكر لك أنيساً والوجود سميراً وجليساً فى روض معانى أسماء الله تعالى رياض سنية وموارد من بحار التوحيد الفياض هنية ففائدة ذكرك يعود نفعها إليك وثمرة شكرك ترجع بالزيادة إليك فإن الله تعالى لايتجمّل بذكر الذاكرين ولا ينفعه شكر الشاكرين وإنما ذكره شرف العارفين وخدمته زين العابدين الذين أثنى الله عليهم فى كتابه المبين وهو أصدق القائلين (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) مدحهم بما منحهم وأثنى عليهم بما أسدى إليهم وعلمهم كيف يثنون عليه ضمن طىّ ونشر (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس) إلى آخر سورة الحشر. فرتع بسرك فى معانى أسمائه واعمر أوقاتك بذكره وثنائه . فلا عيش إلا مع الله ولا عز إلا بالاستناد إلى جناب الله ، من اعتمد على مولاه كفاه جميع أمره وسخر له الكون بأمره .

ثم قال سيدى العمرى وينبغى للفقير أن يجعل له كل يوم ولو ساعة ورداً بالجلالة على الكيفية المعلومة عند العارفين فى موضع لا يراه فيه مخلوق ويتوجه بقلبه إلى الله عز وجل ويطرح نفسه فى مقام الفاقة ويرى مع ذلك أنه لا يصلح للمناجاة ولا للخدمة مع مراقبة نظر الحق إليه لولا أن الله يتفضل عليه بذلك ويصير كما أمره

تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فينال المقصود بالوجه . فإن من قرع الباب ولجَّ ولج يا هذا إذا أعرضت عن مولاك أين تذهب ؟ وإذا لم تطلب منه ففيمن ترغب هل تعلم أحداً يغنيك عن بابه أو من تلجأ اليه غير جنابه وكل شىء دانٍ لجبروته وشهيد بدوام ملكوته ، وأماراتُ انفراده بالصنع على الجميع لائحة . ودلائل النقص على الكل صائحة . ولا يصلح بذل المبهج الا فى طلب الأعز .

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير هجرك ضائع

وقال غيره :

لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة على غير ليلى فهو لاشك ضائع

من ذا الذى يُحسِن كاحسانه ؟ وأى فضل كفضله وامتنانه ؟ هو الذى اصطفاك فى القدم . وجعلك من خير الأمم . وحماك من السجود للصنم . ورباك ببره وزينك بذكره . وإن دعوته أجابك . وإن أطعته أثابك . وإن عصيته أمهلك وإن تبت إليه قبلك . كن له مطيعاً يكن لك ولياً وبك حفياً (رب السموات والأرض وما بينهما . فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) .

(فائدة) قال سيدى العمرى الله اسم مجوف من داوم على ذكره فى خلوة واعتكاف ظهر له فى العالم تصريف لايدفع أمره فيهم وإذا رسم فى مربع وحمله صاحب الحمى البلغمية ذهبت عنه ومن شكله على المياه اذهبها لوقتها وهذه صورة وضعه قال وهو ذكر المولهين من أرباب الأحوال اه من كتاب بحر الأنوار .

ل	ل	ه	ا
ه	ا	ل	ل
ا	ه	ل	ل
ل	ل	ا	ه

وقال الجلال التبريزى : اسمه تعالى هو الله الذى لا إله إلا هو كل من قرأ كل يوم ألف مرة يا الله يا هو جعله الله من أهل اليقين .

وفى كتاب الشرجى قال ذكر بعض العلماء أن من كتب اسم الله فى إناء مكرراً بحسب ما يسع الإناء ورش به وجه مصروع احترق شيطانه . ثم قال : قال البونى وقد أمرت بذلك رجلا كان له غلام يصرع منذ أربعين سنة ، فأعياه أمره ، فاعتكف ثلاثة أيام فكتبه ورش به عليه فاحترق عارضه ولم يعد إليه ، قال : وهو من أسماء الكمال والتمام وهو يذهب العلل كلها اه .

معنى كلمتى السميع العليم

وأما قوله ﴿ السميع العليم ﴾ فمعناهما السميع للأقوال العليم بالأحوال ، فهما اسمان عظيمان جليلان قد اشتملا على مالا يمكن تفصيل إجماله ، وهما يأتيان كثيراً مقرونان بالاستكفاء للمؤذيات وطلب الولاية والرعايات والحمايات ، يفهم ذلك من تدبر الآيات والأحاديث النبويات . قال تعالى عند ذكر ضمانه بالرزق لجميع المخلوقات فى الأرضين والسموات : ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قل ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم ﴾ ، وقال : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ .

وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت وأنا عنده لا أسمع ، وقد سمع لها وهى خولة بنت ثعلبة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى ، فلما خلا منى وبدت بطنى ـ أى كبر ولدى ـ جعلنى كأمه . وكان الظهار فى الجاهلية يحرِّم ، قال صلى الله عليه وسلم : قد حرمت عليه ، فقالت : والله

ما ذكر طلاقاً ، فهذه مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والتحاور مراجعة الكلام . والكتاب العزيز والسنة للقراء مشحونان من ذلك فلا نطول بذكره . وقد سبق بعض ذلك قريباً .

وأما معناها فقد قال الشيخ عبد الرزاق القاشانى فى كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، وأما السميع البصير من أسماء الصفات فهما صفتان له تعالى من الصفات القديمات موجودتان قبل وجود المسموعات والمبصرات ، وهو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفى يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء وخفى جريان الماء ، وقيل السميع الذى أجاب دعوتك عند الاضطرار وكشف محنتك عند الافتقار وغفر زلتك عند الاستغفار ، وقبل معذرتك عند الاعتذار ، ورحم ضعفك عند الذلة والإنكسار .

قال وأما العليم فهو الذى يعلم ماهية الأشياء كما هى عليه جملة وتفصيلا ومحيط بكل شىء ظاهره وباطنه دقيقه وجليله أوله وآخره وعاقبته وفاتحته . قال وهذا الاسم اسم صفة وصفته العلم وهو عبارة عن تجل إلهى إدراكى ، فبه أوجد الله أعيان الحقائق على حسب ما اقتضاه شأنه القديم . وهو أم الكتاب فتعينت المعلومات فى العلم على حسب ما اقتضته الشئون الذاتية الأولية التى هى أم الكتاب والعلم الإلهى هو من مظهر تلك الشئون والله أعلم .

وقال الإمام حجة الإسلام فى عقيدته التى هى شفاء الأسقام : السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى ، ولا يغيب عن رؤيته مرئى وإن دق ، ولا يحجب سمعه بُعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق .

قال وأما العلم فهو تعالى عالم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجرى فى تخوم الأرضين إلى أعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ويدرك حركة الذرّ فى جو الهواء ويعلم السر وأخفى ويطّلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلى لم يزل موصوفاً به فى أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والإنتقال انتهى ما ذكره حجة الإسلام .

(فائدة)

اسمه تعالى السميع خاصيته استجابة الدعاء فمن قرأه يوم الخميس خمسمائة مرة بعد صلاة الضحى كان مجاب الدعوة .

وفى شرح الأسماء الحسنى للشيخ زروق وغيره اسمه العليم خاصيته تحصيل العلم والمعرفة فمن لازمه عرف الله حق معرفته على الوجه الذى يليق به تعالى .

وفى كتاب الفوائد للشيخ أبى الخير الشرجى رحمه الله قال : حكى عن الليث بن سعد أنه قال : رأيت عقبة بن نافع ضريراً ثم رأيته بصيراً فقلت له : بم رد الله عليك بصرك ، فقال لى : أتيت فى منامى فقيل لى قل يا قريب يا مجيبُ يا سميع الدعاء يا لطيفاً لما يشاء ردَّ علىَّ بصرى ، فقلت ذلك فردَّ الله على بصرى .

وفيه أيضاً قال حكى عن بعض أهل العلم أنه قال : أقمت مدة فى الطلب ولم يفتح على فاجتمعت ببعض الصالحين فكاشفنى شيئاً فى خاطرى ، فقلت له : يا سيدى بحق من أعطاك ادع لى ، فقال لى : قل اللهم يا من مقاليد الخير

كلها بيده وإليه يرجع الأمر كله ، يا فتاح يا عليم افتح على فتحاً قريباً يا فتاح يا عليم يا فتاح يا عليم يا فتاح يا عليم . قال : قلت ذلك فلما تمت تلك الليلة قال قائل لى فى المنام قد فتح الله عليك . قال : فوالله ما قرأت شيئاً بعدها إلا فتح الله على فيه ببركة الكلمات المباركات وبركة الشيخ نفع الله به آمين .

إبليس وطرده وحسده

وأما قوله : ﴿من الشيطان الرجيم﴾ فهو ابليس وهو من الجن كما قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ الآية . والجن خلقهم الله من نار السموم وهى الريح الحارة التى فيها وقود النار ولفح الشرار كما قال تعالى : ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ وإبليس كان يسمى عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث . فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل إبليس لأنه أبلس من رحمة الله أى يئس منها .

والشيطان هو المتمرد العاتى من الجن والإنس ومن كل شىء وأصله البعد يقال بئر شطون أى بعيد القعر وسمى الشيطان شيطاناً لامتداده فى الشر وبعده من الخير . قال الامام النووى : والشيطان كل جنى مارد ونونه أصلية . وقيل زائدة فعلى الأول من شطن إذا بعد . وعلى الثانى من شاط إذا احترق وهلك .

وأما الرجيم فهو المرجوم بالشهب . قال تعالى : ﴿ وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ قال العلماء : كان إبليس لعنه الله فى سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت عليهم الشقاوة وأبلس من رحمة الله .

وفى ابتداء أمره اختلاف بين أهل العلم . فقيل انه أمرته الملائكة

لما حاربت الجن من بينهم وهو صغير فعبد الله سبحانه وتعالى واجتهد وترقى مع الملائكة وفاق عليهم فى شدة العبودية وآداب الربوبية فملكه الله سبحانه وتعالى على العوالم ثم إنه أعجب بما أعطاه الله سبحانه وتعالى فابتلى بما ابتلى به من وجود آدم وأمر الله سبحانه الملائكة بالسجود له وامتناعه من ذلك فطرد ونفى عن حضرة الله سبحانه وتعالى وابلس من رحمته ورضوانه فهو أول من أعجب ولما أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم وذلك على جهة التعظيم والخضوع والامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى بادروا إلى طاعة الله سبحانه وتعالى فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . قائلا . أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . فهو أول من امتنع وخالف أمر الله سبحانه وتعالى وتكبر وطعن فى حكمة الله سبحانه وتعالى واستدل على الله سبحانه وتعالى بالقياس الفاسد فهو مبدأ الشر والعناد والكفر والشك والشقاق والنفاق نسأل الله العافية ، وكان سبب ما حل به من العقوبة والبعد والطرد واللعنة قوله أنا خير منه لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين . قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشىء من رأيه قرنه الله مع ابليس . قال ابن سيرين ما عبدت الشمس إلا بالمقاييس .

تفضيل الطين على النار

قال محمد بن جرير ظن الخبيث أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لما جعل له الفضل وقد فضل الله تعالى الطين على النار . وقال الحكماء للطين فضل على النار من وجوه منها أن جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعى لآدم بعد السعادة التى سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع فأورثته

الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطايش والحدة والارتفاع وهو الداعى لابليس بعد الشقاوة التى سبقت له إلى الاستكبار والاصرار فأورثته اللعنة والشقاوة، ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها، ولأن التراب سبب الحياة فان حياة النبات والأشجار به. والنار سبب الهلاك فلما صدرت منه هذه الكبائر العظام طرد ومقت وسلب ما كان فيه من الخدمة والتعريف وأخرج عن حضرة الله سبحانه وتعالى فهبط إلى الأرض وسكن البحر ووضع له سريراً وكرسياً يتشبه بالحق جل شأنه ويصعد إلى السموات والعالم العلوى متجسساً متفقداً ولما أخرجه الله سبحانه وتعالى من عبودية التخصيص طلب من الحق جل شأنه الإنظار وطول الامهال والإعمار فى دار الخراب والفيار والزوال من غير استقرار كما قال فى كتابه الكريم (قال ربى أنظرنى إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) فأجابه الكريم سبحانه وتعالى إلى مطلوبه وأعطاه عمراً إلى فناء الدنيا وجعله إماماً للشرور ثم كان منه ما كان من إغوائه لآدم وحواء عليهما السلام وذلك بتقدير الله ثم أخرج الله الجميع إلى الأرض وقال (اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين)

عداوة الشيطان للانسان

وأعلمنا سبحانه بعداوته لنا ثم أمرنا باتخاذه عدواً فقال تعالى (إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوا) وقال تعالى (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) وقال تعالى (وقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) وقال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس

بضارهم شيئاً إلا بإذن الله . وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) .

وقد شهد اللعين على نفسه بعداوته لجميع المخلوقين فقال (فبما أغويتنى لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) إلى غير ذلك من الآيات أعاذنا الله بقدرته القاهرة وحجبنا عنه بسر أسمائه الباطنة والظاهرة آمين . فهو الكلب العقور الذى لا يسلمنا منه إلا مالكه القهار ذو البطش الشديد وهو العدو المبين بشهادة رب العالمين فأى عداوة أشد من عداوته إذا كانت تحزنه منا الطاعات وتسره المعاصى والمخالفات : كما روى فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول ياويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار ، وفى حديث آخر عن طلحة ابن عبدالله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى شيطاناً يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وماذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان فى يوم بدر فقيل وما رأى يوم بدر قال أما إنه قد رأى جبريل وهو يزع الملائكة ومعنى يزع يرتبهم ويصفُّهم فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار والتقدم والتأخر قاله فى النهاية .

وسوسة الشيطان للإنسان وخطرها

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد فى شرح الحكم ومن شأن العدو يعنى الشيطان لعنه الله أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله تعالى فيه ليحقره

عندك لتطلب غير ما أقامك الله تعالى فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك »
وذلك أنه يأتى للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت عليكم
الأنوار ولصفت منكم القلوب والأسرار قائلا وكذلك صنع فلان وفلان ، ويكون
هذا العبد ليس مقصوداً بالتجريد ولا طاقة له به إنما صلاحه فى الأسباب فيتزلزل
إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بأمر الرزق
فيرمى فى بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لأنه إنما يأتيك فى صورة ناصح
إذ لو أتاك فى غيرها لم تقبل منه كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه (وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما
إنى لكما لمن الناصحين) .

قال وكذلك يأتى المتجردين فيقول لهم إلى متى تتركون الأسباب ألم
تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما فى أيدى الناس ويفتح باب
الطمع ولا يمكنه الاستعفاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون
منتظراً ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت فى الأسباب يبقى غيرك منتظراً
ما يفتح به عليه منك إلى غير ذلك ، ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط
نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب
فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم فى سببه أحسن حالا منه لأن ذلك
ما سلك طريقاً ثم رجع عنها ولا قصد مقصداً ثم انعطف عنه فافهم واعتصم
بالله منه . ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم إلى آخر ما قاله
نفع الله به :

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله الشيطان كالذكر والنفس كالأنثى وحدوث
الذنب بينهما كحدوث الولد من الوالدين الأب والأم لا أنهما أوجداه ولكن
عنهما كان ظهوره :

ومعنى كلام الشيخ هذا أنه كما لا يشك عاقل أن الولد ليس من خلق الأب والأم ولا من إيجادهما ولكن ينسب إليهما لظهوره عنهما كذلك لا يشك مؤمن فى أن المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس بل كانت عنهما لا منهما فلظهورها عنهما نسبت إليهما فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس نسبة إضافة واسناد ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد وكما أنه خالق الطاعة بفضله كذلك هو خالق المعصية بعدله . (قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) .

ونقل ابن عباد عن أبى طالب المكى أنه حدث أن المؤمن إذا قام يتوضأ للصلاة تباعد منه الشيطان فى أقطار الأرض خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبّر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه . وواجهه الجبار بوجهه فإذا قال الله أكبر أطلع الملك فى قلبه فإذا كان ليس فى قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر فى قلبك كما تقول . قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فينكشف بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك حسنات . قال وإن الغافل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فإذا كبّر اطلع الملك فى قلبه فإذا كان فى قلبه أكبر من الله فيقول الملك كذبت ليس الله فى قلبك أكبر كما تقول . قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت فيرد ذلك الحجاب صلاته ويلتقم الشيطان قلبه ولا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين له فينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيها . وقال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل فى بطنه .

وعن حاتم الأصم رحمه الله قال ما من صباح إلا ويقول الشيطان لى ماتأكل وماتلبس وأين تسكن . فأقول آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر .

وروى أن موسى عليه السلام لقى إبليس فى طريق الطور فعرفه فرفع العصا ليضربه . فقال ابليس ياموسى إنى لا أخشى العصا وإنما أخشى مَن قلبه فيه صفاء قال له وما علامة الصفاء قال ترك الحسد وحفظ الجسد وانتظار الرصد يعنى الصراط . ولاشك أن الحاسد شيطان وخصوصاً إذا قارنه البغى والعدوان .

التحفظ من الشيطان بقراءة القرآن

قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب مشارق الأنوار : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتحفظ من الشيطان كلما نريد النوم وذلك بالنوم على طهارة باطنة وظاهرة وبقراءة الأذكار الواردة فى ذلك فإن من نام على حدث وعدم قراءة الأذكار فمن لازمه عدم مفارقة الشيطان له فلا يزال يوسوس له بكثرة النوم ويريه المنامات الردية ليحزنه حتى يستيقظ . فاعمل يا أخى بالأذكار الواردة عند النوم ونم على طهارة إن أردت الحفظ من الشيطان ، ثم قال وسمعت سيدى عليا الخواص يقول إنما يفزع فى النوم من غفل عن الله فى اليقظة وخاف من الخلق وإلا فمن أكثر من ذكر الله أنس بكل شىء واستأنس به كل شىء من ناطق وصامت . فاعمل على جلاء مرآتك يا أخى حتى تصير لاتخاف أحداً إلا الله . وإلا لازمك الخوف من الجن والانس وغيرهما وعدم استئناسك بهم ، ثم قال وقد كان فى بيتى امرأة من الجن فكانت إذا قربت منى قامت كل شعرة فى جسدى فكنت أذكر الله فتبعد عنى من وقتها ، ثم لما خرجت من البيت كانت تقف فى طريق المسجد فى الظلام فما فزعت منها قط بل كنت أمر عليها فى المجاز فأقول لها السلام عليكم وما نفر خاطرى منها قط مع أن طباع الانس تنفر من الجن قال وسكن عندى مرة أخرى جماعة من الجن أيام الغلاء فكنت أقول لهم كلوا من الخبز والطعام بالمعروف ولاتضروا إخوانكم المسلمين فكنت أسمعهم يقولون سمعاً وطاعة . ثم قال الشعرانى بعد أن ذكر

أشياء جرت له معهم : ولى وقائع كثيرة مع الجن وإنما ذكرت ذلك لتعلم أن من قرأ الأوراد الواردة فى عمل اليوم والليلة فليس للجن ولا للانس عليه سبيل فانه لولا الأوراد التى أتلوها لـكنت خفت ضرورة من هؤلاء الجان كغيرى فاعمل فى ذلك و الله يتولى هداك انتهى كلام الشعرانى فى العهود .

خطر مجالسة الجن

وقال فى كتاب اليواقيت والجواهر (فان قيل) فهل مجالسة الجان ردية أو محمودة . (فالجواب) هى ردية غير محمودة . قال ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فإن الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة فالعاقل من يهرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحداً جالسهم وحصل له أبداً خير وذلك لأن أصلهم نار والنار كثيرة الحركة . ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع إليه فالجن أشد فتنة على مجالسهم من النار فانهم قد اجتمعوا مع فسقة الإنس على الاطلاع على عورات الناس التى لا يقع فيها عاقل قال وقد قال الشيخ محيى الدين ابن عربى فى الباب الحادى والخمسين من الفتوحات ماجالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة إذهم أجهل العالم الطبيعى بالله وصفاته قال وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الأكوان ومايقع فى العالم ومن العالم أن ذلك من كرامة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم أن يطلعوه على شىء من خواص النبات والاحجار والأسماء والحروف وذلك معدود من علم الـكيمياء فما اكتسب هذا منهم إلا مكتسب العلم الذى ذمته الشرائع .

ومما جرب أن من أكثر من مجالستهم صار عنده تـكبر على الناس . ومن تـكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والأخبار انتهى .

ثم قال الشعرانى وقد أطال الشيخ ابن عربى الكلام على ذم عشرة الجن فى الباب الخامس والخمسين .

وقال الشعرانى أيضاً فى كتاب اليواقيت (فإن قيل) فهل ثم من الجن من يقسم الإنسان عليه بسم الله تعالى فلا يبر قسمه أم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لايقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الإنس : ثم قال الشيخ أبو طاهر ويقال إن الجن لايجيئون إلا بالعزائم وأنها إذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجن فتحضرهم وتردهم إلى الطاعة طوعاً بحيث لايمكنهم العصيان ولذلك كانوا مسخرين لسليمان عليه السلام كما سخرت الريح : وهم أجسام لطاف كالريح يدخلون أجساد بنى آدم دخول النار فى الفضة المذابة فتراها تضطرب فى البوطة يعنى الكوج وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه . وفى حديث إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم أدل دليل على ذلك .

مداخل الشيطان إلى القلب

(خاتمة مهمة) قال حجة الإسلام فى الاحياء بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب أعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه . ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه ومداخله . وحماية القلب من فساد الشيطان ووساوسه واجبة وهى فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبة، ومداخل الشيطان وأبوابه هى صفات العبد يعنى المذمومة وهى كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان (فمن أبوابه العظيمة الحسد والحرص) وبهما لعن ابليس فصار شيطاناً رجيما (ومنها الغضب والشهوة) فان الغضب غول العقل فإذا غضب الإنسان لعب به الشيطان

كما يلعب الصبي بالكرة فإذا غضبت فاذكر أن هذا منه (ومنها حب التزين من الثياب والأثاث والدار) فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ (ومنها الشبع من الطعام) وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات وهى اسلحة الشيطان (ومنها العجلة وترك التثبت فى الأمر) قال النبى صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان . والتأنى من الله (ومنها الدراهم والدنانير) وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل مايزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر للشيطان وكل شيء منها يجر إلى شيء آخر حتى يقع الإنسان فى هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه (ومنها البخل وخوف الفقر) فإن ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلى الإدخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العظيم (ومنها) التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والاشتغال بذكر نقصانهم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعبّاد جميعاً وقد كان سيدنا أبو بكر الصديق يضع حصاة فى فيه تمنعه الكلام فيما لا يعنيه (ومنها) حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وفى صفاته وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم بذلك فى أصل الدين أو يخيل إليهم فى ذات الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها فيصير بها كافراً أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع فى صدره يظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأن ذلك انكشف له بزيادة عقله وذكائه وأشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً فى عقل نفسه . وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاماً لنفسه وظنه وأحرصهم على السؤال من العلماء . (ومنها) سوء الظن بالمسلمين . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) فمن حكم على غيره بشرٍّ بمجرد الظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه لسانه

بالغيبة فيهلك أو يقصر فى القيام بحقوقه أو يتوانى فى إكرامه و ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من المهلكات وقد منع الشرع من التعرض لمواضع التهم ، لهذا يجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس إلا شراً فإذا رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث فى الباطن فان المؤمن يطلب المعاذير . والمنافق يطلب العيوب. والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق انتهى مختصراً من كلام الغزالى .

ثم قال آخره فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردتُ استقصاء جميعها لم أقدر عليه ففى هذا القدر ما ينبه على غيره . فليس فى الآدمى صفة مذمومة إلا وهى سلاح للشيطان ومدخل من مداخله .

ثم قال(فان قلت) فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله . (فاعلم) أن علاج ذلك إنما هو بسد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره . ولكن إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ، ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاجدوى له ولا سلطان على القلب فلايدفع سلطان الشيطان عنه ولذلك قال الله عز وجل (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) فخصص ذلك بالمتقى .

ثم قال الامام حجة الإسلام ومثل الشيطان مثل كلب ضارٍ جائع يقرب منك فإذا لم يكن بين يديك لحم أو خبز فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه . فإن كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع فانه

يهجم عليه ولا يندفع بمجرد الكلام . فإن القلب الخالى عن قوت الشيطان ينذفع عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشى القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب . وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله الآية . وسائر الآيات والأخبار الواردة فى ذلك . قال الحسن أخبرت أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى وقال عليه السلام ما سلك عمر فجًا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه .

ثم قال الإمام حجة الإسلام . وهذا لأن هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وهى الشهوات فمهما طمعت أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر بغير تقوى كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع فى أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه الدواء كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية الباطن . فالذكر دواء والتقوى احتماء يخلى القلب من الشهوات . فإذا نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى معدة خالية عن الأطعمة . قال تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وقال تعالى (كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير) .

ثم قال ومن يساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وإن ذكر الله بلسانه وقال وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر إلى نفسك

فليس الخبر كالمعاينة وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك إذا كنت فى صلاتك ، كيف يتجاذبه الشيطان إلى الأسواق ؟ وحساب المعاملين وجواب المعاندين ، وكيف يمر بك فى أودية الدنيا ومهالكها حتى إنك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا إلا فى صلاتك ؟ ولا تزدحم الشياطين على قلبك إلا إذا صليت ، والصلاة محك القلوب وبها تظهر مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا ، فإن شئت الخلاص من الشياطين فقدم الاحتماء بالتقوى ثم أردفه بدوام الذكر ، يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه .

ولذلك قال وهب بن منبه رضى الله عنه : اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وأنت صديقه فى السر ، أى مطيع له . وقال بعضهم يا عجباً لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه . ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه .

ثم قال حجة الإسلام : فكما أن الله قال ادعونى أستجب لكم . وأنت تدعو فلا يستجاب لك ، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء انتهى كلام الغزالى .

وفى تفسير البغوى عند قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو﴾ الآية . قال البغوى إبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس ، ثم قال وروى مجاهد قال الشعبى قال : إنى لقاعد يوماً إذ أقبل حمال ، فقال : أخبرونى هل لإبليس زوجة ، قلت : إن ذلك العرس ما شهدته ، ثم ذكرت قول الله عز وجل ذكره : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى) فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت : نعم .

وقال قتادة : يتوالدون كما يتوالد بنو آدم ، وقيل : إنه يدخل ذنبه فى

دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ، قال مجاهد : من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة ، والهفاف ومرة ، وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة ، وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب ، والأعور وهو صاحب الزنى ينفخ فى احليل الرجل وفرج المرأة . ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لا يجدون لها أصلا . وداسم وهو صاحب البيوت الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله دخل معه ، فإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل وشرب وجامع معه .

وقال الأعمش : ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا وخاصمتهم ، ثم أذكر فأقول داسم داسم اه من البغوى .

وفى الإحياء قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : بلغنا أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال : يا رب هذا العبد الذى جعلت بينى وبينه عداوة إن لا تعنّى عليه لا أقوى عليه . فقال الله تعالى لآدم : لا يولد لك ولد إلا وكّل به ملك . قال : يا رب زدنى . قال : أجزى بالسيئة السيئة وبالحسنة عشراً إلى ما أريد . قال : يا رب زدنى . قال : باب التوبة مفتوح ما دام فى الجسد روح .

قال إبليس : يا رب هذا العبد الذى كرمته على إن لا تعنّى عليه لا أقوى عليه . قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد . قال : يا رب زدنى . قال : تجرى منهم مجرى الدم وتتخذ صدورهم بيوتاً . قال : يا رب زدنى . قال : أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا .

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحيي بن زكريا فقال له : أنصحك ، فقال : لا أريد ، ولكن أخبرني عن بني آدم ، قال : هم عندنا ثلاثة أصناف :

أما صنف منهم فهو أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ، ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركناه منه ، ثم نعود عليه فيعود ، فلا نحن نيأس منه ، ولا نحن ندرك منه حاجتنا ، فنحن منه في عناء .

وأما الصنف الثاني فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء .

قال الحسن رضي الله عنه : بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار ، فسولت ذنوباً لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء فلا يعلمون أنها ذنوب يعني فلا يستغفرون الله منها .

وقال خيثمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه : إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث : أن آمره بأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان رحمه الله : ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر . (قلت) :أشار سفيان رحمه الله بذلك إلى قول الله تعالى: ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ . وعندي أنه يأتي الشاب الذي قل ماله فيخوفه الفقر بسبب النكاح ، فهذا إيعاده بالفقر ، ثم يسول له عمل الفاحشة وإتيان المحرمات فهذا أمره بالفحشاء . عصمنا الله منه بما شاء إنه لطيف لما يشاء

وروى أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس ، فقالت : أصبحت الأصنام قد نكست رؤسها . قال : هذا حادث قد حدث . مكانكم .

فطار حتى جاء خافقى الأرض فلم يجد شيئاً . ووجد عيسى عليه السلام قد ولد فإذا الملائكة قد حفت حوله فرجع إليهم ، وقال : إن نبياً قد ولد البارحة ماحملت أنثى ولا وضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذا فايئسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة[1] ، ولكن ايتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة .

وقال بعض الأنبياء : لإبليس بأى شىء تغلب ابن آدم ؟ قال : آخذه عند الغضب وعند الهوى ، وكان وهب بن منبه رضى الله عنه يقول : قال إبليس يا رب أما ترى حب عبادك لك ومع ذلك يعصونك وكثرة بغضهم لى مع كثرة طاعتهم لى . قال الله عز وجل : إنى قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لى لمحبتهم لى وتجاوزت عن كثرة طاعتهم لإبليس بكثرة بغضهم له .

وروى أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما ركب السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين كا أمر ، رأى فيها شيخاً لم يعرفه ، فقال له نوح : ما أدخلك ، قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك ، قال نوح : أخرج منها يا عدو الله فإنك رجيم ، فقال إبليس : خمسٌ أهلك بهنّ بنى آدم وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك بثنتين . فأوحى الله إلى نوح أنه لاحاجة لك إلى الثلاث مره فليحدثك بالثنتين . فقال : ما الثنتان . فقال : هما اللتان لا تكذبانى ، هما اللتان لا تخلفانى بهما أهلك الناس الحسد والحرص . وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيما . وبالحرص أعنت على أن أغويت آدم فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرص اهـ وهو كلام نفيس فتدبره لتعلم من أين أتيت . وتسلم من هجوم العدو فى المبيت . وان تقدر على ذلك إلا بتوفيق الله تعالى وإعانته لك ما حييت .

Serakh

---

(١) كيف هذا وقد عبدت الأصنام بعد عيسى ، وقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم والأصنام تعبد حول الكعبة وفى الجزيرة العربية ، ولا زالت الأصنام تعبد إلى الآن فى الهند والصين وغيرهما .

وفى شرح الحكم لابن عباد قال : قال سيدى الشيخ أبو عبد الله القريشى رضى الله عنه شكى بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد لها حلاوة فى قلبه . فقال : لأن عندك بنت إبليس وهى الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته فى بيتها ، وهو قلبك ولا يؤثر دخوله إلا فساداً اه .

حقيقة التقوى

(قلت) : واعلم أن حقيقة التقوى الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وأنه كله من الله . وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وتنصح للمسلمين ، فلا تحسد أحداً منهم على نعمة أنعم الله بها عليه فى دينه أو دنياه فلا يعد المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه مايحبه لنفسه ، ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه :

ولاتك عياباً ولاتك حاسداً ‍ ‍ ‍ ‍ ولاتك ذا غش ولاتك ذا غدر

وأن لا تأخذ على أحد شيئاً ولا تفعل فى أحد من أهل دائرة الإسلام فعلا سيئاً ، ولا تقول فى أحد مقالة يكرهها ، ولا تظن بأحد من المؤمنين سوءاً ولا تخوض فيما لا يعنيك ولا تبخل بما لا يغنيك . فإذا كنت كذلك وقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فر الشيطان منك وبالله التوفيق والاعانة . على تمام تحقيق الإبانة . والهداية إلى أقصد طريق . وصحبة أسعد فريق . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

الذكر الثانى وشرحه

ولما استعاذ سيدنا عمر نفع الله به من الشيطان الذى هو أعدى الأعداء للإنسان . بشهادة الملك الديان فى قوله عز وجل : ﴿ إن الشيطان لكم عدو

فاتخذوه عدواً ﴾ . فأفرد الاستعاذة منه خاصة ثم عم بالاستعاذة بكلمات الله التامة من شر جميع المخلوقات عامة فالله تعالى هو الملاذ والمستعاذ ونعم المولى ونعم النصير فقال :

(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) (ثلاثاً) .

قال الشيخ على رضى الله عنه : واستعاذ بالكلمات العظام وكل ماظهر فى التكوين هو من الكلمات . لكن المستعاذ هنا بكلماته التامة من نبى مقرب وملك إذ هم الكلمات . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا . وكونها تامات بوصفهن إنى مابرز عنهن من أوصاف العبودية ، من شر ما خلق فى عالم الخلق والاختراع وما احتوت عليه الصور والطبائع والأوضاع مما يصدر عنها من التصرفات السحريات والسماية وإرسال الهمم الدنيات والتصرفات بالأفعال السميات والخسيات بالأمور المضرات التى تجر على فاعلها أسباب الشقاوات كإرسال الألسن والأيدى وخبائث الطويات فتكون تلك الكلمات التامات حجاباً واقياً عن مضار السميات والأفعال المهلكات كما ورد فى الأخبار النبويات من قالها حين يمسى لم يضره شىء حتى يصبح . ومن قالها حين يصبح لم يضره شىء حتى يمسى . وورد أيضاً أعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وسامة ، قال الشيخ : ومعناها والله أعلم الهامة ذوات الهمم . والسامة ذوات السموم .

وقال وهذه الاستعاذة والتى قبلها من هذا الراتب ثلاثاً ثلاثاً لأن مراتب الألوهية تثليثها مظهر الألوهية ذوقاً ووصفاً وفعلا كما تقتضى الاستعاذة منه ذاتاً من همته ، ووصفاً من فطرته وفعلا من حيث ما يخلق الله من المضرات من جوارحه وأركانه من الأفعال . قال : وقد ثبت فى الحديث تثليث ذلك كما ورد فى الأذكار اه ما أورده الشيخ .

معنى كلمات الله تعالى التامات

ونحن نزيد عليه من المنقول مما جاء عن الله والرسول فنقول . قال تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) وقال تعالى (لا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) وقال تعالى (فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) وقال تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله) الآية . وقال تعالى (وكلمة الله هى العليا) وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته) وقال تعالى (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) وقال تعالى (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وقال تعالى (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات فمعناه الكاملات اللاتى لا يدخلها نقص ولا عيب . وقيل هى النافعة الشافية . وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن وقال بعض العلماء الكلمات التامات هى النافعات الكاملات الشافيات الوافيات فى كل ما يتعوذ منه . وقال البيهقى إنما سماها تامة لأنه لا يجوز أن يكون فى كلامه عيب أو نقص كما يكون فى كلام الآدميين قال وبلغنى عن الإمام أحمد أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق .

قال أهل التفسير وكلمات الله هى الكتب أى الصحف المنزلة على إدريس وغيره من الأنبياء والكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزبور والقرآن . وكلماته أى جميع ماكلم الله به أنبياءه وملائكته وغيرهم وجميع ماذكره فى اللوح المحفوظ وغيره . وقرىء شاذاً وصدقت بكلمة ربها وكتابه . أى بعيسى وكتابه المنزل عليه وهو الانجيل . قال أهل التفسير فى قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم هى قوله كن فكان بشراً من غير أب إلى غير ذلك من الآيات المنزلات بالأنوار وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه خلق الله كل شىء بكن فلو كانت كن مخلوقة فمخلوق خلق مخلوقاً وهو محال . وقال سفيان بن عيينة ألاله الخلق والأمر إن الأمر هو القرآن ففصل بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر والدليل على أن القرآن هو الأمر . قوله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) وقال بعض الأئمة. ذكر الله الإنسان فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعاً . وقال أنه مخلوق . وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعاً ولم يقل إنه مخلوق بل هو صفه قديمة قائمة بذاته ليست بصوت ولا حرف لأنهما عرضان حادثان ويستحيل اتصاف القديم بالحادث . وهذا مذهب أهل الحق . ولما جمع بينهما نبه على ذلك فقال (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) وقال تعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون) .

مبحث الروح

وقد روى الشيخان والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من يهود فقال بعضهم سلوه عن الروح . وقال بعضهم لاتسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون فقالوا له يا أبا القاسم حدثنا عن

الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه . ثم قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

وفى رواية الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا أوتينا علماً كثيراً وأوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى علماً كثيراً . فنزلت (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) الآية .

وعن على وابن عباس رضى الله عنهما أن الروح ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها . يخلق الله جل وعلا من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

وعن الحسن أن الروح القرآن ويشهد له قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) ومعنى من أمر ربى أى من وحيه . وعن جماعة من المفسرين أن الروح هى التى يحيا بها الحيوان .

وعن على بن عيسى الروح جسم رقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان قال فكل حيوان روح وبدن .

وقال النووى فى كتابه المجموع قال أصحابنا المتكلمون الروح تذكر وتؤنث وهى أجسام لطيفة . وقال الشيخ جلال الدين السيوطى : الروح من علم الله الذى لا نعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى لقوله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) الآية . وقال الشيخ تاج الدين السبكى فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها اهـ .

وفى كتاب ذكر الموت وما بعده من الاحياء عند ذكر حقيقة الموت . قال الإمام الغزالى فيه اعلم أنه لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت

إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها وإدراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول ما قيل له : قل الروح من أمر ربى فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه . وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت إلى آخر ما ذكره الغزالى فى كتابه الإحياء .

قلت وقد أكثر حجة الإسلام الغزالى وغيره من تفصيل الكلام على الروح والعقل والنفس فى كتابه الإحياء بما فيه مقنع وليس من باب السؤال عن الروح المنهى عنه ولا من باب الخوض فى ماهية الروح الذى استأثر الله بعلم حقيقته . فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وإنما ذلك من باب التعريف بالنفس المشار إليها بقوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شىء محيط) وفى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومعناه إن تعرف نفسك بالفقر والضعف والعجز والذلة فحينئذ تعرف ربك بالغنى والقوة والقدرة والعزة وقوله (وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وقوله تعالى : (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) .

وما أظن المنهى عنه من ذلك إلا السؤال عن الكيفية والكمية والأينية ونسبة صفات الإلهية إلى صفات البشرية ، على أن العلماء فى جميع الأعصار والأمصار قد أكثروا فى الكلام على تفصيل ذلك . قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم قال المازرى الكلام فى الروح والنفس مما يغمض ويدق ومع هذا فأكثر الناس فيه الكلام وألفوا فيه التآليف ، قال الإمام

أبو الحسن الأشعرى هو النفس الداخل والخارج ، وقال الباقلانى هو متردد بين هذا الذى قال الأشعرى وبين الحياة ، وقيل هو جسم لطيف مشارك للأجسام الظاهرة والأعضاء الظاهرة ، وقال بعضهم لا يعلم الروح إلا الله تعالى لقوله تعالى (قل الروح من أمر ربى) وقال الجمهور هى معلومة واختلفوا فيها على هذه الأقوال ، وقيل غير ذلك .

ثم قال النووى وليس فى الآية دليل على أنها لا تعلم ولا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلمها وإنما أجاب بما فى الآية لأنه كان عندهم أنه إن أجاب بتفسير الروح فليس بنبى ، وفى الروح لغتان التذكير والتأنيث انتهى من شرح صحيح مسلم .

كلام ابن تومرت فى العقل والروح والنفس

قلت وأحسن من حقق ذلك ودقق ما هنالك الشيخ العلامة محمد بن على ابن تومرت الأندلسى فى كتابه « كنز العلوم والدر المنظوم فى حقائق الشريعة ودقائق علم الطبيعة » وقد أحببت أن أنقل الباب الثالث منه بجملته وأثبته هنا برمته لأنه أحسن ما رأيت فى معرفة حقيقة العقل والروح والنفس ، قال رحمه الله .

الباب الثالث

فى معرفة العقل والروح والنفس

أعلم هداك الله تعالى أن العقل والروح والنفس ثلاثة أرواح لطائف روحانيات ركبها الله تعالى فى الإنسان تدبره بقدرته وإرادته وحوله وقوته سبحانه (فأما العقل) فهو نور شريف ألطف من الروح والنفس ومنشؤه من نور العقل الكامل الأقدم الذى خلقه الله أولا من نور وجهه الأكرم كما قدمنا فى الباب الأول الذى قبل هذا ، ومصدر فعله وروحانيته من روح

الأمر الذى ذكرنا أنه أصل الأرواح كلها ، وهو معدن وحى الأمر ومنه مصدر العلم والقدرة والإرادة الربانية ومنه الواردة التى كانت ترد على النبى صلى الله عليه وسلم إلهاماً فيتحدث بها فتكون وحياً فى حقه وإلهاماً فى حق غيره . قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) فمن أجل ذلك تقضى السنة على الكتاب لأن ذلك وحى مشروع لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) فالعقل نور إلهامى ونور نورانى يستمد العلم والمعرفة والقدرة والإرادة الربانية عن روح الأمر عن الله عز وجل ثم يلقيه إلى الروح الحيوانية المحركة التى جعلها الله تعالى ساكنة فى القلب وهى الروح الحيوانية للبدن . فإذا أفاض عليها العقل هذه الأنوار والعلم والإرادة تحركت بها فى القلب أولا فإذا سمعها بأذنه ووعاها تحرك وانتعش بها وفاضت عليه أنوار الإلهام من الملك العلام بسر ما أودع الله فيه من القابلية لهذا العلم والإرادة الربانيه فيتجلى بها وتشرق أنواره من ظلام الكون على الجميع بواسطة نور العقل الإلهى جعله الله مرآة للعارف يستضىء بها فيتشعشع نوره بتلك الصفات والحقائق النورانيات من رب الإرادات فهذه فى الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه حين أقام إرادته مقام ذاته . فقال تعالى ما وسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن أى وسع نور علمى وقدرتى وإرادتى فهى فيه صفتى ، وإليها أيضاً أشار بقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح » . فنور العقل الذى يلهم الإنسان بالعلم والقدرة والإرادة هو نور الله الذى أودعه فى قلب المؤمن ثم نبه عليه بقوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره) أى فى قلب المؤمن يعنى النبى محمداً صلى الله عليه وسلم (كمشكاة) يعنى صدره (فيها مصباح) يعنى نور العقل (المصباح فى زجاجة) يعنى بالزجاجة قلبه (الزجاجة كأنها كوكب درىٌّ) شبه القلب بالكوكب

الدرى حين أشرق بنور العقل والعلم والمعرفة فتجلى بذلك واتصف به وقوله تعالى (توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) يعنى شجرة العلم والمعرفة التى غرسها الله تعالى فى قلب العبد المؤمن ففيها حكمة الله وحكمه الذى يقضى به فيعدل ولا يجور ولا يميل يميناً ولا شمالا ولا شرقاً ولا غربا (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) زيتها يعنى به نور العلم والمعرفة الذى يستمده نور العقل من روح الأمر عن الله عز وجل فكانت المادة كزيت الدرى يستمده المصباح لقوام نوره فيقع النور على نور مثله . وهو قوله تعالى (نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) .

فهذه صفة العقل وأنواره البديعة الجارية بحكمة الله الرفيعة ، وفى هذا دليل على أن العقل حين خلقه الله تعالى ثم قال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لا أركبنك إلا فى أحب خلقى إلى هو عقل محمد صلى الله عليه وسلم لأن إقباله استمداده العلم والمعرفة من الله عز وجل وإدباره إمداده الخلق بما أودعه الله فيه من ذلك .

قال وفيه أيضا دليل آخر لمن قال إن العقل مسكنه القلب على الحقيقة وإن زعم زاعم أنه فى الدماغ أو فى سائر البدن فتلك أنواره التى تخرج أولا من القلب بما أراد الله تعالى من الإلهام ثم تعود إليه والله أعلم .

(قلت) والذى أجزم به من مضمون مجموع كلام العلماء أن مركز العقل ومحله هو القلب وأنه يعلو منه فيكون الدماغ سقفه المسكين الذى يحيطه ويعنمه ويحفظه ويجمعه وأن القلب قراره المسكين ومنبعه وهذا علم ذوقى وفهم يقينى حق ، فمن قال من العلماء إن العقل محله القلب فقد صدق لما سبق ، ومن قال محله الدماغ فقد صدق لما سبق ، وهنا كلام فى هذه المسألة لا نودعه الكتب

المتناولة . وإنما محله المشافهة والمقابلة والله أعلم .

ثم قال الشيخ محمد(وأما الروح) فإنها روح لطيفة حيوانية ألطف من النفس طبعها الحياة والحركة ومنشؤها ومصدرها فعلها من العقل الإلهامى ومسكنها القلب لأنها من الطبيعة الوسطى المعتدلة جعلها الله تعالى سببا لحياة البدن ولإنعاش القلب أولا بما ألهمها العقل وأفاض عليها من نور العلم والمعرفة والقدرة والإرادة التى هى من صفات الله تعالى كما قدمنا فتصدر تلك الإرادة بالأنوار إلى القلب عن الروح عن العقل عن روح الأمر عن الله عز وجل ومصدر روحانيتها من مهبط الروح الأمين ، ومنه الواردة التى كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وغيره من الحديث بالوحى الظاهر على قلبه كما قال الله تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) فيكون ذلك وحيا فى حق النبي صلى الله عليه وسلم وإلهاما فى حق غيره بواسطته .

قال ولما كان القلب بيت الحياة الحيوانية ومعدن الأنوار الإلهية ومبدأ الحركات الالهامية ومصدر الإرادات الربانية كانت الروح محلا لمصدر إرادة الله تعالى من القلب عضدها الله تعالى بالحرارة الغريزية فأسكنها معها فى القلب لتهيىء البدن بالسخونة وقبول الروح عند السريان بها إلى سائر البدن فهى تصدر أولا من القلب مع الروح بما ألهمها العقل من العلم والإرادة فى عرقين منتشبين من القلب صاعدين إلى الدماغ الذى هو بيت الروح النفسانية الحساسية الشهوانية حتى إذا دارت الحرارة الغريزية فى الدماغ الذى هو بارد رطب سخن واستعد لقبول الروح فتدخل على النفس فتودعها حركة الحياة وماجاءت به من علم الله سبحانه وإرادته ويكون ذلك غاية فعلها مفردة بعد ذلك مع النفس ممزوجه والله أعلم :

ثم قال الشيخ محمد (وأما النفس) فإنها روح لطيفة حارة مفرطة الحرارة؛ لأن الله تعالى خلقها من القسم الأعلى الذى انفلق أولا من العقل الكامل، كما قدمنا ، ثم أسكنها فى الدماغ الذى هو أبرد ما فى البدن وأرطب ليعتدل له طبعه بها .

قال : والدماغ فى الرأس هو بيت الحواس الخمس جعله الله تعالى ينبوعاً للحس والحركة النفسانية ، ومصدر الإرادات الإلهية إلى الإنسان ، ومصدر روحانية النفس من مهبط روح القدس الظاهر ، الذى هو روح وحى الله الباطن ، ومنه الواردة التى كانت ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وحياً بالقرآن الكريم إلى داخل قلبه ، فيسمعه منه قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) . ومن أجل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم ينطق بالقرآن قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، فنهاه الله عن ذلك وأمره أن لا يعجل بما حصل فى سمع قلبه الباطن من وحى روح القدس ، حتى يسمعه بالسمع الظاهر على قلبه من جبريل عليه السلام ، ليتأيد ما عنده بما أتى به جبريل عليه السلام ، فيكون ذلك آكد لإبلاغ الرسالة وأقوى حجة لما أوحى الله به إليه ، فقال عز وجل : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربى زدنى علماً) .

ومصدر فعل النفس عن الروح عن العقل عن روح الأمر عن الله عز وجل ، فهى تتصرف فى الحواس بجميع ما أودعها الله تعالى وألهمها بواسطة روح الحياة ، وتتحرك بإرادة نفسانية خلقها الله تعالى فيها ، تصدر عن إرادة الله تعالى بما قضاه من خير أو شر أو نفع أو ضر أو طاعة أو معصية حتى ينتقل

ما كان سابقاً فى علم الله تعالى وما أبرمه بحكمه ومشيئته ؛ فيخرج ذلك من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فالله تعالى هو ملهم النفس على الحقيقة فعل ما أراد بقوله (ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها) . (قلت) : ومع تسخيره سبحانه للنفس وإرادته منها ما أراد ، وإلهامه لها ما قدره عليها من الفجور أو التقوى ، فهو الذى مدحها على فعل الخير وأثابها عليه وقبحها على فعل الشر وعاقبها عليه . فقال على تلو (فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها) . وقد قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

ونعود إلى نقل كلام الشيخ محمد قال فى وصف النفس : فهى مسخرة مقهورة بيد قدرة الله تعالى كسائر المخلوقات الجاريات بمشيئة الله وتدبيره لما سلكها بما شاء كيف شاء ، تبارك من له العلم والقدرة والحول والقوة فى كل شىء ومن بيده الملك وهو على كل شىء قدير .

ثم قال الشيخ محمد : والأصل فى فعل النفس أن الله تعالى جعلها روحاً واسطة بين الروح والجسد ، فطرفها الأسفل متصل بدماغ الجسد الذى هو مبدأ الحواس ، وطرفها الأعلى متصل بالروح ، فمن أجل ذلك تكون النفس ساكنة فى بعض الأحوال لاتصالها بالجسد الساكن عند الجمود ، وتارة تكون متحركة وذلك عند الإرادة لاتصالها بروح الحياة المتحركة أولا .

قال : (أما الروح) فإنها لا تبرح تتحرك بسر الحياة ما دام النفس باقية مدة عمر الإنسان ولهذا لا تبرح تفارقه عند النوم كمفارقته أفعال الحس النفسانية ، لأن النفس عند النوم تنجذب إلى القلب ببخارات ترتفع إلى الدماغ من الجوف فتنوب عنها تلك البخارات لاعتدالها ، لأن أصلها من الأربع الطبائع المركبة التى تخدم القلب كما ذكرنا أولا فى تركيب الإنسان ، فترجع

لالحواس عند أفعالها المفارقة بالنفس لها وهو النوم الطبيعى الذى خلقه الله تعالى للإنسان ليستريح به من تعب الحركات الجسمانيه والنفسانية التى تكون عند اليقظة ، فإذا دخلت النفس إلى الجوف اجتمعت الأرواح فى القلب أعنى العقل والروح والنفس فتكثر الروحانية هناك ، فلهذا قد يرى النائم شيئاً فى منامه فيكون حقاً كالوحى لكثرة الروحانية واجتماعها فى القلب ، فيصير ما رآه وحياً لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

والدليل على أن النفس تنجذب إلى القلب عند النوم كثرة الروحانية كما ذكرنا وكثرة الحرارة التى تهضم الطعام عند النوم لدخولها بزيادة الحرارة إلى الجوف فيقوم النائم وقد استمرأ كثرة برودة ظاهر البدن لسكون الحركة واجتماع الحرارة الغريزية فى الجوف . قال : ولذلك يطلب النائم الدثار .

وفى جميع ما ذكرناه من أفعال النفس دليل لمن قال إن النفس خلاف الروح خلافاً لمن قال : إنهما واحد ، واحتج بأن الأرواح كلها روح واحدة . وهذا عائد إلى أن الأصل فى الأرواح جميعها اللطافة فقط والصحيح ما ذكرنا لكونها متفرقة فى الجسم فهى متعددة ، وبعضها ألطف من بعض كقولنا عقل وروح ونفس الكل واحدة فعل ، فإذا اجتمع الجميع كحالة النائم كثرت اللطافة وقويت الروحانية المتناسبة فى أصل الجنس منها فيقوى فعلها وكحالة من ترقى من كثافة جهل النفس إلى لطافة حلم العقل ، والدليل على ذلك حالة النبى صلى الله عليه وسلم لما فنيت نفسه فى لطافة روحانيته المجتمعة على العقل الكامل حبس عنه شيطانه وفعلت حواسه عند النوم كفعلها فى اليقظة لكثرة الروحانية فيه . فقال صلى الله عليه وسلم : « تنام عيناى ولا ينام قلبى » .

قال : وأقوى دليل على أن الأرواح متعددة قول الله تعالى حيث قال : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .

(قلت) : وأما قول الشيخ محمد إن الروح ينقسم إلى أرواح متعددة يعني في الصورة الواحدة وبعضها ألطف من بعض فلا تظن أن مراده أن الروح نفسها يتجزى لأنه لا يقبل التجزي كما هو قول الجماهير ، وإنما هذا مأخوذ من تفصيل حكم حال الروح في كل عضو من أعضاء الإنسان تسمية فقط كتسمية سواحل البحر المتصل المتباعد الأرجاء الغير المنفصل ، فيكون له في كل ساحل من سواحله اسم يسمى به في ذلك الساحل وهو بحر واحد كقولهم في العرق المسمى الوتين إنه عرق منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم ، وله شرايين تتصل بأكثر البدن ، فالذي في الرأس منه يسمى النامه ، ومنه قولهم : أسكن الله نامته أي أماته . وإليه أشار الحريري بقوله في الذي مات : فلما سكنت نامته وشالت نعامته . ويمتد إلى الحلق فيسمى فيه الوريد . ويمتد إلى الظهر فيسمى فيه الأبهر . ويمتد إلى الصدر فيسمى فيه الوتين والفؤاد متعلق به . ويمتد إلى الفخذ فيسمى فيه عرق النسا . ويمتد إلى اللسان فيسمى فيه الصافر . ويمتد إلى أبهمة أصابع اليدين والرجلين فيسمى الباج . وهو في كل موضع يظهر فيه من الإنسان من المقاتل بأدنى ضرب ، فسبحان الصانع الحكيم المبدع العليم الواسع الحليم الجامع الرحمن الرحيم .

ويقولون فيه أيضاً : الوتين هو عرق مستبطن الصلب أبيض غليظ كأنه

فضة معلق بالقلب يسقى كل عرق فى الإنسان ، ويقال لمتعلق القلب من الوتين النبأض . فإذا تحققت قولنا أن افتراق تلك التسميات هو من حيث مواضع أطراف الشيء فتدبر أيضاً ما نقله بعض العلماء الكبار عن الشيخ شهاب الدين السهرودى أنه قال : إن النفس لها رتبة الأنوثة بوضع الجبلة ، وأنها سفليه المحتد وأن الروح العلوى له نسبة الذكورة وأنه قيم عليها . وقال وهذه الذكورة والأنوثة للروح والنفس فى عالم الأمر كالذكورة والأنوثة بين آدم وحواء فى عالم الخلق وكما حصل من أزدواجهما الذرية يعنى الصورية والاتحاد فى جنس الإنسانية فكذا من إزدواج الروح والنفس والقلب والعقل واتحاد المرتبة الأمرية المشار إليهما بقول بارىء البرية : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) . أى لا يعلمه إلا هو حقيقة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) انتهى ، ثم نعود إلى تمام الباب الذى عقده إمام أولى الألباب .

قال : ولنرجع إلى أصل فعل النفس ولما كانت النفس واسطة بين الروح والجسد تم فعلها واستيلاؤها على جميع البدن لقربها منه ، فإذا أراد الله تعالى إلهام النفس شيئاً ألهم العقل أولا بواسطة روح الأمر والعقلُ يلهم النفس بواسطة الروح ، فإذا صدر جميع الإلهام بإرادة الله تعالى إلى النفس أرادت واستولت على البدن فى بيتها الذى هو الدماغ ومبدأ حركات الحواس ، ففعلت ما ألهمت به من خير أو شر أو نفع أو ضر ، واكتسبت ما قدر عليها من طاعة أو معصية لأن علمها كله فى الأصل مخلوق .

قال الله تعالى : (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين) . وقال : (ولو شاء ربك ما فعلوه) ، وقال : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ، وقال : (والله خلقكم وما تعملون) فيكون ما أراد الله تعالى قديماً فى سابق

علمه محدثاً بإرادتها بعد إرادته محكماً فى ديوان حكمته وتدبير ملكه وعلمه وقدرته . قال : ومادة النفس من الروح ومادة الروح من العقل ومادة العقل من روح الأمر ومادة روح الأمر من الله عز وجل ، فيتصل ذلك جميعه بالجسد كائناً ما كان لأن الجسد متصل بالنفس التى هى روح حسه والنفس متصلة بالروح التى هى روح حياته ، والروح متصل بالعقل الذى هو روح الهامه ، والعقل متصل بروح الأمر الذى هو من حيز ربه يظهر إليه ما فى وجوده من علمه وقدرته وإرادته والجميع حكمة الله وصنعته التى اخترعها ليدل بها على وجوده ومعرفته وعلمه وقدرته وإرادته ، وذلك أن الله تعالى أقام إرادته مقام ذاته ، فيتجلى بمحاسن صفاته من جميع موجوداته فدل على معرفته نفسه فقط ، كما قال تعالى : (كنت كنزاً مخفياً لم أعرف نخلقت خلقاً وتعرفت لهم فبى عرفونى) فهو محرك بالإرادة لروح الأمر ، وروح الأمر محرك للعقل والعقل روح محرك لروح الحياة ، وروح الحياة روح محرك للنفس ، والنفس روح محرك للجسد يتصرف فيه بجميع الأفعال النفسانية وإرادتها الصادرة عن إرادة عالم الغيب والشهادة ، وكل روح من هذه الأرواح عقل عاقل ومعقول بعاقل ، أى جامع ومجموع ، فجامع لما يصدر منه إلى ما تحته مما صدر إليه مما فوقه ، فالنفس عقل للجسد ، والروح عقل للنفس ، والعقل عقل للروح ، وروح الأمر عقل للعقل ، والبارىء جل جلاله عقل عاقل أى جامع لجميع العقول العاقلات والمعقولات . ومنه مصدرها وإليه يؤول أمرها كلها ، فهو فاعلها وصانعها على الحقيقة وكل واحد منها طبيعة مطبوعة ، أى كتابة مكتوبة بيد قدرة الله تعالى لأن الطبيعة مشتقة من الطبع الذي هو طبع الخاتم المكتوب الذى يطبعه فى الشمع فتنتقل الكتابة والصورة التى فى الخاتم إلى الشمع فى دفعة واحدة .

قال وفى ذلك إشارة إلى قوله تعالى كن فيكون ما أراد من ثلاث المخلوقات

للاتصالات بعضها ببعض فتنتقل تلك الصورة المعنوية الروحية وذلك الطبع المطبوع من الوجود الأعلى إلى الوجود الأسفل من كل طابع ومنطبع فيقع الاتصال بين كل طرفين فتكون صورة النتيجة المجتمعة من كل واحد منهما كما اتصل الخاتم بالشمع وظهر بينهما صورة الرسم المطلوب وقد تميز الطابع من المنطبع بمشاهدة معرفة العارف .

ثم قال هذا حكم ما ينتقل من الموجودات إلى بعضها ، بعض وأما ماينتقل من وجود الله تعالى إلى وجود المخلوقات من العلم والمعرفة والإرادة فينطبع كما ينطبع الشيء المنظور فى المرآة الصغيرة فإنك إذا قابلت بها سماء أو أرضاً أو جبلا تصور بجميع أجزائه فيها وحصل علمه ومعرفته من غير اتصال بها ولا انفصال عنها فهو متصل بمشاهدة النظر إلى الطبع المطبوع فيها فقط لاتصال الفاعل بالمفعول باللمس المتصل من الطرفين وهو منفصل عنها بالكلية لأن ذاته غير ذاتها وإنما شوهد منه ما انطبع بالفعل من الصفة المنطبعة فى طبيعة المرآة كقلب العارف بالله عز وجل فما تصور فيه وانطبع من العلم والمعرفة والإرادة فمن صفات الله تعالى الذى يتجلى بها للقلب. وبطبعها فيه فينفذها من وجوده إلى وجود الإنسان العارف فيجدها بعد العدم فإذا أراد الله تعالى ظهورها من عالم غيب الإنسان إلى عالم غيب شهادته ألهم النفس فجورها أو تقواها فتحركت إرادتها عن إرادة الله عز وجل بما أودع الله تعالى فيها من الطبيعة المطبوعة وظهر بفعل النفس كائناً ما كان .

ثم قال الشيخ محمد جزاه الله خيراً فهذا القدر كاف فيما أردناه من علم العقل والروح والنفس وقصدناه فى ذلك من علم الطبيعة وجعلناه أساساً لما نحن ذاكروه فى كتابنا هذا والله الموفق للصواب انتهى هذا الباب الذى هو من لب اللباب مع زيادة لاتخفى على أولى الألباب ، والحمد لله الذى هدانا لجمع هذا الكتاب وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله إلى الصواب .

والله لولا الله ما أهتدينا إلى سبيل الرشاد
ولا تصدقنا ولا صلينا ولا عرفنا اعتقاد
إن الولاة قد بغوا علينا أهل الخطا والعناد
إذا أرادوا فتنة أبينا إلا الهدى والسداد
فأنزلن سكينة علينا يا ربنـا يا جـواد
وثبِّت الأقدام إن لاقينا بالمرهفات الحـداد
واجعل رياح النصر منك فينا والروح فهو المراد
تأيد بالأيدى التى لأبينا من قبلنا والأياد
نصراً وفتحاً ظاهراً مبيناً فى المبتدا والعواد
وكن لنا يا ربنا معينا فى النائبات الشداد
لحين قال الحى كن حيينا فأوجد ومد المداد
وبالهداية منه اهتدينا هو خير داع وهاد
وألقى لنا الإسلام خير دينا نقيمه بالجهاد
والمصطفى خير الأنام فينا خير الجدود الجداد
إليه نسبتنا وبه دعينا فى العاجلة والمعاد
صلى عليه الله كل حينا عد المدا والمداد
وآله وصحبه ثم تابعينا إلى نهار الحصاد.

ثم نعود إلى تعداد الاستعاذات من شر المخلوقات بالذات والكمالات.
وهى النافعات الشافعات من الآيات والأحاديث والآثار فنقول .

الكلام فى المعوذتين والتعوذ

قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) .

وقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) .

فهاتان السورتان من أقوى العوذ . وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن من قرأ المعوذتين مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يصبح وثلاثاً حين يمسى كفتاه من كل شىء ، وورد أيضاً أنه قال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما يعنى قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس وناهيك باسمهما دليلا على رسمهما .

وقال الإمام النووى روينا فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه نفث فى يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده . وفى الصحيحين أيضاً عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك مرات ــ النفث نفخ لطيف بلا ريق .

وقال النووى فى كتابه الأذكار روينا فى صحيح مسلم وموطأ مالك وكتاب الترمذى وغيرها عن خولة بنت حكيم رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك » . وروينا عنه أيضاً فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغنى البارحة فقال «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق

لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك، ذكره مسلم متصل بحديث خولة المتقدم هكذا قال، ورويناه فى كتاب ابن السنى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا . قال المروى وكلمات الله هنا هى القرآن ، وفى كتاب الترمذى من قال ذلك حين يمسى ثلاث مرات لم تضره حمة تلك الليلة، وروى الإمام البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن ابراهيم كان يعوذ بها اسماعيل وإسحاق يعنى أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

قال الإمام النووى الهامة بتشديد الميم وهى كل ذات سم يقتل كالحية وغيرها والجمع الهوام وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات وغيرها لحديث كعب بن عجرة أيؤذيك هوام رأسك أى القمل . وأما العين اللامة فهى بتشديد الميم وهى التى تصيب ما نظرت إليه بسوء .

وفى سنن أبى داود ، والنسائى والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل . قال يأرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب وساكن البلد ومن شر والد وما ولد ، ساكن البلد الجن ، وقيل الوالد وما ولد ابليس والشياطين .

وفى سنن أبى داود ، والنسائى وغيرهما بالإسناد الصحيح عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول عند مضجعه « اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وبحمدك ، نقله والذى قبله الإمام النووى فى كتابه الأذكار .

ومن الأخبار ما روى أبو داود ، والترمذى وقال حسن والنسائى والحاكم والفظ للترمذى مرفوعاً قال عليه السلام « اذا فزع أحدكم فى النوم فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فانها لن تضره » .

وكان عبد الله بن عمر يلقنها من عقل من ولده ومن لم يعقل منهم كتبها له فى صك ثم علقها عليه . وروى الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والإمام مالك مرسلا أيضاً عن عبد الرحمن بن حبيس التميمى أنه قيل له هل أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم فقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الجن فقال إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من النار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد قل كما أقول أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الا طارقاً يطرق بخير يارحمن . قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى انتهى .

ونقل الإمام النووى بسنده من سنن أبى داود ، والترمذى وابن السنى وغيرهم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون . قال وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه فعلقه عليه . قال النووى قال الترمذى حديث حسن ، وفى رواية ابن السنى جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى إليه أنه يفزع فى منامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أويت إلى فراشك فقل

أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فقالها فذهب عنه .

وقال النووى أيضاً روينا فى كتاب ابن السنى عن محمد بن يحيى بن حبان بفتح الحاء وبالباء الموحدة أن خالداً بن الوليد رضى الله عنه أصابه أرق فشكى ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتعوذ عند منامه بكلمات الله التامات من غضبه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، هذا الحديث مرسل محمد بن يحيى التابعى قاله النووى. وقال قال أهل اللغة الأرق هو السهر .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرّج النسائى فى مصنفه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقول عند مضجعه اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانك وبحمدك .

وفيه قال خرّج ابن وهب فى جامعه عن أسد بن رفاعة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة وزينب رضى الله عنها تذكر الله فى مسجدها ثم رجع وهى بحالتها تلك فقال يازينب مازال هذا حالك قالت نعم يارسول الله . قال لقد قال رسول الله أربع كلمات رددهن ثلاث مرات لو جمع ماذكرت من أول النهار إلى آخره ثم جعل فى كفة وجعلت فى كفة لرجحته أو لوزنته . قال سبحان الله رضا نفسه وسبحان الله عدد خلقه وسبحان الله مداد كلماته وسبحان الله ملء عرشه .

وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة .

(قلت) فى هذا الحديث إشارة إلى أن الصدقة أفضل أسباب النجاة وأن من لم يجد مايتصدق به فصدقته الذكر المشار إليه بقوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب) فقد روى فى التفسير أنه قول لا إله إلا الله وغيرها من الذكر . والحق أن الصدقة

من الغنى أفضل من الذكر معه مع الشح بالمال . والذكر من الفقير أفضل من الصدقة إذا عدم المال . وتقدم تحقيق ذلك مبسوطاً فى الفصل الرابع من المقدمة .

وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وقال صلى الله عليه وسلم «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» .

وفى تفسير البغوى بسنده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضى الله عنهما قال دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت أخبرنى عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبة يوم عرفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عنى فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات . ونقل النووى من كتاب ابن السنى عن خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله إنى أجد وحشة قال إذا أخذت مضجعك فقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لا تضرك ولا تقربك انتهى .

فائدة

فى استعاذات نبوية من أمور أخرى

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى باب الدعوات والتعوذ أما استعاذته صلى الله عليه وسلم من (فتنة الغنى وفتنة الفقر) فلأنهما حالتان تخشى الفتنة فيهما بالسخط وقلة الصبر أو الوقوع فى حرام أو شبهة للحاجة ويخاف

حق الغنى من الأشر والبطر والبخل بحقوق المال وإنفاقه فى إسراف أو فى باطل أومفاخرة وأما (الكسل) فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه. وأما (العجز) فعدم القدرة عليه وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وكلاهما تستحب الاستعاذة منه .

ثم قال . قال الخطابى إنما استعاذ صلى الله عليه وسلم من الفقر الذى هو فقر النفس لا قلة المال ثم قال قال القاضى وقد تكون استعاذته من فقر المال والمراد الفتنة فى احتماله وقلة الرضا به . ولهذا قال فتنة الفقر ولم يقل الفقر قال وقد جاءت أحاديث كثيرة فى الصحيح بفضل الفقر . وأما استعاذته صلى الله عليه وسلم من (الهرم) فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر كما فى الرواية التى بعدها وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلاط العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المنظر والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل فى بعضها .

وأما استعاذته صلى الله عليه وسلم من (المغرم) وهو الدين فقد فسره صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث السابقة فى كتاب الصلاة أن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف ولأنه قد يمطل المدين صاحب الدين ولأنه يشتغل به قلبه وربما مات قبل وفائه فبقيت ذمته مرتهنة به .

وأما استعاذته صلى الله عليه وسلم من (الجبن والبخل) فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة ، ولأن بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات ويقوم بنصر المظلوم والجهاد وبالسلامة من (البخل) تقوم بحقوق المال وتنبعث للانفاق والجود ومكارم الأخلاق وتمنع من الطمع فيما ليس له .

ثم قال قال العلماء واستعاذته صلى الله عليه وسلم من هذه الأشياء لتكمل صفاته فى كل أحواله وتشريعاً وتعليماً لأمته .

ثم قال وفى هذه الأحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من هذه الأشياء المذكورة وما فى معناها . وهذا هو الصحيح الذى أجمع عليه العلماء وأهل الفتاوى فى الامصار فى كل الاعصار ، ثم قال وذهبت طائفة من الزهاد وأهل المعارف إلى أن ترك الدعاء أفضل استسلاماً للقضاء . وقال آخرون منهم إن دعا للمسلمين فحسن وإن دعا لنفسه فالأولى تركه وقال آخرون منهم إن وجد فى نفسه باعثاً للدعاء استحب وإلا فلا قال ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة فى الأمر بالدعاء وفعله والاخبار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بفعله وفى هذه الأحاديث ذكر المأثم وفيها فتنة المحيا والممات أى فتنة الحياة والموت .

قال وقوله إنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء ومن درك الشقاء ومن شماتة الأعداء ومن جهد البلاء .

أما درك الشقاء فالمشهور فيه فتح الراء وحكى القاضى أن بعض رواة مسلم رواها ساكنة وهى لغة . وجهد البلاء بفتح الجيم وضمها والفتح أشهر وأفصح .

وأما الاستعاذة من سوء القضاء فيدخل فيها القضاء فى الدين والدنيا والمال والأهل وقد يكون ذلك فى الخاتمة وأما درك الشقاء ، فيكون أيضاً فى أمور الآخرة والدنيا . ومعناه أعوذ بك أن يدركنى الشقاء ، وشماتة الأعداء هى فرح العدو ببلية تنزل بعدوه يقال منه شمت به بكسر الميم يشمت بفتحها فهو شامت وأشمته غيره .

وأما جَهد البلاء فروى ابن عمر رضى الله عنهما أنه فسره بقلة المال وكثرة العيال . وقال غيره هى الحالة الشاقة .

ثم قال وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات قيل معناه الكاملات اللاتى لا يدخلها نقص ولا عيب وقيل النافعة الشافعة وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن .

خاتمة

(١) فى الكلمات التى أتمها إبراهيم عليه السلام

قال تعالى (وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) قال أهل العلم هى عشر خصال . فرق الشعر وقص الشارب وتقليم الأظفار والسواك والمضمضة والاستنشاق والختان والاستحداد والاستنجاء ونتف الابط .

وفى تهذيب الأسماء واللغات للنووى عن الحسن البصرى . وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلاه بالكوكب فوجده صابراً ثم ابتلاه بالقمر فوجده صابراً ثم ابتلاه بالشمس فوجده صابراً ثم ابتلاه بالنار فوجده صابراً ثم ابتلاه بذبح ابنه فوجده صابراً، وفيه قال وروينا فى موطأ الإمام مالك عن سعيد ابن المسيب قال كان ابراهيم النبى صلى الله عليه وسلم أول الناس ضيّف الضيف وأول الناس اختتن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال يارب ماهذا فقال الله تعالى نور ووقار فقال يارب زدنى نوراً ووقاراً ، وفيه عن كعب الأحبار وآخرين أن سبب وفاة ابراهيم أنه أتاه ملك فى صورة شيخ كبير فضيفه فكان يأكل ويسيل طعامه ولعابه على لحيته وصدره فقال له إبراهيم ياعبد الله ماهذا . قال بلغت الكبر الذى يكون صاحبه هكذا . قال وكم أتى عليك . قال مائتا سنة ولإبراهيم يومئذ مائتا سنة فكره الحياة لئلا يصير إلى هذا الحال فمات بلا مرض .

وعن أبى السكن الهجرى قال توفى إبراهيم وداود وسليمان صلى الله عليهم وسلم فجأة . وكذلك الصالحون وهو « يعنى موت الفجأة » تخفيف على المؤمن المراقب . وعقوبة للفاسق الغافل .

قال وإبراهيم اسم أعجمى وفيه لغات أشهرها إبراهيم ، والثانية ابراهام وقرىء بهما فى السبع . والثالثة والرابعة والخامسة ابرهم بكسر الهاء وضمها وفتحها انتهى . وقال غيره وإبراهيم بالسريانية : أب رحيم .

(٢) وفى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه

وقوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)؟ فعفا الله سبحانه وتعالى عنه وأقبل عليه وأوحى إليه وعَلّمه صلاح معاشه ومعاده واختلف فى الكلمات التى تلقاها آدم وكانت سبب توبته فقيل هى أنه لما خلقه سبحانه وتعالى رفع طرفه إلى العرش فنظر مكتوبا على قوائم العرش وأطرافه وأكنافه لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما وقعت منه الزلة وأهبط إلى الأرض دعا ربه سبحانه وتعالى قائلا اللهم إنى أتوسل إليك بمحمد صلى الله عليه وسلم أن تغفرلى خطيئتى فقبل الله سبحانه وتعالى دعاءه فغفر له ورضى عنه وقال له سبحانه بم عرفت محمداً صلى الله عليه وسلم فقال يارب رأيت اسمه مقترنا باسمك فعلمت أنه أفضل خلقك وأعزهم لديك فلهذا توسلت به إليك .

ونقل الشرجى من بعض مصنفات الإمام البونى[1] أن الكلمات التامات هى عشرة أسماء وهى المحيط العالم الرب الشهيد الحسيب الفعال الخلاق البارىء الخالق المصور. قال وهى من أعظم الأذكار ما استدام أحد ذكرها إلا تيسر له المطلوب فى العاجلة. قال وفيها اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ولأهل المكاشفات بها إلمام ، ومن ذكرها فى انتصاف الليل يرى عجائب وفيها حفظ النفس والجسم من المؤلم وقهر الاعداء ولا يستديم أحد ذكرها إلا ويرى من العالم العلوى أسرارا ويسخر له كل عالم .

وقيل (الكلمات) التى تلقاها آدم من ربه هى قوله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ، وقيل هى لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسى فتب

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن على بن يوسف البونى نسبه إلى بونه بافريقيه على الساحل. توفى بالقاهرة سنة ٦٢٢ هـ وله رسالة فى شرح الاسماء الاعظام وأخرى فى فضل البسملة.

على إنك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربى عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى إنك أنت أرحم الراحمين .

وقيل هى أن آدم قال يارب أرأيت ماأتيت أشىء أبتدعته من تلقاء نفسى أم شيء قدرته على قبل أن تخلقنى قال الله لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك . قال يارب كما قدرته على فاغفرلى .

وقيل هى ثلاثة أشياء الحياء والبكاء والدعاء .

وقيل إنها مناسك الحج وهو أنه لما نزل (بسرنديب) وهو جبل بأرض الهند عن شمال القائم المتوجه إلى المغرب جاءه جبريل عليه السلام فأمره بالحج وسار معه حتى أتى المزدلفة واجتمع بحواء فلهذا سمى جمعاً . وتعارفا بعرفة فلهذا سميت عرفة فوقفا بها إلى أن غابت الشمس من اليوم التاسع ثم أفاضا إلى المزدلفة فباتا بها ثم أتيا منى فرميا الجمار خلقا ونفرا ثم أتيا البيت الشريف وطافا به سبعا . فعن النبى صلى الله عليه وسلم لما أهبط الله آدم إلى الأرض قام تجاه الكعبة فصلى ركعتين فألهمه الله هذا الدعاء (اللهم) إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤالى وتعلم ما فى نفسى فاغفرلى ذنبى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت (اللهم) إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتبته لى ورضنى بما قسمت لى . فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت لك ذنبك ولن يدعو بهذا الدعاء أحد إلا غفرت له ذنبه وكفيته الأهم من أمره وزجرت عنه الشيطان واتجرت له من وراء كل تاجر وأقبلت إليه الدنيا راغمة وإن لم يردها .

(قلت) فهذه الاقوال فى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فكانت سبب توبته وهناك أقوال أخر ليست معتمدة فى هذا الباب تركناها خوف الاسهاب

فتاب الله سبحانه وتعالى على آدم لما تاب ورجع الله سبحانه وتعالى عليه بالاقبال والرحمة لما رجع وآب . فهو أول من تاب . إلى الله سبحانه وتعالى من البشر وأناب . وكانت هذه سنة وطريقة لذريته وأولاده إذا وقع منهم تقصير أو مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى تابوا إليه وأنابوا ورجعوا وآبوا فيتقبل الله سبحانه وتعالى منهم كما تقبل من أبيهم آدم المشار إليه بقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وفى التنزيل خطاباً للحبيب يبشر به أمته القائلة حسبنا الله ونعم الوكيل (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) .

شروط التوبة

وللتوبة شروط أولها الاقلاع عن المعصية . الثانى عقد القلب على أن لا يعود . ثالثها الندم على التفريط . رابعها رد المظالم إلى أهلها إن كانت المعصية من حقوق العباد ، والتوبة فريضة على كل مسلم قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وسيأتى بيان شروط التوبة وآدابها وفرائضها وفضلها وفضل التائبين مختصراً فى موضعه من هذا الشرح عند قوله تائب إلى الله ، ومعنى تلقاها استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات على أنها هى التى استقبلته وتلقته .

وآدم من أديم الأرض أو أدمتها وهو وجهها فاشتق اسمه مما خلق منه وقيل من الأدم وهو الجمع لأنه خلق من الطبائع المختلفة . وقيل اسم أعجمى وكنيته أبو البشر كنيته الملائكة . وقيل أبو محمد صلى الله عليه وسلم كذا ذكره العلماء ، وهو غير مصروف للعجمة والتعريف .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن آدم قال : يارب ألم تخلقنى بيدك ،

قال : بلى ، قال : ألم تنفخ فى الروح من روحك ، قال : بلى ، قال : ألم تسكنى جنتك ، قال : بلى ، قال : يارب إن تبت وأصلحت أراجعى إلى الجنة ، قال : نعم انتهى .

وأصل معنى الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك بإحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة ، ومنه الحديث « والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك » الحديث .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » متفق عليه .

ومعنى (فتاب عليه) أى رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة . قال البيضاوى : وإنما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الإعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود إليه ؛ ومعنى (التواب) الرجاع على عباده بالمغفرة والذى يكثر إعانتهم على التوبة ، وأصل التوبة الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعاً عن المعصية إلى الطاعة ، وإذا وصف به البارئ تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة .

ومعنى (الرحيم) للبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد التائب بالإحسان مع العفو والله أعلم اه .

(نكتة) اختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب : من التوراة : من قنع شبع . ومن الزبور : من سكت سلم . ومن الإنجيل : من اعتزل نجا . ومن القرآن : (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .

(نكتة) أخرى : قال الشيخ ابن حجر فى حاشية الفتح أجمع أهل الملل على تحريم هؤلاء الكليات الخمس وهى النفوس والفروج والأعراض والعقول والأموال . فهذه كلها لم تحل فى ملة من الملل . وقال أصحاب الإشارات لا تقل

أربع كلمات فتقع فى الهلكات ، لا تقل أنا ولا لى ولا عندى ولا نحن . فإن للملائكة قالوا : نحن نسبح بحمدك ، فوقعت النار فأحرقتهم[1] . وإبليس قال : أنا خير منه ، فلعن إلى يوم القيامة . وقارون قال : إنما أوتيته على علم عندى ، فخسف به . وفرعون قال : أليس لى ملك مصر ، فأغرق .

وفى كنز العلوم لابن تومرت الأندلسى عن الأحنف بن قيس أنه قال : أخرج الناس من كلام الحكمة أربعة آلاف كلمة ثم أخرجوها فى أربعمائة كلمة ثم أخرجوها فى أربعين كلمة ، ثم أخرجوها فى أربع كلمات ، أولها : لا تحمل معدتك مالا تطيق . والثانية : لا تثقن بالنساء . والثالثة : لا يغرك المال وإن كثر . والرابعة : يكفيك من المال ما تنتفع به .

(فائدة) روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : بينما عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضاً ، فقال عيسى ليحيى : قل تلك الكلمات ، فقال : أى الكلمات ، فقال : حنه ولدت مريم ، ومريم ولدت عيسى ، الأرض تدعوك يا ولد أخرج يا ولد أخرج يا ولد أخرج .

قال حماد بن زيد : فما يكون فى الحى امرأة ماخض فيقال هذا عندها إلا تضع بإذن الله تعالى ، ويحيى أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدقه ، قال تعالى فى وصف يحيى : (ومصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً) وكان يحيى وعيسى ابنى خالة ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ، ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام .

(فائدة أخرى)

قال بعض العلماء : ومما يدفع به شر الحية والعقرب أن يقرأ عند النوم ثلاث مرات أعوذ برب أوصافه سمية . من كل عقرب وحية . سلام

---

(١) كذا بالأصل فليحرر .

على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق اه .

الذكر الثالث وشرحه

ولما أكمل سيدنا عمر ذكر الاستعاذات خصوصاً وعموماً ابتدأ فى الذكر الجامع لمتفرقات المنافع الذى هو عن الذكر به لكل ضر دافع فقال :

(بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم . ثلاثاً) .

قال الشيخ على : « مع اسمه » أى الجامع لمراتب الأسماء ومظاهر الألوهية كذلك « شىء » من الآثار المنسوبة إلى الأغيار من المظاهر الجسمانية « فى الأرض ولا فى السماء » . من التأثيرات السماوية والكواكب النحسية ، فمع قدرة الذاكر بهذا الاسم الأعظم يكون حجاباً للذاكر من هذه التأثيرات وصوناً للمعانى الروحانية عن طرق اللمات الشيطانيات الداعيات إلى المخالفات والأمور الحجابيات ، وذلك الجمع مما يطلق عليه الشيطان فى الأمور المضرات والشهوات المهلكات من المستعيذ على غيره ومن غيره عليه « وهو السميع العليم » الواقى لجميع ما أحاطت عليه الدائرة الوصفيه من الملكيات الملكوتيات العليم ، والواقى أيضاً لما أحاط به العلم من الحسيات والروحانيات والحسابيات والمقربات يقول ذلك ثلاثاً كما قدمناه قبل اه . وهو كلام عجيب غريب كما تراه ظاهر النور والبركة لكل من له من حسن الظن فى الأولياء نصيب .

ثم نشرع الآن فى تبيين الأصول ، وتخريج الفصول من المنقول فنقول : قال الله تعالى : (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) وقال تعالى : (قد أفلح

من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقال تعالى : (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى : (فسبح باسم ربك العظيم) .

القول فى الاسم الأعظم

وهذا الذكر الذى أورده هنا سيدنا عمر هو الاسم الأعظم كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى فى حزبه المسمى بحزب النور اللهم إنى أسألك بالاسم الأعظم الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، فهذا دليل أن المراد فى هذا بالاسم هو الأعظم . لا ما أومأت إليه الأقوال المخالفة فيما ذكره بعض الشراح لحزب البحر اهـ .

وقال فى موضع آخر من حزب النور جل ربى أن يوجد بشىء أو يفقد بشىء إنه لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم . فافهم أن المراد الاسم الأعظم ، ولهم فى تعيين الاسم الأعظم كلام مختلف . وقول الأعظم إنه الله والحى القيوم ولا إله إلا الله ويا الله يارحمن يارحيم ياحى يا قيوم ياذا الجلال والاكرام ياإلهنا وإله كل شىء إلها واحداً لا إله إلا أنت ، ويمكن أن يقال إن كل من فتح الله عليه باسم من أسمائه الحسنى ذوات النور الأسنى فهو الأعظم فى حقه . ومن هنا قيل لبعضهم علمنى اسم الله الأعظم فقال للقائل : وأنت علمنى اسم الله الأصغر فافهم والله أعلم .

وكتابنا هذا مشحون من التعريفات بمعرفة هذا الاسم الميمون ، فأين المشمرون المغتنمون لتلك المغانم النادرة التى لا يعقلها إلا العالمون .

(ومعنى سبح) أى اذكره بالتنزيه بتلاوة أسمائه العظام لتحظى بنيل المرام وتبلغ أعالى كل مقام .

ما ورد فى فضل هذا الذكر

ولنذكر الآن بعض ما ورد فى الحديث الشريف من منافع هذا الذكر بحسب الطاقة وإمعان التفكر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات إلا لم يضره شىء » رواه الترمذى وأبو داود وعثمان بن عفان ، قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، قال النووى : هذا اللفظ للترمذى ، وفى رواية أبى داود لم تصبه فجاءة بلاء .

وقال العلامة الفقيه الطبيب إبراهيم بن عبد الرحمن بن على الأزرق ، فى كتابه تسهيل المنافع : روينا فى بعض كتب الطب عن أنس قال : جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إنى رجل سقيم ولا يستقيم الطعام والشراب فى معدتى فادع الله لى بالصحة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أكلت طعاماً أو شربت شراباً فقل : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم يا حى يا قيوم ، فإنه لا يضرك داء وإن كان عظيما اهـ .

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن على الحنفى فى شرحه على اللمعة البونية فى الكلام على اسمه تعالى « باسط » أن جارية لأبى الدرداء أطعمته السم أربعين مرة فما ضره لأنه كان يقول بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم كلما أراد الأكل .

وذكر ابن ظفر فى كتابه النصائح كما نقله عنه الدميرى[1] فى كتاب حياة

---

(١) هو أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميرى المصرى الشافعى ولد ونشأ بالقاهرة وتوفى بها سنة ٨٠٨ هـ كان خياطا ثم أقبل على العلم ودرس وأفتى وكانت له حلقة بالأزهر وأقام مدة بمكة والمدينة وله أرجوزة فى الفقه وكتاب الحيوان .

الحيوان . وقال : فيه إنها قالت لأبي الدرداء من أي جنس أنت . قال أنا آدمي مثلك قالت كيف تكون آدميا وقد أطعمتك السم أربعين مرة فلم يضرك . فقال أما علمت أن ذاكري الله تعالى لا يضرهم شيء وإني كنت أذكر الله باسمه الأعظم . قالت وما هو قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثم قال وما الذي حملك على ذلك . قالت بغضك . قال أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت في حل مما صنعت انتهى .

وروى الطبراني في كتاب الدعوات عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال إذا ركب دابة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء سبحانه ليس له سمي سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام إلا قالت الدابة بارك الله عليك وأنجح حاجتك ، نقله الدميري أيضاً في كتاب الحيوان في أول حرف الدال المهملة عند ذكر الدابة .

ما قيل في كلام الحيوانات والجمادات

قلت ولا نستبعد قول الدابة لهذا القائل هذا الذكر : بارك الله عليك وأنجح حاجتك . فإن الشعراني نقل من كلام الدواب والحيوانات بل والجمادات جملة في[1] كتابه العهود فمن ذلك أن بعضهم ركب أتاناً فخطر بباله ياليت شعري هل أنا أفضل من هذه الأتان أم هي أفضل مني . فقالت له الأتان

---

(١) التقرر أن ما كان معجزة لنبي يجوز أن يقع كرامة لولي فإذا لم يكن المقول له في هذه العبارات من الأولياء كانت هذه الحكايات مما وضع على ألسنة الحيوانات والجماد للموعظة والتنبيه قصصاً في تمكينها في النفوس فضل تمكين وذلك أسلوب معروف قديماً والله أعلم .

بل أنا أفضل منك لأني حملتك من موضع كذا إلى هذا الموضع وأنت لا تقدر على أن تحملني خطوة واحدة فقال لها وأنت تفهمين الخطاب . فقالت كيف اطلعت على خاطرك الذي في ضميرك ولا أفهم القول الذي تقوله بلسانك ثم قالت أما علمت أنه البارحة ركبني رجل قعو العجيزتين سمين فأثقلني فحين بلغت به المكان الفلاني قال قومي لك العثير (١) فهلا قال قومي رحمك الله وسقى مراعيك .

وقال الشعراني عند ذكر كلام الجمادات إن الشيخ فلانا تخلى في مكان فلما أراد الاستنجاء كان كلما أمسك حجارة ليستنجي بها قالت له بالله عليك لا تنجسني فلما أعياه ذلك قال ـ لواحدة من الحجارة حين أمسكها وقالت له ذلك بالله على أن أنجسك لأن الله ورسوله قد أمراني بذلك .

بركة الابتداء بذكر اسم الله تعالى

قال الشيخ شرف الدين الشاذلي في كتابه « اللطيفة المرضية » الذي شرح به حزب البحر للإمام أبي الحسن الشاذلي نفع الله بهما عند قوله بسم الله بأبينا أعلم أن الله تعالى شرع للعبد إذا ابتدأ في شيء أن يذكر اسم الله تعالى عنده إشعارا له بأن كل شيء كائن باسم الله تعالى فيعلم ذلك فيقوي إيمانه ويتأكد ، وأيضاً إنه إذا ذكر اسمه تعالى في شيء بورك له في ذلك الشيء ، كما بين ذلك في الحديث فيبقى القليل كثيراً والضار نافعاً ببركة اسمه تعالى كما جاء عن موسى عليه السلام أنه اعتل فقيل له اذهب إلى غار كذا ففيه نبات فيه شفاؤك فذهب فاستعمله فشفاه الله تعالى ثم اعتل بمثل تلك العلة بعد وقت فذهب فاستعمل ذلك النبات فلم يشف فقال يا رب العلة واحدة والنبات واحد فما هذا ، قال لأنك في المرة الأولى ذهبت بأمرنا فشفيناك وفي هذه المرة ذهبت بنفسك فلم

(١) أي الكبوة يدعو عليها بذلك .

تشف ألم تعلم ياموسى أن الدنيا وما فيها سم قاتل و إنما يصلحها ذكر الله تعالى عليها . قال وهذا من تأديب الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام حتى لا يتملقوا بشيء سواه وليكونوا لعباده قدوة .

ثم قال إذا علمت ذلك فلا شيء يفتح بابه إلا باسم الله تعالى فى الحقيقة فإن ذكره المؤمن بورك له لقيامه بعبوديته فحق على العبد أن لا يفعل شيئاً ولا يفتح باب شيء حتى يذكر اسم الله تعالى عليه ليقوى إيمانه وليقارن أفعاله ببركات اسم الله تعالى عليه .

قال واعلم أنه ما من شيء يخرج من العدم إلى الوجود إلا ببركات اسم الله تعالى و بقدرته حركة كانت أو سكنة ، نظرة كانت أو خطرة فى السماء أو فى الأرض فعلا كان أو ذاتاً فالغيب مغلق على الإنسان حتى يفتح بابه بقدرة الله تعالى وعظيم تدبيره و إنشائه كما قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) وأعلمك تعالى أن مفاتح الغيب عنده يفتح بها أبواب غيبه فيخرج ما يشاء من العدم إلى الوجود . وقد سمى نفسه الفتاح العليم إلى آخر كلامه .

وأورد الكلاعى فى كتاب السيرة المسماة بالاكتفاء : أن سيف الله خالد بن الوليد رضى الله عنه لما فتح الحيرة بالعراق ، بعد ما قفل من اليمامة والشام خرج إليه عمرو بن بقيلة رأس من رؤساء الحيرة نخاطبه فرآه خالد معلقاً كيساً فى حقويه فتناول خالد الكيس ونثر ما فيه فى راحته . وقال : ما هذا يا عمرو ، قال : هذا سم ساعة ، قال : ولم تخفيه ، قال : خشيت أن تكون على غير ما رأيت والموت أحب إلى من مكروه أدخله على قومى ، فقال خالد : إنه لن تموت نفس حتى يأتى عليها أجلها ، وقال : بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء الذى لا يضر مع اسمه داء ، وابتلع السم فلم يضره فقال عمرو : يا معشر العرب والله لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن اه .

وفى كتاب النصائح لابن ظفر كما نقله الدميرى عنه أن خالدا لما وضع السم فى راحته وأراد شربه قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم شربه ويقال إنه شرب عليه ماء فضرب بذقنه على صدره وغشيه عرق ثم سرى عنه فانصرف الرجل إلى قومه . وقال لهم جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ماشاء وأخرجوه من أرضكم راضيا فهؤلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى .

ومن غرائب ماحكى عن كسرى أحد ملوك الفرس أنه أحضر سمّ ساعة وجعله فى قارورة وخبأه فى خزانته الخاصة وكتب عليه هذا ترياق من شربه زاده فى قوة الباه أضعافاً مضاعفة على العادة . فاتفق أن ولده قتله واحتاز خزانته فلما فتح الخزانة المذكورة وقرأ تلك الأرقام المسطورة أكل من الحلوى المذخورة فمات فى ساعته فانظر فى حيل الملوك وأخذها بالثأر وهى فى الثرى انتهى .

فائدة

ينفع لوجع الرأس ، يضع العازم يده على رأس الوجيع ويقول بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذى اسمه بركة وشفاء بسم الله الذى [illegible] الشفاء ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه سمّ ولا داء ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم يكرر ذلك ثلاث مرات أو سبع مرات يبرأ باذن الله تعالى اهـ من كتاب الفوائد للشيخ أبى [illegible] الشرجى الحنفى .

فائدة أخرى

فى كتاب الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن أبى القهائل مما سمعه

على الإمام الفقيه مفتي الحرمين الشريفين أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف (١) اليمني في مكة مما أخرجه من مسموعاته محذوف الأسانيد قال يكتب لكل شيء من المرض والصداع والشقيقة والحمى والمايلة والعين والنفس والصرع وأنواع الجنون والفزع وجميع الآفات وغير ذلك . بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أعيذ حامل كتابي هذا بوجه الكريم العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات كلها التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها ومالم أعلم من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون من شر نفثهم ونفخهم ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم هذا الغلام أو هذه الأمة أو هذه الدابة انك على كل شيء قدير .

فائدة

روى الدميري في حياة الحيوان عن الإمام الحافظ فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان النووي نزيل مكة المشرفة أنه قال كنت أقرأ بمكة الفرائض على الشيخ تقي الدين بن الجوزاني فبينما نحن جلوس وإذا بعقرب تمشي فأخذها الشيخ بيده وجعل يقلبها فوضعت الكتاب من يدي . فقال أقرأ فقلت حتى أتعلم هذه الفائدة . قال هي عندك . قلت ماهي قال ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسي بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شي في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره شيء وقد قلتها أول النهار .

---

(١) هو الفقيه الشافعي اليمني محمد بن إسماعيل بن علي بن أبي الصيف أصله من زبيد وأقام بمكة وتوفي بها سنة ٦٠٩ ﻫ أو سنة ٦٠٧ وله كتب منها الأربعون حديثا جمعها عن أربعين شيخا من أربعين مدينة وكتاب اسمه زيارة الطائف اﻫ من الأعلام .

خاتمة

قال شرف الدين فى آخر كتابه اللطيفة المرتبة عند شرح هذا الذكر وهذا دعاء جليل مأثور عظيم النفع والبركة ينبغى للعبد أن يلازمه كل صباح ومساء ، فقد ثبت فى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شىء » رواه الترمذى فى جامعه ، وقال فيه حديث حسن غريب صحيح وقال رواه غيره .

وفيه أن أبان بن عثمان رواه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه . وروى أبو الزناد عن أبان وكان أصاب أبانا فالج فجعل الرجل ينظر إليه . فقال له أبان : ما تنظر أما الحديث فهو كما حدثتك ولكنى لم أقله يومئذ ليقضى الله تعالى علىّ قدره .

ثم قال فانظر إلى عظيم قدر هذا الحديث يعنى هذا الذكر وجليل فائدته أنه يصان العبد ببركات ذكره من كل ضر فى الدين والدنيا لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : إذ معناه لم يضره شىء ، فيكون فى صون ذكر الله تعالى وبركات كلام نبيه صلى الله عليه وسلم . وذلك مع تحقيق الإيمان وتصديق القلب وقوة اليقين فيصان العبد على حسب يقينه عند ذكره ؛ قال ولن يعدم العبد المؤمن خيراً وإن نزل مقامه عن الرتبة العليا لعموم بركات الكلام والذكر . قال وقوله عليه الصلاة والسلام عام فى نفى الضر مطلقاً أى لا يضره شىء ما . قال وشىء فى سياق النفى يعم وكذلك الفعل فى سياق النفى والنفى عام والفاء جواب للنفى المتقدم أى أن الضرر منتف عند وجود القول أى لا يجتمعان فالوجه إذا نصب فيضره شىء لأن المعنى عليه ، وهذا مثل ما ذكر سيبويه

رحمه الله فى الكتاب فى مسألة ما تأتينا فتحدثنا على أحد وجهى النصب واستشهد بقوله تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا) .

قال وقوله صلى الله عليه وسلم بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم يحتمل أربعة معان (أحدها) أن يكون قوله الله مدلوله الذات المعظمة أى باسم الله ربنا تعالى اسمه . من أسمائه الحسنى إذا ذكر كان دافعا للضرر ويكون قوله هو السميع العليم راجعا إلى مدلول اسم الله تعالى (المعنى الثانى) أن يكون باسم أى هذا الاسم الخاص الذى هو الله وخاصية الذكر به تحصيل هذا النفع المقصود فكأنه قال باسم الذى هو الله أحد الأسماء الحسنى ويكون المضاف هاهنا هو المضاف إليه كقوله إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ويكون الضمير والصفتان عائدة إليه على أن الاسم هو المسمى .

(المعنى الثالث) أن يكون باسم الله الذى إذا ذكر باسم الله الذى يكون أثر الذكر به هذا وأثوبه وإن لم يكن مذكورا أى بسم الله الذى هذا الأثر أثر التذكر به لكن على هذا عين ذلك الاسم غير مذكور هنا ويكون صلى الله عليه وسلم استأثر بعلمه وعلم هذا الذكر فيحصل المقصود بما أخذ عنه صلى الله عليه وسلم وإن كان الذاكر لا يعلم عين ذلك كما يقول لا من أسألك باسمك الأعظم وإن كان لا يعلم عينه وكما جاء فى الحديث المشهور أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك . فقد شرع السؤال بأسماء لا يعلم معانى .

(المعنى الرابع) أن يكون الاسم هو الله ولهذا الاسم خواص عظمى عند الذكر به لكن على حسب حضور الذاكر وعلمه ووجهة قلبه وتوجهه

وقصده وقراءته بذكر ما . وأسماء خاصة فتكون البركة والنفع على حسب ذلك والرسول صلى الله عليه وسلم أطلعه الله على ما شاء من علمه فاذا علمه صلى الله عليه وسلم فله من النفع والبركة مالا يطلع عليه عموم العباد فيكون الاسم الذى هو الله إذا قرن بالاسمين الجليلين اللذين هما الرحمن الرحيم كان له ضروب من البركات والمثوبات والخيرات إلى مالا يستطاع حصره وكذلك عموم الأذكار والعبادات التى وفق الله تعالى عباده المؤمنين لفعلها أسرارُها عظيمة . وخيورها وبركاتها جسيمة . يقع الإيمان بالثواب عليها ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله .

وإذا قرن الاسم بما ذكره صلى الله عليه وسلم من قوله بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء بالاسمين العظيمين اللذين هما السميع العليم يكون للعبد الذاكر ما وعد صلى الله عليه وسلم من النفع والبركة إلى غير ذلك قال وبسط شيء من ذلك مما يبدو من علم معانى الأسماء .

والأذكار بحر عظيم والمقصود التنبيه على فضيلة هذا الذكر فينبغى للعبد المؤمن أن يلازمه صباحاً ومساء كما ذكره صلى الله عليه وسلم لتحصل له هذه البركة العظيمة ودفع الضرر عنه وله مع ذلك الثواب على الذكر مع حصول فائدته لأن ذكر الله تعالى يثاب العبد على فعله . وله أيضاً بركات متابعته صلى الله عليه وسلم وامتثال أمره فكل ذلك خيرات وفضل من الله تعالى عظيم انتهى من اللطيفة المرضية .

(فائدة) أما قوله بسم الله فسيأتى شرح معناه عند قول سيدى عمر بسم الله الرحمن الرحيم وعند قوله بسم الله تحصنا بالله وسيأتى هناك كثير من فضائل التسمية وأحكامها وفوائدها ومنافعها ، وأما معنى الجلالة وشرحها فتقدم عند قوله أعوذ بالله السميع العليم . وأما لفظة الذى ولفظة لا النافية ولفظة مع ولفظة

شىء ولفظة فى ولفظة لا مع الواو فيطلب إعرابهن من كتب الفن لأن تعرضنا لذلك نادر فى هذا الشرح فلا نطول به مع التطويل فى الفضائل وإن كان الطالب لا يستغنى عنه ولا يفهم مقاصد الأشياء إلا به ومنه فقد أشرنا إليه ونبهناه عليه وأغريناه به والله أعلم.

الذكر الرابع وشرحه

ثم أورد سيدنا عمر رضى الله عنه هذا الذكر الجامع لمعانى توحيد الله السميع العليم . الذى هو الشفاء لكل سقيم : وهو الكنز الغنى المغنى لكل بائس وعديم زهو.

بسم الله الرحمن الرحيم

(ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم « عشراً »)

قال الشيخ على : وذلك من أرفع الأذكار فيكرره الذاكر عشراً وذلك لرفعة مرتبته وعلو منزلته لأنه أتى بهذا الاسم الأعظم بمظهر الرحمة العامة والرحمات المدخرة التى إليها منتهى سير الدارين ونهاية منتهى التكوين وهو الرحمة الوجوبية . والامتنانية التى وسعت كل شىء وأثر هذه الرحمة نفى الحول والفعل والقوى والقوة فناء القوى الوجودية بتجلى حضرة القهر والبقاء لأنه صار مستمداً من كليته فى جميع أحواله فى حضرة التحول الباليات بى يسمع وبى يبصر تعالى الله عن التكييف ولأن له المثل العظيم والظهور العظيم فى المحسوسات والمعنويات والحركات والسكنات ظهوراً كلياً لا يقابل ولا يصاول ولا يحاول . ولذا قيل بسم الله حراسة العالم السماوى عن الأرواح الخارجية الهوائية عن استراق السمع . ولذا قيل إذا قابلتها الجن والشياطين ذابت كما يذوب

الرصاص من النار وتحرق وتموت أو تخبل . وكانت هذه التسمية عشراً لعلو مرتبتها وتعالى محتدها بالمراتب الأبدية وللظاهر الأزلية . انتهى .

ونحن نقول أعلم أن فضائل هذا الذكر لاتتناهى ولا يمكن الاحاطة بأدناها فضلا عن أقصاها وأسناها إذ هي من فواضل الفضائل وهي البحر الذى لا يدرى له ساحل . ونحن نشير إلى يسير من كثير فنقول .

أما الآيات فقد قال تعالى (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وقال تعالى (أن القوة لله جميعاً) وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقال تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) وقال تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه أبو هريرة رضى الله عنه « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول فمن قالها ثم قال لا منجا من الله إلا إليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر أخرجه الترمذى .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرج العقيلى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن ألا أعلمك كلمات تقولهن: إذا أصبحت وإذا أمسيت فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قالهن ثلاثاً فانهن شفاء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم .

وفيه قال خرج ابن وهب فى جامعه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يقول يا ابن آدم ثلاث : لى واحدة ولك واحدة . وواحدة بينى وبينك . فاما التى لى فأن تعبدنى ولا تشرك بى شيئاً ، وأما التى بينى وبينك فان سألتنى أعطيتك . وأما التى لك بان تكثر عندى كنزاً لآخرنك . أن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

وفيه خرج البزار فى مسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم أن أصل رحمى وإن أدبرت . وأن أقول الحق وإن كان مراً . وأن لا تأخذنى فى الله لومة لائم . وأن أنظر إلى من تحتى ولا أنظر إلى من فوقى . وأن أجالس المساكين وأن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال فى اليوم عشر مرات . بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ووقاه الله سبعين باباً من بلاء الدنيا مثل الجنون والجذام والبرص والريح والفالج وكان أعظم عند الله من سبعين حجة وعمرة متقبلة بعد حجة الإسلام ووكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى الليل وهى رقية من تسعة وتسعين داء . رواه فى الأربعين المخرره ونقله صاحب كتاب الخفائق عن رباح ابن ثابت عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى من قال لا حول ولا قوة إلا بالله قضى الله له مائة حاجة ثمانون منها فى الآخرة وعشرون فى الدنيا .

وقال عليه السلام يا على ألا أعلمك كلمات إذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإن الله تبارك وتعالى يصرف بها ما يشاء من البلاء رواه ابن السنى . قال الإمام النووى بعد نقله .

والورطة خوف الهلاك . وخرج العقيلى حديث أكثروا من لاحول ولا قوة إلا بالله فانها تدفع سبعين باباً من الشر أدناها الهم . وسيأتى ذلك قريباً . وسيأتى أنها كنز من كنوز الجنة .

ومن فضائلها أنها سبب لبقاء نعم قائلها وجلب خيرى الدنيا والآخرة وينظر الله إليه كذا جاءت به أحاديث .

وفى حديث أخرجه الجندى فى فضائل مكة ونقله الفاكهى فى شرح البداية لما حج إبراهيم بعد بنائه البيت فلقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه فقال ماذا تقولون فى طوافكم . فقالوا كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقال إبراهيم زيدوا فيها العلى العظيم فقالت الملائكة الكلمة انتهى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود القرآن[١] سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته أخرجه أصحاب السنن ونقله العلامة عبد الرحمن بن على الشهير بابن الديبع[٢] فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول ، وقال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح إخلاصك بالتبرى من الحول والقوة ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم بن عباد[٣] فى شرح الحكم . وقال الشيخ على بن محمد وفا الاسكندرى

(١) أى سجود التلاوة .

(٢) الشيبانى الزبيدى الشافعى المحدث المؤرخ المتوفى بزبيد سنة ٩٤٤ هـ .

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن عبدالله المعروف بابن عباد الحميرى الرندى من أهل رنده بالاندلس تنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وطنجه واستقر خطيبا لمسجد القرويين بفاس وتوفى بها سنة ٧٩٢ هـ وله غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية وغيره .

المصرى[1] إذا ذكرت ذنوبك فلا تقل لا حول ولا قوة إلا بالله فانك به تبرىء نفسك منها وتضيفها إلى حول الحق وقوته وتريد عدم الحجة عليك بل قل رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم .

ورأيت فى بعض التعاليق لبعض العلماء من أهل التحقيق أن المسجون أو المأسور إذا قال ما شاء الله كن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ألف مرة فى مجلس واحد خلصه الله تعالى معجلا قد جرب ذلك وصح والحمد لله »قلت وإذا قرأ المسجون أو المأسور فى حبسه قوله تعالى ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين مكرراً ذلك فرج الله عنه وأخرجه من حبسه بحوله وقوته[2] . وقد وقع ذلك لبعض الصالحين مع الحجاج بن يوسف الثقفى . وإذا قرأ قوله تعالى (وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بى إذا أخرجنى من السجن وجاءبكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم) يكررها مراراً أخرجه الله من السجن بخفى لطفه ولطف مشيئته .

وفى كتاب الفوائد للشرجى من قرأ بين سنة الصبح والفريضة سورة الفيل ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل إلى آخر السورة إحدى وأربعين مرة وذكر هذه الأسماء العدد المذكور وهى . الله القادر المقتدر القاهر كل جبار عنيد . ناصر الحق حيث كان له الحول والقوة إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم خامدون . من فعل ذلك رأى فى عدوه ما يسره فليتق الله ولا يعلمه إلا لمستحق .

وفى الكتاب المذكور عن بعض العلماء أنه قال من صلى الصبح ثم قال بعد

---

(١) توفى بمصر سنة ٨٠٧ هـ وقد ذمه السخاوى .

(٢) أى إذا كان خروجه معلقا أزلا على الاتيان بهذا الدعاء .

الصلاة قبل أن يتكلم بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ياحى ياقيوم ياقديم ياقائم يافرد ياوتر ياأحد ياصمد مائة مرة ثم سجد وسأل الله حاجته فانها تقضى كائنة ما كانت بإذن الله صحيح مجرب .

وقال سيدى الشيخ الفقيه عمر بن عبد الله مخرمه رضى الله عنه .

بالغريب انتهى بى السير وأوقف براقى

عند لا حول لا قوة فياهل السباق

من بغانيل غاية مترقى كل راق　　عند ليلى ولقياها بغير اختياق

يطرح الحول والقوة ويلقى الشقاق　　فالمجير المجير اسموا على الاتفاق

وادخلوا الباب بيعوا بزكم بالنفاق

واقصدوها بصافى الصدق قبل الغلاق

قبل لا ينبذ النقاد فلس النفاق　　حدوا السير هيا ياحداة النياق

لا تقولون بارفق بها يارفاق　　فان فى إتعابها الترويح يوم التلاق

يوم يختلى بها الغانى بعد ثم باق　　والذى عنده أنه لاقى أو با يلاقى

يتضح له هناك أنه بلا عيد شاق　　فالحذر والحذر والميس من لا ندماق

فيهقرتن قهقرى يأهل التسبيح والطراق

فانما يستقى ماءها لذيذ المذاق

فى حماها ويمنى بالمعانى الدقاق　　غير من سارى مسرى الجنيد العراقى

أعط المعيد حقها والزم له حسن الأدب　　واعلم أنك عبده فى كل حال وهو رب

وله أيضاً :

إذا نظرت بديع الصنع فى الصور　　وكنت فى ذ المنظور ذا بصر

فلا يكن لك تدبير هناك وقل　　ما ثم شىء سوى التسليم للقدر

فالله يفعل ما يشا فى بريته　　كما يشاء فاستعن بالله واصطبر

وقل أنا العبد لا حول لدى ولا لى قوة فى وجود النفع والضرر

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال كل يوم مائة مرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لم يصبه فقر أبداً رواه التقى بن فهد فى كتابه الجنة باذكار الكتاب والسنة . ونقله الفاكهى فى شرح البداية .

وروى الديلمى كما فى الجامع قال : قال عليه السلام يقول الله عز وجل قل لأمتك يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله عشراً عند الصباح وعشراً عند المساء وعشراً عند النوم أدفع عنهم عند النوم بلوى الدنيا وعند المساء مكائد الشيطان وعند الصباح غضبى .

وقال عليه السلام أربع من كنز الجنة إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من غرس الجنة فإنه عذب ماؤها طيب ترابها فاكثروا من غراسها لا حول ولا قوة بالله .

وقال الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن أحزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بتفسير لا حول ولا قوة بالله . لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله . ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله هكذا أخبرنى جبريل ياابن أم عبد رواه ابن النجار عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول أسلم عبدى واستسلم رواه أبو هريرة.

وقال أيضاً ألا أدلك على باب من أبواب الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله رواه قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى سيد الخزرج ونقله صاحب كتاب الحقائق من كتاب النسائى والترمذى بزيادة فيه عن قيس .

وقال صلى الله عليه وسلم كلام أهل السموات والأرض لا حول ولا قوة إلا بالله رواه أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله رواه الطبرانى عن عقبة بن عامر .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً قلنا يارسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً . فقال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله تقول اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم رواه الترمذى وقال حديث حسن .

ونقل صاحب الفصول المهمة فى مناقب الأئمة من كتاب نثر الدرر أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ذكر له أن موسى الهادى بن محمد المهدى العباسى تدهم به فقال لأهله ومن يليه ماتشيرون به على من الرأى فقالوا نرى أن تتباعد عنه وتغيب شخصك فإنه لا يؤمن شره فتبسم ثم قال :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ولتغلبن بغالب الغلاب

ثم إنه رفع رأسه إلى السماء فقال آلهى كم من عدو شحذلى ظبة مديته وذاف لى قواتل سمومه ولم تنم عين حراستك عنى فلما رأيت ضعفى عن احتمال القوادح وعجزى عن كلمات الجوائح صرفت ذلك عنى بحولك وقوتك لا بحولى وقوتى وألقيته فى الحفيرة التى احتفرها لى خائباً مما أمله فى دنياه

متباعداً عما يرجوه فى أخراه فلك الحمد على قدر ما عممتنى به من نعمتك وما توليتنى به من جودك وكرمك اللهم نخذه بقوتك واقلل حده عنى بقدرتك وأجعل له شغلا فيما يليه وعجزاً عما ينويه اللهم وأعد عليه عدوا حاضره يكون من غيظى شفاء ومن حنقى عليه وفاء وصل اللهم دعائى بالإجابة وأنظم شكايتى بالتغيير وعرفه عما قليل ماوعدت به الظالمين . وعرفنى ما وعدت به من الإجابة لعبيدك المضطرين إنك ذو الفضل العميم والمن الجسيم . ثم إن أهل بيته أنصرفوا عنه فما كان إلا مدة يسيرة حتى اجتمعوا لقراءة الكتاب الوارد على موسى الكاظم بموت موسى الهادى وفى ذلك يقول بعضهم :

وسارية لم تسر فى الأرض تبتغى محلا ولم يقطع بها الأرض قاطع

وروى أبو القاسم سليمان بن الحسن الطبرانى فى كتاب الدعوات باسناده عن سويد بن عقلة كما نقله عنه الدميرى قال أصابت على بن أبى طالب رضى الله عنه فاقة فقال لفاطمة رضى الله عنها لوأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته وكان عليه الصلاة والسلام عند أم أيمن رضى الله عنها فدقت الباب فقال صلى الله عليه وسلم لأم أيمن إن هذا لدق فاطمة ولقد أتتنا فى ساعة ماعودتنا أن تأتينا فى مثلها فقومى فافتحى لها الباب قال فقامت أم أيمن رضى الله عنها ففتحت لها الباب فلما دخلت قال صلى الله عليه وسلم لها يا فاطمة لقد أتيتينا فى ساعة ما عودتينا أن تأتينا فى مثلها فقالت رضى الله عنها يارسول الله هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتمجيد فما طعامنا فقال صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبياً ما اقتبس فى بيت آل محمد نار منذ ثلاثين يوماً وقد أتتنا أعنزة فإن شئت أمرت لك بخمسة أعنزة وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل عليه الصلاة والسلام آنفا قالت رضى الله عنها بل علمنى الخمس الكلمات قال صلى الله عليه وسلم قولى يا أول الأولين ويا آخر

الآخرين وياذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين . قال فانصرفت حتى دخلت على على رضى الله عنه فقالت ذهبت من عندك إلى الدنيا فأتيتك بالآخرة وذكرت له ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا يعجبه فقال ماشاء الله لاقوة إلا بالله لم تضره العين رواه ابن السنى .

وفى الاحياء أن هذه الكلمات وهى بسم الله ما شاء الله لاقوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله لايسوق الخير إلا الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله : من قالها ثلاثا إذا أصبح وإذا أمسى أمن من الغرق والحرق والسرق . وهن دعاء الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم .

وقال صلى الله عليه وسلم من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ومن أكل طعاما ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر . وروى أوله ابن السنى وغيره وروى أبو هريرة آخره والترمذى وأبو داود وغيرهم .

وقال صلى الله عليه وسلم لاحول ولاقوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم رواه ابن أبى الدنيا فى الفرج عن أبى هريرة وروى الإمام البخارى فى صحيحه بإسناده عن أبى موسى رضى الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعوا

على أنفسكم إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم . وأنا خلف دابه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسمعنى وأنا أقول لاحول ولا قوة إلا بالله فقال ياعبد الله بن قيس فقلت لبيك يارسول الله قال ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يارسول فداك أبي وأمي : قال لاحول ولاقوة إلا بالله وقوله أربعوا هو بفتح الباء الموحدة من تحت قاله القاضي عياض : وقال الإمام محيى الدين النووى فى شرح صحيح مسلم أربعوا بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة . ومعناه أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس باصم ولاغائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة ثم قال النووى ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه إلا فى مواضعه التى ورد الشرع برفعه فيها كالتلبية وغيرها فانه إذا خفضه كان أبلغ فى توقيره وتعظيمه .

رفع الصوت بالذكر وخفضه

(قلت) وقد اختلف العلماء فى رفع الصوت بالذكر وخفضه أيهما أفضل . فرجح قوم السر بالذكر وقد سمعت مامر فى هذا الحديث وما قاله النووى فى تفسيره من الإشارة إلى فضيلة الخفض بالذكر والخفية . وقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين). وقوله تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين). ولقوله صلى الله عليه وسلم يفضل الذكر الخفى على الذى تسمعه الحفظة بسبعين ضعفاً ولما صح أنه قيل لابن مسعود رضى الله عنه إن قوماً اجتمعوا فى المسجد يهللون ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويرفعون الأصوات فذهب إليهم ابن مسعود رضى الله عنه وقال ما عهدنا هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وما أراكم إلا مبتدعين فما زال يذكر ذلك حتى أخرجهم من المسجد .

ورجح قوم الجهر بالذكر وحجتهم أقوى ودلائلهم أظهر لأن الجهر بالذكر هو أصل إقامة شعار الإسلام وإشاعة منار الدين ونصب الأعلام ومنه الأذان لكل فريضة وتكبيرة الإحرام التى هى مفتاح الصلوات وتكبيرات الانتقالات فيها والتكبير المسنون على كل شرف وإقامة مناسك الحج بالتلبية والتكبير وضجيج الحجيج بالعجيج والثجيج .

وكذلك قراءة القرآن فالأفضل فيها الجهر لأن الجهر به فى الصلوات إنما شرع حين يسكن الخلق فى ظلام الليل وهى المغرب والعشاء والصبح ، وآمين من الإمام والمأمومين بعد تمام الفاتحة بالجهر واستعمال مقام المذكرين والمؤذنين فى مكة شرفها الله تعالى والاستغفار بالاسحار خصوصاً إذا قال صاحب زمزم يا أرحم الراحمين وضجت أرجاء مكة شرفها الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقام الذين هم محسنون الذين هم قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون من أدل الدلائل على أفضلية الجهر بالذكر لله وفحوى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله تعالى (فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) الشكر إظهار الشيء والكفر إخفاؤه وذلك يعطى أن المراد الجهر بذكر الله وإشاعته وإذاعته . وفى الحديث وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه . وحديث لا أحد أحب إليه المدح من الله والمدح لا يكون إلا جهراً قال الشاعر :

جهرت بمدحى فيه لا متلجلجا ومن مدح المحبوب لا يتلجلج

وكذلك الجهر بقراءة القرآن أفضل من الإسرار به لما صح عن أبى هريرة رضى الله عنه ما اذن الله لنبى ما اذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به رواه البخارى ومسلم .

وما قال لأبي موسى الأشعري « لقد أتيت مزماراً من مزامير آل داود » رواه البخاري ومسلم وما رواه ابن ماجه « لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » وما رواه أبو داود والنسائي « زينوا القرآن بأصواتكم » .

فهذه الدلائل من الآيات والأخبار تدل على أفضلية الجهر بذكر الله وشكره وأنه أولى من إخفائه وستره وعمل النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه يوم العيدين هو وأصحابه يجهرون بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) وقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) التعزيز هو رفع الصوت بالحمد والثناء والتكبير ولا ينبئك مثل خبير ؛ وأما حديث ابن مسعود فدليله منه أنهم اجتمعوا جماعة يذكرون الله وغالبهم صحابة وتابعون من أهل القرن الأول فخاصمهم ابن مسعود وحده وأنكر عليهم الجهر بالذكر لله وهم الكثير والجم الغفير وابن مسعود قد خالف الجماهير في جملة من القواعد والأحكام حتى إنه لم يثبت المعوذتين في مصحفه وحتى إنه نابذ الصحابة ومات مغاضباً لعثمان . وكل يؤخذ من كلامه ويترك من كلامه إلا الأنبياء على أن اختلاف هذه الأمة رحمة .

وحديث أبي موسى الذي نهاهم فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهر إنما هو ليعرفهم أن الله سبحانه قريب منهم لأنهم جهروا بالأصوات ورفعوها بالنداء فشم منهم النبي صلى الله عليه وسلم رائحة اعتقاد بعد المنادى فأراد أن يزيل ذلك بالتعريف لهم بقرب ربهم منهم كما أشار إليه النووي فيما تقدم من نقلي ذلك عنه .

وأما إنكار من أنكر الجهر بالذكر فيرده عمل الأئمة من السلف بالتوحيد المعروف ولا سيما وقد أخذه الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس وغيره من الأئمة العارفين . كما عنده أخذه بالإسناد إلى الشيخ محيي الدين

عبد القادر الجيلانى وإسناد الشيخ عبد القادر إلى الحسين بن على بن أبى طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حققته فى الجزء الأول من هذا الكتاب عند ذكر أخذ سيدى عمر ذكر التوحيد بالجهر المعروف بعد الصلوات وهو عمر كما تعرف أيها المرء .

وأما العلة فى منع الجهر بالذكر فلم أدر ما هى إلا إن قالوا أنهم ربما يكون فيه تشبه بمن يظهر خلاف ما يضمر فهذا محله النية . والنية محلها القلب الذى لا يطلع على ما فيه إلا مقلب القلوب ولا شك أن الأعمال بالنيات أى قبولها بحسن النية والإخلاص وردها بعدم ذلك .

والحاصل أن الله قد بين فضل الاقتصاد بين الجهر المنكر والاخفات الذى لا يظهر وحقق أن خير الأمور أوسطها بقوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) ففهم والله أعلم وأحكم والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم .

تتميم معنى لا حول ولا قوة إلا بالله

ونعود إلى تمام ما تقدم فنقول فى هذا العقد المنظم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة . وقال النووى قال العلماء سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره . والعبد لا يملك شيئا من الأمر ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدخر فى الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم .

ثم قال : قال أهل اللغة الحول الحركة ، والحيلة أى لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى . وقيل معناه لا حول فى دفع شر ولا قوة

فى تحصيل خير إلا بالله . وقيل لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته . وحكى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وكله متقارب ؛ ثم قال قال أهل اللغة ويعبر عن هذه الكلمة بالحوقلة والحولقة وبالأول جزم الأزهرى والجمهور . وبالثانى الجوهرى ويقال أيضاً لا حيل ولا قوة فى لغة عربية حكاها الجوهرى وغيره .

فضل لا حول ولا قوه إلا الله

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الخضر والياس يلتقيان كل عام بالموسم ويفترقان على هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما بكم من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . قال ابن عباس رضى الله عنهما من قالهن ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الحرق والغرق والسرق والسلطان والشيطان والحية والعقرب . وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقى العدو أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وذكر ابن أبى الدنيا أن قوماً مسلمين حاصروا حصناً فى الروم فقالولها وكبروا فانهزم الروم وانصدع الحصن ، وذكر أيضاً عن جماعة من مشايخه أنهم بلغهم أنه لما خلق الله تعالى حملة العرش أمرهم بحمله فقالوا يا ربنا لا نطيق ذلك فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالوها فحملوه .

قال ولهذه الكلمة تأثير عظيم فى معاناة الأشغال الصعبة وتحمل المشاق . وفى الدخول على من يخاف شره .

ومن منافع لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وغيرها من الأذكار

ما جاء فى حديث أبى الدرداء وذلك أنه جاءه رجل فقال له قد احترقت دارك . فقال ما كان الله ليفعل ذلك فبينما هو كذلك إذ أتاه آت آخر فقال له إن النار لما دنت من دارك طفئت وخمدت . فقال قد علمت ذلك . فقيل له ما أدراك إنا لا ندرى أى قوليك أعجب . فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شىء وقد قلتهن فى يومى هذا . قيل وما هن . قال هن اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم .

وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر . وصنائع المعروف تقى مصارع السوء . وقول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تدفع عن قائلها سبعة وسبعين بابا من البلاء أدناها زوال همه . ومن أهان فقيراً مسلماً لفقره واستخف به أهانه الله يوم القيامة على رؤس الأشهاد واستخف به .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه اجتمعت برجل فى سياحتى فأوصانى فقال ليس شىء فى الأقوال أعون على الأفعال من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم . وليس شىء فى الأفعال أعون من الفرار إلى الله والاعتصام بالله من قول واعتصموا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . وقال إن أردت أن يكون الحق تعالى راضياً عنك فتبرأ من نفسك ومن حولك وقوتك إليه .

وفى صحيح البخارى بسنده إلى أبى موسى قال كنا مع النبى صلى الله عليه

وسلم فى سفر فكنا إذا علونا كبّرنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكن تدعون سميعاً بصيرا ثم أتى على وأنا أقول فى نفسى لا حول ولا قوة إلا بالله فقال ياعبد الله بن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة أو قال ألا أدلك على كلمة هى كنز من كنوز الجنة . لا حول ولا قوة إلا بالله . وتقدم هذا الحديث قريباً بشرحه وتكلمنا عليه بما يشفى صدر طالب العلم ويؤذن بشرحه وإنما أعدناه لزيادة فيه ولأن إعادة الطيب طيبة وفى التكرار فوائد لا تخفى . وقد أعاده الامام البخارى وغيره فى كتابه الصحيح مراراً كثيرة . وقالوا بالتكرير يحصل التقرير وبالتقرير يحصل التأثير وبالتأثير يحصل التنوير . ولا ينبئك مثل خبير .

وعن بعض بنات النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول قولى حين تصبحين سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما . فمن قالها حين يصبح حفظ حتى يمسى . ومن قالها حين يمسى حفظ حتى يصبح .

وفى كتاب الفصول عن مالك بن أنس . قال قال جعفر الصادق لسفيان الثورى إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات . ياسفيان إذا أحزنك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح كل فرج وكنز من كنوز الجنة . وروى أن داود بن على العباسى قتل المعلى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق فأخذ ماله فبلغ ذلك جعفرا فدخل إلى داره ولم يزل ليله كله

قائماً إلى الصباح . ولما كان وقت السحر سمع منه فى مناجاته وهو يقول يا ذا القوة القوية ياذا المحال الشديد يا ذا العزة التى لا ترام كل خلقك لها ذليل اكفنا هذا الطاغية وانتقم لنا منه فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات بالصراخ وقيل مات داود بن على فجأة .

وفى الفوائد للشرجبى مما ينبغى أن يقال عند تجدد النعم قوله تعالى (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) .

وفى كتاب ربيع الأبرار أن المأمون الخليفة العباسى ابن هارون الرشيد أصابه صداع فعولج بالأدوية فلم ينفعه شىء منها فعلم به قيصر فوجه إليه قلنسوة وكتب إليه بلغنى صداعك فضع هذه القلنسوة على رأسك يذهب عنك الصداع ويسكن . فخاف المأمون أن تكون مسمومة فوضعها على رأس حاملها فلم تضره ثم وضعت على رأس مصدوع فسكن صداعه فوضعها على رأسه فسكن فتعجب ففتقها فإذا فيها رق فيه بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله فى عرق ساكن وغير ساكن حم عسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فصــــــل

فى النهى عن الطيرة والحسد وسوء الظن والحث على التسليم والاستسلام ورد الحول والقوة إلى من تفرد بهما .

قال الله تعالى (وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله) أى شؤمهم جاء من عند الله وهو الذى قضى عليهم بذلك وقدّره وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع بقوله صلى الله عليه وسلم « الطيرة

شرك . وخيرها الفأل » وروى الطبرانى وابن أبى الدنيا أنهم قالوا يا رسول الله لا يسلم أحد منا من الطيرة والحسد والظن فما نصنع قال « إذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق » .

وعن أم كرز أنها قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول أقروا الطير على مَكِناتها[1] . قال الشافعى معنى الحديث أن علم العرب كان فى زجر الطير فكان الرجل منهم إذا أراد سفراً نخرج من بيته فمر على الطير فى مكانه نفره فإذا أخذ يميناً مضى فى حاجته . وإذا أخذ يساراً رجع فقال صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكناتها . وروى البيهقى أن إنساناً سأل يونس بن عبد الأعلى عن معنى هذا الحديث فقال إن الله يحب الحق إن الشافعى قال فى تفسيره كذا وكذا وكان الشافعى نسيج وحده فى هذه المعانى . وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . قالوا وما كفارة ذلك . قال أن يقول أحدهم اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته .

ثم قال الدميرى :

(تنبيه)

مذهب الشافعى كراهية أخذ الفأل من المصحف وجزم ابن عربى بتحريمه اه .

وعن سليمان ابن أبى بردة عن أبيه قال ذكرت الطيرة عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له من عرض له من هذه الطيرة شىء فليقل اللهم لاطير إلا طيرك

---

(١) مكناتها بفتح الميم وكسر الكاف وضمها أى بيضها جمع مكن ككتف ومكن بسكون الكاف وهو البيض .

ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وعن عروة بن عامر قال ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الأصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريضاً فيسمع ياسالم أو باغياً فيسمع يا واجد .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوَى ولا صفَر ولا هامة . قال أعرابى يا رسول الله ما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيأتى البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها . فقال صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول أخرجه الشيخان وأبو داود .

(قلت) واعلم أنه يجب على الإنسان أن لا يلقى نفسه إلى التهلكة بأن يدنو من مجذوم أو يقدم أرضاً معروفة بالوباء أو يترك التداوى ويزعم أن ذلك توكل على الله تعالى فإن الله سبحانه قد أمر بالتداوى ونهى عن الإلقاء باليد إلى التهلكة . ووردت أحاديث فيها الأمر بالتداوى، وذلك من باب الطب لا من باب العدوى . منها ما روى عن يحيى بن عبد بن بحير قال أخبرنى من سمع فروة بن مسيك المرادى رضى الله عنه يقول قلت يا رسول الله عندنا أرض يقال لها أبين هى أرض ريفنا وميرتنا وهى وبيئة فقال دعها عنك فإن من القرف التلف أخرجه أبو داود « الريف » الأرض ذات الزرع والخصب « والميرة » الطعام . « والقرف » الدنو من الشىء وكل شىء دانيته فقد قارفته . « والتلف » الهلاك . أراد أن من قرب من المريض ودنا منه تلف . نقل هذا الحديث الشيخ عبد الرحمن بن على الديبع فى كتابه « تيسير الوصول » . ونقله الأسيوطى فى كتابه « المنهج السوى والمنهل الروى فى الطب النبوى » ، ثم

نقل الأسيوطي قال الخطابي ليس هذا من باب العدوى وإنما هو من باب الطب فإن صلاح الأهوية من أعون الأشياء على صحة الأبدان عند الأطباء وفساد الهواء من أضرها وأسرعها إلى أسقام الأبدان عند الأطباء اهـ .

قلت : ومما جربته وعرفته أن الماء إذا دام مجراه على الطين والحصى يصعد منه بخار وخم حتى يفسد منه الهواء فيسرع المرض إلى كل من يدخل ذلك الوادي وهو مجرب في جهتنا في لحج وحَجْر وعقرون وغيظة عين وساه وخصوصاً وادي حجر ولهذا قلت :

لا تجى حَجْر واسمع قول في خط مشروح
حجر هي حشر بل هي قبر في ذبر مفتوح
أنت تنزل تبا الراحة وهي تطلب الروح
بعد ميرادها تطرح تصيرك مطروح
تقصر أعمار عامرها ولو حلها نوح
ما ترى ما جرى كم راح في الوعك مذبوح
من دَواعن ومن دَّين ونوح ولَشوح
يا عجب من حليم أسعف وهو قده منصوح
كل ماشفت نجدى حلها شفه مليوح
كيف يلقى بيده في المهالك من الدوح
مثل من قام في الميفا ولا هبه ملفوح
واعتذر بالقدر ثم خر من رأس لحلوح
ما هي إلا شبيه الثور بالكورناطوح
هي وعقرون والغيظة وساه أسدم السوح

ومنها ما روى عن الشريد بن سويد رضي الله عنه . قال كان في وفد

ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم إنا قد بايعناك فارجع أخرجه مسلم .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا يورد ممرض على مصح .

قال الإمام النووى فى مقدمة شرح صحيح مسلم ومثال الجمع بين حديث لا عدوى مع حديث لا يورد ممرض على مصح . أن الأمراض لا تعدى بطبعها ولكن جعل الله سبحانه وتعالى مخالطتها سبباً للاعداء فنفى فى الحديث الأول ما يعتقده الجاهلية من العدوى بطبعها وأرشد فى الثانى إلى مجانبة ما يحصل عنده الضرر عادة بقضاء الله وقدره وفعله .

وروى الإمام البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت[1] . قال بعض العلماء العيافة هى زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب كثيراً وهو كثير فى أشعارهم ، والطرق هو الضرب بالحصى الذى تفعله النساء . وقيل هو الخط بالرمل . والتطير التشاؤم بالشىء وأصله التطير بالسوانح والبوارح كالطير والظباء وغيرها وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير فى جلب نفع ولا دفع ضرر وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . قالوا السانح ما أتاك من الميسرة والبارح ضده من الطير وكانت العرب تتفاءل بالطير فتنفره فإن طار ميسره تطايروا ولم يقدموا عليه فنهى الشرع عن ذلك وهو التطير لأنه ورد أنه كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة حديث صحيح .

وقال صلى الله عليه وسلم ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه .

---

(١) الجبت : السحر والذى لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله تعالى اهـ .

ثم تلا (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الآية .

وقال عليه الصلاة والسلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا الحديث رواه أبو هريرة ، وقال عليه السلام إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل فذلك من سنتى .

وقال عليه السلام إياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

وقال عليه السلام لا يجتمع فى جوف عبد الإيمان والحسد .

ونقل السمهودى بسنده عن محمد بن عبد الرحمن بن خلاد قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على والفضل بن عباس فى مرض وفاته ، فخرج يعتمد عليهما حتى جلس على المنبر وعليه عصابة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد أيها الناس ماذا تستنكرون من موت نبيكم ألم ينع إليكم نفسه وتنع إليكم أنفسكم أم هل خلد أحد ممن قبلى فيمن بعثوا إليه فأخلد فيكم ألا إنى لاحق بربى ، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله بين أظهركم تقرءونه صباحاً ومساء فيه ما تأتون وما تدعون فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا إخواناً كما أمركم الله . ثم أوصيكم بعترتى أهل بيتى والأنصار الحديث .

وروى الإمام [البغوى] أيضاً بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة .

وعن قتادة قال خلقت هذه النجوم لثلاث جعلها الله زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة .

والله ما جعل فى نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته . إنما يفترون على الله الكذب ويتعللون بالنجوم أخرجه البخارى استشهاداً إلى قوله مالا علم له به. وأخرج باقيه رزين .

وروى مسلم وأبو داود والنسائى عن معاوية بن الحكم السلمى رضى الله عنه قال بينما أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرمانى القوم بأبصارهم . قلت : واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم يصمتوننى . فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة بأبى هو وأمى ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى ، ولكن قال إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هى التسبيح والتكبير وقراءة القرآن . فقلت يا رسول الله أنى حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام وأن منا رجالا يأتون الكهان . قال فلا تأتهم . قلت : وإن منا رجالا يتطيرون . قال ذلك شىء يجدونه فى صدورهم . قلت ومنا رجال يخطون . قال كان نبى من الأنبياء يخط من وافق خطه فذاك . قلت : وإنه كانت لى جارية ترعى غنما قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة . قال فعظم ذلك على . قلت : أفلا أعتقها . قال ائتنى بها فأتيته بها . فقال لها أين الله . قالت : فى السماء . قال من أنا . قالت : رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة ، الكهر الزبر والنهر . والتطير التشاؤم بالشىء . والخط هو الذى يفعله المنجم فى الرمل بأصابعه ويحكم عليه ويخرج به الضمير . والأسف الغضب . والصك الضرب واللطم .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه

كان يعنى الشؤم فى شىء ففى الفرس والمرأة والمسكن أخرجه الثلاثة البخارى ومسلم ومالك .

قلت : وسمعت عن بعض السلف أنه قال إن كان الشؤم فى شىء من الأيام فهو فى آخر ربوع من الشهر وهو يوم نحس مستمر لمن يحدث فيه سفراً أو عملاً من الأعمال . وقد جربت ذلك والله أعلم .

وعن بريدة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتطير من شىء وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه فإن أعجبه فرح به ورئى بشر ذلك فى وجهه . فإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه فرح بها و إن كرهه عرف ذلك فى وجهه أخرجه أبو داود .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع كلمة أعجبته قال أخذنا فالك من فيك أخرجه أبو داود .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع ياراشد يانجيح أخرجه الترمذى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك قالها ثلاثاً . وما منا إلا فيه ولكن الله يذهبه بالتوكل أخرجه أبو داود . قوله وما منا إلا فيه فيه محذوف وتقديره وما منا إلا من يعتريه التطير وتسبق إلى قلبه الكراهة . فحذف ذلك اختصاراً واعتماداً على فهم السامع :

فصل فى بقية فضائل هذا الذكر

روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال حى على الصلاة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حى على الفلاح فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر فقال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله. فقال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة رواه مسلم فى صحيحه ونقله إماما منا فى الأذكار ونقل فيه أيضاً من كتاب ابن السنى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت.

فضل الاستعانة بحول الله وقوته

ولنذكر هنا شيئاً مما يحكى من عظيم قدرة الله وعجيب صنعه وخفى لطفه وحكيم بدعه وسرعة إجابته لمن استغاث بحوله وقوته.

حكى صاحب كتاب زهر الاكام عن بعض السادة قال بينما أنا أطوف بالكعبة فى ليلة مظلمة إذ سمعت صوتاً وأنينا ينطق من قلب حزين وهو يقول يا كريم يا كريم عهدك ولطفك القديم فان قلبى على العهد مقيم. قال فتطاير قلبى لسماع ذلك الصوت فقصدت نحوه فاذا هى امرأة فقلت السلام عليك ياأمة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقلت سألتك بالله العظيم ما العهد

القديم الذى قلبك عليه مقيم . فقالت لولا قسمك بالجبار لما أطلعتك على الأسرار
أنظر إلى هذا النائم بين يدى فاذا صبىٌ يغط فى نومه . خرجت وأنا حامل به
لأحج بيت الله الحرام فركبت البحر فى سفينة فهاجت الأمواج علينا واختلفت
الرياح فكسرت السفينة فنجوت على لوح منها فوضعت هذا الصبى فجعلته
فى حجرى فبينما أنا والصبى نائم فى حجرى والأمواج تضربنى إذا أنا بملاح
من خدام السفينة قد وصل إلى وحصل معى على اللوح وقال لى مازلت أهواك
وأنا فى السفينة وقد حصلت معك فمكنينى من نفسك وإلا رميتك من هذا
العود إلى البحر فقلت له ما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة أما تخاف الله نحن
فى بلية لا نرجو الخلاص منها إلا بالطاعة فكيف بالمعصية فقال قد رأيت مثل
هذا مراراً فنجوت فأنا لا أبالى فلا بد من هذا الأمر وألح على فخفت منه
وأردت أن أصانعه فقلت مهلا حتى ينام الصبى فأخذه من حجرى ورماه فى
البحر فلما رأيت جراءته وما فعل فى الصبى طار قلبى وزاد كربى فرفعت بصرى
نحو السماء وقلت يامن يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا العبد بحولك
وقوتك إنك على كل شىء قدير فوعزته وجلاله ما فرغت من الكلام إلا
وإذا بدابة قد خرجت من البحر وفتحت فاها فابتلعته فبقيت وحدى وزاد
اشتياقى إلى الصبى فلبثت طول يومى ذلك إلى الليل فلما أصبح الصباح إذا
بسفينة فأخذنى أهلها من اللوح فاذا الصبى عندهم فملت إليه وقلت ولدى
والله وأخبرتهم القصة وشكرت ربى وعاهدته أن لا أبرح من بيته .

وحكى الإمام ابن عقبة قال حدثنى رجل من بنى تميم قال كان لى غلام
وكنت أحيه فانفذته ليلا يبتاع لى أدماً فذهب يلعب مع الصبيان بعد غروب
الشمس فصرع فحمل إلى فقلت له ياهذا مالك مع ولدى فقال بلسان فصيح

هو وقت صلاتنا أو ليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظوا صبيانكم عند غروب الشمس فقلت بلى قال فما بالك أرسلتيه ياصب قالت ما أرسلته إلا ليشترى أدماً أخرج عنه بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال للنار النار وخرج منه ولم يعد نقله الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى نفع الله به آمين .

وحكى أن المأمون صادر نصرانياً على خمسمائة ألف درهم فأرسل إليه فارساً فمر الفارس والنصرانى فى الطريق ورجل معه وقر حشيش وكان قد اعوج حمله فسواه من جانب فمال إلى جانب آخر فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاستعظم النصرانى هذه الكلمة فقال له الفارس إذا عظمت هذه الكلمة فلم لاتؤمن بالله قال النصرانى تعلمتها من ملائكة السماء فعجب الفارس من كلامه فلما قدم أخبر الخليفة بما رأى منه فقال كيف تعلمتها من الملائكة . قال كان لى عم موسر وله بنت جميلة فخطبتها فلم يزوجنى وزوجها من آخر فلما كان ليلة الزفاف وخلا الختن بالعروس وقع الختن ومات مكانه . وخطبتها فلم يزوجنى وزوجهامن آخر فلما كان ليلة الزفاف مات . وكذلك فى الثالثة . ثم خطبتها الرابعة فزوجنى لرغبة الناس عنها فلما خلوت بها استقبلنى شيطان مثل قطعة نار فصاح صيحة قال أين تدخل قلت على أهلى قال أما علمت بما فعلت باولئك القوم قلت بلى قال إن رضيت هذه لى بالليل ولك بالنهار قلت رضيت . فأتى على ذلك أيام فلما كان ذات ليلة قال إنى أريد أن اذهب الليلة إلى السماء واسترق السمع والليلة نوبتى فهل ترافقنى قلت نعم فلما كان بعد العتمة تحول الشيطان شبه جمل ابيض وقال اركب على ظهرى فركبت وشد ركبتى بركبتيه وطار فى الهواء فسمعت الملائكة يقولون لا حول ولا قوة الا بالله . فلما سمع الشيطان

هذه المقالة انقلب وسقط وسقطت قريباً منه فلما كان بعد ساعة افاق وقال غمض طرفك فغمضت فاذا انا على باب داري . فلما خلوت بامرأتي قلت سدى كل ثقبة وكوة حتى لا يدخل البيت فسدتها كلها فلما أتى الشيطان وغشيها ودخل الباب أغلقت عليه ثم وقفت على الباب وقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فسمعت في البيت جلبة شديدة ثم قلت ثانياً وثالثاً فنادتني امرأتي أدخل أدخل فدخلت فقالت لما قلت لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قام الشيطان ليطلب منفذاً ليهرب منه فلم يجد فلما قلت الثانية نزلت من السماء نار فأحاطت به فلما قلت الثالثة أحرقته النار فصار رماداً وقد خلصني الله عز وجل من هذا اللعين فلما سمع المأمون ذلك أطلقه ووهب له تلك المصادرة انتهى :

فصل

فى معنى لا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم

قد سبق غالب معناها فى خلال إيراد الأحاديث قريباً . ونزيده إيضاحاً وتقريباً فنقول . قال الهروى قال أبو الهيثم الحول الحركة يقال حال الشخص أى نظر هل يتحرك أم لا وكان القائل يقول لا حركة ولا استطاعة إلا بمشيئة الله عز وجل وكذا قال أبو عمرو فى الشرح عن ابن العباس قال معناه لا حول فى دفع شر ولا قوة فى درك خير الا باذن الله . وقيل لا حول عن معصية الله إلا بعصمته . ولا قوة على طاعته إلا بعونه وحكى هذا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

ويقال فى التعبير عن قولهم لاحول الخ الحوقلة بفتح الحاء وإسكان الواو وبعدها قاف ثم لام هكذا قاله الأزهرى فى المهذب والأكثرون من العلماء .

قال الجوهرى فى صحاحه هى الحولقة بتقديم اللام على القاف والمشهور هو الأول . قال ابن الأثير رحمه الله فى شرح مسند الشافعى رضى الله عنه على الأول ليكون الحاء من الحول والقاف من القوة واللام من الله تعالى وعلى الثانى الحاء واللام من الحول والقاف من القوة . قال فالأول أولى ، ومثل الحوقلة . الحيعلة والحمدلة والبسملة والهيللة والسبحلة والجعفلة والحسبلة . فالهيللة حكاية قول لا إله إلا الله ، والبسملة حكاية قول بسم الله ، والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعفلة حكاية قول جعلت فداك ، والحمدلة حكاية قول الحمد لله ، والحيعلة حكاية قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح ، وهذه كلها مصادر .

وقال شرف الدين الشاذلى وفى حول لغتان حول وحيل . قال وهى كلمة جليلة فى استدفاع مايرد على العبد فكأنه قال أدفع كل ما يرد على من سوء وأرد حول من أرادنى بحول الله تعالى وقوته فيستشعر العبد أنه إنما يؤتى عليه من رجوعه إلى حول نفسه ورد ما يخافه من بأس برجوعه إلى تقديره والتماس تدبيره لنفسه فإذا رجع إلى الله تعالى شاهد عظيم لطفه وخفى تدبيره وتبرأ من الحول والقوة بين يدى مالك أموره أمده الله تعالى بمعونته ودفع عنه المكروه بحوله وقوته يدل على ذلك قوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه وحافظه .

وفى كتاب زهر الأكام قيل فى معنى قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) إنها الأفعال الصادرة من الإنسان فإن قال فعلتها بحولى وقوتى فقد خان الأمانة . وإن قال فعلتها بحول الله وقوته فقد أدى الأمانة .

فائدة

قال الشيخ ابن هشام الأنصارى إذا قلت لاحول ولا قوة إلا بالله فلك فتح الاسمين ورفعهما والمغايرة بينهما قال لأن . لا . إذا كررت يجوز إلغاؤها ويجوز إعمالها انتهى .

خاتمة

قال سيدنا عبدالله الحداد نفع الله به فى كتاب اتحاف السائل وأما مايعبر به عن معنى التبرى من الحول والقوة فاعلم أن أجمع العبارات عن ذلك وأشملها قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال قال الإمام حجة الإسلام الغزالى رضى الله عنه الحول هو الحركة والقوة هى القدرة ولا حركة ولا قدرة لأحد من الخلق على شىء من الأشياء إلا بالله القوى القادر وكل ما جعل للمخلوقين إلى فعله وإلى تركه سبيلاً كالقيام بالتكاليف فعلاً وكفاً وكالسعى لطلب المعاش بأنواع الحركات من الحرف والصناعات وما فى معنى ذلك فالواجب على المؤمن أن يعتقد أن الله هو الخالق المخترع لإراداتهم وحركاتهم وسكناتهم . وأما مايصدر عنهم من الأفعال الاختيارية فنسبته نسبة إضافة إليهم سيما الكسب والعمل وعليهما يترتب الثواب والعقاب ولكنهم مايشاؤن إلا أن يشاء الله ولا يقدرون على فعل شىء ولا على تركه إلا إن أقدرهم الله ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً . ولا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير .

وعلى القدرة والاختيار الذى جعل الله لعباده ترتب الأمر والنهى فالأمور الصادرة عنهم بالقصد ومع الاختيار لها نسبة وإضافة إليهم وبحسب ذلك يثابون

ـو يعاقبون . فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله نفى الاستقلال والاستبداد بالقوة
ـوالحول مع الاعتراف بوجود القدرة والاختيار التى جعلها الله للعبد فإن
من زعم أنه ليس للعبد اختيار ولا اقتدار على شىء وأن أفعاله الاختيارية
كالاضطراريه وأنه مجبور فى كل حال فهو مبتدع جبرى وقد أبطل بزعمه الفاسد
فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب ، ومن زعم أن الإنسان يستقل بمشيئة
وقدرة واختيار يقدر بها على امتثال ما أمره الله به وعلى اجتناب مانهاه الله
عنه وأنه ليس مستقلاً بذلك ولا خالقاً له فقد أصاب السنة ودخل فى الجماعة
وسلم من البدعة ، ولهذا شرح طويل وهو سبيل وعر قد تخبط فيه وضل عنه
خلق كثير وتحته سر القدر حارت فيه الألباب . وأمرّ بالامساك عن الخوض
فيه ـ أى خوض من ليس من أهل البصيرة النافذة والروية اليقينية التامة المشار
إليها بو كذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ـ
سيدُ المرسلين فليقنع العاقل بالإشارة وليكفه من ذلك أن يؤمن أن كل شىء
خلقه الله وأنه لا يكون كائن بدون مشيئته وقدرته ثم يطالب نفسه بامتثال
الأوامر واجتناب المحارم وليقم الحجة لربها عليها على كل حال ، وفى الحديث
لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة فافهم الإشارة فى كونه كنزاً
تعلم أن معناه أنه من الأشياء الخفية الغامضة فإن الجزاء من جنس العمل كما قال
صلى الله عليه وسلم ركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر فجعل ثوابها
كنزاً مخفياً لوقوعها فى وقت بهذه المثابة وهو الليل ، وورد أيضاً لا حول
ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أدناها الهم . وإنما كانت دواء
للهموم لأنها إنما ترد غالباً عند فوات محبوب أو حصول مكروه فيستشعر
الإنسان عند الفوات وحصول ما يكره عجزه وضعفه عن الوصول إلى مايشتهى
فيهتم لذلك فإذا كرر على قلبه ولسانه معنى التبرى من الحول والقوة انتج له
ذلك يقيناً يعلم به أنه عاجز وضعيف إلا إن قواه الله وأقدره فيذهب إذ ذاك

همه وتتسع معرفته بربه ويتضح هذا المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم من آمن بالقدر ذهب همه .

قال وفى إضافة الحول والقوة إلى اسمه الله الذى هو قطب الأسماء ورئيسها وإتباعه ثانياً بالاسمين الكريمين الدالين على صفتين من صفات الذات المقدسة وهما العلو والعظمة إشارة إلى نهاية التبرئة وغاية التقديس عن أوهام توهمها من ضل عن السبيل وعمى عن الدليل وخاض فى سر القدر وفى حركات العباد بغير بصيرة فتنبهوا لذلك انتهى .

خاتمة الخاتمة

فيها فوائد تتعلق بفضل ماجاء من أسماء الله الحسنى وغيرها فى هذا الذكر .

(الفائدة الأولى) قال الشيخ أبو العباس البونى إذا توجهت لشىء من أمور الدارين فاذكر بهذه الأسماء وهى ياقوى ياعزيز ياعليم ياقدير ياسميع يابصير . وقال البونى أيضاً إذا كثرت عليك الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية . فقل ياذا القوة يعنى تكرره . وقال إذا استقوت عليك شهوة الطعام فاذكر بعد الوضوء ياقوى . وقال رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألته عن أسماء الخلوة فقال هى سبعة ياالله ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام يانهاية النهايات يانور الأنوار ياروح الأرواح .

(قلت) : ورأيت فى بعض المصنفات فى فضائل الذكر أن مما يعين على الأعمال الشاقة ويكف الأعواق العائقة تكرار هذه الأسماء الأربعة فإن لها تأثيراً عجيبا فى تسهيل كل صعب وتهوين كل تعب وهى أن تقول ياقوى ياقائم ياقادر يامقتدر وعندى أنه إما سبع مرات وإما سبعين مرة وإما سبعمائة .

وأما اسمه تعالى : ﴿ العلى ﴾ فمن كان فقيراً أو غريباً وأدام قراءته فتح الله عليه بالغنى والرجوع إلى بلده . وإذا كتب للضعيف كفى كل بلاء ، ومن خواص هذا الاسم العلى وجود القوة فإذا قرأه الصائم وكتبه على التراب و بله ثم شمه قواه على ماهو به . ومن قرأه على كوز سبعاً ثم كتبه عليه وكان يشرب فيه فى السفر أمن من وحشة السفر لا سيما إن أضاف إلى ذلك قراءة سورة قريش صباحاً ومساء فإنها مجربة لذلك .

(الفائدة الثانية) اسمه تعالى ﴿ العظيم ﴾ قال بعض العلماء فى شرح أسماء الله الحسنى هذا الاسم من أدمن قراءته حصلت له العزة والجاه عند الناس و يكثر قراءته بقلبه وقال سيدى الشيخ أحمد زروق اسمه تعالى العظيم خاصيته دفع الآلام حتى إنه يكتب للمحموم ثلاث مرات فيبرأ .

(الفائدة الثالثة) كتب بعض العلماء الناصحين إلى بعض خواصه كتابا يقول فيه : قد أتحفتك باسم الله الأعظم وهو أن تذكر بعد صلاة الصبح وأنت على طهارة سبعين مرة ثلاثة أيام متوالية بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ياحى ياقيوم ياقديم يادائم ياصمد ياودود ياوتر . وقال له إياك أن تدعو به على أحد .

(الفائدة الرابعة) دعاء عظيم للامام الشاذلى ذكره ابن عطاء فى لطائف المنن قال كان من دعاء الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه اللهم ارزقنى من كنز لاحول ولاقوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة واضربنى بها ضربا يمحق به من قلبى كل قوة واغننى بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق ، وأخرجنى به عن ذل الفقر والتدبير والاختيار وعن الغفلة والشهوة وخشية النفس والقهر والاضطرار إنك على كل شىء قدير .

ومما يحسن ذكره هنا ماروى أن الخليفة المنصور العباسى أرسل رسولا إلى الإمام جعفر الصادق يستدعيه فلما بلغ الرسول إلى الإمام خاف من المنصور فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وسار إليه فلما دخل عليه قال له المنصور ياأبا عبد الله إن فلانا الفلانى أخبرنى عنك أنك تاجد فى سلطانى وتبغى لى الغوائل قتلنى الله إن لم أقتلك فقال جعفر ياأمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر وإن أيوب ابتلى فصبر وإن يوسف ظُلم فغفر وأنا أطلب منك أن تحضر الرجل الذى بلَّغك عنى ماقلت. فأحضر الرجل الذى سعى به فقال له المنصور أحقاً ماقلت عن جعفر فقال نعم. قال جعفر فاستحلفه على ذلك فحلف فقال جعفر ياأمير المؤمنين يحلف بما أستحلفه به ويترك يمينه هذه فقال المنصور حلفه بما تختار فقال جعفر قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور نظراً منكراً فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض ومات مكانه فى المجلس وخرج الامام جعفر من عند المنصور فى غاية الاكرام ونهاية الاحترام.

قال الربيع لما وقف جعفر بين يدى المنصور رأيته يحرك شفتيه بشيء فلما خرج من عنده سألته بأى شيء كنت تحركها حتى سكن غضب المنصور وبدا منه لك الرضا والاكرام فقال بدعاء جدى الحسين قلت وما هو ياسيدى قال قلت اللهم ياعدتى عند شدتى ويا غوثى عند كربتى احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى بكنفك الذى لا يرام وارحمنى بقدرتك على فلا أهلك وأنت رجائى اللهم إنك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف واحذر اللهم بك أدرأ فى نحره واستعيذ بك من شره إنك على كل شيء قدير. قال الربيع فما نزلت بى شدة ودعوت بهذا الدعاء إلا فرج الله عنى.

(قلت) وقد وقعت لنا مع بعض الجن واقعة وهى أنه صرع جارية فلبث فيها أياما حتى كاد يهلكها فحضرت عندها وقرأت عليها شيئاً من الآيات والأذكار فتكلم معنا بكلام طويل بعد أن سكت عنا سكوتاً طويلا حتى أعيانا فكان أول ما تكلم به حين سمع منى القراءة أن قال والله لاأخرج منها ولوان تطرح المصحف على صدرى فحينئذ زدت فى القراءة وشددت عليه القراءة حتى صاح وطلب الخروج وباح فقلت له من شيخك فقال مالى شيخ وعسى أن تكون أنت شيخى فقلت مالى بك حاجة وأنت لابد لك شيخ فقال مالى شيخ إلا أنى اهتدى بالحبيب أحمد بن زين الحبشى فقلت له ما اسمك فقال اسمى عمر بن سالم بن أحمد وقد دخلت هذه المرأة مرادى زواجها ولكنى الآن سأتركها لأجلكم فأردنا أن نعاهده بيمين جعفر الصادق هذه فامتنع ولم يحلف بها فعاهدناه بغيرها فحلف ووفى وخرج منها ولم يعد إليها . ولما أراد الخروج منها قال إن جميع الأفدية التى قيلت لكم باطلة . وكانوا قد أخرجوا عليها قريباً من خمسة عشرة فداء من الغنم فقلت للحاضرين معنا من بلدهينن اشهدوا على ما قال هذا الجنى وقصتنا معه طويلة لايمكن استقصاء ما جرى بيننا وبينه تلك الليلة .

ومن الفوائد العظيمة لهذا الذكر العظيم ما ينبغى ذكرها هنا لتتم الفائدة إن شاء الله تعالى وهى ما أورده صاحب كتاب فضائل الأعمال أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءاً جيداً ثم ليقم فى موضع لايراه فيه أحد فليصل أربع ركعات يقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات وفى الركعة الثانية بالفاتحة وقل هو الله أحد عشرين مرة وفى الركعة الثالثة بالفاتحة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفى الركعة الرابعة بالفاتحة وقل هو الله أحد أربعين مرة فإذا فرغ

من صلاته قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ثم ليقل لاحول ولاقوة إلا بالله خمسين مرة ثم يستغفر الله سبعين مرة فإنه إذا كان عليه دين يقضى دينه وإن كان فقيراً أغناه الله وإن كان غريباً رده الله إلى وطنه وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له وإن لم يكن له ولد فسأل الله أن يرزقه ولدا رزقه الله ذلك .

ومن الفوائد أيضاً ما ذكره بعض شراح الأربعين . قال ومن الأدعية المستجابة إذا حصل لشخص أمر مهم يطابق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستغاث ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . قال وهى فائدة حسنة .

ومن الفوائد المناسبة ما ذكره بعض العلماء قال اسمه تعالى (العلى) المراد به علو القدر والمنزلة . لاعلو المكان لأن الله تعالى منزه عن التحيز . وحكى الطبرى عن قوم أنهم قالوا هو العلى عن خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه . قال ابن عطية وهذا قول جهلة مجسمين وكان الوجه أن لا يحكى . ثم قال وعن عبد الرحمن بن قرط أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به سمع تسبيحاً فى السموات العلى سبحان العلىّ الأعلى سبحانه وتعالى والعلى والعالى القاهر الغالب تقول العرب فلان علا فلانا أى غلبه وقهره قال الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم   تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ومنه قوله تعالى (إن فرعون علا فى الأرض) .

قال وأما العظيم فهو صفة بمعنى عظيم القدر والخطر والشرف لا بمعنى عظم الجرم وحكى الطبرى عن قوم العظيم معناه المعظم كما يقال العتيق بمعنى

المعتق قال وذكر عن أقوام أنهم أنكروا ذلك وقالوا لو كان بمعنى معظم لوجب أن لا يكون عظيماً قبل أن يخلق الخلق وبعد فنائهم إذلا معظم له حينئذ انتهى .

قلت وهذان الاسمان أعنى العلى العظيم هما اللذان ختم الله بهما آية الكرسى التى هى أعظم آية فى كتابه العزيز .

وقد روى أبو ادريس الخولانى عن أبى ذر قال قلت يارسول الله أى ماأنزل عليك أعظم قال آية الكرسى ثم قال يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة . وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على الحلقة خرجه الآجرى وأبو حاتم البستى فى صحيح مسنده . وقال مجاهد ماالسموات والأرض فى الكرسى إلا بمنزلة حلقه ملقاة فى أرض فلاة . وهذه الاية منبئة عن عظم مخلوقات الله . ويستفاد من ذلك عظم قدرة الله . وسيأتى ذكر شيء من فضائل آية الكرسى فى الفائدة الثانية من الفصل الثانى من فضائل لا إله إلا الله اهـ باختصار وبالله التوفيق وإليه الملجأ عند الضيق .

ثم قال سيدنا عمر نفع الله به

الذكر الخامس وشرحه

(بسم الله الرحمن الرحيم ثلاثا)

قال الشيخ على ثم أتى بالاسم الجامع لمراتب الأسماء بمظهر الرحمة الخاصة والعامة دون غيرها من الأوصاف الجلاليه . مشيراً إلى شمول الرحمة السابقة المستغرقة لسائر الوجود الصادر عنها وجود كل موجود التى مظهرها عن عوالم

الرحموت العرشى الجامع لسائر الاكوان مستوى الرحمن قبل ظهور الأعيان وانفلاق حبة التعين والأعيان وتدلى القدمان[1] وكرر ذلك الذكر ثلاثاً لاستغراقه لجميع مظهر الحقيقة ذاتاً ووصفاً وفعلا فما يصدر فى العالم شىء إلا عن الحضرات المستغرقة لها الرحمة الجامعة لسائر الأسماء الحسنى ولا يظهر مؤثر فى الوجود إلا عن أثر اسم من هذه الأسماء وتحت دائراته وقد علمت استغراق الرحمة لهذه الأسماء التى هى أصل لسائر الوجود هذا فى عالم الشهود والجمع . وأما مظهر الفرق وعوالم الخلق فبسم الله الرحمن الرحيم يقوم بهاسائر الموجودات ويتراحم بها من فى الأرضين والسموات وهى رحمة الفتوح النازلة على الناس بالمسرات والمنوح فى قوله عز من قائل (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) الاية . وأمافضائل الأعمال فقد وردت الأحاديث النبوية بها وهى مفتتح السبع المثانى التى تبتنى عليها سائر الأعمال والمبانى وتندرج السبع بما حوته الأسرار والمعانى فيها . قال ولو فتحنا فيما أحتوت عليه البسملة من الأسرار لنفدت درن الوقوف على ما احتوت عليه من العلوم الأعمار ولم نشرف على سواحل بحار ظهورها والأشراف على منصات منصاتها من الأسرار ولنقبض عنان جواد اللسان عن دخول ذلك الميدان ولنرجع إلى ما نحن بصدده من معانى هذا الراتب الشريف ومااحتوى عليه من الفضائل والأسرار وما يظهر للذاكر به الملازم له من مشرقات الانوار انتهى .

* * *

ولنشرع فيما تيسر لنا جمعه من فضائل (بسم الله الرحمن الرحيم) مما يروق

---

(١) كذا بالأصل .

برائقه رواق الرقيم ويسفر بشارقه الحندس البهيم . من مواهب الوهاب الكريم التواب الرحيم . الهادى إلى صراط مستقيم المغنى بفيض فضله السجيم . كل بائس وعديم . الذى أفاض نسمات نسيم جوده وكرمه العميم على نبيه المخصوص بالخلق العظيم وعمّ بذلك آله وصحبه وتابعيهم من كل بر مستقيم . على سنن منهجه الثابت القويم . باحسان إلى يوم لا ينفع فيه إلا من أتى الله بقلب سليم ونجعل ذلك فى ثلاثة فصول .

الفصل الأول

فى ذكر شىء مما جاء فى فضل البسملة

فاما الآيات فقد قال الله تعالى فى مفتتح الذكر الحكيم . بسم الله الرحمن الرحيم . ثم كررها فى أول كل سورة وهى على أصح الأقوال آية من كل سورة إلا التوبة فانها لما جاءت فاضحة للمنافقين لم تثبت فى أولها ثم قال فى مدح هذه البسملة على لسان القائلة (إنى ألقى إلى كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم مفتاح القرآن التسمية وروى أن أول ما جرى به القلم فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم وأنه أول ما نزل على آدم وأمان أهل السموات وأهل الأرض وأنه خاتم الله لعباده الموحدين وأنه اسم الله الأعظم عند جملة من المتقين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر ، وفى رواية أجذم ومعنى ذى بال أى حال يهتم بها .

وروى الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى رحمه الله فى تفسيره بإسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبى بسم الله الرحمن الرحيم كتب براءة للصبى وبراءة المعلم وبراءة لأبويه من النار .

قلت : وفى رواية ذكرها بعضهم كتب الله للصبى براءة ولأبويه براءة من النار والله أعلم ، وبإسناده عن جابر رضى الله عنه لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله بعزته لا يسمى اسمه على شىء إلا شفاه ولا يسمى اسمه على شىء إلا بورك فيه ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة ، وبإسناده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله بكل حرف منها نجاته من واحد منهم قال الأستاذ أبو إسحاق ثم افتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لحق له ذلك .

وروى بسنده عن أبى موسى الأشعرى قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان غيرى قلت بلى فقال بأى شىء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة : قلت بسم الله الرحمن الرحيم قال هى هى ، وورد أيضاً أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب على سبعة من الأنبياء . وهم شيث : وإدريس . وإبراهيم . وموسى وداود . وعيسى . ومحمد صلى الله عليه وسلم وأنه أودع ما فيها فى أربعة منها وهى القرآن والتوراة والإنجيل والزبور . وأودع ما فى الأربعة فى القرآن وأودع ما فى القرآن فى الفاتحة وأودع

ما فى الفاتحة فى بسم الله الرحمن الرحيم وأودع ما فى بسم الله الرحمن الرحيم فى الباء
قيل وأودع ما فى الباء فى نقطة الباء اه والله أعلم .

قال بعضهم بعد نقل هذا الحديث وسيأتى إن شاء الله أنها نزلت على عيسى
ابن مريم عليه السلام بعد سليمان بن داود عليهما السلام قال ويمكن الجمع بينهما أنه
نزل على عيسى عليه السلام أسرارها وحقائقها دون ألفاظها والله أعلم ثم قال .
قال ابن عباس رضى الله عنهما أساس الكتب القرآن وأساس القرآن الفاتحة
وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت و إذا اشتكيت فعليك بالأساس
تشفى باذن الله عز وجل هذا ما ذكره الأستاذ رحمه الله مما نقله عنه
بعض العلماء .

ثم قال وفى الخبر من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعورها كتب الله
له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ومن كتب بسم الله الرحمن الرحيم
فجوّدها تعظيماً لله تعالى غفر له . ومن رفع قرطاساً من الأرض فيه بسم الله
الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى أن يداس أسمه كتبه الله من الصديقين وخفف
عن والديه العذاب وإن كانا مشركين . وما من كتاب يلقى بمضيعة من الأرض
فيه اسم من أسماء الله الا بعث الله سبعين ملكا يحفونه بأجنحتهم ويقدسونه
حتى يبعث الله وليا من الأولياء فيرفعه . ومن رفعه رفع اسمه فى عليين وخفف
عن والديه العذاب وإن كانا مشركين ، وعن سعيد بن أبى سكينة أنه قال بلغنى
أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه نظر إلى رجل يكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فقال جوِّدها فان رجلا جودها فغفر له . وعنه أنه قال بلغنى أن تجويد
بسم الله الرحمن الرحيم يحسن الوجه . وروى أن عيسى عليه السلام مر بقبر
فرأى الملائكة يعذبون صاحبه فلما انصرف من حاجته رآهم ومعهم أطباق من
نور فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أنه كان عاصياً وقد ترك ولداً فسلمته أمه

إلى المكتب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت أن أعذبه وولده يذكر اسمى ، وعن عكرمة أنه قال سمعت علياً يقول لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ضجت الجبال حتى كنا نسمع دويها فقالت قريش سحر محمد الجبال فبعث الله دخاناً حتى أظل مكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يقرؤها إلا سبحت معه الجبال غير أنه لا يسمع ذلك ، وعن عبد الله ابن عمر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما نزل على من الوحى بسم الله الرحمن الرحيم .

وحكى أن تبعاً الأكبر كان غلاماً كاتباً للملك الذى قبله فكتب له يوماً كتاباً كتب أوله بسم الله الرحمن الرحيم الذى خلق كل شىء فقال له الملك ابدأ باسمى قبل اسم الذى خلق كل شىء فقال له لا ابدأ إلا باسم الذى خلق كل شىء إلهى وخالقى تبارك وتعالى ثم أعطف على حاجتك . فشكر الله له وأعطاه الملك وتابعه الناس فسمى تبعاً .

ويروى أن قيصر ملك الروم كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن بى صداعاً لا يسكن فانفذ إلى شئاً من الدواء فانفذ إليه قلنسوة فكان إذا وضعها على رأسه سكن ما به وإذا رفعها عاد إليه الوجع فتعجب من ذلك فأمر بفتش القلنسوة فاذا فيها رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقال ما أكرم هذا الدين وأعزه شفانى الله تعالى بآية واحدة منه فأسلم وحسن إسلامه .

وحكى عن منصور بن عمار أنه وجد رقعة فى الطريق فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذها ولم يجد لها موضعاً فأكلها فرأى فى النوم أن قائلا قال له فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك لتلك الرقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة .

وحكى أن بعض المتقدمين أوصى إلى ابنه فقال له إذا مت وغسلت فاكتب على وجهى وصدرى بسم الله الرحمن الرحيم قال ولده ففعلت ذلك ، ثم رأيته فى المنام فسألته عن حاله فقال لما وضعت فى قبرى جاءنى ملائكة العذاب فلما رأوا مكتوبا على جبهتى وصدرى بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لى أمنت من العذاب .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على ألا أعلمك شيئاً إذا وقعت فى ورطة قلته قلت بلى يا رسول الله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم صرف عنه سبعون باباً من البلاء .

(قلت) وقد تقدم هذا الحديث قبله قريباً عند قوله بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإنما أعدتهما هنا لغرض لا يخفى على الواقف العارف بالمواقف .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها إحدى وعشرين مرة .

ورأيت فى بعض التعاليق أن من قال عند النوم بسم الله الرحمن الرحيم إحدى وعشرين مرة أمن من السرق والحرق والغرق .

وروى القاضى مجد الدين الشيرازى بسنده المتصل المسلسل عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن إسرافيل قال . قال الله عز وجل يا إسرافيل وعزتى

وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا على أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر.

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له عبادة سبعمائة سنة فان الله عز وجل لما خلق اللوح والقلم وكان للقلم مائة أنبوب ما بين كل أنبوب وأنبوب مسيرة خمسين سنة فنظره الله تعالى بالهيبة فانشق القلم فقال له الله تعالى له أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فقال بأى شىء أبدأ . فقال ابدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فكتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم فى مدة سبعمائة سنة من سنين الدنيا فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى أيما عبد أو أمة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال بسم الله الرحمن الرحيم مرة واحدة كتب له فى ديوانه ثواب سبعمائة سنة .

وفى الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليلة أسرى بى إلى السماء وعرضت على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار : نهر من الماء ونهر من اللبن ونهر من الخمر ونهر من العسل كما قال الله تعالى فى محكم كتابه ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ فقلت لجبريل من أين تجىء هذه الأنهار وإلى أين تذهب . فقال : تذهب إلى حوض الكوثر وأما المجىء فلا أدرى من أين تجىء ادع الله عز وجل أن يعلمك أو يريك فدعا ربه فجاء ملك فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال يا محمد اغمض عينيك فأغمضت ، ثم فتحت فاذا أنا عند شجرة فرأيت قبة زبرجد من درة بيضاء ولها باب من زبرجد أخضر وقفل من ذهب أحمر لو أن ما فى الأرض من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا

مثل طائر واقع على جبل فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجرى من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لى ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت كيف أدخل وعلى بابها قفل وكيف أفتح . قال فى يدك مفتاحها . قلت وأين مفتاحها . قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من القفل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل . فدخلت القبة فرأيت هذه الأنهار تجرى من أربعة أركان القبة . فلما أردت الخروج قال لى ذلك الملك قد رأيت يا محمد . قلت رأيت . فانظر ثانياً فلما نظرت رأيت مكتوباً على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ونهر اللبن يخرج من ها الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم فعرفت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من التسمية . فقال الله يا محمد من ذكرنى بهذه الأسماء الأربعة من أمتك بقلب خالص سقيته من هذه الأنهار الأربعة .

قال بعض العلماء بعد ما أورد الخبر هكذا وجدت هذا الخبر منقولا فى بعض الكتب والله أعلم[1] ، ثم قال لكن فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف فقلت يا جبريل ما هذا قال الكوثر الذى أعطاك ربك . والقباب جمع قبة فثبت بهذا أصل هذا الحديث ثم قال ولا شك أن فضل اسم الله تعالى أعظم من ذلك والله أعلم .

وفى بعض الأخبار إذا كان يوم القيامة وزنت أعمال هذه الأمة فوزنت ركعة واحدة من صلاتهم ألف ركعة من صلاة بنى اسرائيل فيقولون ياربنا ما بال أمة محمد ركعة واحدة منهم تزن ألف ركعة منا فيقول لأن فى صلاتهم

---

(١) أى الله أعلم بصحته وحسب البسملة فضلا أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة من سور القرآن العظيم . ولا حاجة إلى هذه القصة فى بيان فضلها .

بسم الله الرحمن الرحيم اسم من يغفر الذنوب اسم من يقبل الحسنات اسم يمحو السيئات اسم من يرفع الدرجات اسم من يعلم الخفيات اسم من به تطيب الخلوات اسم من به تقطع الفلوات اسم من به تصح الصلوات .

وفى الخبر عن رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال تعس الشيطان . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تقل كذلك فإنه يتعاظم بذلك ولكن قل بسم الله فاذا قلت كذلك فإنه يتصاغر كالذباب . وقال بعضهم الاشارة فيه أن ذنوب الأولين والآخرين إذا اجتمعت لم تبلغ ذرة من كفره يعنى الشيطان وإذا كان الشيطان يذوب مع كفره وخبثه فأولى أن تذوب ذنوبك عند قراءة بسم الله الرحمن الرحيم .

وحكى أن شيطانا سمينا استقبل شيطانا مهزولا . فقال السمين للمهزول بماذا صرت فى هذه الحالة فقال انى مسلط على رجل إذا دخل بيته قال : بسم الله الرحمن الرحيم وإذا خرج قال بسم الله وإذا قام قال بسم الله وإذا قعد قال بسم الله وإذا أكل قال بسم الله وإذا شرب قال بسم الله فأكون هاربا منه دائما . فقال المهزول للسمين أراك سمينا فى حالة حسنة قال أنا مسلط على رجل يدخل بالغفلة ولا يقول بسم الله أشاركه فى جميع هذا واركب على عنقه كالدابة .

ويقال لما قال الله للروح ادخلى فى آدم فدخلت فيه فعطس فقال الحمد لله فقال الله تعالى يرحمك ربك . فكان ذلك رهنا عند آدم عليه السلام حتى أذنب فقال يا رب لك عندى رهن بالمغفرة وهو قولك يرحمك ربك . قال الله تعالى قد غفرت لك ذنبك يا آدم قال كذلك كتب إليك كتابا تجعل عنوانه « بسم الله الرحمن الرحيم » فإذا عصيت قلت يوم القيامة يا رب لك عندى رهن وهو بسم الله الرحمن الرحيم ثم عندك رهنان وعند آدم رهن

واحد لأن فى عنوان كتابك بسم الله الرحمن الرحيم وهو يقتضى الرحمة مرتين

وسئل الشيخ أحمد بن محمد بن سهل إلى م تسكن قلوب العارفين قال إلى بسم الله الرحمن الرحيم لأن فى بسم الله هيبته وفى اسمه الرحمن عونه ونصرته وفى الرحيم مودته ومحبته .

وعن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال من وضع ميتاً فى قبره وقال بسم الله الرحمن الرحيم سهل الله على الميت ضغطة القبر وضيقه وظلمته إلى يوم ينفخ فى الصور .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الإسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

وروى البيهقى عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الأعظم إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب . قال بعض العلماء بعد ما أورده معناه أن قولك بسم الله يشمل كل اسم لله تعالى فيدخل فيه اسم الله الأعظم بطريق التضمن كما أن بياض العين متضمن لسوادها فصار أقرب إليه من وجه وهو هو من وجه آخر والله أعلم ، ثم قال وقال الفقيه بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل رحمه الله تعالى فى شرح الدعاء روى أن الله تعالى لما خلق العرش كان يضطرب فكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فسكن . وقال بعض العارفين بسرٍّ بسم الله سلمت سفينة نوح وبسرٍّ بسم الله كان مجراها ومرساها . بسم الله تسلم النفس والروح ، بسم الله سلمت السفينة من الطوفان ، بسم الله يسلم المؤمن من النيران بسم الله نالت الأمة انعامه بسم الله دام على المؤمنين إكرامه بسم الله تطرد الشيطان بسم الله ترضى الرحمن بسم الله تفيض العبرات بسم الله تستر العورات بسم الله تستجاب

الدعوات بسم الله تنزل البركات بسم الله تنجى من المهلكات بسم الله نور الأرضين والسموات .

وفى بعض الأخبار أن الله تعالى كان وحده ولم يكن معه غيره فخلق نوراً وخلق من النور اللوح والقلم ثم أمر القلم فجرى فى اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة فأول ما كتب على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم فجعل هذه الآية أماناً لخلقه ماداموا عليها وهى قراءة أهل السبع السموات وأول ما أنزلت على آدم عليه السلام فقال أمنت ذريتى من العذاب ماداموا على قراءتها . ثم رفعت بعده وأنزلت على نوح عليه السلام فأمر بقراءة شطرها عند ركوب السفينة فيها جرت ورست وبها سلمت هى وأهلها من الغرق ثم رفعت بعده وأنزلت على إبراهيم عليه السلام فقرأها وهو فى كفة المنجنيق فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً ثم رفعت بعده وأنزلت على موسى عليه السلام فبها قهر فرعون وهامان وقارون ثم رفعت بعده وأنزلت على سليمان بن داود عليهما السلام فقالت الملائكة تم والله ملك سليمان بن داود فلم يقرأها سليمان على شىء إلا خضع له . وأمره الله تعالى يوم أنزلت أن ينادى فى بنى إسرائيل ألا من أحب منكم أن يسمع آيات الله فليحضر إلى محراب داود عليه السلام فلم يبق عابد حبس نفسه فى عبادة الله تعالى إلا خرج إليه ولا سائح إلا هرول إليه فرقى منبر داود عليه السلام وتلا عليهم آية الأمان بسم الله الرحمن الرحيم فلم يسمعها أحد إلا امتلأ فرحاً وقالوا نشهد أنك رسول الله حقاً فبها قهر سليمان ملوك الأرض ثم رفعت بعده . فأنزلت على عيسى عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه يا ابن العذراء قد أنزلت عليك آية الأمان فأكثر من قراءتها فى قيامك وقعودك وذهابك ومجيئك ومضجعك وصعودك وهبوطك فما من مؤمن وفى صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة إلا أعتقه الله من النار وأدخله الجنة واقرأها فى افتتاح صلواتك

فمن افتتح بها صلاته تقبلها الله تعالى وهون عليه سكرات الموت ولم يزعجه منكر ونكير ويبعث من قبره أبيض اللون يتلألأ وجهه نوراً ويحاسب حساباً يسيراً ويثقل ميزانه ويعطى النور التام على الصراط والجواز حتى يدخل الجنة وقد نودى له فى عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة .

ثم رفعت بعد عيسى عليه السلام من صدور من بدل دينه من النصارى وبقيت فى صدور من ثبت على الإيمان مثل بحيرا وأمثاله حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأمره بقراءتها فى أول السور وبكتابتها فى صدور الصحائف والدفاتر والرسائل وبها فتح الله مكة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقرأها صلى الله عليه وسلم بالمد بسم الله وبمد الرحمن وبمد الرحيم كما رواه البخارى ومسلم . وقيل أنها نزلت مرة أخرى بالمدينة فكان نزولها فتحاً عظيماً . وروى أن الله تعالى أقسم بعزته أن لا يسمى بها رجل مؤمن على شىء إلا باركت عليه وأن لا يقرأها مؤمن إلا قالت الجنة اللهم أدخل عبدك هذا فىَّ بحق بسم الله الرحمن الرحيم وإذا دعت الجنة لعبد استوجب دخولها .

وفى الخبر لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وإن من أمتى قوماً يأتون يوم القيامة وهم من القائلين بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الأمم ما أثقل موازين أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول الأنبياء والملائكة لأن ابتداء كلامهم وأفعالهم بثلاثة أسماء من أسماء الله العظام . لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق كلهم فى الكفة الأخرى لرجحت حسناتهم ببركة بسم الله الرحمن الرحيم . ودخل وهيب ابن الورد على محمد بن المنكدر بذى طوى يعوده فقال بيده يمسح عليه وقال بسم الله الرحمن الرحيم لو قرأها صادق على جبل لزال فاقلعت عنه الحمى والصداع . وقيل لابن عطاء إلى ماذا تسكن قلوب العارفين فقال إلى بسم الله الرحمن الرحيم

وذكر بعض الصالحين أنه صرعت جارية له وبانت فى الليل فى موضع لم يعتد فيه البول فقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم الص طسم كهيعص يس والقرآن الحكيم حمعسق ن والقلم وما يسطرون . فسرى عنها ولم يعد إليها الصرع .

وقال الفقيه بدر الدين الأهدل رحمه الله تعالى افتتح نوح عليه السلام عند ركوب السفينة ببسم الله مجراها ومرساها ولم يذكر الرحمن الرحيم . لأن الحال حينئذ يقتضى الغضب والعقوبة تقتضى الهلاك والعياذ بالله ولهذا يستحب للذابح فى الأضحية وغير ذلك أن يقتصر على بسم الله ولا يقول الرحمن الرحيم . وسليمان عليه السلام أمر أن يكتب إلى بلقيس فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلو على وأتونى مسلمين . فافهم ما يعنى بلقيس أنها تسلم باتصال بسم الله الرحمن الرحيم . وحصل باسلامها لسليمان ثلاث فوائد . عرشها وزوجيتها وزيادة ملكه وكل ذلك ببركة بسم الله الرحمن الرحيم . وكذلك المؤمن يحصل له ببركتها خير كثير فى الدنيا والآخرة وسمت بلقيس كتاب سليمان كريما لأن فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم فكيف لا يكون المؤمن كريما وهو يقولها فى كل يوم مرارا حتى قد يقولها فى يوم ألف مرة أو أكثر .

وقال الفقيه بدر الدين الأهدل قال بعضهم من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم سبعمائة وسبعة وثمانين ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة واثنين وثلاثين مرة فانه لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه فان واظب على ذلك كان مجاب الدعوة . ومن أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوى والسفلى . وهى ثناء على الرحمن . وبها يدخل العبد فى خير الأديان فيكتب له الغفران ويخالف ذوى الطغيان . ويطرد عنه الشيطان ويطهر قلبه وبدنه من الأدران . وينجو من الزبانية ويسلم بها من النيران . ويحصل أخذ الكتب بالإيمان . ودخول الجنان . والنظر إلى وجه الرحمن . والنعيم الذى لا يعلمه إنسان . قال بعض

العلماء بعد نقله هذه الكلمات الحسان . قال الزهرى فى قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) أنها بسم الله الرحمن الرحيم لأنهم أخذتهم حمية الجاهلية من كتابة النبى صلى الله عليه وسلم لها . وقال سائر المفسرين هى لا إله إلا الله .

(قلت) وعندى أنها بسم الله الرحمن الرحيم وأنها لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقوله كلمة التقوى بجمعها مع ما معها من الكلم الطيب . إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكلمة الله هى العليا وأقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة والتسليم لا إله إلا الله محمد رسول الله نسأل الله أن يحيينا عليها وأن يميتنا عليها وأن يبعثنا عليها من الآمنين المستبشرين المطمئنين الفرحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقال الغزالى فى كتابه خواص كتاب الله وجاء فى رواية عن ابن عباس قال تذاكروا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عند النجاشى قلنسوة إذا مرض أحدهم ووضعت على رأسه يبرأ فتعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عمه العباس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشى أما بعد فقد بلغنى أن فى مملكتك قلنسوة إذا مرض أحدكم ووضعت على رأسه يبرأ فانفذها إلى والسلام . فانفذها اليه فوضعت على رأس مريض فبرى ففتشت فاذا فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الحق المبين شهد الله الآية الله نور وحكمة وبرهان وحول وقوة وقدرة وسلطان قائم لا ينام لا إله إلا الله آدم صفوة الله لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله لا إله إلا الله موسى كليم الله لا إله إلا الله عيسى روح الله لا إله إلا الله محمد العربى حبيب الله

ورسوله يا ألم بالذى إن يشأ يسكن الريح الآية أسكن بالذى سكن له ما فى الليل والنهار وهو السميع العليم آية الكرسى الله الملك الحق المبين .

وفى الفوائد للشرجى عن بعض الصالحين أن من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم اثنتى عشرة ألف مرة آخر كل ألف يصلى ركعتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسأل حاجته ثم يعود إلى القراءة فاذا بلغ الألف فعل مثل ذلك إلى انقضاء العدد المذكور فمن فعل ذلك قضيت حاجته كائنة ما كانت باذن الله تعالى .

واعلم أنه تستحب التسمية عند جميع الأعمال والأحوال والأقوال والأكل والشرب وردت بذلك السنة . وسيأتى بيان ذلك مبسوطاً عند قوله بسم الله تحصنا بالله . إن شاء الله ، ولو أخذنا نتتبع ما ورد من الكتاب والسنة وما فيها من الآيات والأخبار والآثار فى فضائل البسملة لضاق الزمان والمكان وضعف العزم ونفد العمر قبل أن نبلغ معشار ما رأيناه فكيف مالم نره ومالم نسمع به مع قلة علمنا وركة فهمنا قال تعالى لأهل العلم تحريضاً وتأميلا وتأكيداً وتأهيلا وتعليماً وتنبيلا . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . وفيها من المنافع مالا يخطر لك ببال فلازمها تظفر إن شاء الله بالخيرات والمسرات الجزال والنوال عاجلا وآجلا فى الحال والمآل دنيا وأخرى سراً وجهراً بغير امتهال واعلم أن القبول يحصل بالاقبال . وبه تنال سنيات الاحوال كما شافهنى بذلك بعض الرجال الابطال من الآل فقال الاحوال بالاقبال والسلام عليك ورحمة الله ذى الجلال .

الفصل الثانى

فى فضل البسملة ونضيف إلى ذلك جملة من الفوائد

قال تعالى : ﴿ فسبح بسم ربك العظيم ﴾ قالوا معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم . ولبيان هذا الفضل عقدنا هذا الفصل . إذا هو الأصل لكل أصل .

قال بعض العلماء الاخيار اعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم هى اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب وفيها أسرار المبتدأ والمنتهى وفيها الخير وجميع مراتب التوحيد لأن بسم الله قبالة شهد الله: والملائكة قبالة الرحمن. وأولو العلم قبالة الرحيم فأول دايرة بسم الله الرحمن الرحيم كآخرها وظاهرها كباطنها وبها أقام الله شجرة الاكوان وأظهر بها أسرار المكونات فمن أكثر من ذكر بسم الله الرحمن الرحيم رزق الهيبة عند العالمين العالم العلوى والعالم السفلى ومن علم ما أودع فيها وكتبها على شىء لم يحترق بالنار لأن فيها سر الله الأعظم وفى الاسرائيليات لما شب عيسى عليه السلام وكبر أسلمته أمه إلى المعلم صغيراً فقال له المعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال للمعلم وما بسم الله الرحمن الرحيم قال لا أدرى فقال عيسى عليه السلام الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مجده . والله إله واحد والرحمن رحمن الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة .

(فائدة) للسحر وحل المعقود يؤخذ سبع ورقات من ورقات سدر أخضر وترض بين حجرين ويوضع فى ماء ويحرك بنحو سواك وهو يقرأ عليه الفاتحة وآية الكرسى والقلاقل قل أوحى وقل يا أيها الكافرون والإخلاص والمعوذتين ويكرر ذلك ثلاثا ويكتب الوفق الثلاثى ويمحى به ويشرب منه

جبريل

٢٧	٤٢	٣٥
و ل	ح ل	٢
١ ع	٣٤	٣٩

إسرافيل

وله قليلاً ويغتسل بالباقى وهو هذا الوفق والله الشافى بالاجازة من الشيخ طاهر والشيخ محمد ابناء الشيخ سعيد سنبل فى آخر صفر يوم الاثنين سنة ١٢١٣ . فى بندر جده عده ٢٠ .

(**الفائدة الأولى**) لقضاء الحوائج . قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من كانت له حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وتصدق بصدقة قلّت أو كثرت ما بين الرغيف إلى مافوق وما كثر فهو أفضل فإذا صلى الجمعة قال اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الذى ملأت عظمته السموات والأرض وأسألك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو الذى عنت له الوجوه وخضعت له الرقاب وخشعت له الأصوات ووجلت منه القلوب وذرفت منه العيون أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل محمد وأن تعطينى حاجتى وهى كذا وكذا . وكان رضى الله عنه يقول لا تعلموها سفهاءكم فيدعو بعضهم على بعض فيستجاب لهم [1] .

(**تنبيه**) قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى باب دعاء الكرب قال القاضى : قال بعض العلماء هذه الفضائل المذكورة فى هذه الأذكار إنما هى لأهل الشرف فى الدين والطهارة من الكبائر دون المصرين وغيرهم . قال القاضى وهذا فيه نظر والأحاديث عامة ، ثم قال الإمام النووى قلت الصحيح أنها لا تختص والله أعلم .

---

(١) سيأتى التصريح بأن الغالب أن لا يستجاب دعاء السفهاء والعصاة وأمثالهم فافهم ولا تغتر بإطلاق القول فى هذا الباب (إنما يتقبل الله من المتقين) .

وفى كتاب الفوائد للشرجبى قال : قال الكلبى كان لى ولد كلما قرأ شيئاً من القرآن نسيه فرأيت فى المنام قائلاً : يقول لى أكتب له فى إناء الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ . واسق عليه ما زمزم وأسقه ولدك يحفظ القرآن .

وقال جماعة من العلماء من تعسر عليه الحفظ فليكتب ألم نشرح لك صدرك إلى آخرها و يشربها فإنه يتيسر عليه الحفظ إن شاء الله تعالى . ونقل الشيخ المذكور عن بعض العلماء أن من سر الأولياء ودلالتهم لكل من أهمه أمر أو نزل به كرب أن يتوضأ و يصلى المغرب من ليلة الجمعة ، ثم يعتكف على صلاة وذكر الله ولا يكلم أحداً حتى يصلى العشاء فإذا أوتر قال فى آخر سجدة يارب يارحمن ياحى ياقيوم بك أستغيث يا الله يقول ذلك مائة مرة ثم يسأل حاجته و يجتنب أن يدعو على مسلم .

(الفائدة الثانية) قال بعضهم من دعا بهذا الدعاء مائة وثمان عشرة مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت وهو دعاء بسم الله الرحمن الرحيم وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم بفضل بسم الله الرحمن الرحيم و بحق بسم الله الرحمن الرحيم و بهيبة بسم الله الرحمن الرحيم و بمنزلة بسم الله الرحمن الرحيم أرفع قدرى و يسر أمرى واشرح صدرى يا من هو كهيعص حمعسق الم الم الله المص الر المر حم الله لا إله إلا هو الحى القيوم باسم الهيبة والقدرة باسم الجبروت والعظمة اجعلنى من عبادك المتقين وأهل طاعتك المحبين واجعلنى منهم يارب العالمين انتهى .

(الفائدة الثالثة) روى عن الحافظ أبى حاتم الرازى أنه قال : دخلت

مسجد أبي اليمان الحكيم بن رافع فأخذتني الحمى فخرج أبو اليمان من منزله ودخل علي وقال ماقصتك فقلت حممت يا أبا اليمان فقال أين أنت من طلسم الحمى فقلت ما هو فكتب في رقعة وجعلها تحت رأسي فلما قام أخذتها ونظرت إليها فإذا فيها مكتوب ما هذا مثاله وهو هذا قال أبو حاتم فما كان بأسرع من زوالها عني وذهبت ثم جاءني أبو اليمان رضي الله عنه فقال كيف حالك فقلت في عافية بإذن الله تعالى فقال : حفظها وعلمها أولادك والناس فإنها نافعة إن شاء الله تعالى .

لا تقربي — ياحمى — ولا حول ولا — فلان ابن فلان — بإذن الله

(الفائدة الرابعة) مما اشتهرت منفعته وبركته للصداع يكتب في رقعة ويحمل على رأس الوجيع بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله على كل قلب خاشع وغير خاشع وكم نعمة لله على كل عبد شاكر وغير شاكر وكم من نعمة لله على كل عرق ساكن وغير ساكن أسكن أيها الوجع بعزة من له ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم .

(الفائدة الخامسة) قال بعض العلماء الكبار وهذا مما تبين نفعه ووقفت على بركته لمن كان به خوف من سلطان جائر أو راعه ظالم أو هاجه فزع أو ضلت به طريق وهو أن يقرأ سورة يس ثم يقول بسم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بسم الله الذي لا إله إلا هو ذو الجلال والإكرام بسم الله الذي لا يضر

مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ويقول حسبنا الله ونعم الوكيل فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اللهم إني أعوذ بك من شر فلان ابن فلان . أو دلني على موضع كذا وكذا ويدعو بما شاء فان حاجته تقضى إن شاء الله تعالى .

• • •

(وهذه عزيمة لبكاء الأطفاء) تكتب بسم الله الرحمن الرحيم اليوم نختِمُ على أفواههم بسم الله الرحمن الرحيم هذا يوم لا ينطقون بسم الله الرحمن الرحيم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً بسم الله الرحمن الرحيم أفمن هذا الحديث تعجبونَ وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامِدُون بسم الله الرحمن الرحيم له مُعقبات من بَيْنِ يديهِ ومن خلفه يحفظونه من أمر الله بسم الله الرحمن الرحيم الإخلاص إلى آخرها .

ونقل الشرجي من كتاب الصلاة والبشرى للقاضي مجد الدين حديثاً مسنداً أنَّ الخُضُرَ وإلياس عليهما السلام قالا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذَا جَلستمْ مجلساً فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وَصلَّى الله على سيدنا محمد وَسلم يوكل بكم ملكاً يمنعكم من الغيبة حتى لا تغتابوا أحداً وإذا قمتم فقولوا أيضاً بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم فان الناس لا يغتابونكم فان الملك يمنعهم من ذلك .

وذكر في حديث آخر أنه إن كان مجلسَ خيرٍ كانَ ذلِكَ كالطابع له وإن كان مجلس شرٍّ كان كَفَّارَةً له .

وقال الشرجي أيضاً هذه رقية مباركة تكتب وتعلق على عضد المحموم يبرأ سريعاً باذن الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم برَاءَةٌ من الله العزيز الحكيم إلى أم ملدم التي تأكل اللحم وتشرب الدمَ وتهشم العظم أما بعد يا إم مَلدم

إن كنت مؤمنة فبحق محمد الله عليه وسلم وإن كنت يهودية فبحق موسى الكليم عليه السلام وإن كنت نصرانية فبحق عيسى ابن مريم عليه السلام لا أكلت لفلان ابن فلانة لا شربت له دماً ولا هشمت له عظماً وتحولى عنه إلى من اتخذ مع الله إلهـ خر لا إله إلا هو العزيز الحكيم وإلا فأنت بريئة من الله والله برىء منك حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(الفائده السادسة سمه تعالى (الله) من رتبه بعد صلاة الصبح مائة مرة انكشفت له الأسرار و نوار . وقال الشيخ زروق إسمه تعالى (الله) خاصيته زيادة اليقين وتيسير اصد المحمودة فى الذوات والصفات والأفعال فقد قالوا من داومه كل يوم ألف ة بصيغة ياالله ياهو رزقه الله كمال اليقين ، اسمه (الرحمن) من قرأه كل ائة مرة نال الرحمة العظيمة من الله تعالى .

قال سيدى أحمد بن د بن محمد بن عيسى البرنسى ثم الفاسى الشهير بزروق[1] (الرحمن) خا صرف للمكروه عن ذاكره وحامله. قال ويذكر به مائة مرة بعد كل صلاة جمع وخلوة فتخرج الغفلة والنسيان من القلب باذن الله تعالى ، اسمه (الر) من قرأه كل يوم مائة مرة كان عزيزاً عند الله أميناً عند الناس وعزيزاً . الشيخ زروق (الرحيم) خاصيته رقة القلب والرحمة للخلق فمن داومه يوم مائة مرة كان له ذلك . ومن خاف الوقوع فى مكروه ذكره مع الذى أو حمله إنتهى كلامه .

قلت وأعلم أن تأثير سماء غالباً إنما يكون مع تحقق الصدق وصفاء المرآة من حيث صلاح نية اكر وحسن حاله . لا هذرمته ومقاله . ويؤيد ما قلته الشواهد النقلية وا ل العقلية . ومن ذلك ما رواه ابن عدى عن

---

(١) هو أبو العباس ا الصوفى المتوفى سنة ٨٩٩ بتكرين من قرى مسراته بطرابلس الغرب .

عبد الرحمن القرشى قال حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال حدثنا ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله تعالى عن الإسمَ الأعظم فجاءنى جبريل عليه السلام به مخزوناً مختوماً . وهو : اللهم إنى أسألك باسمك المكنون الطهر الطاهر المقدس المبارك الحى القيوم . فقالت عائشة رضى الله عنها بأبى أنت وأمى علمنيه فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء انتهى .

فافهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام نهينا عن تعليمه بعد أن أخبرهم بلفظه وتكلمه على صفة مبنى النحل قبل أن يكون فيه العسل الذى هو رأس تكميله وتتميمه فلا تظن أن المقصود من ذلك الألفاظ الظاهرة فانها مقدور عليها لعامة الكتاب وأنه قد علمهم إياها حين قرأ كما ترى ، وإنما المقصود من ذلك تعليم الشرائط والطرائق الدالة على بلوغ الحقائق والدقائق التى هى ثمرة العلم والعبادة وصفاء القلوب من أكدار الحسد والحقد ومن جميع العيوب وبالله التوفيق والهداية إلى نيل كل مطلوب (١) .

وقد نقل المناوى فى طبقاته أن الامام سهل بن عبدالله التسترى سئل عن الاسم الأعظم فقال أرونى الأصغر أريكم الأعظم ، أسماء الله كلها عظيمة ، أصدق وخذ أى اسم شئت .

وقال الشيخ أبو يزيد البسطامى المسمى طيفور لما قال له رجل علمنى الاسم الأعظم فقال ليس له حد محدود وإنما هو فراغ قلبك ماشئت لوحدانيته فاذا كنت كذلك فارجع إلى أى اسم شئت فتسير به من المشرق إلى المغرب - يعنى قبل أن يرتد إليك طرفك .

وقال الشيخ إبراهيم الدسوقى الهاشمى كم رجل يتلو الاسم الأعظم ولا يدريه

(١) كذا بالأصل هذه العبارة فلتحرر .

ولا يدرى معناه . ومن ذلك أيضاً ما روى عن الشيخ أبى الحسن الدينورى أنه أتاه إنسان باناء ليكتب له شيئاً يسهل الولادة لامرأة تعسرت ولادتها فكتب له الشيخ بسم الله الرحمن الرحيم . فلما فرغ انفلق الاناء فأتى باناء آخر فكتب فيه مثله فانفلق ثم أتاه بثالث ورابع وهو كذلك يكتب وتنفلق الآنية . فقال له ياهذا أذهب إلى غيرى فلو جئتنى بما أمكن أن تجيئنى به لم يكن إلا ما رأيت فانى إذا ذكرت الله تعالى ذكرته بهيبة وحضور . فهؤلاء هم الرجال . أهل المكانة والانفعال . فينبغى لامثالنا إذا جرب شيئاً من هذه الأمور ولم يحصل له المقصود أن يعلم أن ذلك إنما هو من جهته لا من جهة الاسم الشريف كما قيل .

والنجم قد تنكر الابصار رؤيته   والذنب للعين لا للنجم فى الصغر

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى باب دعاء الكرب فيه حديث ابن عباس رضى الله عنهما وهو حديث جليل ينبغى الاعتناء به والاكثار منه عند الكرب .

ثم قال قال الطبرى كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب . ثم قال الإمام فان قيل فهذا ذكر وليس فيه دعاء . فجوابه من وجهين مشهورين . أحدهما أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما يشاء . والثانى وهو جواب سفيان بن عيينة قال أما علمت قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وقال الشاعر :

إذا أثنى عليك المرء يوماً   كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال : قال القاضى قال بعض العلماء هذه الفضائل المذكورة فى هذه

الأذكار إنما هى لأهل الشرف فى الدين والطهارة من الكبائر دون المصرين وغيرهم ثم قال : قال القاضى وهذا فيه نظر والأحاديث عامة .

ثم قال الإمام النووى قلت والصحيح أنها لا تختص . (قلت) واختصاصها عام وعمومها خاص لأن الغالب أنها لا تستجاب الدعوات وتنزل البركات إلا على ذوى الأعمال الصالحات . والنيات الخالصات . إذا تكلموا بالكلمات الطيبات . إليه يصعد الكلم الطيب . الطيبون للطيبات . وأما قول النووى فإن قيل فهذا ذكر وليس فيه دعاء يملى دعاء الكرب ثم أجاب بما تقدم فالعجب منه حيث لم يستحضر ما جاء فى كتاب الله عن نبيه ذى النون الذى اصطفاه ونجاه وأجابه بما دعاه وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فهذا الدعاء كله أوله ذكر لله وتنزيه له وآخره اعتراف بالظلم وليس فيه شىء من الدعاء فكان الجزاء له من الله تعالى قوله (فاستجبنا له ونجيناه من الغم . وكذلك ننجي المؤمنين) إذا ذكرونا مثل ذكره وطلبوا منا النجاة من أمر ما . مثل أمره وكشف ضر ما مثل ضره المشار إليه بقوله فى الموضع الآخر (رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) فإنه لم يكن له فى مثل الموضعين لفظ دعاء . وإنما ذكر أولا التهليل وثانيا التسبيح . وثالثا الإقرار بالظلم ورابعا حكاية الضر وخامسا المدح لمولاه بأنه أرحم الراحمين وجوابه ما تقدم والله أعلم .

وقال سيدنا عبد الله الحداد فى كتابه المسمى باتحاف السائل : ربما داوم الإنسان على قراءة شىء من السور أو واظب على شىء من الأذكار أو الأدعية الموعود عليها شىء من المنافع الجالبة فلم ير لذلك أثرا فلا ينبغى لمن وقع له ذلك أن يشك فى صحة ما وقع به الوعد الصادق والذى ينبغى له أن يرجع على نفسه باللائمة وينسبها إلى التقصير فى يقينها وتوجهها . فإن القارىء والذاكر

لا يسمى قارئاً ولا ذاكراً على الاطلاق إلا باجتماع شرائط فيه يقصر عن القيام بها أكثر الناس ، قال والعمدة فى تأثير هذه الأشياء ، وحصول الجدوى بها تيقن القلب بأن ما ذكره كما ذكره من غير تشكك ولا قصد تجربة وصدق التوجه واجتماعُ الظاهر والباطن على الدخول فى ذلك الشىء وامتلاء القلب بخالص حسن الظن بالله وكمالُ الحضور معه تعالى . فقلّ أن تجتمع هذه الأشياء فى متوجه بشىء من الآيات والأذكار فى حصول شىء أى شىء كان إلا ويكون مطلوبه كأنه طوع يده وتحت حكمه وتصرفه فلا يلومَنّ عبد قعدت به همته وأخّره جده وتشميره إلا نفسه وما الله بظلام للعبيد . قال وخواص السور والآيات القرآنية والأذكار والأدعية النبوية أمر غير مجهول وكتب السنة طافحة به . وقد ألف الإمام الغزالى فى ذلك كتابه « الذهب الأبريز فى خواص الكتاب العزيز » . وليس فى ترتيب الواقعة ونحوها يعنى من السور القرآنية والأذكار والأسماء النورانية لجلب المنافع ودفع المضار الدنيوية ما يقدح فى عمل ولا نية . ثم قال نعم لا ينبغى أن يكون الباعث على قراءتها مجرداً عن المقاصد الدنيوية إلى آخر ما قال فى اتحاف السائل .

وقال بعض الكبار فى كتاب ألفه فى فضائل الأذكار واعلم أن الاستعاذة والاستجارة بالله والمراجعة إليه لا تنافى مقام التوكل كالدعاء والاستغاثة لأنا تعبدنا بها والتعبدات لا تنافى مقام التوكل وأنه جائز بالأذكار المرضية كما ينبىء عنه . لا يسترقون فى حديث السبعين ألفا . وقوله بسم الله أرقيك والله يشفيك ، وحديث الراقى بام الكتاب بخلاف التمائم فانها تنافى التوكل . فافهم قال والأدعية والاستعاذات المأثورات أسرع إلى القبول .

(الفائدة السابعة) فى ذكر ورد عظيم . فيه طب السقيم . وهو من أتم أورادى اللاتى بلغت بها أقصى مرادى . وأهديتها لأهل ودادى . وقد عنّ لى

أن أذكرة فى هذا الجزء الثانى من كتابى هذا مرتين الأولى تقدمت فى آخر الفصل الثالث من الفصول الخمسة . وهو فصل فضل الأوراد والثانية هنا وقد تقدم فى فضله ما فيه الكفاية وهو العشرة الأذكار للشرقة الأنوار .

الأول منها تقول بسم الله الرحمن الرحيم (مائة مرة) الثانى تقول الحمد لله رب العالمين (مائة مرة) الثالث اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم (مائة مرة) الرابع . لا آله إلا الله محمد رسول الله (مائة مرة) الخامس سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (مائة مرة) السادس استغفر الله العظيم وأسأله التوبة (مائة مرة) السابع اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى (مائة مرة) الثامن تقرأ قل هو الله أحد (مائة مرة) التاسع حسبنا الله ونعم الوكيل (مائة مرة) العاشر اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آل محمد (ثلاث مرات)

(الفائدة الثامنة) قال بعض العلماء أعلم أن فى ذكر بسم الله الرحمن الرحيم . وفى الاكثار منها وفى إدمانها غرائب وعجائب فى ترقيق القلب وتلطيفه ثم قال وذكر بعض المشايخ المغاربة فى بعض كتبه للوثوق به أن السالك إن أعوزه وجدان الشيخ المرشد المربى المسعد يكفيه فى سلوكه ملازمة هذا الذكر المبارك فى كل يوم وليلة فى بعض الأوقات بلا ترك لما التزم . وأدنى نصابه عدد حروف البسملة بالجمل الكبير وهو سبعمائة واثنان وعشرون فاذا أتى به ينوب له مناب الشيخ ويسد مسده ثم قال وقيل فى قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى أن المراد بها كلمة بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال وفى بعض كتب المشايخ كلمة بسم الله الرحمن الرحيم فاتقة للرتوق مسهلة للوعور مجنبة الشرور شفاء لما فى الصدور أمان يوم النشور ثم قال ويكفى هذا الذكر المبارك شرفاً وكرامة افتتاح كل سورة من سور القرآن العظيم به فهو مفتاح كل خير وسعادة .

الفصل الثالث

فى معنى البسملة وأعرابها وأقوال العلماء فى معناها وبالله التوفيق والهداية والإعانة على الابانة فأما إعراب البسملة فقد قال النحويون الاسم لغة سمة الشيء أى علامته واشتقاقه من السمو وهو العلو . أو من السمة وهى العلامة . والأول أصح واصطلاحاً ما كان دالا على معنى فى نفسه ولم يقترن بزمان وعلامته أنه يعرف بالخفض فى آخره والخفض خفض بالحرف أو بالإضافة أو بالتبعية قالوا وقد جاءت هذه الثلاثة فى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فاسم مجرور بالحرف ولفظ الجلالة مجرور بالإضافة والرحمن الرحيم جرًا بالتبعية عند الأكثر لأنها صفتان للجلالة الكريمة والصفة تتبع للموصوف . قال ابن هشام وجملة البسملة إن قدر ابتدائى باسم الله فهى اسميه وهو قول البصريين . وإن قدر أبدأ باسم الله فهى فعلية وهو قول الكوفيين . وهو المشهور فى التفاسير . ولم يذكر الزمخشرى غيره إلا أنه يقدر الفعل مؤخراً ومناسباً لما جعلت التسمية مبدأ له فيقدر باسم الله اقرأ باسم الله أحل باسم الله أرتحل . قال ويؤيده الحديث باسمك ربى وضعت جنبى . انتهى .

وأما بسم فهى لتحقيق إضافة طلب الاستعانة بالله ومعناها ابتدىء متبركاً ومستعيناً على هذا الأمر بسم الله . وأصل اسم من السمو وهو الارتفاع حذف عجزه وعوض عنه همزة الوصل فوزانه افع . وقال بعضهم الاسم هو اللفظ الدال على مسمى فأسماؤه تعالى كل لفظ دل على ذاته كالله الرحمن القدوس . أو على صفة من صفاته معنوية كانت كالحى العليم القادر المريد المتكلم السميع البصير أو فعلية كالخالق البارىء المصور القهار الوهاب الرزاق هذا أحد الأقوال التى ذكرها العلماء . وقد قدمنا فى الفصل الخامس من المقدمة مايوضح ذلك عن الشيخ القاشانى فراجعه .

وأما الجلالة فقد سبق بيان معناها أيضا فى شرح قوله أعوذ بالله السميع العليم أول الراتب .

وأما الرحمن الرحيم فمعناهما ماذكره سيدى محمد العمرى فى كتاب بحر الأنوار . قال رحمه الله الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقان من الرحمة التى هى رقة القلب وهى كيفية نفسانية تستحيل فى حق البارىء تعالى فتحمل على غايتها وهى التفضل والاحسان قال وأسماء الله المأخوذة من نحو ذلك إنما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادى التى تكون انفعالات فالرحمة فى حقه تعالى معناها إرادة الانعام والفضل الشامل العام فتكون صفة ذات أو هى الانعام والاستعارة تمثيلية بان مثلت حالته تعالى بحال ملك عطف على رعيته ورق لهم فعمهم معروفه فأطلق عليه الاسم وأريد غايته التى هى إرادة الانعام أو فعله لامبدؤه الذى هو انفعال من الرقة ، واسم الرحمن أخص من الرحيم إذ لايسمى به غير الله عز وجل ، وأما تسمية مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة فى قول شاعرهم : وأنت غياث الورى مازلت رحمانا فذلك من باب تعنتهم فى الكفر ومبالغتهم فى مدح صاحبهم امنهم الله كما لعنه وخذله وقتله فلا يلتفت إلى قولهم هذا . ولايكون حجة فى تسمية غير الله به ؛ ومعنى الرحيم المنعم على العباد بسد الخلل فى الدنيا والرحمن المنعم على المؤمنين بالايمان والطاعة والاحسان والفوز فى الاخرة بالأمان ، ورحمة الله تامة عامة . أما تمامها فانه تعالى يريد الانعام ويقدر عليه ويفعله . وأما عمومها فتعم المطيع والعاصى ويرحم الكافر فى الدنيا فيرزقه ويمهله وهو سبحانه منزه عن الرقة بخلاف رحمة العبد العبيد فانها رقة تلحقه . فتفسر رحمته تعالى وهى إرادته لدفع النقمة ووصول النعمة إلى المرحوم والرحمن هو الراحم للعبد بنعم لايقدر عليها العباد وذلك بايجادنا أولا وهدايتنا ثانيا وسعادتنا فى الآخرة ثالثا والنظر اليه رابعا وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها

الآية . وقد أنزل الله هذين الاسمين الرحمن الرحيم مع اسمه الأعظم مفتاح الخطاب .

وقال ترجمان القرآن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، وقيل الرحمن مبالغة من الرحيم والرحيم مبالغة من الراحم وقيل الرحيم المحسن فى الدنيا والرحمن المحسن فى الدنيا والآخرة بالنعم العاجلة والآجلة ، وقيل هما بمعنى واحد كندمان ونديم ، والرحمة هى إرادة الانعام ثم يسمى الانعام رحمة لأنه أثرها ومنه الحديث رحمتى سبقت غضبى أى فضلى واحسانى يغلب انتقامى ومنه الحديث ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها فى الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فيعطف الوالد على ولده والقريب على قريبه . وادخر تسعاً وتسعين فى الآخرة . فاذا كان يوم القيامة أضافها إلى التسع والتسعين فأكملها ، ويسمى الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة فى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) والله عز وجل رحيم لم يزل قبل وجود المرحومين فانه تعالى علم انه سيخلق خلقه ويرحمهم كما أنه تعالى لم يزل قادرا قبل وجود المقدور فى الأزل .

قال ومعنى اسمه تعالى خير الراحمين وأرحم الراحمين أن الراحم منا إذا حصلت له رقة يتألم لها قبل الرحمة ويلتذبها بعدها وربما رحم لغرض أو قصرت قدرته عن الانعام الذى يقصده ورحمة الله تعالى منزهة مقدسة عن العلل .

ثم قال العمرى فان قيل كيف يصح هذا وفى الخلق أهل بلاء وعاهات فالجواب من وجهين أحدهما أنه أرحم الراحمين لمن يريد أن يرحمه كما أنه أقوى المنتقمين لمن يريد أن ينتقم منه . وقد أخبر أنه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء . والثانى أن البلاء قد يكون فيه مصلحة للعبد من حيث لا يدرى إما عاجلا وإما آجلا فكم من عبد ابتلاه فرده بالبلاء والضراء اليه . وفى رده

أكبر النعماء قلت ويستدل له بقوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) وكذلك ما جاء فى الحديث الصحيح ياعبادى إن منكم من لايصلحه إلا السقم ولو عافيته لفسد . الحديث .

ونعود إلى كلام سيدى محمد العمرى قال وقيل الرحمن المحسن فى الدنيا والرحيم المحسن فى الآخرة . وقيل الرحمن معطى النعم الباطنة والرحيم معطى النعم الظاهرة . وقيل الرحيم معطى النعم والرحمن دافع النقم . ومن هذا المعنى الحفى فى قوله تعالى (إنه كان بى حفيا) الحفى الرحيم ، وفى معناه البر الرحيم قال تعالى (إنه هو البر الرحيم) وقيل الرحيم الحنان قال تعالى (وحنانا من لدنا) .

ثم قال سيدى العمرى بعد أن أورد عدة أقوال جلها قد ذكرناه هنا فى معنى هذين الاسمين ، وآثار معرفة هذه الأسماء التى هى من دائرة الرحمانية حسنُ الظن بالله تعالى ورجاء كرمه فى قبول طاعته وقبول توبته وأما الطمع مع التفريط فى الواجبات والإصرار على المخالفات فهو غرور وليس برجاء محمود ، ومن آثارها الرحمة لعباد الله والصفح عنهم والرفق بهم . وفى الحديث الشريف إنما يرحم الله من عباده الرحماء أرحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء من لايرحم لايرحم ، ومن آثارها الاكتفاء بالله فى المهمات . ويقال من وصل إلى بساط المعرفة لم يحسن أن تكون له حاجة إلى غير الله ، وقيل لبعضهم ألك حاجة فقالت ليس لى حاجة إلا إلى من يعلم حاجتى قبل سؤالى كما قال جبريل للخليل عليهما السلام حال إلقائه فى النار ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال له جبريل أرفعها إلى الله فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى ، وقيل لبعضهم إن المشايخ قد اجتمعوا بباب السلطان يستشفعون فى فلان فقال هلا وقفوا بباب أرحم الرحمين ثم قال وقد يرحم الله العبد بعد اليأس وذلك أبلغ فى السرور (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد) وقال تعالى (حتى إذا

استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) وقيل فى معنى ذلك

ألا إنك البر الرحيم وانني لأدعوك بالبر الذى منك لى بدأ
حمدتك للاحسان منك وإن لى على الحمد فضلا منك يامانح المدى
وما أنا أهل البر بل أنت أهله لأن العطايا منك تسدى لنا سدى
وإنى لأستحييك لو لا تمسكى بحلمك فى التقصير أن أوتر بدأ[1]
ولكنك الجرى لنا عادة الرضا فكل بها جار على ما تعودا
فعفوا عن التقصير منا ورحمة فانك تعفو ثم تنعم بالجـــدا

ثم قال الشيخ العمرى رضى الله عنه (تنبيه) اسمه الرحمن من دوام على ذكره كان ملطوفاً به فى جميع أحواله . الرحيم من اتخذه ذكراً لا يسأل الله شيئاً الا أعطاه اياه ويكون حامله وذاكره أماناً من آفات الدهر اه ما نقلته من كلام العمرى وغيره مع مازدته من فضل الله فى معنى تفسير البسملة والله أعلم .

خاتمـــة

فى ذكر شىء مما ورد من أحاديث الرحمة وصلة الأرحام وما يتعلق بذلك ويناسبه نذكرها هنا تبركاً وتيمناً بها لاشتقاق الرحمة والرحم من اسم الرحمن الرحيم .

أحاديث الرحمة وصلة الأرحام وأثرها

عن أبى أسيد بضم الهمزة وفتح السين مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما

---

(١) كذا فى الأصل

فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما رواه أبو داود ونقله عنه الإمام محيي الدين النووي .

ونقل أيضاً من الصحيحين حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الطويل المشتمل على جملة كثيرة من قواعد الاسلام وآدابه . وقال قال فيه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يعني في أول النبوة فقلت ما أنت قال نبيّ فقلت ما نبي قال أرسلني الله قلت بأي شيء أرسلك قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به وذكر تمام الحديث وفي الاشارات على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى عبدي إن استحققتك شققت لك من الرحمانية شقاً فكنت أرحم بالمؤمن من نفسه .

وفي الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة . فقال مستريح ومستراح منه فقالوا يارسول الله ما المستريح وما المستراح منه فقال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن يستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى . والعبد الفاجر تستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب .

وقال عليه الصلاة والسلام أرحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ويل لاقماع القول . ويل المصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون .

وقال عليه الصلاة والسلام اطلبوا الحوائج إلى ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول رحمتي في ذوي الرحمة من عبادي ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول إن سخطي فيهم .

وقال عليه الصلاة والسلام أطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات

رحمة الله فان لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوا الله تعالى أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم نقله الإمام ابن حجر الهيتمى فى كتابه أسنى المطالب فى صلة الأقارب وقال أخرجه الحكيم الترمذى وابن أبى الدنيا والبيهقى .

وقال عليه السلام أطلبوا الفضل عند الرحماء من أمتى تعيشوا فى أكنافهم فان فيهم رحمتى ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم ، فانهم ينتظرون سخطى .

وقال عليه السلام اطلبوا المعروف من رحماء أمتى تعيشوا فى أكنافهم ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فان اللعنة تنزل عليهم ياعلى إن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلا فحببه إليهم وحبب إليهم فعاله . ووجه إليهم طلابه كما وجه الماء فى الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها إن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة .

وقال أيضا إن الله تعالى خلق يوم خلق السماء والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والأرض وجعل منها رحمة فى الأرض فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض . وأخر تسعاً وتسعين فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة رواه سلمان وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما .

وقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى لما خلق الخلق بيده كتب على نفسه إن رحمتى تغلب غضبى . وقال صلى الله عليه وسلم إن أرحم ما يكون الله بالعبد إذا وضع فى حفرته رواه كعب بن مالك رضى الله عنه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على رضى الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس . فقال الأقرع إنّ لى

عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من لا يرحم لا يرحم أخرجه الخمسة إلا النسائى . وزاد رزين أو أملك أن كان الله نزع منكم الرحمة . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى أخرجه الشيخان والترمذى وعند البخارى رحمه الله فى أخرى غلبت غضبى وعند الشيخين فى أخرى سبقت غضبى ولهذا قال سيدنا الجنيد إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسىء بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلا لهم . فقال له عطاء متى تبدو فقال هى بادية قال الله تعالى سبقت رحمتى غضبى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أماما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى .

وروى أبو أيوب الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتاقى البشير فى الدنيا يقولون أنظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد فيسألونه ما فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة . فاذا سألوه عن رجل مات قبله . وقال قد مات قبلى قالوا إن الله ذهب به إلى أمه الهاوية ذكره الغزالى فى الاحياء .

وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا رحمة مهداة . وقال أنا نبى الرحمة . وقال الإمام محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم رضى الله عنه لاتعاجلوا

الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطول عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أحتجت الجنة والنار فقالت النار فىّ الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة فىّ ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء . وإنك النار عذابى أعذب بك من أشاء ولكل منكما على ملؤها رواه مسلم . .

وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها . نقله إمامنا النووى فى رياض الصالحين . وقال قطعت بفتح القاف والطاء ورحمه مرفوع لأنه فاعل فافهم أن المراد وصل الرحم القاطع وقد أشار إليه قول جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وذلك حين سأله النبى صلى الله عليه وسلم عن معنى قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

وقال عليه السلام إن لله ملكاً موكلا بمن يقول ياأرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال له الملك إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل . رواه أبو أمامة .

وقال صلى الله عليه وسلم إنما يدخل الجنة من يرجوها . وإنما يجنب النار من يخافها . وإنما يرحم الله من يرحم رواه ابن عمر . وقال عليه السلام إنما يرحم الله من عباده الرحماء . وقال عليه السلام إنى لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة .

وقال عليه السلام إنى لم أبعث بقطيعة الرحم رواه حصين بن دحرج .

وقال صلى الله عليه وسلم إيما راع لم يرحم رعيته حرم الله عليه الجنة رواه خيثمة. وقال صلى الله عليه وسلم إيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء رواه عبد الرحمن بن سمرة .

وقال صلى الله عليه وسلم البركة فى أكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا . وقال عليه السلام جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه رواه أبو هريرة . وقال أيضاً الجماعة رحمة والفرقة عذاب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خاب وخسر عبد لم يجعل الله فى قلبه رحمة للبشر » . رواه الدولابى فى الكنى وأبو نعيم فى المعرفة وابن عساكر عن عمرو ابن شعيب .

وقال عليه السلام يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام .

وقال عليه السلام : « إن هذا الأمر فى قريش ما إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، قوله « صرفاً ولا عدلاً » . قال النووى فى صحيح مسلم قال القاضى عياض قال المازرى قيل الصرف الفريضة والعدل النافلة ، وقيل عكسه ، وقيل الصرف التوبة والعدل الفدية ، وقيل غير ذلك .

(قلت) وفى هذا الحديث أعظم البشارة لقريش إن عدلت ورحمت وأعظم الخسارة لها إن جارت وقست . وقوله إن هذا الأمر فى قريش معناه الوراثة المحمدية . للأسرار الإلهية . والعلوم الربانية . والمواهب الرحمانية . والرياسة

النبوية . والسياسة الحكمية[1] . المشار إليها بقول يوسف عليه السلام (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولبى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين) وقوله تعالى (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً) وقول إبراهيم (رب هب لى حكماً والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (وانذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال يابنى كعب بن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يابنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها رواه مسلم . نقله الإمام النووى فى الرياض وقال فى معناه . قوله صلى الله عليه وسلم ببلالها هو بفتح البا للوحدة الثانية وكسرها. والبلال للماء ومعنى الحديث سأصلها شبه قطيعتها بالحرارة تطفؤ بالماء وهذه تبرد بالصلة .

وعن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه أن أعرابياً قال يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولاتشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم رواه البخارى ومسلم ونقله الإمام النووى فى الرياض وقال متفق عليه .

ونقل أيضاً فيه عن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد تمراً فالماء فإنه طهور م

---

(١) وقيل المراد به الخلافة النبوية فى الحكم .

وقال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوى الرحم ثنتان صدقة وصلة رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنذر إلا فيما يبتغى به وجه الله تعالى ولا يمين فى قطيعة رحم أخرجه أبو داود .

وفى كتاب الفصول فى مناقب الأئمة من آل الرسول عن على الرضا بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بى إلى السماء رأيت رحماً متعلقة بالعرش تشكو رحماً إلى ربها إنها قاطعة لها . قات كم بينك و بينها من أب قالت نلتقى فى أربعين أبا . وفى الكتاب المذكور عن جعفر الصادق قال حدثنى أبى محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليصل رحمه . وقد بقى من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه . وقد بقى من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينزلها الله ثلاث سنين (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع رحم . وقال عليه الصلاة والسلام إن الرحمة لا تنزل على قوم وفيهم قاطع رحم . قال بعض العلماء بعد إيراد هذا الحديث فإذا كان قاطع الرحم يمنع نزول الرحمة عمن جاوره فكيف يكون القاطع نفسه فنعوذ بالله من الخذلان الذى هو سبب الحرمان .

وسئل صلوات الله وسلامه عليه عن خير الناس فقال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وقال عليه الصلاة والسلام

---

(١) وهذا من القضاء المعلق كما تقرر فى موضعه .

وقال عليه السلام ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر رواه الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس .

وقال عليه السلام من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء رواه جرير رضى الله عنه .

وقال عليه السلام من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له ومن لا يتب لا يتب عليه رواه جرير أيضا .

وقال صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله رواه جرير رضى الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم والشاة إن رحمتها يرحمك الله رواه الطبرانى عن قرة بن إياس . وعن معقل بن يسار قال: قال عليه السلام لا تنزع الرحمة إلا من شقى رواه الإمام أحمد وغيره عن أبى هريرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم أحد يدخل الجنة بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته وإن سبعين ألفاً من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب قال عكاشة بن محصن الأسدى يارسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت منهم فقام آخر وقال وأنا يارسول الله ادع الله لى أن يجعلنى منهم فقال سبقك عكاشة انتهى ، ولفظه فى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم لن ينجى أحداً منكم عمله قال رجل ولا إياك يارسول الله قال ولا اياى إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة ولكن سددوا وقاربوا وفى رواية برحمة منه وفضل وفى رواية بمغفرة ورحمة . وفى رواية إلا أن يتداركنى الله منه برحمة .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم واعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرها من أنواع التكليف

ولاتثبت هذه كلها ولاغيرها إلا بالشرع . ومذهب أهل السنة أيضا أن الله عز وجل لايجب عليه شيء تعالى الله بل العالم كله ملكه الدنيا والآخرة فى سلطانه يفعل فيهما مايشاء . فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه وإن أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه . ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه أخبر وخبره صدق أنه لايفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته . ويعذب الكافرين ويدخلهم فى النار عدلا منه . قال وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح ويمنعون خلاف هذا فى خبط طويل لهم . تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع .

ثم قال الامام النووى وفى ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . وأما قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض هذه الأحاديث بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال . ثم التوفيق للأعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله ليصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه يدخل بالأعمال أى بسببها وهى من الرحمة والله أعلم .

ثم قال النووى ومعنى يتغمدنى برحمته يلبسنيها ويتغمدنى بها . ومنه غمدت السيف وأغمدته إذا جعلته فى غمده وسترته به ومعنى سددوا وقاربوا . أطلبوا السداد واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوه أى اقربوا منه . والسداد الصواب وهو بين الافراط والتفريط فلا تغلوا ولاتقصروا انتهى .

ونعود إلى تجريد الهمة وإنهاض العزمة فى تمام نقل أخبار وآثار فى الرحمة وخصوصاً لهذه الأمة المشار اليها بقوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى

الأمى) الآيات وحكى أن رجلا من بنى اسرائيل عبد الله سبعين سنة ولم يفتر فيها ولااشتغل بغير الله فأوحى الله تعالى إلى نبى ذلك الزمان قل لعبدى فلان إنك وفيت بعهدى وأفنيت عمرك فى خدمتى فسأدخلك الجنة بفضلى ورحمتى . قال فلما قال له النبى ذلك أطرق رأسه ساعة ثم رفعه وقال إذا كان دخولى الجنة بفضله ورحمته فما فعلت عبادتى سبعين سنة فلم يستقم خاطره حتى ابتلاه الله تعالى بوجع فى ضرسه فوجعه وشدد عليه فاستغاث . فأوحى الله إلى نبى ذلك الزمان أن قل لهذا العبد هل أنت باذل عبادتك السبعين السنة فى مقابلة رفع هذا الوجع ونحن نرفعه منك . فقال ومن لى بذلك ومن يملك ذلك . قال مايستطيع صرف ذلك إلا الله فقال له النبى إن الله قد أوحى إلى بذلك . فقال قد نزلت عن عبادتى ورضيت فشفاه الله سبحانه وأوحى إلى النبى أن قل له قد مضت عبادتك فى رفع الألم عنك فبما ذا بقيت تدخل الجنة إن لم أتغمدك بفضلى ورحمتى فبكى وتاب إلى الله تعالى مما خطر بباله .

إلهى لك الحمد الذى أنت أهله على نعم تعلم بأنى لها أهلا
إذا ازددت تقصيراً تزدنى تفضلا كأنى بالتقصير استوجب الفضلا

وفى البخارى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبى فاذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبياً فى السبى أخذته فالصقته ببطنها فأرضعته . فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله وهى تقدر على أن لاتطرحه . فقال فالله أرحم بعباده من هذه بولدها قلت هذا الحديث ختم به الإمام الغزالى كتابه إحياء علوم الدين مع زيادة فى لفظه والله أعلم .

وفى البخارى أيضاً بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة وقمنا معه فقال اعرابى وهو فى الصلاة اللهم ارحمنى

ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً . فلما سلم صلى الله عليه وسلم قال للاعرابى لقد تحجرت واسعاً يريد رحمة الله ثم لم يلبث الاعرابى أن بال فى المسجد فأسرع اليه الناس فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلا من ماء أوقال ذنوباً من ماء . قوله تحجرت واسعاً أى ضيقت السعة . والذنوب الدلو العظيمة وكذلك السجل إلا إذا كان فيه ماء .

وفى كتاب التوبة من الاحياء للامام حجة الإسلام الغزالى قال قال بعض السلف مامن عبد يعصى إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً . فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدى فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه فلعله يتوب إلى فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله حسنات فذلك معنى قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده .

وقال رجل لمعاذ أوصنى فقال كن رحيماً أكن لك بالجنة زعيما ، وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ديوان امته . فقـــال يارب اجعل حسابهم إلى لئلا يطلع على مساويهم غيرى . فأوحى الله إليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا اجعل حسابهم إلى غيرى لئلا تنظر فى مساويهم أنت ولا غيرك نقله فى الاحياء .

وفيه عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخلق الله شيئاً إلا جعل له مايغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه . وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان.

وفى البخارى أيضاً بإسناده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن ينجى أحداً منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال

ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا .

وفى البخارى أيضاً بإسناده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك منها عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة ولو يعلم المؤمن كل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار .

وروى الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه بسنده إلى أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه قالت له هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فذلك لك . قال أبو هريرة فاقرؤا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) .

وعن الحسن بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة تحت العرش يوم القيامة . القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن والأمانة والرحم تنادى أن من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه .

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يبسط الله تعالى له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه وعن الترمذى تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة

فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر ينسأ أى يؤخر والأثر هنا الأجل .

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه من جملة حديث طويل جليل أخرجه مسلم قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قرباه ومسلم عفيف متعفف ذو عيال الحديث بطوله .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت متفق عليه .

وعن أبى بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم أخرجه أبو داود والترمذى .

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قاطع رحم . وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد إلى ثلاثة أيام . والرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة .

(فائدة) قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى حيث يقول إن رحمتى تغلب غضبى وفى رواية سبقت رحمتى غضبى .

قال العلماء غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة فإرادته الاثابة للطيع تسمى رضا ورحمة وإرادته عقاب العاصى وخذلانه تسمى غضباً وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد جميع الإرادات . قالوا والمراد بالسبق

والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا أكثر منه . قوله صلى الله عليه وسلم جعل الله الرحمة مائة جزء الخ .

قال النووى هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين . قال العلماء لأنه إذا حصلت للانسان رحمة واحدة فى هذه الدار المبنية على الأكدار من فروع الإسلام والطرائق والصلة والرحمة فى قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به فكيف الظن بمائة رحمة فى الدار الآخرة وهى دار القرار ودار الجزاء والله أعلم اه . وبالله التوفيق والهداية والحماية من الزيغ والغواية . فإليه ملجانا وبه من كل شر منجانا . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الذكر السادس وشرحه

ثم قال سيدنا عمر رضى الله عنه وأرضاه .

(بسم الله تحصنا بالله بسم الله توكلنا بالله . ثلاثاً)

قال الشيخ على باراس قوله بسم الله هو الاسم الجامع لجميع مظاهر الألوهية تحصنا بالله بذلك الحصن إذ هذا الإسم حصن الله إذ قد قال فيما يروى عنه لا إله إلا الله حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى . ومن تحصن به ولجا إليه فقد أمن من كل محذور ونجا من كل مخوف قال وقوله بسم الله توكلنا بجمعيتنا بالله الذى به لا بأنفسنا متوكلين لكونه هو الذى أعطانا التوكل عليه الذى هو أرفع مقامات المعاملة الذى لم يكن فى مظان البشر أن يقوم به . وهذا هو التوكل الحقيقى لأنه خرج فيه عن كونه متوكلا وعن دعوى وجود حال بنفسه إذ الأحوال لا تستفاد بوظائف الكسب بل من طريق المواهب فليس للعبد إليه سبيل إلا التعرض والاستعداد بالمواظبة على الرياضة والسرد والأوراد قال وذلك ثلاثاً انتهى كلام الشيخ على نفع الله به .

* * *

ونحن نشرع فى تحصيل الزيادة ، وتأصيل الإفادة ، والتكميل على مابناه الشيخ وأشاده : من الآيات والأحاديث والآثار المستجادة . بما تقر به العيون ، وتشفى به الشجون ، مما ابتغاه طالب التحقيق للعلوم وأراده . فنقول .

اعلم أن هذا الذكر أتى به سيدنا الشيخ عمر للتحصن من جميع الآفات الدنيوية والأخروية والدواعى الشيطانية والنفسانية والهوائية ، وأى حصن أحصن من اسم الله وهو الحصن العظيم القدر الكثيف الستر ، وقد جرب أهل الكشف والتنوير نفعه وعظم عندهم وقعه ، وتحصين الشىء إحرازه بمكان حصين لا يناله العدو . ومنه سميت الحصون حصوناً لمنعها أهلها من العدو كما قال سيدنا القطب أبو بكر المدنى رحمه الله فى آخر قصيدة له توسل بها إلى ربه :

وتختمها بتحصين عظيم ... بحول الله لا يقدر علينا
وعين الله ناظرة إلينا ... وستر العرش مسبول علينا

التسمية على الذبيحة

ثم اعلم أن هذا الذكر أيضاً هو المراد بقوله تعالى(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) فتكون التسمية إما بإضافة الرحمن الرحيم كما هو الكمال فيه أو بحذفها وهو الاقتصار على أدنى الكمال .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم قال الكتاب من أهل العربية إذا قيل باسم تمين كتبه بالألف وربما يحذف الألف إذا قيل بسم الله الرحمن الرحيم اه .

وفى صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام من كان ذبح أضحيته قبل أن يصلى

فليذبح باسم الله . ورواية فليذبح على اسم الله تعالى قال النووي فى شرح صحيح مسلم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم فليذبح بسم الله هو بمعنى رواية فليذبح على اسم الله أى قائلا بسم الله هذا هو الصحيح فى معناه . قال وقال القاضى عياض يحتمل أربعة أوجه . أحدها : أن يكون معناه فليذبح لله والبا بمعنى اللام . والثانى : معناه فليذبح بسنة الله . والثالث : بتسمية الله على ذبحه إظهاراً للاسلام ومخالفة لمن يذبح لغيره وقمعاً للشيطان . والرابع : تبركا باسمه وتيمناً بذكره كما يقال سر على بركة الله وسر باسم الله ، ثم قال قال القاضي وكره بعض العلماء أن يقال افعل كذا على اسم الله قال لأن اسمه سبحانه على كل شيء قال ثم قال القاضى هذا ليس بشيء قال وهذا الحديث حجة على هذا القائل اه .

وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل . قلت وإن قتلن قال وإن قتلن مالم يشركها كلب ليس معها . وفى رواية فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره .

قال الإمام النووى فى هذا الحديث الأمر بالتسمية على إرسال كلب الصيد .

وفى صحيح مسلم أيضاً قال صلى الله عليه وسلم وإن أرسلت سهمك فاذكر اسم الله تعالى فان غاب عنك يوماً فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فكل إن شئت قال النووى هذا دليل لمن يقول إذا جرحه فغاب عنه فوجده ميتاً وليس فيه أثر غير سهمه حل قال وهو أحد أقوال الشافعى . ومالك فى الكلب والسهم . والثانى يحرم وهو الأصح عند أكثر أصحابنا . والثالث يحرم فى الكلب دون السهم قال والأول أقوى وأقرب إلى الأحاديث الصحيحة .

وأما الأحاديث المخالفة له فضعيفة ومحمولة على كراهة التنزيه وكذا الأثر عن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما أصميت ودع ما أنميت أى كل ما لم يغب عنك دون ما غاب عنك اه . ما نقله الإمام النووى .

وقد اختلف العلماء فى ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها لقوله تعالى «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . فذهب قوم إلى تحريمها سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً وهو قول ابن سيرين والشعبى .

وذهب قوم إلى تحليلها يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعى وأحمد ومعنى الآية على قول الإمام الشافعى ومن وافقه أى لا تأكلوا منه فى حالة كونه فسقاً . ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً . والفسق قد فسره الله تعالى بقوله أو فسقاً أهل لغير الله به . فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سمى عليه غير الله . ومفهومه وكلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله تعالى اهـ .

قلت : ومما يؤيد قول إمامنا الشافعى ومن وافقه على عدم تحريم الذبائح التى لم يسم عليها ما ذكره الشيخ المفسر أبو القاسم بن سلامه فى كتابه الناسخ والمنسوخ أن قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نسخ بقوله عز وجل (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) والطعام ها هنا الذبائح قاله ابن سلامه اهـ .

وذهب قوم إلى أنه إن ترك التسمية عامداً لا تحل وإن تركها ناسياً تحل حكى الخرقى من أصحاب أحمد أن هذا مذهبه وهو قول الثورى وأصحاب الرأى ، ومن أباحها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم غير الله بدليل أنه قال . وإنه لفسق . واستدلوا له أيضاً بما رواه عروة عن عائشة قالت قالوا يا رسول الله إن هنا أقواماً حديث عهدهم بشرك يأتون بلحمان لا ندرى أيذكرون اسم الله عليها أم لا . قال اذكروا اسم الله وكلوا . ولو كانت التسمية شرطاً للاباحة لكان الشك فى وجودها مانعاً من أكلها كالشك فى أصل الذبح اهـ .

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : وقد أجمع المسلمون على التسمية

عند الإرسال على الصيد وعند الذبح والنحر ، واختلفوا فى أن ذلك واجب أم سنة ، فمذهب الشافعى وطائفة أنها سنة فلو تركها سهواً أو عمداً حل الصيد والذبيحة . وهى رواية عن مالك وأحمد .

وقال أهل الظاهر : إن تركها عمداً أو سهواً لم تحل وهو الصحيح عن أحمد فى صيد الجوارح ، وهو مروى عن ابن سيرين وأبى ثور .

وقال أبو حنيفة ومالك والثورى وجماهير العلماء : إن تركها سهواً حلت الذبيحة والصيد ، وإن تركها عمداً فلا . قال : وعلى مذهب أصحابنا يكره تركها وقيل لا يكره بل هو خلاف الأولى والصحيح الكراهة . واحتج من أوجبها بقوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) وبهذه الأحاديث . واحتج أصحابنا بقوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ــ إلى قوله تعالى ــ إلا ما ذكيتم) ، فأباح التذكية من غير اشتراط التسمية ولا وجوبها .

ثم قال الشيخ النووى : فإن التذكية لا تكون إلا بالتسمية قلنا هى فى اللغة الشق والفتح وبقوله تعالى : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وهم لا يسمون .

وبحديث عائشة رضى الله عنها : قالوا يا رسول الله إن قوماً حديثى عهد بالجاهلية يأتون باحمان ، لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لم يذكروا أفنأكل منها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سموا وكلوا » رواه البخارى . فهذه التسمية هى المأمور بها عند أكل كل طعام وشرب كل شراب . وأجابوا عن قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) بأن المراد ما ذبح للأصنام كما قال تعالى فى الآية الأخرى : (وما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به) ولأن الله تعالى قال : (وإنه لفسق) وقد أجمع المسلمون على أن من أكل متروك التسمية ليس بفاسق ، فوجب حملها على ما ذكرناه ليجمع

بينها وبين الآيات السابقات ، وحديث عائشة رضى الله عنها وحملها بعض أصحابنا على كراهة التنزيه . وأجابوا عن الأحاديث فى التسمية بأنها للاستحباب انتهى كلام النووى نفع الله به .

تكرر اسم الجلالة فى الراتب

وقد تكرر ذكر اسم الله فى هذا الراتب ست مرات متتابعات :

فالأولى فى الذكر الثالث ، والثانية فى الرابع ، والثالثة فى الخامس ضمن البسملة ، والرابعة والخامسة فى الذكر السادس وهو هذا ، وستأتى السادسة فى الذكر السابع إن شاء الله تعالى .

والكلام الآن فى اسم التحصن من الآفات الدنيوية والأخروية ، وفضل التسمية ومنافعها على الإجمال من الآيات والأخبار .

قال الله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) ، وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - إلى قوله - والله يعصمك من الناس) ، وقال عز وجل : (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) وقال تعالى : (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) ، والأوراد والأحزاب والاستعاذات هى لبوسنا ودروعنا السوابغ ، وحصوننا للموانع الحصينة الملائمة لبؤسنا .

قال عبد الرحيم بن أبى بكر البرعى الشاعر الشهير فى مدح البشير النذير :

وكان دروع آل داود حديداً تكون من التباس الباس حصنا

بينها وبين الآيات السابقات ، وحديث عائشة رضى الله عنها وحملها بعض أصحابنا على كراهة التنزيه . وأجابوا عن الأحاديث فى التسمية بأنها للاستحباب انتهى كلام النووى نفع الله به .

تكرر اسم الجلالة فى الراتب

وقد تكرر ذكر اسم الله فى هذا الراتب ست مرات متتابعات :

فالأولى فى الذكر الثالث ، والثانية فى الرابع ، والثالثة فى الخامس ضمن البسملة ، والرابعة والخامسة فى الذكر السادس وهو هذا ، وستأتى السادسة فى الذكر السابع إن شاء الله تعالى .

والكلام الآن فى اسم التحصن من الآفات الدنيوية والأخروية ، وفضل التسمية ومنافعها على الإجمال من الآيات والأخبار .

قال الله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) ، وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ إلى قوله ـ والله يعصمك من الناس)، وقال عز وجل: (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً) ، وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) وقال تعالى : (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم) ، والأوراد والأحزاب والاستعاذات هى لبوسنا ودروعنا السوابغ ، وحصوننا للموانع الحصينة الملازمة لبؤسنا .

قال عبد الرحيم بن أبى بكر البرعى الشاعر الشهير فى مدح البشير النذير :

وكان دروع آل داود حديداً تكون من التباس الباس حصنا

ودرع محمد القرآن لمــا تلا والله يعصمــك اطمأنا

وقال الشيخ أبو الحسن التسترى :

فلا تلتفت فى السير غيراً وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فمن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وأما الأخبار فقد صح فى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . ويكره لكم . . . قيل وقال وكثرة السؤال . وإضاعة المال » . [1]

وفى الرواية الأخرى : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات . ووأد البنات . ومنعاً وهات . وكره لكم ثلاثاً . . . قيل وقال . وكثرة السؤال . وإضاعة المال » .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم قال العلماء : الرضا والسخط والكراهة من الله سبحانه وتعالى ، المراد بها أمره ونهيه أو ثوابه أو عقابه أو إرادته الثواب لبعض العباد أو العقاب لبعضهم .

قال : وأما الإعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو إتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بآدابه . قال : والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل فى مثل هذه الأمور

---

(١) كذا بالأصل . —

لاستمساكهم بالحبال عند شدائد أمورهم ويصلون بها للمفترق فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور اه.

وروى أن المأمون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز بنيسابور ، وكان على مقدمته على الرضا بن موسى الكاظم ، فقام إليه الإمامان الحافظان ، أبو زرعة الرازى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ومعهما قوم من المشائخ ، وقالوا : نسألك بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحدثنا بحديث ينفعنا . فقال حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه زين العابدين على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أبيه على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل الأمين عن الله تعالى أنه قال : (لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى) ، ثم أرخى الستر على القبة وسار ، فعد أهل المحابر والدفاتر والدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً . نقله صاحب كتاب جوهر العقدين عن تاريخ نيسابور . وعن كتاب الفصول المهمة فى مناقب الأئمة . ورأيته فى كتاب الفصول كذلك فى ترجمة الحبيب على الرضا بقراءتى على شيخنا الشيخ القطب الربانى الحسين بن عمر العطاس اه.

وفى كتاب الجواهر قال الحافظ جمال الدين الزرندى فى كتاب معراج الوصول عن أبى الليث عبد السلام بن صالح الهروى قال : كنت مع على الرضا حين دخل نيسابور ، ثم ساق القصة والسند منه إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول : « الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان » .

وفى كتاب الجواهر أيضاً قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لو قرأت هذا الاسناد على مجنون ليرىء من حينه اه .

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله اتصل هذا الحديث ببعض الأمراء فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن فى قبره فرئى فى النوم بعد موته ، فقيل ما فعل الله بك ، قال : غفر الله لى بتلفظى بلا إله إلا الله وتصديقى بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : واعلم أن هذا الإسناد الجامع لكلمة لا إله إلا الله التى هى شمس الأنوار ومجمع الأسرار فى غاية الاشتهار ونهاية التواتر بالنقل فى الأقطار فقد تداوله الكبار عن الكبار ، وتناقلته السفرة فى الأسفار للإسفار ، وأنا أزيدك فيه إيضاحاً مع الاختصار ، فإن طرقه خارجة عن حيز الانحصار لكن طالب العلم وطالب الدنيا منهومان لا يشبعان كما صح عن المختار .

فأقول : نقل فيه بعض الكبار فى مصنف له فى فضل الأذكار قال : ولقد سمعت بعض الفقراء الفقهاء الخراسانية ، وكان إماماً وخطيباً فى جامع الشافعية فى خوارزم وشيخاً فى الخانقاه الشافعية أيضاً ، وكان من الصلحاء الثقات وصاحب الذكر والرياضات رحمه الله ، أنه نقل عن الثقات أنه لما دخل على ابن موسى الرضا طوس ، فاستملى منه محمد بن أسلم وأبو زرعة الرازى وغيرهما من الأئمة حديثاً فأملى عليهم .

قال : حدثنى أبى موسى الكاظم قال : حدثنى أبى جعفر الصادق قال : حدثنى أبى محمد الباقر قال : حدثنى أبى على بن الحسين زين العابدين قال : حدثنى أبى الحسين شهيد كربلاء قال : حدثنى على بن أبى طالب شهيد الكوفة قال : حدثنى أخى فى الدنيا والآخرة أبى القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قال : « حدثنى جبريل أمين الحضرة صلوات الله عليه قال : قال رب العزة تبارك وتعالى : كلمة لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى » .

ثم قال إنى رأيت فى كتاب جمعت فيه أسانيد على بن موسى الرضا رضى الله عنه بنيسابور ولما أراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع اليه أصحاب الحديث وقالوا ياابن رسول الله ترحل عنا فلا تحدثنا بحديث فيه نستفيده منك وكان قد قعد فى العمارية فأطلع منها رأسه وقال إنى سمعت أبى موسى الكاظم إلى آخر الاسناد إلى أن قال قال جبريل سمعت الله يقول لا إله إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى ثم قال قال الراوى ولما أخذت الراحلة فى السير نادانا وذكر لنا أن من حق هذا الاسناد أنه لو قرىء على مريض لشفى .

ثم قال للمصنف ومتن هذا الحديث وإن اختلف فى الروايتين فالمقصود من حاصلهما واحد فالأمن من العذاب بقدر الدخول يمنى فى الحصن وأن الأطراف محل الحوادث . وكل الأمن فى التمكين فى الوسط

التوحيد النافع عند الله

وليس التوحيد النافع عند الله تعالى مجردَ الإقرار بأنه لا خالق إلا هو ولا رب سواه فان كثيراً من المشركين قائلون بذلك ولا ينفعهم ذلك القول ، ولا الاتيانَ بظواهر العبادات فقط فان المنافقين الذين هم فى الدرك الأسفل من النار كذلك . ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله . بل التوحيد النافع عنده تعالى هو ماتضمنه معنى لا إله إلا الله من محبة الله والخضوع لله والتذلل لله والإفتقار إلى الله والاعتصام بالله والانكسار تحت سلطان عظمة الله والقيام بطاعة الله والإخلاص فيها لله والإستسلام لقضاء الله والإرادة بجميع الطاعات وجه الله الكريم الأعلى بالحركات والسكنات والمنع والعطاء والحب لله والبغض لله والرضا برضاء الله عمن عنه رضى . والسخط بسخط الله عمن عليه سخط إلهه على معنى بسم الله ، تحصنا بالله بسم الله توكلنا بالله ، بسم الله آمنا بالله ومن

يؤمن بالله لاخوف عليه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) (ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فقد تحصن بالله بحصن ليس لأحد عليه سبيل . وقال بعضهم رأيت استاذى وهو فى قبة حمراء وعليه حلة خضراء فسلمت عليه وقلت له أين أنت ياأستاذ قال فى قبة فاتحة الكتاب وعلى حلة سورة الواقعة وعمامة سورة الاخلاص وقال عليه السلام من قرأ القرآن وهو يظن أن لن يغفر الله له فهو كالمستهزئ بالقرآن . وقال حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة .

وقال الصوم جنة وحصن حصين من النار ، ويروى : الحق تحصين الأقوال والصدقة تحصين الأموال والإخلاص تحصين الأعمال والصدق تحصين الأسرار والمشورة تحصين الآراء .

وروى الترمذى وصححه وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم مرفوعاً فى حديث طويل وآمركم بذكر الله كثيراً . ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً فى أثره حتى أتى حصناً حصيداً فأحرز نفسه فيه وكذلك العبد لاينجو من الشيطان إلا بذكر الله تعالى :

وفى الأذكار للامام النووى قال ذكر الإمام أبو محمد القاضى حسين من أصحابنا الشافعية رحمه الله فى كتابه التعليق فى المذهب قال نظر بعض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى قومه يوماً فاستكثرهم فاعجبوه فمات منهم فى ساعة سبعون ألفاً . فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه إنك عِنْتَهم ولو انك إذ نظرتهم حصنتهم لم يهلكوا . قال وبأى شىء أحصنهم فأوحي الله إليه تقول حصنتكم بالحى القيوم الذى لايموت أبداً ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم قال المعلق عن القاضى حسين وكان من عادة

القاضي حسين رحمه الله إذا نظر إلى أصحابه فأعجبه سمتهم وحسن حالهم حصنهم بهذا الذكر والله أعلم .

وعن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يافلان إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لاملجأ ولامنجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت . فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً متفق عليه الحديث .

وروينا في كتاب ابن السنى عن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه بسم الله الذى لا إله إلا هو .

وعن أم سلمة واسمها هند أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على . قال النووى حديث صحيح .

وفى سنن أبى داود عن أبى المليح التابعى المشهور عن رجل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثرت دابته فقلت تعس الشيطان . فقال لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتى . ولكن قل بسم الله فانك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب .

قال النووى ومعنى تعس هلك وقيل سقط وقيل عثر وقيل لزمه الشر وهو بكسر العين وفتحها وهو أشهر .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال كنا إذا حضرنا عند النبي صلى الله عليه

وسلم على الطعام لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده وإنا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها فى الطعام فأخذ صلى الله عليه وسلم بيدها ثم جاء اعرانى كأنما يدفع فذهب ليضع يده فأخذ بيده ثم قال إن الشيطان ليستحل الطعام إن لا يذكر اسم الله عليه وأنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابى ليستحل به فأخذت بيده والذى نفسى بيده إن يده لمع يدها فى يدى . ثم ذكر الله تعالى وأكل أخرجه مسلم وأبو داود .

قال النووى وقوله كأنها تدفع أى كأن وراءها من يدفعها إلى قدامها .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل بسم الله فان نسى فى الأول فليقل فى الآخر بسم الله فى أوله وآخره أخرجه أبو داود والترمذى ، وعنها رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل طعاماً فى ستة من أصحابه فجاء اعرابى فأكله بلقمتين فقال صلى الله عليه وسلم أما إنه لو سمى الله لكفاكم أخرجه الترمذى .

وعن رافع بن خديج رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فأبردوها عنكم بالماء أخرجه الشيخان والترمذى ، وفى رواية للترمذى عن ثوبان رضى الله عنه إذا أصاب أحدكم الحمى فان الحمى قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء فليستنقع فى ماء جار وليستقبل جريته فيقول بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك . وذلك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فان لم يبرأ فى ثلاث فخمس فسبع فتسع فانها لا تجاوز ذلك باذن الله تعالى ، فيح النار وهجها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم رقى الحمى ومن الأوجاع كلها بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من كل عرق

تمار ومن شر حرّ النار . قال النووى أخرجه الترمذى ثم قال نعر العرق بالدم إذا علا وارتفع .

وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروساً بزينب فقالت لى أم سليم لو أهدينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها أفعلى فعمدت إلى تمر وسمن وأقط فاتخذت حيسة فى برمة فارسلت بها معى فانطلقت بها إليه فقال ضعها ثم أمرنى فقال أدع لى رجالا سماهم وادع لى من لقيت . قال ففعلت ثم رجعت فاذا البيت غاص بأهله فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكل منه ويقول لهم اذكروا الله تعالى وليأكل كل رجل مما يليه حتى تصدعوا كلهم فخرج من خرج وبقى نفر يتحدثون . ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات وخرجت فى أثره فقلت إنهم قد ذهبوا فرجع فدخل البيت وأرخى الستر وإنى لفى الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلى قوله والله لا يستحيى من الحق أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

وعن أمية بن مخشى الصحابى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله فى أوله وآخره فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله استقاء ما فى بطنه رواه أبو داود والنسائى ونقله النووى فى كتاب رياض الصالحين ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أوصنى قال قل ربى الله ثم استقم قلت ربى الله وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فقال ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شرباً أخرجه ابن البحترى والرازى وزاد ونهلته نهلا نقله الطبرى فى كتاب الرياض النضرة ثم قال ومعنى نهلته نهلا شربته وكرر لاختلاف اللفظ ونحو ذلك قول الشاعر :

الطاعن الطعنة يوم الوغى ينهل منها الأسل الناهل

قال أبو عبيدة الناهل هنا بمعنى الشارب وإذا جاز فى اسم الفاعل جاز فى الفعل وكان قياسه أن يقول ونهلت منه نهلا لأنه إنما يتعدى بحرف الجر أى رويت منه ريا ويجوز أن يكون الناهل فى البيت بمعنى العطشان وهو من الأضداد يطلق على الريان والعطشان وهو أنسب لأنه أكثر شربا ويكون قوله ينهل منه أى يشرب . وقال صلى الله عليه وسلم أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا يعنى السفينة أن يقولوا بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم . وما قدروا الله حق قدره الآية .

قال الإمام النووى وفى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وغيرهم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من « قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت ويتنحى عنه الشيطان » . قال الترمذى حديث حسن وزاد أبو داود فى رواية فيقول يعنى الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى . نقله النووى .

وفى حديث آخر عن كعب الأحبار قال إذا خرج الرجل من بيته وقال الحمد لله قال الملك هديت وإذا قال توكلت على الله قال كفيت وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك حفظت . فلقيت الشياطين بعضها بعضاً فقالوا هذا عبد لا سبيل لكم عليه انه قد كفى وهدى وحفظ .

وفى كتاب ابن ماجه وابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله التكلان على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وفى سنن أبى داود عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه واسمه حارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ولج الرجل بيته فليقل اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا ثم يسلم على أهله . قال النووى بعد نقله هذا

الحديث لم يضعفه أبو داود . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء رواه مسلم فى صحيحه .

وفى صحيح مسلم رحمه الله عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده فى جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذى تألَّم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر قال : ففعلت ذلك مراراً فأذهب الله ما كان بى فلم أزل آمر أهلى بذلك أخرجه مسلم ومالك وأبو داود والترمذى ونقله النووى فى حلية الأبرار .

وفيه قال روينا فى كتاب ابن السنى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته بسم الله على نفسى ومالى ودينى اللهم رضِّنى بقضائك وبارك لى فيما قدِّرت لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت انتهى .

وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تصيبه الآفات فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إذا أصبحت بسم الله على نفسى وأهلى ومالى فإنه لا يذهب لك شىء فقالهن الرجل فذهبت عنه الآفات رواه ابن السنى .

(فائدة) : قال الدميرى فى حياة الحيوان رأيت بخط ابن الصلاح رحمه الله فى فوائد رحلته رقية العقرب قال ذكر أن الإنسان يرقى بها فلا يلدغه عقرب وإن أخذها بيده لا تلدغه وإن لدغته لا تضره وهى هذه : بسم الله وبالله وباسم

جبريل وميكائيل كازم زبرازم فتبوز إلى مزن بستامر استامرا هوذا هوذا حى والطا أنا الراقى والله الشافى .

(فائدة) : قال الدميرى فى كتابه اعلم أن رقية العقرب جائزة لما روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لدغت رجلا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل يارسول الله أأرقية قال صلى الله عليه وسلم من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل .

وفى رواية فجاء عمرو بن حَزم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كانت عندنا رقية نرقى بها العقرب وإنك نهيت عن الرقى فقال صلى الله عليه وسلم أعرضوها على فعرضوها عليه . قال : ما أرى بها بأساً من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه ، وفى رواية : اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى مالم يكن فيها شيء ، فالرقى جائزة بكتاب الله تعالى وبذكره ومنهى عنها إذا كانت بالعجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر . واختلفوا فى رقية أهل الكتاب فجوزها أبو حنيفة وكرهها مالك خوفاً أن يكون مما بدلوه .

(فائدة) هذه رقية العرق المدنى الذى تسميه العامة فى جهتنا العروق . وإنما هى العوق ، والرقية نقلتها من التحفة الجامعة لمفرقات الطب النافعة للعامرى . قال تضع يدك عليها وتقول بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أيها العرق كن برداً وسلاماً على فلان بن فلانة كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين تكررها ثلاثاً .

قلت وهذه العروق ليست من عروق البدن للعدود المعتمدة فى المفاصل والسلاميات وإنما هى تتولد من عفونات الأغذية ومن شرب الكرع كما يتولد العنم فى العباب والله أعلم .

(فائدة) ذكر فى كتاب زهر الأكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من كن فيه دخل الجنة بغير حساب من كان عصمته بلا إله إلا الله ومن إذا بدأ بعمل قال بسم الله الرحمن الرحيم ومن إذا أذنب قال استغفر الله ومن إذا أصابته مصيبة قال إنا لله وإنا إليه راجعون ومن إذا استقبل مكروها قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(فائدة أخرى) للحمى تكتب على ثلاث ورقات ويأكل كل يوم واحدة إذا حم الأول بسم الله حول العرش نارت واستنارت . الثانية بسم الله فى علم الغيب غارت . الثالثة بسم الله حول العرش دارت انتهى .

وفى كتاب الأذكار قال روينا فى صحيح مسلم وكتاب الترمذى والنسائى وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ، ثم قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفيه روينا فى صحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود وغيرها عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى إنسان الشىء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبى صلى الله عليه وسلم بأصبعه هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم رفعها وقال بسم الله بتربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا . قال الإمام النووى قال العلماء معنى بريقة بعضنا أى بصاقه والمراد بصاق بنى آدم . قال ابن فارس الريق ريق الإنسان وغيره وقد تؤنث فيقال ريقة . وقال الجوهرى فى صحاحه الريقة أخص من الريق . وفى كتاب التيسير للديبع وكتاب الرياض للطبرى عن سهل ابن سعيد أن على بن أبى طالب دخل على فاطمة والحسن والحسين يبكيان فقال ما يبكيهما قالت الجوع فخرج فوجد دينارا فى السوق فجاء إلى فاطمة فأخبرها فقالت اذهب

إلى فلان اليهودى نخذ لنا به دقيقاً فجاء إلى اليهودى فاشترى به دقيقاً . فقال اليهودى أنت ختن هذا الذى يزعم أنه رسول الله قال نعم قال فخذ دينارك ولك الدقيق فخرج على حتى جاء به إلى فاطمة فأخبرها فقالت اذهب إلى فلان الجزار فخذ لنا بدرهم لحماً فذهب فرهن الدينار بدرهم على لحم فجاء به فعجنت ونصبت وخبزت وأرسلت إلى أبيها فجاءهم فقالت يا رسول الله أذكر لك فإن رأيته حلالا أكلنا وأكلت ، من شأنه كذا وكذا . قال كلوا بسم الله فأكلوا فبينما هم مكانهم إذا غلام ينشد الله والإسلام الدينار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُعى له فسأله فقال سقط منى فى السوق فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياعلى اذهب إلى الجزار فقل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك أرسل إلى بالدينار ودرهمك على فأرسل به فدفع إليه أخرجه أبو داود .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرّج البزار فى مسنده عن عبد الله بن أبى أوفى قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى إليه نسيان القرآن فقال علمنى شيئاً يجزينى فقال قل بسم الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . قال فمدهن فى يده ثم ضم أصابعه خمساً فقال يارسول الله هذا لربى فما لى ، قال قل اللهم اغفر لى وارحمنى وعافنى وارزقنى واهدنى قال فقعدهن فى يده خمساً وضم أصابعه الأخرى فقال رسول الله أما هذا فقد ملأ يديه خيراً .

وفيه خرج أبو نعيم فى الحلية بسنده عن الضحاك عن ابن عباس قال من قال بسم الله فقد ذكر الله ومن قال الحمد لله فقد شكر الله ومن قال الله أكبر فقد عظم الله ومن قال لا إلا الله فقد وحد الله ومن قال لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بها كنز فى الجنة .

وفيه قال خرّج ابن أبى شيبة فى المسند من حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بكبشين أملحين عظيمين أقرنين موجبين فأضجع أحدهما وقال

بسم الله والله أكبر اللهم عن محمد وآل محمد ثم أضجع الآخر وقال بسم الله والله أكبر اللهم عن محمد وأمته من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ .

ونقل الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الحبيشى فى كتاب البركة من كتاب حلية الأولياء للحافظ أبى نعيم بإسناده إلى محمد بن يوسف قال : كان أبو عبد الله الساجى مستجاب الدعوة وله آيات وكرامات ، بينما هو فى بعض الأسفار على ناقة وكان فى الرفقة رجل عائن كلما نظر إلى شىء أتلفه أو أسقطه وكانت ناقة أبى عبد الله فارهة فقيل له احفظها من العائن . فقال ليس إلى ناقتى من سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء إلى رحله فعان ناقته وسقطت تضطرب فأتى أبو عبد الله فقيل له أن العائن قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب . فقال : دلونى على العائن فدل عليه فوقف عليه وقال : بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس إليه ، فى كلوتيه رشيق وفى ماله تليق فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ، فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا باس بها اه .

وقال عليه السلام : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبداً » رواه البخارى فى صحيحه .

وقال بعض المشائخ الكبار : بسم الله من العارف كن من الله . وركعتان من عالم زاهد تعدل بعبادة المتعبدين أبداً سرمداً ، وكان الشيخ الكبير شمس الدين محمد بن حسن بن على الشاذلى المعروف بالحنفى يقول : لمن خاف ظالماً : إذا دخلت عليه فقل بسم الله الخالق الأكبر حرزاً لكل خائف لا طاقة لمخلوق مع الله . وقال الحسن البصرى : اسم الله الأعظم الله الرحمن .

ومن فضائل هذا الاسم الشريف وفوائده ومنافعه وعوائده ما حكاه الشيخ الامام بركة الاسلام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أسعد بن على اليافعى رحمه الله فى كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان . » قال قال بعض أهل التواريخ قال الربيع بن يونس صاحب المهدى الخليفة بن المنصور العباسى قال المهدى رحمه الله خرجت يوماً إلى الصيد فى غب سماء فلما أصحرت هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابى حتى ما رأيت منهم أحداً وأصابنى من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم فتحيرت عند ذلك ثم ذكرت دعاء سمعته من أبى يحكيه عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم من قال إذا أصبح وإذا أمسى بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقى وكفى وهدى وشفى من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء . فلما قلتها رفع الله لى ضوء نار فقصدتها فاذا بأعرابى فى خيمة له وإذا هو يوقد نارا بين يديه فقلت أيها الاعرابى هل من ضيافة فقال لامرأته هاتى ذلك الشعير فأتت به فقال اطحنيه فابتدأت تطحنه فقلت اسقنى فأتى بسقاء فيه مذقة من لبن أكثرها ماء فشربت منها شربة ما رأيت شيئاً قط الا هى أطيب منه وأعطانى حلساً له يعنى كساء رقيقا وهو بالحاء والسين المهملتين بينهما لام ساكنة قال فوضعت رأسى عليه ونمت نومة ما نمت أطيب منها وألذ ثم انتبهت فاذا هو قد وثب إلى شويهة له فذبحها وإذا امرأته تقول ويحك قتلت نفسك وصبيتك إنما كان معاشكم منها فذبحتها فبأى شىء تعيش قال المهدى فقلت لا عليك هات الشاة فشققت جوفها واستخرجت كبدها بسكين كانت فى شقى فشرحتها ثم طرحتها على النار فأكلتها ثم قلت له هل عندك شىء أكتب لك فيه كتاباً فجاءنى بقطعة من جراب فأخذت عوداً من الرماد الذى بين يديه وكتبت له بكتابى خمسمائة ألف درهم وما أردت إلا الف درهم ولكن جرى القلم بخمسمائة الف درهم والله لا أنقص منهما درهماً واحداً وما فى بيت المال غيرها . قال الربيع فما كان

إلا القليل حتى كثرت إبل الاعرابى الذكور وغنمه وصار مكانه منزلا من المنازل ينزل الناس به إذا أرادوا الحج ويسمى منزله مضيف أمير المؤمنين المهدى

ومما ينسب إلى هذا المعنى حكاية حكاها أيضاً سيدى اليافعى فى كتابه روض الرياحين تتعلق بما نحن بصدده من بيان فضيلة الذكر وغزارة مدده . قال : قال بعض الشيوخ مرضت مرضة شديدة يئست من نفسي وأيأس منى من رآنى فبينما أنا فى أشد ما كنت رأيت فى المنام ليلة جمعة كأن رجلا دخل على فجلس عند رأسى ودخل بعده خلق كثير وكانوا فى وقت الدخول يشبهون الطيور فلما جلسوا صاروا فى صور الآدميين فما زالوا يدخلون وعينى إلى الباب فلما انقطع دخولهم رفع ذلك الرجل رأسه وقال قصدى بدخول هذه البلدة لعيادة ثلاثة أحدهم هذا وأومأ إلى بيده وآخر وهو صالح الخاقانى بضم الخاء المعجمة وبالقاف وبعد الألف نون وياء النسبة ولم أكن أعرفه قبل ذلك وامرأة لم يسمها ثم وضع يده على جنبى وقال بسم الله حسبى الله توكلت على الله اعتصمت بالله فوضت أمرى إلى الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم قال لى استكثر من قراءة هؤلاء الكلمات فان فيها شفاء من كل سقم وفرجاً من كل غم وكربة ونصراً على كل عدو وأول من تكلم بهذه الكلمات حملة العرش عليهم الصلاة والسلام حين أمروا بحمله ولا يزالون يقولون ذلك إلى يوم القيامة . فقال له رجل كان على يمينه أو قال على يساره يارسول الله فان قالها عند لقاء العدو فقال بخ بخ فتح ونصر وبشرى فظننت أنه أبو بكر الصديق فقلت يارسول الله هذا الصديق . قال هذا عمى حمزة ثم أومأ بيده إلى من كان على يساره وقال هؤلاء الشهداء . ثم أومأ بيده إلى من وراءه وقال هؤلاء الصالحون ثم خرج فانتبهت وقد خرجت من علتى وأصبحت أصح ما كنت والحمد لله انتهى .

وفى رسالة الإمام القشيرى رحمه الله بسنده إلى أبى عمرو السكندرى قال مررت يوماً بسكة فرأيت قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى قيل إنها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له اليهم وقال هبوه منى هذه المرة فان عاد إلى فساده فشأنكم به فوهبوه منه فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد إلى فساده فنفى عن المحلة فبكت عليه أمه فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت إنه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لى لاتخبرى الجيران بموتى فلقد آذيتهم وأنهم يشمتون بى ولايحضرون جنازتى وإذاد فنيتنى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى فتشفعى لى إلى ربى قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول انصرفى ياأماه فقد قدمت على رب كريم .
قال شارحها شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فيه دلالة على أنه تاب توبة بالغة حتى إنه تبرك باسم الله وتشفع به وبدعاء أمه . والتوبة تمحو ماقبلها لقوله تعالى (وانى لغفار لمن تاب . وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وأما قول سيدنا عمر (توكلنا بالله) فنعقد لذلك فصلا فى شرح أحرف يسيرة مما ورد فى فضل التوكل والمتوكلين وذكر معنى التوكل وشرح ماهيته .

فصل فى التوكل والمتوكلين ومعنى التوكل

اعلم أن التوكل هو الإيمان كله وعليه يدور فرعه وأصله .

فأما الآيات فقد قال تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله جل ذكره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقوله (وتوكل على الحى الذى لا يموت) وقوله (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) وقوله (فاتخذه وكيلا) وقوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقال جل ذكره (قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) وقال تعالى (ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) وقال عز من قائل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) وقال (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) إلى غير ذلك من الآيات الزاهرات .

قال أبو ثور سمعت الشافعى رحمه الله يقول نزه الله نبيه ورفع قدره . فقال وتوكل على الحى الذى لايموت . وذلك أن الناس فى التوكل على أحوال شتى متوكل على نفسه أو على ماله أو على جاهه أو على سلطانه أو على صناعته أو على غلته أو على الناس وكل مستند إلى حى يموت وإلى ذاهب يوشك أن ينقطع فنزه الله نبيه عن ذلك وأمره أن يتوكل على الحى الذى لايموت .

وأما الأخبار الواردات . بالروايات الصحيحات فى فضل التوكل الذى هو شأن السادات ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب قيل يارسول الله من هم قال هم الذين لايكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك عكاشة » رواه الإمام البخارى

فى صحيحه وقال فيه عن الربيع بن خيثم « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أى مخرجه من كل ما ضاق على الناس وروينا أيضاً أنه قال عليه الصلاة والسلام يدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفاً بغير حساب . وفى رواية مع كل واحد منهم سبعون ألفاً .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت سبعين ألفاً من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فازددت ربى عز وجل فزادنى مع كل واحد سبعين ألفاً قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتى على أهل القرى وَيصيب من حافات البوادى . وقال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو فى غرور لأن الغرور هو الاعتماد على مالا يدوم والله تعالى هو الدائم القديم الذى لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان ولا تعتمد إلا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء فى كل نَفَس وحين وأوان . وقال عطاء الخراسانى رضى الله عنه لقيت وهب بن منبه فى الطريق فقلت حدثنى حديثاً أحفظه عنك فى مقامى وأوجز قال أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود أما وعزتى وعظمتى لا ينتصر بى عبد من عبادى دون خلقى أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً أما وعزتى وجلالى وعظمتى لا يعتصم عبد من عبادى بمخلوق دونى أعلم أن ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات السبع من يده واسخت الأرض من تحته ولا أبالى فى أى واد هلك » وقال بعضهم كنت فى مجلس يزيد بن هارون وكان إلى جانبى رجل فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتى فقلت ومن تأمل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت إذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبتك ولا يبلغك أملك فقال وما علمك رحمك الله قلت إنى قرأت فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول وعزتى

وجلالى وجودى وكرمى وارتفاعى فوق عرشى فى علو مكانى لأقطعن أمل كل مؤمل لغيرى بالاياس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربى ولأقطعنه من وصلى أيؤمل غيرى إلى آخر ماذكره .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا » . وقال : « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصاب أهله خصاصة قال : « قوموا إلى الصلاة » ، ويقول : « أمرنى ربى فقال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا) الآية » .

وعن عمر رضى الله عنه أنه لقى أناساً من أهل اليمن فقال : من أنتم قالوا : متوكلون ، قال : كذبتم بل أنتم متأكلون ، ألا أخبركم بالمتوكل ؟ رجل ألقى حبة فى بطن الأرض توكلا على الله تعالى .

وعن على رضى الله عنه ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله تعالى .

وقال الإمام البغوى فى تفسير قوله تعالى : (وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) . التوكل أن لا تعصى الله من أجل رزقك ، وقيل أن لا تطلب لنفسك ناصراً غير الله ولا لرزقك خازناً غيره ولا لعملك شاهداً غيره .

وقال الجنيد رحمه الله فى جوابات مسائل الشاميين : التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب . وسئل الشيخ أبو تراب عسكر بن حصين النخشبى عن التوكل فقال : الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم .

وقال الشيخ رويم بن أحمد البغدادى : الصبر ترك الشكوى والرضا

استلذاذ البلوى والتعلق بأعلى الوثائق والتوكل إسقاط رؤية الوسائط .

وفى الإحياء قيل لأحمد بن حنبل ، ما تقول فى الذى يجلس فى بيته أو مسجده ويقول لا أعمل شيئاً حتى يأتينى رزقى ؟ فقال أحمد : هذا رجل قد جهل العلم ، أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى جعل رزقى تحت ظل رمحى » وقوله حيث ذكر الطير : « تغدو خماصاً وتروح بطاناً » ، وكانت الصحابة رضى الله عنهم يتجرون فى البر والبحر ، ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم واجبة .

وقال حمدون القصار : التوكل هو الاعتصام بالله تعالى . وقيل لحاتم الأصم من أين تأكل ؟ فقال : ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقون لا يفقهون .

وقال أبو تراب النخشبى : التوكل هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر وإن منع صبر .

وعن سهل : التوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن نبى عن حاله فلا يتركن سنته . وعنه من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان .

(فائدة)

أفتى ابن عباس رضى الله عنهما فيمن أوصى بشىء للمتوكلين على الله ، أن ذلك يصرف إلى الزراع ، فإنهم يحرثون ويضعون البذر فى الأرض فهم المتوكلون ، وبهذا أفتى بعض الفقهاء .

وقال الرافعى والنووى فى تفضيل الاكساب على بعض واحتج من فضل الزراعة بأنها أقرب إلى التوكل . وفى الشعب عن عمرو بن أمية الضمرى

قال : قلت يا رسول الله أرسل ناقتى وأتوكل ، قال صلى الله عليه وسلم : « أعقلها وتوكل » .

وقال عمر : لا يقعد أحدكم فى المسجد ويترك طلب الرزق ، ويقول اللهم ارزقنى فإن ذلك خلاف السنة ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة .

وقال حجة الإسلام فى كتابه الأربعين الأصل وحقيقة التوكل عبارة عن حالة تصدر عن التوحيد ويظهر أثرها على الجوارح بملازمة الأعمال وذلك بكمال المعرفة وهى الأصل وأعنى بها التوحيد فإنه إنما يتوكل على الله من لا يرى فاعلا سوى الله تعالى ، وكمال هذه المعرفة بترجمة قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، إذ فيه الإيمان بالتوحيد وكمال القدرة والوجود والحكمة التى يستحق بها الحمد ، فمن قال ذلك صادقاً مخلصاً فقد تم توحيده ، وكتب فى قلبه الأصل الذى تنبعث منه حالة التوكل وأعنى بالصدق فيه أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لذاته غالباً على قلبه لا يسع تقديره غيره..

قال : وإنما حظ العموم أن يعتقدوا أن كل ما يصيبهم بقدرة الله ، وأن ذلك واجب الحصول بحكم المشيئة الأزلية ، فإنه لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر ، وحصوله بقدر معلوم منتظر .

قال : وأما الركن الثانى فى حال التوكل ومعناه ، فهو أن تكل أمرك إلى الله تعالى ويثق به قلبك وتطمئن بالتفويض إليه نفسك فلا تلتفت إلى غير الله تعالى أصلا ، ويكون مثالك مثال من وكل فى خصومته فى مجلس قاض من علم أنه أشفق الناس عليه ، وأقواهم على كشف الباطل عنه ، وأعرفهم به وأحرصهم عليه ، فإنه يكون ساكناً فى بيته مطمئن القلب غير متفكر فى حل الخصومة ، وغير مستعين بآحاد الناس لعلمه بأن وكيله حسبه وكافية غرضه ،

وأنه لا يكافيه ولا يقاومه غيره ، فمن تحققت معرفته بأن الرزق والأجل والخلق والأمر بيد الله تعالى ، وهو منفرد به لا شريك له ، وأن جوده وحكمته ورحمته لا نهاية لها ولا توازنها رحمة غيره وجوده ، اتكل عليه بالضرورة ، وانقطع نظره من غيره ، فإن لم ينقطع نظره من غيره ، فليس ذلك إلا لضعف اليقين مما ذكرت أو لعدم استيلائه على القلب .

وقال فيه أيضاً : وقد يظن الجهال أن شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوى وترك الدعاء ! وذلك خطأ وجهل بمواقع الشرع ، لأن ذلك هو استسلام للمهلكات ، والإلقاء باليد إلى المهلكات حرام جاء فى نص الكتاب العزيز ، وسنة رسول الله النهى عنه ، وقد ورد ترك التداوى ليس من التوكل .

قال : وأما الإدخار فالمتوكل إذا كان معيلا فله أن يدخر قوت عياله سنة ، كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عياله . وأما فى حق نفسه فكان لا يدخر غداء لعشائه .

(قلت) يعنى أنه قد قال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء . وقال والله ما رفعت رجلى فظننت إنى أضعها قبل أن أموت ، وما أرسلت طرفى وظننت إنى أرجعه قبل أن أموت ، وما بنى لبنة على لبنة ، ولا وضع قصبة على قصبة وإنه لكما قال شاعره الصادق القائل :

كفاف من الدنيا كفاه ولم يزد ولا مال حاشاه الملك ولا ملك
كراكب بحر ما حوى غير زاده يخفف أثقالا ليسرع بالفلك
كذلك أوصانا فياسوء حالنا حملنا أثقالا كيف بالله لا نبكى

ثم قال الغزالى : ولاشك أن طول الأمل يناقض التوكل . وقال إبراهيم

الخواص إذا أدخر المتوكل لنفسه قوت أربعين يوماً لم يبطل توكله وإن لم يكن معيلا وقال سهل بن عبد الله التسترى وإنما حده عند سهل أن يقنع بقوت يوم وليلة ويفرق الباقى انتهى ولكل مقام رجال .

قال وأما مباشرة الأسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار المائل ومجرى السيل ودفع المرض بالأدوية فله درجات والقوى لايخفى حاله . وأما الضعيف الذى يضطرب قلبه فالأفضل له أن يدع طريق المتوكلين ولايحمل نفسه مالا تطيقه إذ فساد ذلك فى حقه أكثر من صلاحه فان الأقوياء قد يسافرون فى البراوى البعيده الخالية عن الساكن بغير ماء ولازاد وقد يطوى بعضهم أكثر من عشرين يوماً توكلا كما يعرف ذلك من أخبارهم وأفضلهم عيسى ابن مريم عليه أفضل الصلاة والسلام . أما الضعيف إذا فعل ذلك فهو عاص ملق بنفسه فى المهلكة . بل القوى لو حبس نفسه فى كهف جبل ليس فيه حشيش ولايجتاز به إنسان فذلك أيضا حرام لأنه خالف سنة الله فى خلقه وإنما جاز ذلك فى البوادى لأن سنة الله جارية بأنها لاتخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الآدميون فاذا قوى كان هلاكه نادراً فلم يكن بذلك عاصياً . فله أن يسافر فى البادية متوكلا على لطيف صنع الله تعالى انتهى مختصراً مما ذكره حجة الإسلام على ذلك فى الاحياء فمن أراد الازدياد فليطالع ذلك الكتاب يرى فيه العجب العجاب .

(خاتمة) قال يحيي بن معاذ رضى الله عنه من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يئست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لنفسى ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو الكيمياء والإكسير الذى من

حصل له غنى لافاقة فيه وعز لاذل فيه وانفاق لانفاد له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى .

وقال أيضاً رضى الله عنه صحبنى إنسان وكان ثقيلا على فبسطته يوماً فانبسط فقلت ياولدى ماحاجتك ولم صحبتنى قال ياسيدى قيل لى إنك تعلم الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن أخالك لاتقبل . قال بل أقبل . فقلت له نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشكونى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت خوفى منهم وتعلقت بالله . ثم نظرت إلى الأحباء فوجدتهم لايستطيعون أن ينفعونى بشىء لم يردنى الله تعالى به فقطعت رجائى منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لى إنك لا تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع رجاءك منا كما قطعته من غيرنا أن نعطيك غير ماقسمناه لك فى الأزل ذكره الشيخ محمد بن عباد فى شرحه على الحكم .

وفيه أيضاً روى فى بعض الآثار عن الله تعالى أنه قال عبدى أطعنى فيما أمرتك ولاتعلمنى بما يصلحك . وفيه قال إبراهيم الخواص رضى الله العلم كله فى كلمتين لاتتكلف ما كفيت ولاتضيع ما استكفيت انتهى (قلت) يعنى بما كفيت هو الرزق الذى قد ضمن الله به وما استكفيت هو العبادة التى فرضها الله على عباده . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرازق ذو القوة المتين) قال بعضهم ماقدر لما ضغيك أن يمضغاه فلابد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولاتأكله بذل . وقال الحبيب عبد الله الحداد .

الذى قسم لك حاصل لديك ... والذى لغيرك لايصل إليك
فاشتغل بربك والذى عليك ... فى فرض الحقيقة والشرع المصون

وقلت فى بعض النشيدات التى على حروف المعجم وهذا حرف القاف إلى آخرها لمن يفهم .

قنـــع فؤادك يافتى بحقك   لا تعترض سيف القضا يشقك
واعلم بأن الله ضمن برزقك   ورزق غيرك لا ينله سبقك

لو كنت صخر الحن ذى تمرد (حرف الكاف)

كلا برزقه قد حباه واليه   لو لم يكن يسعى اليه ياتيه
مولى الأمم بارى النسم يؤتيه   هذا محقق لايشك أحد فيه

فاعلم وحقق ذا وتردد . (حرف اللام)

لله بالذى صورك ربق نطفه   واجرى عليك ادرار جود عطفه
والقاك فى حشو الحشا مرفه   بين النعم فافهم خفى لطفه

وأخرجك عارى فى خبا مجرد . (حرف الميم)

مسكين فى حد العدم والافلاس   مالك قوى تمشى بهامع الناس
ولا بمعقولك وقوه إحساس   عطف عليك أهلك ببشر وإيناس

فما ترى أحد منهم ولا ود : (حرف النون)

نهارهم والليل فى صلاحك   وهمهم بين الملأ مداحك
والبسط والتزمير فى صباحك   يسعون فى ما كدهم وراحك

لو بعضهم فى النار ماتكود . (حرف الواو)

وليس هذا منهم بحيله   منك ولا قدمت له وسيله
من خالق الأكوان فى سبيله   الا كرم جارى جرى سبيله

فاشكر على من ذا بداك وأحمد . (حرف الهاء)

هو الذى عافاك فى عباده   هو الذى سوى الوفا وأراده
هو الذى يستاهل العباده   هو الذى يأتيك بالزياده

هو الذى أهدى الهدى وسدد . (حرف لام الألف)

لأن هدانا بالنبى وقرب وأجرى لسنا بالكلم وعرب
فالحمد والشكر الكثير للرب فيما بدالى من نعمه وأغرب

والختم صلى الله على محمد : (حرف الياء)

يارب خصه بالصلا دائم وآله وصحبه نعمك الدعائم
ذى كابدوا من أجلك العظائم ولم يخافوا فيك لوم لائم

مع السلام المستديم سرمد (وقال بعضهم)

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لاتدركه مستعديا وهو ان وليت عنه يتبعك

« وقال آخر »

لقد علمت وماالاسراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
اسعى اليه فيعيينى تطلبه ولو جلست أتانى لا يعيينى

« وقال آخر »

لا أعتب الدهر ولاأهله فى حط مقدار ولا منزله
نحن قسمنا بينهم قاله إلهنا والخلق والأمر له

« وقال المتنبى »

أبعين مفتقر اليك نظرتنى فأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأننى أنزلت آمالى بغير الخالق

(فائدة) نقل الدميرى عن ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل ان عامل أفريقيه كتب إلى عمر بن عبد العزيز يشكو الهوام والعقارب فكتب اليه وماعلى أحدكم إذا أمسى وإذا أصبح أن يقول . ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون . قال زرعة

ابن عبد الله أحد رواته وينفع من البراغيث ، ونقل الدميرى أيضا من كتاب الدعوات المستغفرى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا آذاك البرغوث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات . ومالنا ألا نتوكل على الله الآية ثم تقول إن كنتم مؤمنين أيها البراغيث فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فانك تبيت آمنا من شرها انتهى . ونقله الشرجى من تفسير الواحدى إلا أنه قال مكان قوله إن كنتم مؤمنين أيها البراغيث إن كنتم آمنتم بالله .

(فائدة أخرى) تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل فى أنبوبة قصب وتدفن فى الزرع أو الكرم فانه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهى بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أهلك صغارهم وأقتل كبارهم وأفسد بيضهم وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واستجب منا يا أرحم الراحمين . وقال الدميرى : هو عجيب مجرب .

تتمة مهمة

تنبىء عن عظيم هذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس . لما أراد الله بها من اللطف والرأفة والرحمة . ومنَّ على برفع الهمة . وإنهاض العزمة . فى طلب شرح الحديث وفهمه وتفصيل حكمه .

قال الإمام النووى : فى شرح صحيح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون .

قال : وقد جاء فى صحيح مسلم سبعون ألفاً مع كل واحد منهم سبعون ألفاً .

ثم قال الإمام النووى أيضاً : اختلفت عبارات العلماء من السلف والخلف فى حقيقة التوكل ، فحكى الإمام أبو جعفر الطبرى وغيره عن طائفة من السلف أنهم قالوا : لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه غير الله تعالى من سبع أو عدو حتى يترك السعى فى طلب الرزق ثقة بضمان الله تعالى رزقه ، واحتجوا بما جاء فى ذلك من الآثار .

وقالت طائفة : حده الثقة بالله تعالى والإيقان بأن قضاءه نافذ ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فى السعى ، فيما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحرز من العدو كما يفعله الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

ثم قال النووى : قال القاضى عياض رحمه الله : وهذا المذهب اختيار الطبرى وعامة الفقهاء . والأول مذهب بعض المتصوفة ، وأصحاب علم القلوب والإشارات . وذهب المحققون منهم إلى نحو مذهب الجمهور ، ولكن لا يصح عندهم اسم التوكل مع الإلتفات والطمأنينة إلى الأسباب بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً والكل من الله تعالى وحده .

ثم قال النووى : قال الإمام القشيرى رحمه الله : اعلم أن التوكل محله القلب ، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافى التوكل بالقلب بعدما يتحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى ، فإن تعسر شىء فبتقديره ، وإن تيسر فبتيسيره .

وقال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه : التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

وقال أبو عثمان الحيرى : التوكل الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه . وقيل التوكل أن يستوى الإكثار والتقلل .

ثم قال النووى : اختلف العلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » .

فقال الإمام أبو عبد الله المازرى : احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوى مكروه ، قال : ومعظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بما وقع فى أحاديث كثيرة من ذكره صلى الله عليه وسلم لمنافع الأدوية والأطعمة ، كالحبّة السوداء والقسط والصبر وغير ذلك . وبأنه صلى الله عليه وسلم تداوى . وباخبار عائشة رضى الله عنها بكثرة تداويه صلى الله عليه وسلم ، وبما علم من الاستشفاء برقاه . وبالحديث الذى فيه أن بعض الصحابة أخذوا على الرقية أجراً فإذا ثبت هذا حمل ما فى هذا الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى .

ثم قال النووى : قال القاضى عياض : قد ذهب إلى هذا التأويل غير واحد ممن تكلم على الحديث ولا يستقيم هذا التأويل . وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء لهم مزية وفضيلة يدخلون الجنة بغير حساب ، وبأن وجوههم تضىء إضاءة القمر ليلة البدر ، ولو كان كما تأوله هؤلاء لما اختص هؤلاء بهذه الفضيلة لأن تلك هى عقيدة جميع المؤمنين ومن اعتقد خلاف ذلك كفر .

وقد تكلم العلماء وأصحاب المعانى على هذا ، فذهب أبو سليمان الخطابى وغيره : إلى أن المراد من تركها توكلا على الله تعالى ورضا بقائه وبلائه .

ثم قال النووى قال الخطابى : وهذه من أرفع درجات المتحققين بالإيمان ، قال الخطابى : وإلى هذا ذهب جماعة سماهم .

ثم قال النووى قال القاضى : وهذا ظاهر الحديث ومقتضاه أنه لا فرق بين ما ذكر من الكى والرقى وسائر أنواع الطب .

ثم قال النووى قال الداوردى : المراد بالحديث الذى يفعلونه فى الصحة ،

فإنه يكره لمن ليس به علة أن يتخذ التمائم ويستعمل الرقى . وأما من يستعمل ذلك ممن به مرض فهو جائز .

قال النووى : وذهب بعضهم إلى تخصيص الرقى والكى من بين أنواع الطب ، وأن الطب غير قادح فى التوكل إذ تطبب صلى الله عليه وسلم والفضلاء من السلف ، وكل سبب مقطوع به كالأكل والشرب للغذاء والرى لا يقدح فى التوكل عند المتكلمين فى هذا الباب ، ولهذا لم ينف عنهم التطبب ، ولهذا لم يجعلوا الاكتساب للقوت وعلى العيال قادحاً فى التوكل إذا لم يكن ثقته فى رزقه باكتسابه ، وكان مفوضاً فى كل ذلك إلى الله تعالى .

ثم قال النووى : والكلام فى الفرق بين الطب والكى يطول وقد أباحهما النبى صلى الله عليه وسلم وأثنى عليهما ، لكننى أذكر منه نكتة تكفى وهو أنه صلى الله عليه وسلم تطبب فى نفسه وطب غيره ، ولم يكتو وكوى غيره ، ونهى فى الصحيح عن الكى . وقال : « ما أحب أن أكتوى » .

قال النووى : والظاهر من معنى الحديث ما اختاره الخطابى ومن وافقه كما تقدم ، وحاصله أن هؤلاء كمل تفويضهم إلى الله عز وجل فلم يتسببوا فى رفع ما أوقعه بهم ، ولا شك فى فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها . وأما تطبب النبى صلى الله عليه وسلم فإنه ليبين لنا الجواز .

قال النووى : فى هذا الحديث ـ يعنى حديث السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ـ ذكر عظيم ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته زادها الله شرفاً وفضلا .

الذكر السابع وشرحه

ثم ابتدأ سيدنا عمر فى الإتيان بالذكر الحقيقى الذى كان الإنسان به هو الإنسان ، وصلح للباس ثوب العرفان ، وكرع من شراب الإيقان ، وهو

التلفظ بالكلمة الدالة على حقيقة الإيمان ، الذى فضل به أفاضل البشر أفاضل الملائكة والجان . وكان من أمرهم ما كان . فقال رضى الله عنه وأعلى درجاته فى أعالى الجنان :

(بسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لاخوف عليه « ثلاثا »)

قال الشيخ على : قوله بسم الله الجامع متحصناً ومتعلقاً بمراتب الإيمان ومتحققاً بها وذاكراً ومتعلقا ومتحققاً إذ هى الفتوح العاية والمظاهر الروحانية . والمعانى السماوية واللطائف الملكوتية والمظاهر الأخروية فبتحققها يتحقق للمكاشف أموره الأخروية وما يؤل إليه من الدرجات العملية والمقامات العلمية ويعمل على الكشف والعيان بحقائق الأعمال ولطائف الأحوال فيعمل على بصيرة وصفو سريرة فلذلك لا خوف عليه من المخاوف القاطعة والمهالك الصادة عن الطريق والحاجبة عن التحقيق ، انتهى ما ذكره الشيخ على .

وقد آن لنا الآن أن نشرع فى بيان فضائل الإيمان ، وتحقيق حقائقه وأقسامه وأحكامه والأركان ، بما جاء فى القرآن ، وما ورد من الأحاديث الحسان عن سيد ولد عدنان . وأقوال السلف الأعيان . من أولى النظر والامعان والكشف والعيان الذى غايته تحقيق حق الايقان . وذلك بحسب الطاقة والإمكان . وإيثار الاختصار فى البيان . وإلا فهو البحر المتلاطم الملآن . الذى لا يدرك له حد وليس فى مده نقصان .

فأما الآيات فقد قال الله تعالى : (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) ، وقال تعالى . (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) ، وقال تعالى : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق

ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) ، وقال تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ، وقال تعالى : (آمنوا بالله) الآية ، وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) الآيات ، وقال تعالى : (قل آمنا بالله) الآية . وقال تعالى : (وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) وقال تعالى : (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) ، وقال تعالى : (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) ، وقال تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) ، وقال تعالى : (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) ، وقال تعالى : (وإذا تتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا) ، وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) الآية إلى غير ذلك من الآيات الكريمات .

وأما الأخبار فقد روى فى الصحيح عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الإسلام بنى على خمس شهادة أن لا إله إلا وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

وفى كتاب الرياض النضرة للمحب الطبرى عن ابن عمر وغيره : « أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما بويع له بالخلافة اتخذ خاتماً نقشه

آمنت بالله مخلصاً ، وقيل آمنت بالذى خلق فسوى ، وقيل لتصبرن أو لتندمن » اه .

وعن وهب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد هدء من الليل،قال: فسمعت أصواتاً شديدة وحركة ، وجيء بسرير فوضع وجاء شخص فجلس عليه واجتمع عليه جنوده فقال لهم : من لى بعروة بن الزبير فلم يجبه أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فقال واحد منهم أنا ، فقال توجه نحو المدينة ، فتوجه إليها ثم رجع سريعاً فقال لا سبيل لنا إلى عروة ، فقال ويلك ولم ذلك فقال وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى فلا يخاص إليه معهن أحد ، قال الرجل فلما اصبحت خرجت حتى أتيت المدينة فدخلت على عروة فإذا بشيخ كبير فأخبرته بما رأيت وسمعت ، وسألته ماذا يقول إذا أصبح وإذا أمسى ، فقال أقول آمنت بالله العظيم وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها والله سميع عليم ثلاث مرات .

وعن أبى عمر سليمان بن عبد الله رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل فيه غيرك . قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم وفى رواية الترمذى ثم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا .

قال الإمام النووى قال العلماء هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم) الآية . ثم قال جمهور العلماء ومعنى الآية والحديث آمنوا والزموا طاعة الله تعالى .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . قال قد قال الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام أخرجه الترمذى .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرّج أبو داود فى السنن عن قتادة أنه بلغه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى فليقل بلى وعزة ربنا . ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله تعالى أخرجه أبو داود بطوله والترمذى إلى الشاهدين .

وروى الامام أحمد مرفوعا مامن مسلم يخرج من بيته يريد سفراً وغيره فقال حين يخرج آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لاحول ولا قوة إلا بالله إلا رزقه الله خير ذلك المخرج .

وروينا فى كتاب ابن السنى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد هذا الوسواس فليقل آمنت بالله ورسله ثلاثاً فإن ذلك يذهب عنه ـ الحديث .

وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى عليه السلام رجلا يسرق فقال له عيسى سرقت قال كلا والذى لا إله إلا هو فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عينى . قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم قال القاضى ظاهر الكلام صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر لى من ظاهر سرقته فلعله أخذ ماله فيه حق بإذن صاحبه أو لم يقصد الغصب والاستيلاء أو ظهر له من مد يده أنه أخذ شيئاً . فلما حلف له سقط ظنه ورجع عنه .

قلت اعلم أن هذه الآيات والأحاديث التى تقدمت هنا هى توطئة وتقدمة وبيان وترجمة لمعنى قوله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه .

بيان حقيقة الايمان

ولنشرع الآن فى بيان حقيقة معنى الإيمان ونذكر بعده فوائد حسانا ونشرح بعد ذلك فضل الإيمان ونجمل ذلك فى ثلاثة فصول أفنان .

(الفصل الأول) فى ذكر حقيقة الإيمان وعلامات أهله .

(الفصل الثانى) فيه فوائد تدل على منشأ الإيمان وأصله .

(الفصل الثالث) فيه بيان عظيم حرمة المؤمنين والإيمان وجزالة فضله .

الفصل الأول

فى ذكر حقيقة الإيمان وعلامات أهله

وأخلاقهم وأعمالهم فى أقوالهم وأفعالهم وما ينبغى أن يكونوا عليه

أما فى القرآن فقوله تعالى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين . إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) .

(قلت) فانظر كيف أثبت لهم الإيمان مع كراهتهم خروج الرسول من بيته بالحق فى طلب المشركين، وجدالهم له فى الحق بعد ماتبين ولا تطلب من المؤمن أن لا يكره مايقضى عليه ظاهراً وأن لا يجادل الواسطة بينه وبين الله

لضعفه ولأنه لم يبلغ حقيقة حق اليقين ، وإنما هو من أهل علم اليقين والله أعلم .

وقال تعالى (وخافونى إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) واسمع حقيقة الإيمان وصفة المؤمنين وما جاء به وعد الصدق لهم فى كلام أصدق القائلين إذ قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه رواه جابر وأخرجه الترمذى عنه . وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل الأنصارى رضى الله عنه حين دخل عليه وهو يبكى كيف أصبحت يا معاذ ؟ فقال : أصبحت بالله مؤمناً فقال صلى الله عليه وسلم إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يا رسول ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أنى لا أمسى وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أنى لا أصبح ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله تعالى وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة . قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم .

وقال صلى الله عليه وسلم لحارثة كيف أصبحت يا حارثة ، فقال أصبحت مؤمناً حقاً . فقال إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ، فقال : عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها وشدتها ورخاؤها وكأني بعرش ربي بارزاً وكأن أهل الجنة في الجنة يتزاورون ويتنعمون . وكأن أهل النار في النار يتعاوون ويعذبون . فقال صلى الله عليه وسلم حارثة عبد نور الله قلبه عرفت فالزم .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لابنه عند الموت يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب قال يا رب وما أكتب قال أكتب مقادير كل شيء حتى يوم القيامة يا بنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات على غير هذا فليس منى أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذى وعن مالك أنه بلغه أنه قيل لاياس ما رأيك فى القدر ؟ قال رأى ابنتى ، يريد لا يعلم سره إلا الله وكان يضرب به المثل فى الفهم . وسأله رجل عن القدر فقال : ألست تؤمن به قال بلى ؟ قال : فحسبك ، حدثنى على بن الحسين عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتى ليس لهم فى الإسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذى . ونقله الامام عبد الرحمن بن على الديبع الزبيدى فى كتابه تيسير الوصول . ثم قال : القدرية الذين يقولون الخير من الله والشر من الانسان وأن الله لا يريد أفعال العصاة . والمرجئة الذين يقولون لا تضر مع الإيمان معصية وهم أضداد القدرية فإن من مذهبهم تخليد صاحب الكبيرة فى النار إذا لم يتب

ها وإن كان مؤمناً وكلاهما مخالف لأهل السنة والجماعة هكذا ذكره العلماء .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن أخرجه أبو داود . ومعناه أن الايمان يمنع
المؤمن أن يفتك بأحد ويحميه أن يفتك به فكأنه قد قيد الفاتك ومنعه من
السعى فهو له قيد .

وفى كتاب الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش
ولا البذىء قال الترمذى حديث حسن .

وفى كتاب الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

وعن أنس رضى الله عنه قال قلّ ما خطبنا رسول الله إلاّ قال : لا إيمان
لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له .

وعن أبى موسى الأشعرى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول مثل
المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجه طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن
الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها . ومثل الفاجر الذى
يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها . ومثل الفاجر الذى لا يقرأ
القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، صحيح أخرجه البخارى عن قتيبة
عن أبى عوانة عن قتادة .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطبع المؤمن على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب رواه الامام أحمد .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث خصال من كن فيه فقد استكمل الإيمان . من إذا رضى لم يدخله رضاه إلى باطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق ، وإذا قدر عفا » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله » .

وعن أبى امامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » أخرجه أبو داود .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » أخرجه الترمذى والنسائى .

وعن صفوان بن سليم قال : قيل يا رسول الله أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال : « لا إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم الكاذبون » رواه الإمام مالك .

وروى الإمام البخارى بسنده عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف ، فمن أوفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارته . ومن أصاب من ذلك

شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » قال عبادة رضى الله عنه : فبايعناه على ذلك .

(قلت) وبهذا الحديث وما فى معناه يستدل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد فى النار ، وللعلماء فى ذلك كلام طويل نورده إن شاء الله بعد قليل بما يشفى العليل ويبرد الغليل ، وبعضه قد تقدم متفرقاً من أول هذا القرطاس ، وإنما الذى سيأتى طرف منه هنا جميل جميل . الأول من الجمالة . والثانى من التجميل فى فصل الفوائد من هذا الباب الفضيل وبالله التوفيق وإليه المآب اه .

وقال عليه الصلاة والسلام يوماً لطائفة من أصحابه : « ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما علامة إيمانكم ؟ فقالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر على الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء . فقال : مؤمنون ورب الكعبة » .

وفى رواية أنه قال : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » ، قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » ، قال : صدقت قال : فأخبرنى عن الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

قال : أخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ، قال : فأخبرنى بأماراتها ؟ قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » ثم انطلق فلبث ملياً ، ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم . (قلت) : انتهى الحديث الجليل المقدار فتدبره وتفهمه لتعلم ما ثم .

وعن طلحة بن عبد الله القرشى التيمى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال : هل على غيرهن ، قال : لا إلا ان تتطوع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان ، فقال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا ان تتطوع ، وذكر له الزكاة ، فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا إلا أن تتطوع ، فأدبر وهو يقول : لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح إن صدق ، وأدخل الجنة إن صدق » أخرجه الستة إلا الترمذى .

وعن أبى داود « أفلح وأبيه إن صدق » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤد زكاة ماله » فافهم والزم ما ثم . ولا تظن أن قولك لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقولك آمنت بالله من غير إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، واجتناب ما حرم الله ينفعك هيهات ثم هيهات ، فإن المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام من لم يؤد الزكاة فليس بمؤمن .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه ، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله تعالى من كان كذلك وما سمع الخلائق بيوم قط أكثر عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة .

وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة » أخرجه مسلم واللفظ له وأبو داود والترمذى ولفظه : « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » . وفى أخرى له ولأبى داود « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » .

وعن عبد الله بن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة ، أخرجه الترمذى .

وعن مالك قال : كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله « إن أهم أموركم عندى الصلاة ، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا على ثلاثاً لا تؤخرها : الصلاة إذا دخل وقتها ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفؤا » أخرجه الترمذى .

(قلت) : وسمعت عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « التأنى من الرحمن ، والعجلة من الشيطان ، إلا فى خمس خصال وهى : الصلاة إذا دخل وقتها ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفؤا ، وقرى الضيف إذا وجد ، وقضاء الدين إذا حل » .

وقال عليه السلام : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » فتدبر يا أخى هذا الحديث ، ولا تكره المؤمن إلا ما تكرهه لنفسك إن كنت تريد كمال إيمانك .

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة منها هذا الحديث الذى جمع محاسن الأخلاق ، لأن صفات الإيمان هى الدين كله ويجمعها حسن الخلق .

وقد قال أهل العلم : حسن الخلق ثلاثة أشياء : بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه .

ومنها قوله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وقال عليه السلام : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » .

وقال عليه السلام : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

وعن الحارث بن سويد قال : حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حديثين ، أحدهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر عن نفسه ، فقال : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل ، يخشى وقد أشفى على السقوط يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه ،

فقال به هكذا بيده فذبه عنه ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « للهُ أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوّية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الجوع والعطش ، قال ارجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » أخرجه الشيخان والترمذى ، وزاد فى رواية مسلم . ثم قال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح . الدوية : الصحراء التى لا نبات فيها .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » متفق عليه . وفى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » . وفى رواية لمسلم : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » والبوائق الغوائل والشرور ، فانظر كيف كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم القسم بالله ثلاثاً أن من لا يأمن جاره بوائقه لا يؤمن أى لا يكون مؤمناً . وهذا الفصل من أوله معقود لتحقيق وصف حقيقة الإيمان فافهم .

وقال عليه السلام لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً . وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالى فلا يحل لأحدهما أن يفشى على أخيه ما يكره .

فى فضل على وآل البيت ومحبتهم

(فائدة) ومن العلامات الدالة على صدق الإيمان محبة الإمام على بن أبى طالب وجميع قربى محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم عترته وأهل بيته رضى الله عنهم أجمعين لما صح عنه رضى الله عنه قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى صلى الله عليه وسلم إلى أنه لايحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق أخرجه مسلم ، وأخرجه أبو حاتم وقال وذرأ النسمة إنه لعهد النبى صلى الله عليه وسلم إلى أنه لايحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق أخرجه الترمذى ولفظه عهد إلى من غير قسم وقال حديث حسن صحيح هكذا نقله الطبرى فى كتاب الرياض النضرة ثم قال ومعنى قوله وذرأ أى خلق والنسمة النفس وكل ذى روح فهو نسمة .

وفى كتاب الرياض عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه قال لعلى رضى الله عنه لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق أخرجه أحمد ، وعن المطلب بن عبد الله بن خطيب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أوصيكم بحب ذى وقربنها أخى وابن عمى على بن أبى طالب فإنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبه فقد أحبنى . ومن أبغضه فقد أبغضنى أخرجه أحمد فى المناقب ، وعن الحارث الهمدانى قال رأيت عليا على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قضاء قضاه الله على لسان نبيكم النبى الأمى صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبنى إلاّ مؤمن ولا يبغضنى إلاّ منافق أخرجه ابن فارس . وفى كتاب الرياض المذكور عن محمد بن الحنفية أنه قال لا يبقى مؤمن إلاّ وفى قلبه ولاء لعلى وأهل بيته . وتلا قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » أخرجه الحافظ السلفى ، وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ليس آية فى كتاب الله عز وجل يا أيها الذين

آمنوا إلاّ وعلىٌّ أولها وأميرها وشريفها . الحديث أخرجه أحمد فى المناقب .

وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا مانعرف المنافقين إلاّ ببغضهم علياً أخرجه أحمد فى المناقب .

وفيه عن عبد الله بن سلام قال : أذن بلال بصلاة الظهر فقام الناس يصلون فمن بين راكع وساجد . وسائل يسأل فأعطاه على خاتمه وهو راكع فأخبر السائل النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أخرجه الواحدى وأبو الفرج والفضايلى .

وفيه عن سلمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت أنا وعلى نوراً بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين فجزء أنا وجزء علىأخرجه الإمام أحمد فى المناقب .

وفيه عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على منى بمنزلة رأسى من جسدى خرجه الملا . وفيه عن أبى صالح قال لما حضرت عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما الوفاة قال : اللهم إنى أتقرب إليك بولاء على بن أبى طالب أخرجه أحمد فى المناقب .

وفيه عن عبد الله قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع المهاجرين والأنصار إلاّ ما كان فى سرية أقبل على يمشى وهو متغضب فقال : من أغضبه فقد أغضبنى فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حالك يا على قال ؟ قال : آذانى بنو عمك ، فقال : يا على أما ترضى أنك تكون معى فى الجنة والحسن والحسين وذرياتنا خلف ظهورنا وأزواجنا وأشياعنا عن أيماننا وشمائلنا أخرجه أحمد فى المناقب .

وفيه عن عبد الله بن الحارث قال : قال لعلى أخبرنى بأفضل منزلتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم قال بينما أنا نائم عنده وهو يصلى فلما فرغ من صلاته قال يا على ما سألت الله عز وجل من الخير إلا وسألت لك مثله وما استعذت الله من الشر إلا استعذت لك مثله أخرجه المحاملى .

شعب الايمان وخصال المؤمن

فاعلم وافهم يا أخى واعرض إسلامك وإيمانك على هذه الآيات والأحاديث فإن كنت متخلقاً بشىء منها فحظك من الإيمان بقدر ما أوتيت منها . وإلا فاجتهد فى تحصيلها واستعن بالله . وعليك بالنصيحة للمؤمنين عامة لا تحسد أحداً منهم على نعمة أنعم الله بها عليه فتسلب الإيمان إذا لم تحب لأخيك ما أحببته لنفسك مع أنك لا تقدر يبسط ولا بمنع ولا بضر ولا بنفع ولا جلب ولا دفع وإنما تدرك الثواب وتسلم من العذاب وتربح نفسك وتشرفها بنيتك وإرادتك الخير لعامة المؤمنين كما ورد نية المؤمن خير من عمله ونية المنافق شر من عمله . فإن لم تقدر على إيصال الخير إليهم فاجتهد أن تكف شرك عنهم وتقبض يدك ولسانك من الوقوع فى أعراضهم وأموالهم فقد ورد أن حقوق المؤمن على المؤمن ثلاثة أن يمدحه فلا يذمه وأن يسره فلا يغمه وإن لم ينفعه فلا يضره . وقد قيل من كفى الناس شره فقد قام بحقوقهم .

فاعلم وافهم واعمل تغنم وتكرم وإياك ثم إياك أن تقول بمجرد لسانك آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه وتغفل عن تحقيق ذلك بقلبك فإن ذلك مما لا يخفى عليك قليل المنفعة .

وقد ورد فى نص القرآن والحديث ذم المنافقين والكافرين والأعراب وأشباههم من المسلمين حيث قنعوا بالقشور دون الالباب فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم

عذاب أليم بما كانوا يكذبون) الآيات وقوله (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) وقوله (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا) . وقوله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) . وقال تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآيات وقال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) وقوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) إلى قوله (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) الآية إلى غير ذلك من الآيات والأخبار مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم . وفى لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم فإذا فعلوا ذلك ثم قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين .

قال العلماء ومعلوم إن كل ما عابه الله على الكفار فالمسلمون أولى بالتنزه منه . فانصح لنفسك قبل حلول رمسك . وقد قال عليه السلام عليك بخصال الإيمان وهى جهاد أعداء الله بالسيف والصوم فى أيام الصيف وحسن الصبر عند المصيبة وترك المراء وأنت محق وتبكير الصلاة فى يوم الغيم وحسن الوضوء فى أيام الشتاء وترك ردغة الخبال وفسرها بشرب الخمر . وقد ورد ثلاث خصال من الإيمان أن يحتلم الرجل فى الليلة الباردة فيقوم فيغتسل لا يراه إلا الله تعالى ، والصوم فى اليوم الحار ، وصلاة الرجل فى الأرض الفلاة لا يراه إلا الله

عز وجل لجعل هذه الخصال وغيرها من الإيمان وهو دليل إمامنا الشافعى رضى الله عنه على أن الطاعات كلها من الإيمان كما نقله عنه العلماء وشرحوه فى كتبهم المعتمدة وسيأتى تحقيق ذلك فى فصل الفوائد من هذا الباب باختصار ومبسوطاً فى آخر الكلام على قوله حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد ورد الصبر نصف الإيمان وورد المؤمن أمره خير كله إن ابتلى صبر أو أعطى شكر الحديث لم يحضرنى فأورده بلفظه وهذا معناه فلا شك أن الإيمان كله إنما هو صبر وشكر لله تعالى قال الله تعالى (ولربك فاصبر) وقال (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وقال عليه الصلاة والسلام « احبسوا على المؤمنين ضالتهم العلم » وقال عليه الصلاة والسلام : « خيركم أو خياركم ألينكم مناكب فى الصلاة وهم المؤمنون حقاً . وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن هين لين جواد سمح المؤمن فطن حذر وقاف متثبت عالم ورع وهم الغالبون وهم المفلحون المحبون لله ولرسوله وقال صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل رواه ابن أبى الصيف اليمنى رحمه الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه والذى نفسى بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه .

وقال الشعرانى فى كتابه تنبيه المغترين ومن شرط كامل الإيمان أن يكون ما وعده الشارع به غيباً كالحاضر عنده على حد سواء . ثم قال ومن عندنا تقدم من تقدم وتأخر من تأخر انتهى .

(قلت) ويؤيده قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة

هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به لا يزيغ عنه » رواه الحجة الطبرانى .

قال الإمام المقدسى وذلك سهل على من حصل الإيمان الحقيقى بالله والدار الآخرة فذاق طعم الإيمان وحلاوته ودخل نوره إلى قلبه فعرف ربه فأحبه ومن أحب شيئاً أتبعه هواه ومال عن غيره ووالاه وحبك للشىء يعمى ويصم .

قال ومعنى قوله تبعاً لما جئت به أى يميل بطبعه إليه كحبو باته الدنيوية وملذوذاته النفسية ولا يجد فى الإتيان بأوامره ولا فى اجتناب نواهيه مشقة كما قال بعض الأئمة جاهدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها بقية العمر فمن ظفر بهذا الإيمان وفاز بهذه الأخلاق كيف يضيق صدره لشىء من أمر رسول ربه الناصح المبعوث رحمة وهو حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال له الرب الكريم فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما .

قال وكل هذه الشروط مأخوذة من الآية والحديث العظيم قدرهما والناس فى غفلة عن معناهما والله المستعان ونسأله التوفيق للعمل بها آمين انتهى ما ذكره المقدسى .

ومنه أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم .

وفى معناه قال الإمام النووى روينا فى صحيح البخارى رضى الله عنه قال : قال عمار رضى الله عنه ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك

وبذل السلام والإنفاق من الإقتار . قال الإمام النووى بعد ما أورد هذا الحديث قد جمع عمار رضى الله عنه فى هذه الكلمات خيرات الدنيا والآخرة قال وعلى هذه الثلاث مدار الإسلام لأن من أنصف من نفسه فيما لله تعالى عليه والخلق والنفس من نصيحتها وصيانتها فقد بلغ الغاية من الطاعة . وقوله بذل السلام للعالم بفتح اللام يعنى الناس كلهم كقول النبى صلى الله عليه وسلم وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف وهذا من أعظم مكارم الأخلاق وهو متضمن للسلامة من المعاداة والحقد والحسد واحتقار الناس والتكبر عليهم والارتفاع فوقهم . وأما الإنفاق من الإقتار فهو الغاية فى الكرم . وقد مدح الله سبحانه وتعالى على ذلك . فقال (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وهذا عام فى نفقة الرجل على زوجته وضيفه والسائل منه وكل نفقة فى طاعة الله تعالى وهو متضمن للتوكل على الله تعالى والاعتماد على سعة فضل الله والثقة بضمانة الرزق ويتضمن أيضاً الزهد فى الدنيا وعدم ادخار متاعها وترك الاهتمام بشأنها والافتخار والتكاثر بها ويتضمن غير ما ذكرت من الخيرات لكنى أوثر فى هذا الكتاب الاختصار البليغ خوفاً من الملال انتهى كلامه نفع الله به .

وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير يعلم أن عليه رقيبا على سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه حتى اللمحة ببصره وفتات الطين بأصبعه وكل عمله وجميع سعيه . القرآن دليله والشوق مطيته . والوجل شعاره والصدق وزيره . يامعاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من هوى نفسه وشهواته وحال بينه وبين أن يهلك بإذن الله .

وقال عليه الصلاة والسلام إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ، وقال عليه السلام : إذا سئل أحدكم أمؤمن هو ، فلا يشك فى إيمانه وقال عليه الصلاة والسلام إذا سرتك حسناتك وساءتك سيئاتك فأنت مؤمن ، وقال عليه الصلاة والسلام أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات وأشرف الجهاد أن تقتل وتعقر فرسك رواه ابن عمر وزاد بن النجار فى تاريخه كما نقله السيوطى فى جامعه وأشرف الزهد أن يسكن قلبك على ما رزقت وإن أشرف ما يسأل من الله عز وجل العافية فى الدين والدنيا والآخرة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا . ولا يجتمع فى جوف مؤمن غبار فى سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع فى قلب عبد إيمان وحسد أخرجه مسلم وأبوداود والنسائى وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد عش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزى به وأحبب ماشئت فإنك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس رواه الطبرانى بإسناد حسن .

فانظر إلى هذين الحديثين وإلى صحة روايتهما وما اشتملا عليه من أن الإيمان والحسد لايجتمعان فى قلب عبد مؤمن وأن شرف المؤمن قيام الليل وعزه هو استغناؤه عن الناس فاجتنب الأولى بغاية جهدك ولا تكرهن مايمن الله به من فضله العظيم الواسع فى الدين والدنيا والآخرة على من يشاء من عباده وألزم الخصلتين اللتين هما شرف المؤمن وعزه ترشد إن شاء الله والسلام .

وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لايجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق رواه الترمذى رحمه الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فهاتان الخصلتان قبيحتان لايجتمع معهما كال الإيمان فإيمان صاحبهما ضعيف يؤول والعياذ بالله إلى

سلب أصل الإيمان عند استحكام تلك الصفة ويؤدى ذلك إلى الخوف من سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك ونسأله كال العافية .

وقال عليه الصلاة والسلام أعظم الناس هما المؤمن يهتم بأمر دنياه وآخرته وقال عليه الصلاة والسلام مايصيب المؤمن من وصب ولاغم ولاحزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيئاته . وروى عن عيسى عليه السلام انه قال لايكون عالماً من لايفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وقد قيل لايخلو المؤمن من علة أو عيلة أو قلة أو ذلة .

وقال عليه الصلاة والسلام أغبط الناس أو قال أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافاً فصبر عليه حتى يلقى الله ، وأحسن عبادة ربه وكان غامضاً فى الناس عجلت منيته . لايشار إليه بالأصابع ثم نقر يده هكذا فقال وقل تراثه وقلت بواكيه وقال صلى الله عليه وسلم إن الحياء والايمان قرنا جميعاً فاذا رفع أحدهما رفع الآخر .

وقال صلى الله عليه وسلم إن الحياء والايمان فى قرن فاذا سلب أحدهما تبعه الآخر رواه ابن عباس . وقال عليه السلام أفضل الايمان الصبر والسماحة رواه معقل بن يسار وقال عليه السلام أن لكل شىء حقيقة ومابلغ عبد حقيقة الآيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه رواه أبو الدرداء .

وقال عليه الصلاة والسلام الاسلام علانية والايمان فى القلب رواه أنس . وقال عليه الصلاة والسلام الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن وقال الايمان عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع . وقال الايمان بالنية واللسان والهجرة بالنفس والمال . وقال الإيمان بالقدر نظام التوحيد وقال الإيمان والعمل اخوانه

بوت.كان فى قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه رواه ابن شاهين فى النية عن على . وقال أيضاً :الإيمان نصفان فنصفه فى الصبر ونصفه فى الشكر رواه أنس .

وقال عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أبعده الله منه كما يكره أن يلقى فى النار رواه أنس . وقد قدمنا قريباً أنه ورد فى الحديث الصبر نصف الإيمان قال بعض العلماء وذلك أن جميع الطاعات لا تنال إلا بالصبر ولا ينتهى عن المخالفات وتحمل للشقات وتسهيل المصائب الا به وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة . والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة .

صفات المؤمن الصادق

وقد جمع يحيى بن معاذ رضى الله عنه جملة من صفات المؤمن فقال أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الخير قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول كثير البر لرحمه وصولا وقوراً صبوراً شكوراً كثير الرضا عن الله تعالى إن ضيق الله عليه الرزق رفيقاً باخوانه حليماً عفيفاً شفوقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا عياباً ولا نماماً ولا مغتاباً ولا عجولا ولا حسوداً ولا حقوداً ولا متكبراً ولا معجباً ولا راغباً فى الدنيا ولا طويل الأمل ولا كثير النوم والغفلة ولا مرائياً ولا منافقاً ولا بخيلا هشاشاً بشاشاً لا جساساً ولا حساساً يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله زاده تقواه وهمته عقباه وجليسه ذكراه وحبيبه مولاه وسعيه لأخراه وذكر نحو ثلاثين وثلاثمائة وصفاً ذكرنا من جملتها هذه انتهى .

النفاق وأثره فى القلب

وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن يائس من كل أحد إلا من الله. والمنافق راج من كل أحد إلا من الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله. والمنافق خايف من كل أحد إلا من الله. والمؤمن يقدم ماله دون دينه. والمنافق يقدم دينه دون ماله المؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة. والمنافق يحب الخلطة والملأ. والمؤمن يزرع ويخشى الفساد. والمنافق يقطع ويرجو الحصاد. والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد.

وقال سيدنا على كرم الله وجهه الإيمان يبدو فى القلب نكتة بيضاء فكلما ازداد الإيمان ازداد البياض فاذا استكمل الايمان أبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسودّ القلب كله.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان على رأسه كالظلة فاذا نزع أى تاب عاد اليه الإيمان أخرجه أبو داود والترمذى وزاد الترمذى قال محمد الباقر رحمه الله تفسيره يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، نزع أى أقلع عن الذنب وفارقه بالتوبة.

ومما يدلك على تحقيق حقيقة الإيمان المعقود هذا الفصل من أصله لأجله لأنه الأصل. مايروى أن رجلا من بنى إسرائيل جمع ثمانين تابوتاً من العلم ولم ينتفع بعلمه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لهذا الجامع لو جمع أكثر من هذا لم ينفعه إلا أن يعمل بثلاث أن لايحب الدنيا فليست بدار المؤمنين ولا يصاحب السلطان فليس برفيق المؤمنين ولا يؤذى أحدا من الناس فليس بحرفة المؤمنين

وقال صلى الله عليه وسلم. أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام

وصلى وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فيه شعبة من النفاق حتى يدعها . من إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا أوتمن خان . وإذا خاصم فجر . وفى لفظ آخر وإذا عاهد غدر . قال الغزالي بعد إيراد هذا الحديث وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لايخلو عن شيء منه إلا صديق . إذ قال الحسن إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف القلب واللسان والمدخل والمخرج ومن ذا الذى يخلو عن هذه المعانى بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكراً بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة إن كان الرجل منا ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقاً وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات قلت وحذيفة هذا هو صاحب السر الذى هو حق اليقين الذى أودعه إياه سيد المرسلين يميز به بين المقبلين عليه من المؤمنين الصالحين والمنافقين المارقين حتى إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يقول له إذا لقيه بالله عليك ياحذيفة هل ترى فى شيئاً من علامات المنافقين . فانظر إلى خوفهم من هذه العلة التى لايكاد يتخلص منها إلا من كان كما قال الغزالى من الصديقين والمقربين . وقد أشار اليهم ربهم تعالى فى كتابه المبين بقوله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) أى أنهم يحسنون ويخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون والسلام .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن المؤمن لاتسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه . وقال عليه السلام لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وقال عليه الصلاة والسلام ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فافهم سر قوله من رضى .

وقال عليه السلام من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً وجبت له الجنة . الحديث رواه أبو سعيد وقال عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات رضيت بالله رباً وبالاسلام دينا وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه . وقال الحسن البصرى رضى الله عنه إن المؤمن جمع بين إحسان وخوف . وإن المنافق جمع بين إساءة وأمن . قلت واليه الإشارة بقوله تعالى (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) جاء فى التفسير أنهم يحسنون وقلوبهم خائفة من عدم القبول .

(خاتمـــة)

قال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد فى كتابه النصائح الدينيه وأعلموا معاشر الاخوان أن من رضى بالله ربا لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له وأن يرضى بمر قضائه وبما قسمه له من الرزق وأن يداوم على طاعته ويحافظ على فرائضه ويجتنب محارمه ويكون صابراً عند بلائه شاكراً لنعمائه محباً للقائه راضياً به وكيلاً ووليا وكفيلا مخلصاً له فى عبادته ومعتمداً عليه فى غيبته وشهادته لا يفزع فى المهمات الا اليه ولا يعول فى قضاء الحاجات الا عليه ولا يطمع الا فيما لديه سبحانه وتعالى ، ومن رضى بالاسلام ديناً عظم حرماته وشعائره ولم يزل مجتهداً فيما يؤكده ويزيده رسوخاً واستقامة من العلوم والأعمال ويكون به مغتبطاً ومن سلبه خائفاً ولأهله محترماً ولمن كفر به مبغضاً ومعادياً ، ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً كان به مقتديا وبهديه مهتديا ولشرعه متبعاً وبسنته مستمسكا ولحقه معظما ومن الصلاة والسلام عليه مكثراً ولأهل بيته وأصحابه محباً وعليهم مترضيا ومترحماً وعلى أمته مشفقاً ولهم ناصحاً .

ثم قال ينبغى لك أيها المؤمن أن تطالب نفسك بتحقيق المعانى ولا تقنع

بمجرد القول باللسان فانه قليل الجدوى وإن كان لا يخلو عن منفعة انتهى من النصائح مختصراً فتدبره .

وقد قال عليه السلام إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم ، وقال عليه الصلاة والسلام إذا دخل نور الايمان فى القلب انشرح وانفسح قيل هل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابه إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فيتضح لك بهذا الحديث وما قبله وما بعده أن علامة قوة الإيمان هى الزهد فى الدنيا والله أعلم .

(مهمة جليلة)

قال الشيخ محمد بن عباد فى شرح الحكم ومن عظيم نعم الله على العبد ايجاد الإيمان ومحبة الطاعة فى قلبه وأمدادهما وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التى لا مدخل للعبد فيها ولا للوسيلة اليها ولولا تولى الله تعالى تينك النعمتين فى القسمين لتاه فى ظلمات الضلالة وغرق فى بحار الجهالة . وقد نبه الله سبحانه على هذا المعنى فى كتابه الكريم فقال عز من قائل (ولكن الله حبّب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة) ثم قال القشيرى وإن من فكر فى صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس فى البدع والأهواء وتشعب كل قوم من مختلفى النحل والآراء ثم فكر فى ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره فى الأمور وشدة جهله وتناقض تدبيره فى أحواله وشدة حاجته إلى الاستعانة باشكاله فى أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره فى دينه ونقى وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفى عين عرفانه عن وهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى (واسبغ

عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة .

ثم قال ابن عباد فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه فى بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد فى ذلك على عقله وعلمه .

قال بعض العارفين من نظر فى توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار وقال ذو النون المصرى ما هو قريب من هذا ، من كان فى توحيده ناظرا إلى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره إليه فى توحيده إياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة .

فائدة : ومن أسماء الله الحسنى اسمه المؤمن (قال) بعض العلماء فى شرح الأسماء الحسنى المؤمن . من قرأه أو حمله معه بقى فى أمن الله تعالى وكذلك ما معه من المال لا يقدر عليه سلطان ولا غيره .

قال الشيخ أحمد زروق اسمه تعالى المؤمن خاصيته وجود التأمين وحصول الصدق والتصديق وقوة الإيمان فى العموم لذاكره . ومن ذلك أن يذكره الخائف ستاً وثلاثين مرة فإنه يأمن على نفسه وماله ويزداد ذلك بحسب القوة والضعف والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الفصل الثانى

فى فوائد مهمة

تتعلق بالايمان من علم الوصول والعقائد لا يستغنى طالب التحقيق عن معرفتها نقلتها من كتب النووى المعتمدة ومن كتاب بحر الأنوار السيدى المصرى وغيره مما لا يحصى ولا يعد من الكتب ولا يستقصى .

(الفائدة الأولى) قال الإمام محمد بن على المعروف بابن تومرت في كنز العلوم .

أعلم أن حقيقة الإسلام قيام البدن بوظائف الأحكام وحقيقة الإيمان قيام القلب بوظائف الاستسلام وحقيقة الإحسان قيام الروح بمشاهدة العلام ثم قال وهذا كله لا يصح إلا بالعلم ومعرفة العلوم لأن من جهل شيئاً أنكره فلا تصح العبادة إلا بمعرفة المعبود فإذاً لابد من العلم حينئذ ضرورة وللعلم ماهية وكيفية وكمية . فأما الماهية فهى العلم ثم المعرفة ثم المشاهدة إلى آخر ما قال .

وقال الإمام النووى فى المجموع . وأما أصل واجب الإسلام ومايتعلق بالعقائد فيكفى فيه التصديق بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاده اعتقاداً جازماً سليماً من كل شك ولا يتعين على من حصل له هذا العلم معرفة أدلة المتكلمين ، هذا هو الصحيح الذى أطبق عليه السلف والفقهاء والمحققون من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يطالب أحداً بشىء سوى ما ذكرناه وكذلك الخلفاء الراشدون ومن سواهم من الصحابة فمن بعدهم من الصدر الأول بل الصواب للعوام وجماهير المتفقهين والفقهاء الكف عن الخوض فى دقائق الكلام مخافة من اختلال يتطرق إلى عقائدهم يصعب عليهم إخراجه بل الصواب لهم الاقتصار على ما ذكرناه من الاكتفاء بالتصديق الجازم وقد نص على هذه الجملة جماعات من حذاق أصحابنا وغيرهم وقد بالغ إمامنا الشافعى رحمه الله فى تحريم الاشتغال بعلم الكلام أشد مبالغة وأطنب فى تحريمه وتغليظ العقوبة لمتعاطيه وتقبيح فعله وتعظيم الاثم فيه . فقال لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير من أن يلقاه بشىء من الكلام وألفاظه بهذا المعنى كثيرة مشهورة ، وقد صنف الغزالى رحمه الله فى آخر أمره كتابه المشهور الذى سماه «الجام العوام عن علم الكلام» وذكر أن الناس كلهم عوام فى

هذا الفن من الفقهاء وغيرهم إلا الشاذ النادر الذى لاتكاد الأعصار تسمح بواحد منهم والله أعلم انتهى كلام الإمام النووى .

وقال سهل التسترى رحمه الله عليكم بالاقتداء بالأثر والسنة فانى أخاف أنه سيأتى عن قليل زمان إذا ذكر الإنسان النبى صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤا منه وأذلوه وأهانوه[1] .

أهل السنة والمعتزلة

وقال سهل أيضاً إذا ظهرت البدعة على أيدى أهل السنة لأنهم ناظروهم وقاولوهم وظهرت أقاويلهم وفشت فى العامة فسمعها من لم يكن يسمعها ولو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما فى صدره ولم يظهر منه شىء وحمله إلى قبره انتهى (قلت) ولا بأس بالإجابة لهم عند سؤالهم قطعاً لجدالهم وذلك بالتى هى أحسن لقوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

وقد حكى أن القاضى عبد الجبار الهمدانى أحد شيوخ المعتزلة دخل على الصاحب ابن عباد وعنده الأستاذ أبو اسحاق الاسفراينى أحد أئمة أهل السنة فلما رأى الأستاذ قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الأستاذ مجيباً له بالإشارة على الفور سبحان من لايقع فى ملكه الا مايشاء .

فقال القاضى عبد الجبار أيشاء ربنا أن يعصى فقال الأستاذ أفيعصى ربنا قهراً . وقرأ وقضى . قال القاضى أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء . فقال الأستاذ إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء .

وقد روى أن رجلا من الخوارج قال لعلى رضى الله عنه أرأيت من جلبنى

---

(١) قد أتى أوكاد وهذه كرامة لسهل

سبيل الهدى وسلك بي سبيل الردى أحسن إلى أم أساء . فقال على إن كنت قد استوجبت عليه حقاً فقد أساء وإن كنت لم تستوجب عليه شيئاً فهو يفعل ما يشاء .

القدر سر الله فى الأرض

وسأل رجل على بن أبى طالب رضى الله عنه أيضاً فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر فقال القدر طريق مظلم لا تسلكه فأعاد السؤال . قال بحر عميق لا تلجه . فأعاد السؤال قال سر الله فى الأرض قد خفى عليك لا تفتش عنه .

وقال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات القدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها ونفعها وضرها . قال الله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فهو ملك الله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك فى ملكه ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله .

ثم قال الإمام أبو المظفر السمعانى سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه فى بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله ضرب دونه الأستار اختص به الله تعالى وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة وواجب أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه وقد طوى الله تعالى علم القدر عن العالم فلم يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم .

ثم قال الإمام النووى وفى هذه الأحاديث النهى عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التى ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره . ومن كان من أهل السعادة يسره الله تعالى

لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله تعالى لعملهم كما قال الله تعالى فسنيسره لليسرى وللعسرى .

ثم قال وعلم الله بما قدره على عباده وأراده من خلقه أزلى لا أول له ولم يزل مريدا لما أراده من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر انتهى .

وقال أيضاً اعلم أنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئا فلا يقع . ومذهب أهل الحق أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات خيرها وشرها ومنها الإيمان والكفر فهو سبحانه وتعالى مريد لإيمان المؤمن ومريد لكفر الكافر خلافا للمعتزلة فى قولهم إنه أراد إيمان الكافر ولم يرد كفره تعالى الله عن قولهم الباطل فانه يلزم من قولهم إثبات العجز فى حقه تعالى وأنه وقع فى ملكه مالم يرده . وقال ميمون بن مهران لغيلان القدرى سَلْ فأقوى ما تكونون إذا سألتم فقال غيلان أشاء الله أن يعصى فقال ميمون أيعصى كارها فانقطع غيلان .

وروى أن رجلا قال لبزرجمهر : تعال نتناظر فى القدر ، فقال : وما نصنع بالمناظرة فى القدر ، رأيت ظاهراً استدللت به على باطن ، ورأيت أحمق مرزوقاً وعاقلا محروماً ، فعلمت أن التدبير ليس للعباد .

وروى أنه لما قتل كسرى بزرجمهر ، وجد فى منطقته كتاب فيه : إذا كان القدر حقاً فالحرص باطل ، وإذا كان القدر فى الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز ، وإذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق .

قلت : فمن سأل أو أجاب ليفهم أو يفهم غيره الخطاب ، فالجواب والسؤال بمثل هذا الخطاب هو الصواب . وأما ما رأيته من صنيع بعضهم . إذا صنف كتاباً رد فيه على الرافضة حتى وقع فى سب أهل البيت ، وأبطل من الحقوق ما لا يخفى فهو محض الحماقة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقال العمرى فى بحر الأنوار : اعلم أن الإيمان ثلاثة أشياء : اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بمقتضاه ، فمن أخل بالاعتقاد فهو منافق ، ومن أخل بالإقرار فهو كافر ، ومن أخل بالعمل فهو فاسق

(الفائدة الثانية) : قال العمرى : الإيمان هو التصديق بالقلب ، يعنى تصديق القلب بما جاء عن الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، كالتوحيد ، والنبوة ، والبعث ، والجزاء ، وافتراض الصلوات الخمس ، والزكاة ، والحج ، والصيام . والمراد بتصديق القلب إذعانه وقبوله للحق والتكليف بمقتضاه .

(الفائدة الثالثة) : قال عليه الصلاة والسلام : « الإيمان بضع وسبعون باباً ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى » .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : هذه الأحاديث المذكورة فى الباب ظاهرة فى فضل إزالة الأذى من الطريق ، سواء أكان الأذى شجرة تؤذى أو غصن شوك أو حجراً يعثر به أو قذراً أو جيفة أو غير ذلك . قال : وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان . قال : وفيه التنبيه على عظيم فضيلة كل ما نفع المسلمين وأزال عنهم ضرراً .

ثم قال قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق – أى يتنعم بملاذها بسبب قطعه الشجرة .

قال سيدى العمرى : الشهادة من الإيمان بالله ، والاماطة من الايمان بالله وعلى هذا فقس .

(الفائدة الرابعة) : قال العمرى الراسخ فى العلم من ارتقى من درجة الايمان إلى درجة الايقان بالمشاهدة والعيان ببصائر القلوب كما فى مقام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه .

قال على رضى الله عنه : لو كشف الغطاء ما أزددت يقيناً وقال لما سئل. هل ترى ربك ؟ قال : لم أعبد رباً لم أره .

قال الامام القشيرى فى رسالته : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول وقد سئل عن ذات الله تعالى : فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا وهى موجودة بحقائق الايمـان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه العيون فى العقبى ظاهراً فى ملـكه وقدرته ، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والعيون لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية .

وقال الجنيد : أشرف كلمة فى التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

قال القشيرى رحمه الله : ليس يريد الصدّيق أنه لا يعرف عجز عن الموجود دون المعدوم كالمقعد عاجزعن قعوده، إذ ليس بكسب له ولا فعل والقعودموجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته ، والمعرفة موجودة فيه لأنها ضرورية عند المحققين ، يعنى كما قالوا العجز عن درك الادراك إدراك . وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه فى الانتهاء ضرورة اه ما ذكره القشيرى رحمه الله .

قال العمرى : فمن وصل إلى هذا المقام فيماين ويرى المتشابهات ببصيرة القلب كمعرفة الله وصفاته تعالى ، ومعرفة الملائـكة والجن والجنة والنار وأمثالها ، والحشر والنشر والقيامة والحساب والميزان والصراط كحد السيف ، وأن الجنة فى أعلا عليين ، والجحيم فى أسفل سافلين ، وكل ذلك جسمانيات ولا يترك ظواهر الآيات والأخبار الدالة عليها بانـكار العقول والعقلاء ، فمن علم ذلك يقيناً فيـكون راسخاً فى العلم ، ومن لا يكون بهذه المثابة فهو كواحد

من العامة ، وإن كان مجتهداً راسخاً فى فروع الاسلام فتكون طريقه فى ذلك التمسك بدين العجائز . وهو الايمان والتصديق كما تقول العامة ، فيقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله ، وبما جاء من عند رسول الله ، وهذه طريقة التفويض ، وهذا مذهب السلف وهو أسلم ، والتأويل مذهب الخلف وهو أحكم .

مذاهب الأئمة فى المتشابهات وعدم تكفير المتأولين

وقد اختلفوا رضى الله عنهم فى المتشابه ، هل يؤول ؟ أو يفوض علم حقيقته إلى الله . ويروى كل من القولين عن الأشعرى رحمه الله انتهى كلام العمرى .

(قلت) ثم اعلم أنه لا ينبغى لمتدين أن يكفر أحداً من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الاسلام كذا نقله الشعرانى عن الشيخ أبى طاهر القزوينى .

ولقد تعجبت أنا من قبح عبارة الشيخ اسماعيل المقرى، فى كتاب الردة من روض الطالب له ، حيث قال : ومن لم يكفر طائفة ابن عربى فهو كافر وتعجبت أيضاً من عدم إنكار الشيخ زكريا عليه فى إسناديه إلا باعتذار لطيف عما صار إليه .

وإنما الصواب ما نقله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى عن الشيخ ابن عبد السلام أنه نقل عن الشيخ أبى الحسن الأشعرى ، أنه رجع قبل موته عن تكفير أحد من أهل القبلة . قال : لأن الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف .

ثم قال الشعرانى : ومذهب الجمهور من علماء السلف والخلف عدم تكفير أحد من المتأولين ، فلم يجعلوا أحداً منهم كافراً ولا مكذباً للرسل ، وقالوا : لو كان المتأولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامه[1] صلى الله

---

(١) من التأويل ما يعود على الأصل بالابطال كتأويل القرامطة والباطنية الملاحدة =

عليه وسلم ولم يشتغلوا به ، بل كانوا يضربون عنه صفحاً ، فأشعر عدولهم إلى تأويله بإيمانهم بتنزيله ، وأنهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا الصواب فى تأويله فاخطئوا فيه ، فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع فى البدعة بخطئه .

وكان إمام الحرمين رحمه الله يقول : لو قيل لنا فصّلوا ما يقتضى التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع فى غير مطمع ، فإن هذا بعيد المدرك وعن المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علماً بنهايات الحقائق ، لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق .

وكان أبو العباس الرويانى وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون : لا نكفر أحداً من أهل المذاهب الاسلامية ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فله مالنا وعليه ما علينا » .

وقد سئل الامام على رضى الله عنه عن المخالفين له من الفرق أكفارٌ هم ؟ قال : لا إنهم من الكفر فروا ، فقيل : أمنافقون هم ؟ فقال : لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً ، فقيل : أى شىء هم ؟ قال : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا ، اه ما نقلته من كتاب اليواقيت والجواهر للشعرانى نفع الله به .

وفى كتاب قواعد الامام النووى رحمه الله قال : « مسألة » مذهب أهل الحق الايمان بالقدر وإثباته ، وأن جميع الكائنات خيرها وشرها بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريد لها كلها ويكره المعاصى مع أنه مريد لها لحكمة يعلمها الله

= والقاديانية والاسماعيلية والبهائية وأضرابهم فهؤلاء تأويلهم مكفر بلاشك وماقصدوا إلا إبطال الإسلام جحودا له وليس منه تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بالقدرة فافهم .

سبحانه وتعالى ، وهل يقال إنه يرضى المعاصى ويحبها فيه مذهبان لأصحابنا المتكلمين حكاهما إمام الحرمين وغيره .

قال إمام الحرمين فى الارشاد : مما اختلف أهل الحق فى إطلاقه ، المحبة والرضا . فقال بعض أئمتنا لا يطلق القول بأن الله يحب المعاصى ويرضاها لقوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) .

قال : ومن حقق ما قال أئمتنا لم يلتفت إلى تهويل المعتزلة ، بأن الله تعالى يريد الكفر ويحبه . والارادة والمحبة والرضا بمعنى واحد[1] ، وقوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) المراد به العباد الموفقون للإيمان ، وأضيفوا إلى الله تعالى تشريفاً كقوله تعالى : (عيناً يشرب بها عباد الله) أى خواصهم لا كلهم والله أعلم .

(الفائدة الخامسة) روى البيهقى بسنده قال جاء رجل إلى الامام مالك فقال يا أبا عبد الله كيف الاستواء فاطرق الامام مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا ثم أمر به أن يخرج . وقد سئلت عن ذلك قبل مالك أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والجحود له كفر أورده شيخ الاسلام فى شرح الرسالة وفى أصلها . وسئل جعفر بن نصير عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء . وفى الرسالة أيضا قال جعفر الصادق رضى الله عنه من زعم أن الله فى شيء أو من شيء أو على شيء فقد

---

(١) الارادة غير المحبة والرضا ، والكفر من الكافر مراد له تعالى ولكنه مكروه له غير محبوب ولا مرضى فاعرف هذا يقينا .

أشرك به إذ لو كان على شيء لكان محمولا ولو كان فى شيء لكان محصوراً ولو كان من شيء لكان محدثا (قلت) فعلى هذا يكون معنى الاستواء كما قال أهل التحقيق من أئمة الأمة هو الاستيلاء والقهر والاحاطة وانشدوا فى معناه قول القائل .

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

انتهى فتدبره ترشد إن شاء الله وبالله التوفيق لطريق التصديق والتحقيق. بما يليق بجلال الله الحق الحقيق .

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

(الفائدة السادسة) قال العمرى (فرع) للإيمان ثلاثة علم اليقين وهو ماحصل من نظر واستدلال علم قطعياً ، وعين اليقين وهو ماحصل من مشاهدة وعيان، وحق اليقين وهو ماحصل عن العيان مع المباشرة فالأول كمن علم بالعادة أن فى البحر ماء . والثانى والثالث كمن خاض فيه واغتسل وشرب منه . فعلم اليقين يكتسب ، وعين اليقين حاله وحق اليقين فناء وهو الذى حق استقراره فى القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين يحق له هذا الاستقرار وإلا فأين يقين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من يقين آحاد الأمة .

(نكتة) يقال يقن الماء فى الحوض إذا استقر واليقين عبارة عن ظهور نور الحقيقة فى قلب الموقن فى حال كشف الاستار البشرية بشاهد الذوق والوجد لا بدلالة العقل والنقل والإيمان نور من وراء الحجاب . واليقين نور عند كشف الحجاب وبالحقيقة هما نور واحد غير أنه إذا كان من وراء الحجاب يقال له نور الإيمان وإذا باشر ذلك قلب المؤمن عند رفع الحجاب صار يقينا فافهم فمثال الإيمان كنسبة الفجر إلى الشمس فقد ذهب جزء من سواد الليل

ولم تطلع الشمس ومثال اليقين طلوع الشمس حيث زالت الظلمة بالكلية .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان ثابت فى القلب واليقين خطرات .

(الفائدة السابعة) قال العمرى الايمان خطرات عند غيبتهم عن الحضرة . واليقين ثابت لدوام الحضور فمن صح علمه صحت عقيدته ومن صحت عقيدته صح إيمانه ومن صح إيمانه صحت معرفته ومن صحت معرفته صح توحيده ومن صح توحيده فى الدنيا صحت رؤيته فى الأخرى . فالايمان هو أصل اليقين . وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فروعه وبعضها أبلغ من بعض . وقد جاء فى الخبر الإيمان يقين كله . وقد حكى عن الشيخ معروف الكرخى أنه قال لحاتم الأصم زادى أربعة أشياء أرى الدنيا والآخرة مملكة لله وأرى الخلق كلهم عبيداً لله وعياله ، وأرى الأرزاق والأسباب كلها بيد الله . وأرى قضاء الله نافذا فى خلقه فى جميع أرض الله نفعنا الله تعالى بهما آمين .

(الفائدة الثامنة) قال العمرى اعلم أن عذاب القبر حق وهو واقع على الروح والجسد والإيمان به واجب كما ورد به الكتاب والسنة ويجب الإيمان بوجود الجنة والنار فى علم الله تعالى . وأما تعيين محلهما فلم يرد به نص صريح فيتعين ذلك . والأكثرون على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش لقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وقوله عليه السلام سقف الجنة عرش الرحمن وأما النار أجارنا الله منها فهى تحت الأرضين السبع وقد ورد أن الماء المالح طبق جهنم انتهى كلام العمرى . ونقل الشيخ الشعرانى فى كتابه اليواقيت عن محيى الدين بن عربى أنه قال أهل الكشف كلهم يرون البحر المالح الآن يتأجج ناراً قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء بماء البحر مع قولهم تجوز الطهارة به . وكان بعضهم يقول التيمم أحب إلى من

ماء البحر قال وقوله تعالى وإذا البحار سجرت أى عادت ناراً تتأجج ونقل عن الشيخ محيي الدين بن عربى أنه قال ولما أطلعنى الله على النار رأيت من دركات النار من حيث كونها ناراً ما شاء الله أن يطلعنى ورأيت منها موضعاً مستمر الظلمة نزلت فيها ماشاء الله أن أنزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطور ناراً وكل عمل يتطور نعيما . وعلمت أن عذاب جهنم ما هو من جهنم حقيقة وإنما هو من أعمال الداخلين . ونقل عنه من الباب الحادى والستين من الفتوحات المكية أنه قال اعلم أن الله تعالى يحدث فى جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها . قال وقد أوجدها الله بطالع الثور ولذلك كان خلقها على صورة الجاموس . قال وهكذا رأيتها فى كشفى ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطنعون فيها القسامع قال وكذلك رآها أبو الحاكم ابن برجان من طريق كشفه .

تتمه الكلام فى المتشابهات

(الفائدة التاسعة) قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم قال القاضى عياض الله أعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وسلم فيما ورد فى هذه الأحاديث التى تذكر فيها الصفات الآلهية المشكلة ونحن نؤمن بالله تعالى وصفاته لاتشبه شيئا به ولا نشبهه بشىء ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه فهو حق وصدق فما أدركنا علمه فبفضل الله تعالى وما خفى علينا آمنابه ووكلنا علمه إليه سبحانه وتعالى وحملنا لفظه ما احتمل فى لسان العرب الذى خوطبنا به ولم نقطع على معناه بعد تنزيهه سبحانه عن ظاهره الذى لايليق به سبحانه وتعالى وبالله التوفيق .

وقال الامام النووى فى مقدمة كتابه المجموع (مسألة) قال أبو عمر ابن اليرابس المفتى إذا استفتى فى شىء من المسائل الكلاميه أن يفتى بالتفصيل

بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض فى ذلك أو فى شىء منه وان قل ويأمرهم بأن يقتصروا فيها على الإيمان جملة من غير تفصيل ويقول فيها وفى كل ماورد من آيات الصفات وأخبارها المتشابهة إن الثابت فيها فى نفس الأمر ماهو اللائق فيها بجلال الله تبارك وتعالى وكماله وتقديسه المطلق فيقول ذلك معتقدنا فيها وليس علينا تفصيله وتعيينه وليس البحث عنه من شأننا بل نكل علم تفصيله إلى الله تعالى ونصرف عن الخوض فيه قلوبنا وألسنتنا فهذا ونحوه هو الصواب من أئمة الفتوى فى ذلك وهو سبيل سلف الأمة وأئمة المذاهب المعتبرة وأكابر العلماء والصالحين وهو أصون وأسلم للعامة وأشباههم ومن كان منهم اعتقد اعتقاداً باطلا تفصيلا ففى هذا صرف له عن ذلك الاعتقاد الباطل بما هو أهون وأيسر وأسلم وإذا عزر ولى الأمر من حاد منهم عن هذه الطريقة فقد تأسى بعمر بن الخطاب فى تعزير صبيغ بفتح الصاد المهملة الذى كان يسأل عن المتشابهات، قال والمتكلمون من أصحابنا معترفون بصحة هذه الطريقة وبأنها أسلم لمن سلمت له . وكان الغزالى منهم فى آخر أمره شديد المبالغة فى الدعاء إليها والبرهنة عليها ، وذكر شيخه امام الحرمين فى كتابه الغياثى ان الإمام يحرص ما أمكنه على جمع عامة الخلق على سلوك سبيل السلف فى ذلك قال وقد استفتى الغزالى فى كلام الله تبارك وتعالى فكان جوابه . وأما الخوض فى ان كلام الله تعالى حرف وصوت أو ليس كذلك فهو بدعة وكل من يدعو العوام إلى الخوض فى هذا فليس من أئمة الدين وإنما هو من المضلين . ومثاله من يدعو الصبيان الذين لا يحسنون السباحة إلى خوض البحر ومن يدعو الزمن المقعد إلى السفر فى البرارى من غير مركوب . ثم قال النووى قال الغزالى فى رسالة له الصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذى لا تسمح الأعصار الا بواحد منهم أو اثنين سلوك مسلك السلف فى الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما أنزله الله تعالى وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير بحث وتفتيش والاشتغال بالتقوى ففيه شغل شاغل .

وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من الخلف والسلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعاً على كل حال فان كان سالماً من المعاصى كالصغير والمجنون الذى اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصى إذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذى لم يلم بمعصية أصلا فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلا لكنهم يردونها على الخلاف المعروف فى الورود والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم عافانا الله منها وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى فان شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولا وجعله كالقسم الأول . وإن شاء عذبه القدر الذى يريده سبحانه ثم يدخله الجنة فلا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصى ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل .

ثم قال فهذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق فى هذه المسئلة وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعى .

ثم قال الامام النووى فاذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ماورد من أحاديث الباب وغيره فاذا ورد مثلا حديث فى ظاهره مخالفة لها وجب تأويله عليها لتجمع بين نصوص الشرع .

وقال الشيخ محمد العمرى فى كتاب بحر الأنوار يجب جزم الايمان والاعتقاد قطعاً بالخلود المؤمن فى الجنة وللكافر بالخلود فى النار وأن من مات مؤمناً فاسقاً فهو تحت المشيئة إما ان لا يدخل النار بعفو الله أو مع الشفاعة وإما ان يعذب بقدر ذنوبه ثم يدخل الجنة فيجوز أن يغفر الله مادون الشرك من الذنوب .

وأما الشرك فلا يدخله العفو ولا المغفرة لقوله تعالى (إن الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) انتهى .

(الفائدة العاشرة) قال القرافى أجمع أكثر أهل العلم على أن الإيمان التقليدى لايكون صاحبه ناجياً من النار يوم القيامة لأنه يجب معرفة الله بالدليل وقالوا الايمان الـكامل اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان انتهى . قلت ويخالف ماذكره القرافى هنا ماقدمناه فى الفائدة الأولى وغيرها مما ذكره النووى فى أن التصديق بكل ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاده اعتقاداً جازماً سليما من كل شك يدوم يكفى فى ذلك فلايلزم العامة غير التصديق .

نعم قال النووى فى المجموع ولو تشكك والعياذ بالله فى شىء من أصول العقائد مما لابد من اعتقاده ولم يزل شكه الا بتعلم دليل من أدلة المتكلمين وجب تعلم ذلك لازالة الشك وتحصيل ذلك الأصل انتهى .

ثم قال (فرع) اختلفوا فى آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لافقال قائلون تتأول على مايليق بها وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين . وقال آخرون لاتتأول بل نمسك عن الـكلام فى معناها ونـكل علمها إلى الله تعالى ونعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه فيقال مثلا نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى ولا نعلم معنى ذلك والمراد به مع انا نعتقد أن الله تعالى ليس كمثله شىء وأنه منزه عن الحلول وسمات الحدوث . قال وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم وهى أسلم إذ لايطالب الانسان بالخوض فى ذلك فاذا اعتقد التنزيه فلا حاجة إلى الخوض والمخاطرة فيما لاضرورة بل لاحاجة اليه فاذا دعت حاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ قال وعلى هذا يحمل ماجاء عن العلماء فى ذلك والله أعلم .

الـ م فى بث الله آدم على صورته

وقال الن فى شر صحيح م وله صلى الله عليه وسلم إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب جه فإن خلق آد على صورته . أما قوله صلى الله عليه وسلم فإن الله خلق آ على صو فهو من ديث الصفات قال وقد سبق فى كتاب الإيمان بيان ا واضحاً وطاً وأ ن العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها ، وأن ظا ها غير م ولها معنى يليق به تعالى وهذا مذهب جمهور السلف وأحوط سلم ، ولا أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وأنه س كمثله ء . ثم المازرى هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت ورواه بعضهم ن الله تعا خلق آدم صورة الرحمن وهذا ليس بثابت عند أهل الحديث كأن من رواه با الذى وقع له وغلط فى ذلك ثم قال : قال المازرى غلط ا تيبة فى ا الحديث فأجراه على ظاهره وقال لله تعالى ص لا كال وهذا ى قاله ظاهر الفساد لأن الصورة تفيد التركيب وكل مركب ث والله ليس بمحدث فليس هو مركباً وليس مصوراً ثم قا : قال المازرى ا قول المجسمة جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل الس يقولون ى سبحا تعالى شىء لا كالأشياء طردوا الاستعمال فقالوا جسم كالأجسا الفرق أ ظة شىء لا تفيد الحدوث ولا تتضمن ما يقتضيه . أما جـ وصـ و فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدو

ثم قال ال يعنى زرى وال ب من ابن قتيبة فى قوله صورة لا كالصور مع أن ظاه ذا الحد على رأ تنفى خلق آدم على صورته فالصورتان على رأيه فإذا قا لا كالصو تناقض كلامه . ويقال له أيضاً إن أردت بقولك صو لا كالصو أنه ليس لف ولا مركب فليس بصورة حقيقية

وليست اللفظة على ظاهرها وحينئذ يكون موافقاً على افتقاره إلى التأويل.
واختلف العلماء فى تأويله فقالت طائفة الضمير فى صورته عائد على الأخ
المضروب وهذا ظاهر رواية مسلم. وقال طائفة يعود إلى آدم وفيه ضعف.
وقالت طائفة يعود إلى الله ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله
تعالى ناقة الله وكما يقال فى الكعبة بيت الله ونظائره والله أعلم.

(قلت) وعلى تقدير صحة الرواية التى ذكرها المازرى أن بعضهم رواه بلفظ
إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فليس فيه إثبات مراد ابن قتيبة وهو
إثبات الصورة بل العرب تقول للصورة المليحة المقبولة عندهم صورة رحمانية.
ولهذا قال الشاعر:

ما زلت يوم الهاشمية معلماً … بالسيف دون خليفة الرحمن

فيكون معنى الحديث إن الله خلق آدم على صورته المليحة الرحمانية التى
يجب إجلالها عن ضرب الوجه وأن يستحضر عند رؤيتها الصانع الحكيم الذى
خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك ثم إن من إجلال الله إجلال
ذى الشيبة المسلم.

(نكتة) قال النووى فى شرح صحيح مسلم اختلف العلماء فى تكفير
من جهل صفة من صفات الله تعالى ثم قال: قال القاضى عياض وممن كفره
بذلك ابن جرير الطبرى وهو قول أبى الحسن الأشعرى أولا. وقال آخرون
لا يكفر بجهل الصفة ولا يخرج به عن اسم الإيمان بخلاف جحدها وإليه رجع
أبو الحسن الأشعرى وعليه استقر قوله قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع
بصوابه ويراه ديناً وشرعا وإنما يكفر من اعتقد أن مقالته الفاسدة حق. ثم
قال الإمام النووى: قال هؤلاء لو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها
قليلا اهـ.

(الفائدة الحادية عشرة) سئل الحسن رضى الله عنه أمؤمن أنت حقا؟ فقال للسائل إن أردت ما يحقن به دمى وتحل به ذبيحتى ومنا كحتى فأنا مؤمن حقاً وإن أردت ما أدخل به الجنان وانجو به من النيران ويرضى به الرحمن فأنا مؤمن إن شاء الله.

(قلت) وقول الحسن فى الاستثناء، هو للخروج من دعوى الكمال وليعلم السائل أنه غير آمن من مكر الله لما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى مُلَيكة قال: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً كلهم يخاف النفاق على نفسه ولا يأمن المكر على دينه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل عليهما السلام، وله دليل آخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم حين زار القبور أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون مع تيقن للوت بقوله تعالى: كل نفس ذائقة الموت لكنه صلى الله عليه وسلم قد أمره ربه تعالى بالاستثناء عند كل قول بقوله تعالى: لا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله. قال العلماء: فيه اضمار وتقدير ومعناه إلاّ قائلاً إن شاء الله والله أعلم.

(الفائدة الثانية عشرة) قال الشيخ صالح بن الصديق النمازى فى كتابه الأنوار الساطعة فى شرح العقائد النافعة قال محمد بن قتيبة أجمع أهل الحديث على ستة أشياء وهى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وعلى أنه خالق الخير والشر، وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وعلى أن الله يرى يوم القيامة وعلى تقديم الشيخين أبى بكر وعمر فى الفضل على سائر الصحابة، وعلى الإيمان بعذاب القبر ونعيمه لا يفترقون فى شىء من هذه الأصول ومن فارقهم فى شىء منها نابذوهُ وبدَّعوهُ وهجروه اه ما ذكر النمازى.

الكلام فى رؤية الله تعالى

وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم. تعلموا أنه لا يرى أحد منكم ربه حتى يموت . قال المازرى هذا الحديث فيه للتنبيه على إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل الحق ولو كانت الرؤية مستحيلة كما تزعم المعتزلة لم يكن للتقييد بالموت معنى ثم قال النووى والأحاديث بمعنى هذا كثيرة سبقت فى كتاب الايمان جملة منها مع آيات من القرآن وسبق هناك تقرير المسألة ثم قال النووى قال القاضى ومذهب أهل الحق أنها غير مستحيلة فى الدنيا بل ممكنة . ثم اختلفوا فى وقوعها ومن منعها تمسك بهذا الحديث مع قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) على مذهب من تأوله فى الدنيا ، قال وكذلك اختلفوا فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء . وللسلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الفقهاء والمحدثين والنظار المحققين وفى ذلك خلاف معروف ثم قال : وقال أكثر مانعيها فى الدنيا سبب المنع ضعف قوى الآدمى فى الدنيا عن احتمالها كما لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا انتهى .

(قلت) والتحقيق فيه أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الاسراء بعينى رأسه وأن ذلك غير مستحيل فى حق الكل من ورثته من أهل حق اليقين المشار إليهم بقوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا) يعنى بما ذكرناه من رؤية الله فى الدنيا (وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم وقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) جاء فى التفسير أن الزيادة هى النظر إلى وجه الله الكريم ولو كانت رؤية الله مستحيلة فى الدنيا لما قال عيسى صلى الله عليه وسلم يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم لعل قلوبكم

ترى ربكم ولما جاء فى الأحاديث القدسيات أن الله سبحانه يقول يا عبدى تجوع ترنى تجرد تصل إلى .

الايمان يزيد وينقص

(الفائدة الثالثة عشرة) اعلم أن الإيمان هو التصديق واليقين قال عمير بن حبيب إن للايمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال : إذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته . وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أبى عدى إن للايمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها فقد استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان انتهى .

(قلت) والعجب من خلاف من خالف فى أن الإيمان يزيد وينقص وقال بعدم ذلك مع وضوحه وظهوره ، ومثل قوة الإيمان مثل شخص الإنسان فى حال صحته وقوته وشبابه ومثل ضعفه مثل الإنسان فى حال مرضه وضعفه وشيبته أو هو مثل الزرع فى حال إخراجه شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع . وضده بضده فلا يمارى عاقل فى زيادة ذلك ونقصانه أو هو كالقمر فى تنقله من هلاله إلى ليلة إبداره بالثلاث البيض منه . وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وما بعد ذلك فافهم والله أعلم .

(الفائدة الرابعة عشرة) قال أبو إسحاق الاسفراينى أجمع أهل الحق أن جميع ماقيل فى التوحيد فى كلمتين إحداهما أن كل ما تصور فى الخيال والأفهام فالله سبحانه وتعالى بخلافه . الثانية اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله (ولم يكن له كفواً أحد) .

وحكى عن إمامنا الشافعى رضى الله عنه أنه قال من انتهض لطلب مدبره
فانتهى إلى موجود ينتهى إليه فكره فهو مشبه و إن اطمأن إلى العدم الصرف
فهو المعطل أو إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد فالعجز عن
درك الادراك إدراك .

الفصل الثالث

فى فضل الايمان والمؤمنين وعظيم حرمتهم ، وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث والآثار

أما الآيات فقد قال الله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء)، وقال تعالى:
(ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، وقال على لسان خليله : (ربنا اغفرلى ولوالدى
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ، وقال على لسان نبيه نوح : (رب اغفرلى
ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات) وقال تعالى : (فأى
الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) ثم قال : (الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ومعنى قوله تعالى بظلم أى بشرك
دليله قوله تعالى : (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . وقوله :
(والكافرون هم الظالمون) ، وقال تعالى : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من
الله فضلا كبيراً) ، وقوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)
الإيات وقال تعالى: (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الآيات إلى
قوله تعالى : (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) ،
وقوله تعالى : (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) ، وقوله تعالى :
(إن الله يدافع عن الذين آمنوا) ، فأى بأس يخشى من يدافع الله عنه فى الدنيا

والآخرة ، فافهم هذا الفضل العظيم والخير الجسيم واعرف قدر الايمان وأهله واعترف بفضلهم وفضله ، وقال الله تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولى المؤمنين) فأى ولاية تزيد على ولاية الله ثم قال (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) فأى ذنب يبقى على من تستغفر الملائكة له مع أن دعاء الملائكة لا يرد فافهم وقوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) ثم قال (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) فانظر كيف تولاهم الله ثم أمر ملائكته وحملة عرشه أن تستغفر لهم ثم مدح الذين جاءوا من بعدهم بقوله (يقولون ربنا اغفر لنا) الآية ثم قرنهم بنفسه تعالى وبملائكته المقربين فى قوله فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية فقد ذهب المؤمنون بخيرات الدنيا والآخرة فلله الحمد والمنة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل على المؤمنين .

وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) الآية وقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن للمنافقين لا يعلمون) .

فتدبر إن كنت من الاثبات أو الثبات ما أوردته هنا من جملة الآيات المحكمات فى فضل المؤمنين والمؤمنات واقرأ : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) . وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن للمنافقين لا يعلمون) .

وأما الأخبار فقد خرج الشيخان وغيرهما مرفوعا « أفضل العمل الإيمان

بالله ورسوله قيل ثم ماذا يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور » .

وفى رواية لابن حبان فى صحيحه مرفوعا « أفضل الأعمال عند الله تعالى إيمان لاشك فيه وغزو لاغلول فيه وحج مبرور » .

وروى عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان » .

وروى الإمام البغوى بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ابن عمر (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) الآية فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتنى فأنا مولاه » أخرجه الشيخان ، الضياع العيال . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله . وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله (فما بكت عليهم السماء والأرض) الآية أخرجه الترمذى .

وعن معاذ بن أنس الجهنى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمى مؤمنا من منافق بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلما بشىء يريد أن يشينه به حبس يوم القيامة على جسر جهنم

حتى يخرج مما قال أخرجه أبو داود . وعن أنس رضى الله عنه قال مُرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال وجبت ثلاثاً ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال وجبت ثلاثاً فقال عمر رضى الله عنه ما وجبت يارسول الله . قال هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض ثلاثاً أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

وروى الترمذى عن بريدة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صنف ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم ، وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . فقالت عائشة رضى الله عنها انا لنكره الموت قال ليس ذلك كذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس أحب اليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه أخرجه الخمسة وهم البخارى ومسلم ومالك والترمذى والنسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالاثم وخرج المسلم من الهجر رواه أبو داود باسناد حسن ونقله النووى ثم قال قال أبو داود إذا كان الهجر لله فليس من هذا فى شيء .

وعن أنس رضى الله عنه قال نزل على النبى صلى الله عليه وسلم (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر) مرجعه من الحديبيه فالفتح المبين هو فتح الحديبيه فقالوا هنيئاً لك مريئاً يارسول الله لقد بين الله لك

مايفعل بك فماذا يفعل بنا . فنزلت (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار) الآية أخرجه الشيخان والترمذى ، وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولاتجسسوا ولا تنافسوا ولاتحسسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه إن الله لاينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ألا لايبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أخرجه الستة إلا النسائى وهذا لفظ مسلم التجسس بالجيم البحث عن عورات الناس وبالحاء استماع الحديث والتدابر التقاطع والتهاجر . وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا اخواننا قالوا أو لسنا إخوانك يارسول الله قال انتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله قال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يارسول الله . قال فانهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض رواه مسلم .

وعن أبى خراش الأسلمى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه رواه أبو داود باسناد صحيح نقله والذى قبله النووى فى كتاب الرياض . وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لاشىء أفضل منهما الإيمان بالله والنفع للمسلمين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول

للك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار ، وقال صلى الله عليه وسلم من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . ومن سلك طريقاً يلتمس فيها علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة . وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم .

وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثاً ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومرآء . وقال صلى الله عليه وسلم ووكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه الشياطين كما يذب عن قصعة العسل الذباب فى اليوم الصائف . ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرٌ فاه. وأما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا عن أبى أمامة ونقله الدميرى فى كتاب حياة الحيوان وقال عليه السلام استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة (قلت) ودليله قوله تعالى حكاية عن أهل النار لما كبكبوا فيها هم والغاون وجنود أبليس أجمعون حيث يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عليه السلام اغتنموا دعوة المؤمن رواه أبو الشيخ عن أبى الدرداء وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضى عنه دينا أو تطعمه خبزاً رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج ، وقال عليه السلام أفضل الأعمال بعد الايمان بالله التودد إلى

الناس ، وقال أيضا فى حديث طويل لفظه جليل وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه الحديث بطوله ، ثم قال فى آخره اللهم أغفر لى ولأمتى اللهم أغفر لى ولأمتى اللهم أغفر لى ولأمتى استغفر الله لى ولكم رواه البيهقى فى الدلائل وابن عساكر عن على بن حسن رضى الله عنه عن عقبة بن عامر الجهنى ورواه غيرهما عن أبى الدرداء وابن مسعود وهو حديث طويل جليل فضيل نقله الامام الجلال السيوطى فى الجامع الصغير وقال عليه السلام أمتى أمة يأتون يوم القيامة غرا من السجود محجلين من الوضوء ، وقال أيضا أمتى أمة مباركة لا يدرى أولها خير أو آخرها ، وقال أيضا أمتى أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها ، وقال أيضا أمتى أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة إنما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا رواه أبو موسى الأشعرى ؛ وعن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنهما يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب إليه عمر رضى الله عنه أما بعد فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله تعالى بعده فرجا وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله تعالى يقول فى كتابه يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون أخرجه مالك ، وفى الصحيحين عن أبى قتادة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مرّ عليه بجنازة فقال مستريح أو مستراح منه فقالوا يارسول الله ما المستريح وما المستراح منه . فقال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن يستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر تستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب ، وعن محمد ابن إسحق عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منصور عن عمه عامر الرام إنا لببلادنا إذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ما هذا . قالوا لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع إليه أصحابه فجلست إليهم فذكر النبى صلى الله عليه وسلم الاسقام والأمراض فقال إن المؤمن إذا

أصابه السقم ثم عافاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل وإن المنافق إذا مرض ثم عوفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه فقال رجل ممن حوله يارسول الله وما الأسقام والله ما مرضت قط . فقال له قم فلست منا أخرجه أبو داود ، الألوية جميع لواء وهو الراية الكبيرة دون الأعلام وأعفاه وعافاه بمعنى واحد .

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن وضوءه وعاد أخاه المسلم محتسبا بُوعِدَ من النار مسيرة سبعين خريفاً قال أنس : الخريف العام أخرجه أبو داود .

وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ، وفى سنن أبى داود فمن هجره فى ثلاثة فمات دخل النار رواه أبو داود عن أبى هريرة بسند على شرط البخارى ومسلم قال أهل العلم يجوز هجر المبتدع والفاسق ونحوهما ومن رجى بهجره صلاح دين المهاجر والمهجور .

(فائدة) فى كتاب زهر الأكام وليس شىء أنفس ولا أغلى من نفس المؤمن ، وذلك أن نفاسة السلعة تعرف بثلاثة ، وهى المشترى والدلال والثمن ، وهذه صفة نفس المؤمن ، الله مشتريها ، ومحمد دليلها ، والجنة ثمنها . وذلك معنى قوله تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم . . .) الآية اه بمعناه .

(قلت) وقد وقع الإيجاب من الله تعالى بقوله : (اشترى) فمن أراد الثمن فليقل بعت وليسلم السلعة إلى مشتريها فافهم ذلك .

وفى شرح الحكم للشيخ محمد بن عباد ، قال بعض العارفين : إذا كان الله سبحانه وتعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كى لا يسترق السمع منها ، فقلب المؤمن أولى بذلك ، يقول الله عز وجل فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم تسعنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن) .

فانظر رحمك الله لهذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب ، حتى صار لهذه الرتبة أهلا بفضل الله ورحمته . ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم .

فصل الفقراء

وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : أين صفوتى من خلقى؟ فتقول للملائكة : ومن هم ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعون بعطائى ، الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة ، فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون » ذكره فى الاحياء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من حسنت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتب المسلمين كان معى فى الجنة كهاتين » .

وقال عليه السلام : « إن الله تعالى قال من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينّه ، وإن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت فى شىء أنا فاعله ، ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » رواه أبو هريرة رضى الله عنه وأخرجه البخارى فى صحيحه .

قال العلماء : التردد فى حق الله محال ، ومعناه ما ترددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترددهم فى قبض نفس المؤمن ، كذا فسروه .

ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ، ولم ير له شيئا فقال : « لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له . لو أقسم على الله لأبره ذكره والذى قبله فى الاحياء .

وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا ، فيقول : وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدى إلى هذه الصفوف ، فمن أطعمك فى أو كساك فى يريد بذلك وجهى نخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف و ينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة » .

وقال عليه السلام : « إن الله ليبتلى المؤمن وما يبتليه إلا لكرامته عليه » رواه الحاكم عن أبى فاطمة الضمرى .

وقال عليه السلام : « إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير ، وإن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا كما يحمى المريض أهله من الطعام » رواه ابن عساكر وغيره عن حذيفة .

وقال عليه السلام : « إن الله تعالى يحمى عبده المؤمن – يعنى مما يؤذيه – كما يحمى الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة .

وفى الاحياء عن بعض السلف : إن المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كى لا تراه فتشهد عليه ، وفيه كتب أحمد بن مصعب إلى الأسود بن سالم بخطه : إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه ، فرفع يديه يدعو يقول : يارب ، حجبت الملائكة صوته ، وكذلك الثانية والثالثة ، حتى إذا قال الرابعة : يارب ، قال الله تعالى : حتى متى تحجبون عنى صوت

عبدى ، قد علم عبدى أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى ، أشهدكم إنى قد غفرت له .

وفيه كان الحسن يقول : لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى الملكوت ، ولكن تمنعه الذنوب .

وفى البغوى بسنده إلى أبى هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبع جنازته » رواه عبد بن حميد ، والبزار عن ابن عباس رضى الله عنهما .

خطر الغيبة وذمها

وقال صلى الله عليه وسلم : « الربا سبعون بابا وأهونه كالذى ينكح أمه ، وأربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم » رواه أبو الشيخ عن أبى هريرة .

(قلت) وكل ما ورد من ذم الغيبة فى كتاب الله العزيز ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء والمرسلين قبله ، وأقوال السلف من أمته من التحذير الكثير والزجر الكبير عنها ، مما لا يخفى على ذى لب منير ، فهو مخصوص بغيبة المؤمن لاسيما من لا يتجاهر بمعصية ، وبالجملة فخطر الغيبة عظيم ، ومرتكبها ذميم أثيم .

وقد روى فيما روى عن موسى الكليم أن الرب العظيم أوحى إليه : من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار . فالحذر الحذر الحذر .

ومن أعظم ما روى من الحديث الدال على حرمة المسلمين ، وخصوصاً الضعفاء والمساكين ما رواه البخارى عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : رأى سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ابغوا لى الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بالضعفاء » رواه مسلم .

وقال عليه السلام : « يا أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمناً إلا انتقم الله تعالى منه يوم القيامة » رواه عبد بن حميد عن أبى سعيد الخدرى .

وقال عليه السلام : « تقول النار للمؤمن يوم القيامة جُزْ يا مؤمن فقد طفأ نورك لهبى » رواه يعلى بن منبه .

قال الشيخ أبو المواهب محمد بن أحمد بن محمد الحاج التونسى نفع الله به : إنما كانت النار تقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى ، لأنه تخلق باسمه المؤمن وأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

وعن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والأشتر النخعى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقلنا له : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ، قال : لا إلا ما فى هذا فأخرج كتاباً من قراب سيفه فإذا فيه : المؤمنون تتكافؤ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد بعهده ، من أحدث حدثاً فعلى نفسه ، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . أخرجه أبو دواد والنسائى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصائم فى عبادة ما لم يغتب مسلماً أو يؤذه » رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يشبع المؤمن من خير سمعه حتى يكون منتهاه الجنة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » أخرجه الخمسة وزاد بعضهم وما كان من النبوة فإنه لا يكذب .

وقال عليه الصلاة والسلام : « طوبى لمن أدركنى وآمن بى ، وطوبى لمن لم يدركنى وآمن بى » رواه أبو هريرة ، وزاد فى رواية قالوا : وما طوبى قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

وقال عليه السلام : « طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى ثلاث مرات » رواه الطيالسى وعبد بن حميد عن ابن عمر .

عظم ذنب قتل المؤمن

وقال صلى الله عليه وسلم : « قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » رواه الضياء عن بريدة .

وعن أم الدرداء رضى الله عنها قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو مؤمناً قتل مؤمناً متعمداً » أخرجه أبو داود .

وقال عليه السلام : « لن يزال الرجل فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » . وقال عليه السلام : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق » .

(قلت) ويؤيد هذه الأحاديث قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما) .

وللعلماء فى هذا اختلاف منتشر حققه الإمام النووى فى شرح صحيح

مسلم وقد نقلت منه فى صدر كتابى هذا فى ترجمة سيدنا الفقيه المقدم جملة متباركة حاصلها أن قتل المؤمن عمداً كبيرة من جملة الكبائر وليست هى مثل الشرك بالله الذى لا يغفر لصاحبه لقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، ونقلت فيما سيأتى من هذا الكتاب عند قوله : تائب إلى الله فى فضل التوبة ، حديث الرجل الذى قتل التسعة والتسعين نفسا ، ثم سأل العالم هل له توبة فنهاه فقتله وتمم به المائة ، ثم سأل العالم الآخر فأفتاه بأن له التوبة الحديث كما هو . فبهذا يتبين لك ما قرره الإمام النووى أن القاتل للمؤمن إذا لم يتب فجزاؤه جهنم . وأما حديث أبى الدرداء والحديثان اللذان بعده هنا فمحمولات على ما ذكرنا أو للتشديد والتخويف عن مثل هذا الذنب الكبير الذى لا أخش منه والله أعلم .

حقوق المسلم على المسلم

(فائدة) قال الدميرى فى حياة الحيوان وقد روى الأصبهانى فى الترغيب والترهيب فى باب قضاء حوائج المسلمين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو . يغفر زلته ويرحم عبرته ويستر عورته ويقبل معذرته ويرد غيبته ويديم نصيحته ويحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضه ويشهد ميتته ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافىء صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حرمته ويقضى حاجته ويقبل شفاعته ولا يخيب مقصده ويشمت عطسته ويرشد ضالته ويرد سلامه ويطيّب كلامه ويبر إنعامه ويصدق أقسامه وينصره ظالماً أو مظلوما أما نصره ظالماً فرده عن ظلمه . وأما نصره مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ويواليه ولا يعاديه ولا يسلمه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة ثم قال على

رضى الله عنه إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس فيطالبه يوم القيامة فيقضى له عليه . ثم قال الدميرى فهذا مع ما عده حسان بن دهاية يجتمع منها أكثر من أربعين خصلة انتهى .

وروى أمية بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين . وروى ابن عمر قال : كان عليه السلام يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدى المسلمين ، وقال صلى الله عليه وسلم للمؤمن أربعة أعداء : مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وشيطان يضله وكافر يقاتله رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به أخرجه الترمذى ، وعن صرمة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضار مؤمناً ضار الله به ، ومن شاق مؤمناً شاق الله تعالى به عليه ، أخرجه الترمذى : المضارة المضرة والمشاقة النزاع .

وعن إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه حرم الله تعالى عليه الجنة وأوجب له النار قالوا ولو شيئاً يسيراً . قال : ولو كان قضيباً من أراك أخرجه مسلم ومالك والنسائى ، وعن أبى قلابة أن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال . ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة . وليس على رجل نذر فيما لا يملك . ولعن المؤمن كقتله . ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله . ومن ذبح نفسه بشىء ذبح به يوم القيامة ، ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة أخرجه الخمسة ، وفى رواية أبى داود والترمذى اختصار .

وقال صلى الله عليه وسلم لم يكن مؤمن ولا يكون إلى يوم القيامة إلا وله جار يؤذيه . رواه أبو سعيد النقاش فى معجمه وابن النجار عن على . وقال عليه السلام لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها والمهدى أوسطها . رواه أبو نعيم فى أخبار المهدى عن ابن عباس .

وقال عليه السلام : لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون رواه ابن حبان فى تاريخه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقال عليه السلام : لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن لكبهم الله عز وجل فى النار ، رواه أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة رضى الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، رواه أبو هريرة . وقال عليه السلام من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة رواه ابن عمر وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده . وفى الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان . قال الإمام البغوى فى تفسيره بعد نقله هذا الحديث والأولى أن يقال عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة قال الله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ، وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العرى ، وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فسكت

القارىء ، فقال : ما كنتم تصنعون ؟ قلنا قارىء يقرأ علينا نستمع كتاب ربنا . فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم وجلس وسطنا ليعدل نفسه بنا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم . قال : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحداً غيرى ثم قال : أبشروا يا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة أخرجه أبو داود والترمذى ، العصابة الجماعة من الناس ، تحلقوا أى صاروا حلقة مستديرة ولام الحلقة مكسورة حيث كانت فى حلقة العلم وحلقة الحديد وغير ذلك كذا قاله النووى فى شرح المهذب .

وقال عليه الصلاة والسلام من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله تعالى بها فى النار يوم القيامة . رواه أبو ذر فى صحيح مسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه . وما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه . وفى حديث آخر ثلاثة صفوف رواه أصحاب السنن . وقال عليه السلام من أطفأ عن مؤمن شيئاً يشينه كان خيراً من إحياء موؤدة .

وقال عليه السلام من ضيق منزلا أو قطع طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له . رواه معاذ بن أنس ومعناه والله أعلم من فعل شيئاً من هذه الثلاثة حبط عمله وبطل سعيه وجهده إلا أن يتوب فيتوب الله عليه كذا قاله بعض أهل العلم ، وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروعن مسلما رواه سلمان بن صرد .

وقال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله . وعمل المنافق خير من نيته ، وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملا ثار فى قلبه نور رواه سهل بن سعد ،

وقال صلى الله عليه وسلم لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأ كل طعامك إلا تقى رواه الإمام أحمد ، وقال صلى الله عليه وسلم لا نعلم شيئاً خيراً من ألف مثله إلا الرجل المؤمن رواه ابن عمر رضى الله عنهما ، وروى محمد بن سيرين عن أبى بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا فقلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه . فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى يا رسول الله . قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا إنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس البلدة قلنا بلى : قال أى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ؟ قال : فإن دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه ، قال : وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ألا هل بلغت قالوا نعم . وروى الترمذى فى عظم حرمة المؤمن عن ابن عمر وذكر حديثاً طويلا قال فى آخره إن ابن عمر نظر إلى البيت والكعبة فقال : ما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . وقال أبو طالب المكى فى كتاب القوت له عن بعض السلف أنه قال إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها وأحرقها لما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى قيل ومن أولياء الله تعالى قال كل مؤمن أما سمعت قول الله تعالى . الله ولى الذين آمنوا هذا فى عموم المؤمنين فما ظنك بالأولياء المقربين .

وقال سيدى الشيخ الكبير يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى ليكن

حظ المؤمن منك ثلاث خصال إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تسره فلا تغمه وإن لم تمدحه فلا تذمه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أعلم الناس أشدهم تعظيما لأهل لا إله إلا الله ، وقال روى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلنى على أحب الخلق إليك فقال ياموسى أحب الخلق إلى من إذا سمع بأن أخاه المؤمن شاكته شوكة حزن لها كأنها شاكته هو ، قال الإمام الشافعى رضى الله عنه من أحب أن يقضى له بالخير فليحسن الظن بالله .

وعن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن أصبعه السبابة والوسطى ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فالى وعلى رواه مسلم .

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلى على بن عبد الله فيما نقله عنه الشيخ الإمام الجليل شرف الدين الشاذلى نفع الله بهما فى كتابه اللطيفة المرضية لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق مابين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع فما ظنك بنور العبد الصالح ثم بنور الشهيد ثم بنور الصديق ثم بنور القطب ثم بنور النبى ثم بنور الرسول ، وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال مرحباً بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك والله إن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك فإن الله تعالى حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثاً : دمه وماله وأن يظن به الظن

السوء . وعن على رضى الله عنه قال اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم [١] ، وعن الإمام ذى النورين يرفعه مامن مسلم يشهد له أربعة بخير إلا أدخله الله الجنة قلنا وثلاثة . قال وثلاثة قلنا واثنان قال واثنان ولم نسأله عن الواحد .

وروى الإمام البخارى فى صحيحه فى باب صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، وفيه أن المؤمنين إذا تخلصوا من الصراط جلسوا على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فلأحدهم أعرف بمنزله فى الجنة منه بمنزله الذى كان فى الدنيا يلهمون ذلك وحمل عليهم قوله تعالى (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) .

وروى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فإنه مؤمن قال إنى بكل مؤمن رفيق وما من أهل بيت إلا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات ولو أنى أردت قبض روح بعوضة ما قدرت حتى يكون الله الآمر بقبضها . قال جعفر بن محمد بلغنى أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة انتهى نقله الدميرى فى حياة الحيوان .

وفى الترمذى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مصلاه فرأى ناساً

---

(١) ذلك فيمن تحقق بالإيمان اعتقاداً وقولا وفعلا أما من لم يكن منهم كذلك فظنونهم سوء وأقوالهم باطلة فافهم .

كأنهم يسكرون فقال أما إنكم لو أنكم أكثرتم ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم القيامة إلا ويتكلم أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود والهوام فإذا دفن العبد المؤمن قال له مرحبا وأهلا أما إن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلى فمنذ وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعي لك. قال فيتسع له مد البصر ويفتح له باب إلى الجنة . وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر يقول له القبر لا مرحبا بك ولا أهلا أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلى فمنذ وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعي لك فيلتئم عليه حتى تلتقي وتختلف أضلاعه وقال بأصابع يده هكذا فشبكها ثم يقيض له تسعون تنينا أو تسعة وتسعون تنينا لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا . فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى يوم الحساب .

وقال صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب . وقال ما من مؤمن يدخل على مؤمن سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى له فإذا مات وصار في لحده أتاه فيقول له أتعرفني فيقول لا . فيقول أنا السرور الذي أدخلتني على قلب فلان في وقت كذا فأنا اليوم أونس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهدك مشاهد القيامة وأشفع لك من ذنبك وأريك منزلك في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من أحسن إلى مؤمن فقد أحسن إلى ومن أحسن إلى أحسن الله تعالى إليه وفي رواية أفضل الوسيلة إلى الله الإحسان إلى الرجل المسلم أخرجه ابن بشار التيمي في أنواع مكارم الأخلاق .

(فائدة) قال الشيخ معروف الكرخي من قال كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة سيدنا محمد اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد اللهم ارحم أمة سيدنا محمد كتب من الأبدال .

خاتمـــة

فى لطائف المنن : وما أكرم الله العباد فى الدنيا والآخرة كرامة بمثل الايمان به والمعرفة بربو بينه لأن كل خير من خيور الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الايمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وإرادات ، وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وأثمار أو كان به أهلها فيها من راض عن الله وراض من الله ورؤية الله فكل ذلك إنما هو نتائج الايمان ووجود آثاره وإمداد أنواره .

وقال فيه قال الشيخ أبو الحسن إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان . وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعوى والمخادعة فمن أعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب وذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب اه :

وقال شيخ الاسلام عبد الله بن علوى الحداد فى فضل المؤمنين الأمجاد فى تائيته التى أبدع فيها وأجاد .

ولله بين المؤمنــين ومنهم	بكل زمان كم مطيع ومخبت
وكم سالك كم ناسك متعبد	وكم مخلص فى غيبه والشهادة
وكم صابر كم صادق متبتل	إلى الله عن قصد صحيح ونية
وكم قانت قوام فى غسق الدجى	من الخوف محشو الفؤاد ومهجة
يناجى بآيات القرآن إلهـه	بصوت حزين مع بكاء بعبرة
وكم ضامر الأحشاء يطوى نهاره	بحـر هجير مالهنا بشربة
وكم مقبل فى ليله ونهاره	على طاعة المولى بجد وهمة
وكم زاهد فى هذه الدار معرض	ومقتصر منها على حد بلغة

تزينت الدنيا له وتزخرفت فغض ولم يغتر منها بزينة
وكم معرض عن صحبة الخلق مؤثر لوحدته والانقطاع وعزلة
وكم عالم بالشرع لله عامل بموجبه فى حال يسر وعسرة
وكم آمر بالرشد ناه عن الردى سريع إلى الخيرات من غير فترة
وكم من ولى للاله بأرضه وكم عارف مستهتر فى المحبة
وكم من أمين حامل لأمانة من السر لا تفشى لأهل الخيانة
وصاحب كشف قد تجلت لقلبه الـ حقائق فى أطوارها العلوية
فأبدالهم أوتادهم نقباؤهم مع النجبا والقطب راس العصابة
أولئك أبدال النبيين أبرزوا لفضل رسول الله فى خير أمة
عباد كرام آثروا الله ربهم فآثرهم واختصهم بالولاية
بهم يرفع الله البلايا ويكشف الـ رزايا ويسدى كل خير ونعمة
ولولاهم بين الأنام لدكدكت جبال وأرض لارتكاب الخطيئة

تم الجزء الأول من النصف الثانى من كتاب القرطاس
شرح راتب الامام العطاس
رحمه الله
وكان تمام طبعه فى ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٦ هـ
(٢٨ / ٩ / ١٩٦٦ م) بالقاهرة

اهم مباحث كتاب « القرطاس »

ص

ص

٣١٤ ذكر للجزء

القرطاس

شرح راتب الإمام عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس

باعلوى الحضرمى رحمه الله

للإمام بركة الأنام وعلم الإسلام

الحبيب على بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس

باعلوى الحضرمى

المتوفى سنة ١١٧٢ هـ

رحمه الله

الجزء الثانى

الطبعة الأولى

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

بالقاهرة

مطبعة المدنى

٦٨ شارع العباسية - عمارة الجميعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه والتابعين

(وبعد) فهذا هو الجزء الثانى من كتاب (القرطاس) المتمم لشرح راتب الإمام العارف بالله الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس تأليف بركة الأنام العلامة علم الإسلام الحبيب على بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر العطاس رحمهم الله أجمعين .

وقد سبق فى الجزء الأول شرح الأذكار السبعة الأولى من هذا الراتب المبارك . وهى :

(١) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم « ثلاثا »

(٢) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق « ثلاثا »

(٣) بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم « ثلاثا »

(٤) بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم « عشرا »

(٥) بسم الله الرحمن الرحيم « ثلاثا »

(٦) باسم الله تحصنا بالله باسم الله توكلنا على الله « ثلاثا »

(٧) باسم الله آمنا بالله ومن يؤمن بالله لا خوف عليه « ثلاثا »[1] .

(تنبيه)

(١) ذكر الراتب كله نصا فى ص ١١٢ من الجزء الأول من الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٣٨٦ وذكر الذكر الأول منه وشرحه فى ص ١١٦ والثانى وشرحه فى ص ١٠٦ والثالث وشرحه فى ص ١٨٧ والرابع وشرحه فى ص ١٩٨ والخامس وشرحه فى ص ٢٣٥ والسادس وشرحه فى ص ٢٨١ والسابع وشرحه فى ص ٣١٧ فيراجع ما فيها من العلم الغزير النافع .

وفى هذا الجزء شرح الأذكار التالية :

(٨) سبحان الله عزّ الله سبحان الله جلّ الله « ثلاثا » .

(٩) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم « ثلاثا » .

(١٠) سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر « أربعا » .

(١١) يا لطيفا بخلقه يا عليما بخلقه يا خبيرا بخلقه الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير « ثلاثا » .

(١٢) يا لطيفا لم يزل الطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل الطف بنا والمسلمين « ثلاثا » .

(١٣) لا إله إلا الله «مائة» ويقول تمام المائة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرة واحدة » .

(١٤) حسبنا الله ونعم الوكيل « سبعا » .

(١٥) اللهم صلّ على محمد صلى الله عليه وسلم « إحدى عشرة مرة » .

(١٦) أستغفر الله « إحدى عشرة مرة » ثم يقول تائب إلى الله « مرة ».

(١٧) يا الله بها يا الله بها يا الله بحسن الخاتمة « ثلاثا » .

• • •

وبهذه الأذكار السبعة عشر تم هذا الراتب المبارك .

نسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين ويجزل المثوبة فضلا منه وإحسانا لصاحبه وشارحه وقارئه وناشره فى الدارين إنه سميع مجيب .

• • •

قال الإمام الشارح رحمه الله :

الذكر الثامن وشرحه

ولما أكمل الكلام سيدنا عمر على حقيقة الإيمان التام معناها بما فيه مقام كل ما يطلبه المؤمن ويشتهيه شرع فى تنزيه باريه الذى ليس له نظير ولا مثيل ولا شبيه ، فقال فيه : ﴿سبحان الله عزّ الله سبحان الله جلّ الله﴾ «ثلاثاً».

قال الشيخ على : ومعنى سبحان الله تنزه وتعزز بحجاب العزة الأحمى الذى لا يتطرق إليه تشبيه . أو تمثيل ، أو تحوم حوله حوائم الأفكار ، أو تطمح إليه علوم النظار ولا خيالات المتخيلين ، ولا تصور المتصورين ، ولا تحويه النقول ، ولا تدركه العقول ، جل الله المحتجب بالجلال المبرقع بالجمال ذو الجلال والإكرام فجلّ الله عما يتصور ويتخيل فى الخيال ، أو يتعقل بالمعقول ، أو تحويه العبارات والنقول وعزّ الله عما يقوله القائلون أو يتصوره المتصورون أو يكيّفه المتفكرون أو يمثله الممثلون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ولله المثل الأعلى لا المثل الأدنى سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً انتهى ما أورده الشيخ رضى الله عنه .

ونحن نبتدىء فى ذكر أحرف يسيرة يتبين بها معنى التسبيح والتنزيه ، وأما تفصيل فضائل ذلك فسيأتى بعد عند قوله (فى الذكر التاسع) : ﴿ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ إن شاء الله تعالى .

أما الآيات فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ وقال تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ وقال تعالى : ﴿ يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس

العزيز الحكيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم ﴾ وقال عز وعلا : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام ﴾ .

وأما الأخبار فقد صح عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « لاأحد أصبر على أذى سمعه من الله عزَّ وجلَّ إنه يشرَك به ويجعل له الولد ويعافيهم ويرزقهم » أخرجه الشيخان .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : « إن الله تعالى لاينام ولا ينبغى له أن ينام ويخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » أخرجه مسلم .

« السبحات » هى أنوار وجه الله أى لو انكشف من أنوار وجهه التى تحجب العباد عنه شىء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خرَّ موسى عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى له سبحانه وتعالى .

وقال بعض الحكماء : من اعتصم بعقله زل ، ومن استغنى بماله قل ، ومن عزَّ بمخلوق ذل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذين تذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده يتعطفن حول العرش لهن دوىٌّ كدوىِّ النحل يُذكِّرنَ بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن لايزال عند الله ما يذكِّر به .

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط فى كتاب الدعاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال يارسول الله : هل من الدعاء شىء لا يُرد ؟

قال : نعم . تقول : « أسألك باسمك الأعلى الأعز الأجل الأكرم » .

وفى كتاب ابن السنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل : لا إله إلا أنت عزّ جارك وجلّ ثناؤك .

واعلم أنه ينبغى للذاكر بقوله : ﴿ عزّ الله جلّ الله ﴾ أن يستحضر فى قلبه شيئاً من الآيات الدالات على عظم مخلوقات الله تعالى مثل قوله : ﴿ الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الآية ونحو هذه الآيات فيقول حينئذ جل الله بحقيقة .

وقد أشار إلى ذلك الشيخ الإمام عبد الله ابن الشيخ أبى الفرج بن سعيد المقدسى فى كتابه « تحفة المتعبد وغنية المتهجد » انتهى .

وذكر الشيخ أبو القاسم فى كتاب الرسالة فى ذكر المشائخ فى ترجمة الشيخ أبى عبد الله أحمد بن عطاء الروذبارى وهو آخر من ذكره فى الثلاثة والثمانين من أهل الرسالة قال: سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت على بن سعيد المصيص يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول: كنت راكبا جملا فغاصت رجل الجمل فى الرمل فقلت : جل الله . فقال الجمل : جل الله .

وحكى القشيرى أيضاً فى باب كرامات الأولياء عنه أنه قال كلمنى جمل فى طريق مكه وذلك أنى رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها بالليل . فقلت : سبحان الله من يحمل عنها ماهى فيه فالتفت إلى الجمل فقال: قل جلّ الله فقلت : جلّ الله .

وروى أن أبا سفيان بن حرب قال بأحد بعد ماقتل من قتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أعلُ هُبل أُعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا تجيبونه . فقالوا : يارسول الله ما نقول . قال : قولوا : الله أعلى وأجلّ ، الله أعلى وأجل .

ونقل الشيخ الإمام العلامة كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المصرى فى كتابه حياة الحيوان الكبرى من كتاب المجالسة للدينورى عن معاذ بن رفاعة قال مر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول : سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت فمضى فإذا هو بصوت من السماء أنا الذى تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت من قالهن استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن .

فصل

فى تفسير التسبيح

ولنقدم على ذلك ذكر إعراب كلمة التسبيح ثم ذكر معنى العزة ثم نأخذ فى معنى التسبيح المقصود بهذا الفصل المعقود .

(الاعراب) قال العلماء أما سبحان فهى اسم مصدر بمعنى التسبيح ملازم للنصب ويضاف إلى الظاهر كسبحان الله وسبحان ربك ، وإلى المضمر كقوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ﴾ وفى الحديث سبحانك لا نحصى ثناء عليك وقد يقطع عن الإضافة فى الشعر فينوّن إن لم تنو الاضافة كقول الشاعر - سبحانه ثم سبحانا نعوذ به — ولا ينون إن نويت الاضافة كقوله سبحان من علقمة الفاجر أراد أن يقول سبحان الله فلما لم يساعده الوزن حذف المضاف إليه مع نيته وأبقى المضاف بحكمه كما كان قبل الحذف .

ثم قال الشيخ عبد الله بن يوسف بن هشام : وقد اختلف فى الباء من قوله فسبح بحمد ربك فقيل للمصاحبة والحمد مضاف إلى المفعول أى سبحه حامدا له أى نزهه عما لا يليق به وأثبت له ما يليق به ، وقيل للاستعانة والحمد مضاف إلى الفاعل أى سبحه بما حمد به نفسه إذ ليس كل تنزيه محمودا ألا ترى أن تسبيح

المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات .

واختلف فى سبحانك اللهم وبحمدك فقيل جملة واحدة على أن الواو زائدة وقيل جملتان على أنها عاطفة ومتعلق الباء محذوف أى وبحمدك سبحتك وقال الخطابى المعنى وبمعونتك التى هى نعمة توجب على حمدك سبحتك لا بحولى وقوتى يريد أنه مما أقيم فيه المسبب مقام السبب .

وقال الشيخ الإمام أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد السيد الشريف العلوى الحسنى المعروف بابن الشجرى فى قوله تعالى ﴿ فتستجيبون بحمده ﴾ وهو كقولك أجبته بالتلبيه أى فتجيبونه بالثناء إذ الحمد الثناء والباء متعلقة بحال محذوف أى مابين بحمده والوجهان فى سبح بحمد ربك ولعل العبارة ناقصة تأمل .

وأما عزته تعالى ، فهى صفة من صفات ذاته وصفاته فى غاية الكمال والتمام منزه عن الزيادة والنقصان ونسبة المثل فعزة الله تعالى اقتضت كون كل ما سواه محجوبا عن رؤية الله عز وجل فان العزيز معناه المنيع الذى لايوصل إليه يقال حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه .

وقيل العزيز الذى لا يرتقى إليه وهم طامع فى تقديره ولا يسمو إلى صمديته فهم قاصد إلى تصوره .

وقيل العزيز من ضلت العقول فى بحار تعظيمه وحارت الألباب دون إدراك نعته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كمال جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك .

وقال ابن عطاء الله لا يزيد فى عزه إقبال من أقبل عليه ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر عنه وقال يا من احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الابصار وفى التنزيل ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ الآية .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سئل عن (سبحان الله) فقال : كلمة رضيها الله لنفسه ، وسئل مرة أخرى عن (سبحان الله) فقال : تعظيم جلال الله .

وقال الشيخ صالح ابن الصديق النمازى فى كتاب (الأنوار الساطعة بشرح العقيدة الجامعة) له : والتسبيح التنزيه والتبعيد عن السوء من سبَح فى الماء إذا ذهب فيه وأبعد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما وقد سئل عن (سبحان الله) فقال : تنزيه الله تعالى : وجاء رجل إليه رضى الله عنه فقال: لا إله إلا الله نعرفها أنه لا إله غيره والحمد لله نعرفها أن النعم كلها منه وهو المحمود عليها . والله أكبر نعرفها لا شىء أكبر منه ، فما سبحان الله ؟ قال : كلمة رضيها الله تعالى لنفسه وأمر بها الملائكة وفزع بها الأخيار من خلقه .

وعن إبراهيم بن يزيد التيمى عن النبى صلى الله عليه وسلم : سبحان الله تنزيهه وصيانته عز وجل عن كل سوء .

وعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال : تنزيه الله عن كل سوء .

وقال أبو القاسم القشيرى فى كتاب (التحبير فى علم التذكير) تنزيه الله عزَّ وجلَّ يكون بالقول والبيان مرة وبالاعتقاد وتأمل البرهان ثانية ولا يصلح ذلك إلا بعد كمال المعرفة والتحقق بعلم التوحيد فإن التسبيح تحقيق تقديس الحقيقة عن مشابهة الخليقة وإفراد الحق عن أوصاف الخلق وإبعاد الله عز وجل عن الحدوث وما يقتضيه والإخبار عن تقديسه عن موجبات التعطيل والتشبيه وإنما يصح ذلك على أصول أهل الحق الذين عرفوه بنعت الجلال فلم يسابوا أوصاف التعالى والكمال عنه فسلموا الملك إليه إقرارا بالربوبية وطالعوا

لأنفسهم استحقاق العبوديه فتبرؤا من الحول والقوة والمنة ورأوا ما لمولاهم عليهم من خصائص المنة وعرفوا ما أوجب لله من الأوصاف الواجبة فلم يقصروا فيما الزمهم من الوظائف الواجبة وعلموا ما اتصف به الحق من نعوته الجائزه فلم يجوزوا لأنفسهم مجاوزة حدود الله الراتبة ووقفوا على ما امتنع فى وصف الله سبحانه وتعالى فامتنعوا من ارتكاب مساخطة اللازمة ، وقال لا يصح من العبد حقيقة التسبيح الذى هو التنزيه لله سبحانه وتعالى حتى يتنزه عن أوصافه الذميمة وينزه نفسه عن الشهوات لأن صاحب الشهوة محجوب عن ربه وقد روى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن حذر وأنذر أصحابك بكل الشهوات فإن القلوب المعلقه بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

تأمل واستدلال على القدرة الإلهية

حكى أن كسرى اضطجع ليلة على فراشه فنظر إلى الفلك فتفكر فى هيئته واستدارته فقال أيها الفلك إن بناء أنت سقفه لعظيم ، وإن بيتاً أنت غطاؤه لنظيم . وإن شيئا أنت تظله لكثير وإن فيك لعجباً للمتعجبين ، أعلى عمد أنت من تحتك تتمسك أم بمعاليق من فوقك تتعلق ، ولعمرى إن ملكاً أمسكتك قدرته لملك قدير ، وإنه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير . وإن جهل من غفل عن التفكر فى هذه العظمه لكبير وليت شعرى كم أفنت هذه النجوم من القرون ، وكم صبحت قبلنا أمما فى سالف العصور ، ليت شعرى بم طلوعك حين تطلعين ، وبم مسيرك حين تسيرين ، وعلى من أفولك حين تأفلين ، وعلى من سقوطك حين تغيبين ، ليت شعرى أساكنة أنت أم تتحركين أم كيف صفتك التى بها تتصفين ، ولونك الذى به تتوسمين ، ومن سماك بأسمائك التى بها تعرفين فسبحان من لأمره تنقادين وبمشيئته تجرين وبصنعه استقامتك حين تستقيمين

ورجوعك حين ترجعين ، واستتارك حين تستترين ، وبروزك حين تبرزين . انتهى .

ومن الأشياء العجيبة ، التى تورث العاقل أن يديم التسبيح تفكره فى نفسه التى هى أقرب الأشياء إليه ، قال أهل البصائر النافذة : جعل الله تعالى فى الإنسان سر نسخة الوجود كما سموه العالم الصغير فما من مخلوق إلا فى الإنسان خصلة منه إما صورية أو معنوية وقد زين الله الإنسان بالأعضاء الظاهرية وجميع الأشياء المتضادة فى المعانى الباطنة وهى الحراة والبرودة واليبوسة والرطوبة وقد قال تعالى : ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .

وقال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد نفع الله به فى كتابه (اتحاف السائل) اعلم أن التنزيه هو التقديس وهو التسبيح أيضا ومعناه أن يعتقد القلب تنزيه الحق جل وعلا ذاتا وصفات وأفعالا عن مشابهة المخلوقين فإنه المتقدس سبحانه المتنزه عن الشركاء والأمثال وعن الحدوث والزوال وعن الأعراض والعلل وعن التقيد بالزمان والمحل بل هو المتنزه عن أن يصوره وهم أو يتخيله خيال أو يظفر به فكر أو يدرك ماهيته عقل أو يحيط به علم ، قال وكثيراً ما وقع التسبيح فى القرآن الكريم متصلا بتنزيه الحق نفسه عما أضافه إليه الملحدون مما لا يليق بعز كماله مثل قوله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ﴾ ومثل قوله : تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ﴾ إلى قوله ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾ ومثل قوله ﴿ إلا أنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ الآيات إلى قوله ﴿ سبحان الله عما يصفون ﴾ .

قلت : وقوله ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ إلى غير ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ﴾ الآية .

وروى الإمام البغوى بسنده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال. قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فزعمه إنى لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياى فقوله لى ولد سبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدا .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قلت يانبى الله أى الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك ـ أخرجه الخمسة إلا أبا داود .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدُروا قدره انتهى .

رجعنا إلى كلام سيدنا عبد الله الحداد قال : وأما الثناء فهو الحمد والمدح ومعناه ذكر مايستحق الممدوح من صفات الكمال وماهو متصف به من معانى العز والشرف والجلال ومايفيض منه على المثنى عليه وغيره من العطاء والنوال وما يدفع عن المادح وعن سواه من ضروب البلايا والانكال مقرونا بالاعظام والاجلال .

قال ومن أجمع العبادات واشملها لمعانى الثناء قوله الحمد لله ، قال واعلم أن الله تعالى هو المنزه على الاطلاق والمستحق الثناء على كل وجه وبكل معنى وهو المنفرد بذلك والمتوحد لأنه المنزه عن كل نقص ، المتصف بكل كمال ، المفيض لكل خير فالتنزيه والثناء له حقيقة ، ولغيره مجاز بل لامنزهً ولا محمود سواه حقيقة ومجازا وكل من أوتى من الخلق شيئا من النزاهه أو وصل إلى شىء مما يقع عليه الثناء فما وصل إلى ذلك بحوله وقوته بل بقدرة الله ومشيئته وفضله ورحمته وذلك من الله وبالله ، ومن نزه مخلوقا عما هو منزه عنه وباعده نقصا يعتور أبناء جنسه . أو اثنى عليه بكمال هو متصف به فتنزيهه وثناؤه تنزيه لله وثناء على الله علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

ثم قال اعلم أن الله غنى عن تنزيه المنزهين وعن ثناء المثنين فإن المنزه له سبحانه لم يدفع بتنزيهه عنه نقصا إذ لا نقص ولا يتصور وجوده والمثنى عليه تعالى لم يثبت له بثنائه كمالا فإن الكمال كله لله ازلا وابدا وإنما تنزيه العبد لربه وثناؤه عليه نفع يجره إلى نفسه وخير يوصله إليها وقد وعده الله تعالى ذلك بفضله قال صلى الله عليه وسلم الحمدلله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن مابين السماء والأرض الحديث ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين « انتهى كلام سيدنا عبد الله الحداد نفع الله به وهو كلام نفيس هذا ملخصه » .

فائدة

من شرح أسماء الله الحسنى

قال الشيخ الجلال التبريزى اسمه تعالى (المعز) من قرأه مائة وأربعين مرة فى ليلة الاثنين وليلة الجمعة بعد صلاة المغرب والعشاء تكون له هيبة بين الخلائق ولا يخاف إلا الله ، قيل واسمه تعالى (المذل) كل من خاف من ظالم أو حاسد يقرؤه خمسا وسبعين مرة وبعده يسجد ويذكر اسم العدو أو الظالم ويقول إلهى أمنى من فلان فانه يكفيه الله شره .

فائدة

نقل الشرجى فى كتابه الفوائد عن الفقيه الشهير الولى الكبير أحمد بن موسى بن عجيل نفع الله بهما أنه قال يقال فى وجه من يخاف شره من ظالم أو سبع فلايضره « تعزرت بذى العزة والجبروت وتوكلت على الحى الذى لا يموت شاهت الوجوه وعميت الابصار وتوكلت على الواحد القهار وينفث ثلاث نفثات فإنه لا يتكلم إلا بما يحب .

فائدة أخرى

قال الشرجى روى عن الفقيه سليمان العلوى رحمه الله تعالى أنه قال روى أن سعيد بن المسيب اجتمع برجل من مؤمنى الجن ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يا سعيد هل لك أن أكسبك حجابا ما علق على أحد فطرقه طارق سوء، ولا علق على دابة فاصابها مغل، ولا دخل به أحد على ساطان فأصابه منه شر، ولا ركب به فى سفينة فاصابها غرق ولا سافر به أحد فى رفقه فاصابهم سوء قال سعيد ومن لى بذلك قال هات الدواة واكتب : كل ذى ملك فمملوك لله وكل ذى عزة فغالبه الله، وكل ذى قوة فضعيف عند الله ، وكل جبار فصغير عند الله ، وكل ظالم لا محيص له من الله ، يا أعداء حامل كتابى هذا ويا حاسديه من الجن والإنس والشياطين والعفاريت والمتمردين ، من الله خاتم سليمان بن داود عليهما السلام فى أفواهكم ، وعصا موسى عليه السلام على اكتافكم ، وخيركم بين أعينكم وشركم تحت أقدامكم ، ولا غالب إلا الله تعالى . حامل كتابى هذا فى عز الله المانع الذى لا يذل من اعتز به ولا ينكشف من استتر به ، سبحان من ألجم البحر بكلماته ، سبحان من أطفأ نار إبراهيم بحكمه ، سبحان من تواضع كل شىء لعظمته ، أقبل ، لا تخاف دركا ولا تخشى . لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى ، اللهم ارحم حامل كتابى هذا واستره بسترك الواقى الحصين فى ليله ونهاره وظعنه وقراره الذى أستتر به أولياؤك المتقون من اعدائك الكافرين ، اللهم من عاداه فعاده ومن كاده فكده ومن نصب له فخا فخذه واطفىء عنه نار من أراد به عداوة وشرا وفرج عنه كل هم وضيق ، ولا تحمله ما لا يقوى وما لا يطيق إنك أنت الله لا إله إلا أنت الحق الحقيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فائدة أخرى

اسمه تعالى ﴿ العزيز ﴾ خاصيته وجود الغنى والعز فمن ذكره أربعين يوما فى كل يوم إحدى وأربعين مرة أغناه الله وأعزه ولم يحوجه لأحد من خلقه والأحسن أن تكون قراءته بعد صلاة الصبح ، واسمه تعالى ﴿ الجليل ﴾ خاصيته إسراع الإجابة بأن يذكر مع الدعاء لاسيما مع اسمه السريع ، واسمه تعالى ﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ قال بعض العلماء ببركة هذا الاسم أعطى الله الأنبياء والأولياء الجلالة والهيبة والكرامة ومن كان يرجو أمراً وقرأه سبعمائة مرة فإن الله يعطيه ما طلب وروى أن الاسم الأعظم ذو الجلال والاكرام وعدده ألف ومائة وإذا دخل عليه حرف الندا انقلب الواو ألفا أيضا لأنه يكون منادى مضافا فينقص العدد خمسة وقد جاء فى الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام رواه أنس قال النووى الظوا بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة معناه الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها وألحوا بها فلهذا يقال إنه اسم الله الأعظم انتهى .

خاتمة

قال حجة الاسلام الغزالى فى عقيدته الغراء وفريدته الزهراء فى التنزيه وأنه تعالى ليس بجسم مصور ولا بجوهر محدود مقدر وأنه لايماثل الأجسام لافى التقدير ولا فى قبول الانقسام وأنه تعالى ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لايماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولاهو مثل شيء ، وأنه لايحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولاتحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات ، وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لايحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون فى قبضته ،وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى

فوقية لا تزيده قربا إلى العرش كما لا تزيده بُعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء ، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذلا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان وهو الآن على ماعليه كان، وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته ، وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لم يزل ولا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال ، وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمةً منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتماما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم اهـ ما ذكره الغزالى .

الذكر التاسع وشرحه

ثم انتقل سيدنا عمر بعد قطع العوائق والعلائق إلى ذكر التسبيح الذى هو بجلال الله لائق وهو صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون فى سائر الأطوار والطبائق فقال (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) « ثلاثا » .

قال الشيخ على نفع الله به « كذلك نزه الاسم فى مراتب الحقيقة الثلاث ذاتا وصفات وأفعالا بالتنزيه الوصفى الذى هو مظهر الشىء من حيث الوصف ونعته بنعت العظمة ، وهذا الذكر يقال إنه صلاة الحيوان والنبات والجمادات وبه ترزق الخلائق ، ومن ذكر منه ثلاثا بعد الصبح وثلاثا بعد المغرب لم ير فى جسده ما يكرهه ومن أتى منه « مائه » بعد الصبح كان مجلبة لبركة الرزق وهو أفضل ما يتقرب به إلى الله .

وقد ورد بفضله الكتاب المجيد وأحاديث السنة فاتطلب من مواضعها من كتب الحديث .

وأما من الكتاب فمن ذلك قوله عز وجل (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) اهـ .

ونحن نأتى ببعض الآيات والأحاديث الدالة بالتصريح على عظيم فضل الذكر لاسيما التسبيح :

أما الآيات فقد قال الله تعالى (وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن آناء الليل فسبحه وأدبار السجود) وقال (وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) وقال (وإنْ من شيء إلا يسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقال تعالى (فلولا أنه كان من المسبِّحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) وقال تعالى (قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبِّحون قالوا سبحان ربنا) الآية وقال على لسان الأمين جبريل (وإنا لنحن الصَّافُّون وإنا لنحن المسبحون) وقال تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشىِّ والإبكار) وقال تعالى (إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرَة سبحان الله وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) وقال الضحاك معناه قل سبحان الله وبحمده وروى جبير بن نفير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أى الموت وقال تعالى (وله من فى السموات والأرض ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون) والآيات فى ذلك كثيرة .

وأما الأخبار فقد قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه البخارى وجعله لصحيحه الختام ، قال الجلال

السيوطى فى شرح البخارى حبيبتان إلى الرحمن أى محبوبتان أى محبوب قائلهما قال وخص الرحمن بالذكر لأن القصد من الحديث بيان سعة رحمة الله لعباده حيث يجازى على العمل القليل بالثواب الجزيل.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا ركع أحدكم فقال سبحان ربى العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك أدناه نقله فى المهذب.

وفيه عنه قال إذا سجد أحدكم فقال فى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك أدنى الكمال.

وفى الإحياء عن سلمه بن الأكوع رضى الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء إلا قال سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب.

وفى كتاب البغوى للشيخ الشرجى قال روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال بعد كل صلاة مفروضة سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته أطال الله عمره وأغناه عن خلقه، وعن يسيرة إحدى الصحابيات المهاجرات أنها قالت قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالأنامل فانهن مسئولات مستنطقات.

(فائدة) يروى أن من صلى ركعتين قبل طلوع الفجر يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وآية الكرسى «ثلاث مرات» وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد «إحدى عشرة مرة» ثم يقول بعد الفراغ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله «مائة مرة» قضى الله دينه ووسع عليه رزقه وذلك مشهور مجرب إن شاء الله تعالى نقله بعض العلماء.

* * *

وقال أبو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب إلى الله تعالى قال ما اصطفى الله للملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

وقال الامام محيي الدين النووى فى كتابه حلية الأبرار روينا فى كتاب ابن السنى باسناد ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول إذا ردّ الله عز وجل إلى العبد المسلم نفسه من الليل فسبحه واستغفره ودعاه تقبل منه ، وروى أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عنى الدنيا وقلّت ذات يدى فقال صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال قلت وماذا يارسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله (مائة مرة) ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح تأتك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه رواه البخارى فى صحيحه .

وقال عليه السلام من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم (مائة مرة) حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ذكره والذى قبله فى الاحياء .

وفيه أيضاً قال جابر رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تضربوا الدواب فإن كل شىء يسبح بحمده تعالى[1] .

وقال الشيخ عبدالوهاب الشعرانى : فتح الله علىّ ذات ليلة فسمعت تسبيح جميع المخلوقات من الحيوانات والجمادات مثل الرعود القاصفة وذلك من بعد صلاة المغرب إلى العشاء فكادت تُذهب عقلى فسألت الله تعالى أن يُذهب عنى سمع ذلك ويبقى علىّ علمه فأجاب ، انتهى بمعناه .

وقال حجة الإسلام الغزالى : اعلم أن أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله فى حقهم كل ذرة فى الأرض والسموات بقدرته التى أنطق بها كل شىء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ، ولست أعنى به

---

(١) نهى عن الأذى غير المشروع وإلا فذبح الأنعام وهو فوق الضرب جائز بل قد يطلب وقتل الحيوان المؤذى مشروع وهو ابلغ من الضرب فافهم

السمع الظاهر الذى لا يجاوز الأصوات ، فإن الحمار شريك فيه ولا قدرَ لما تشارك فيه البهائم ، وإنما أريد به سمعاً يدرك به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، كلاماً ليس بحرف ولا صوت ، ولا هو عربى ولا عجمى .

ثم قال : فإن قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لى كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت ؟ وكيف سبَّحت وقدست ؟ وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم أن لكل ذرة فى السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر ، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذى لا نهاية له ، ولو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً ، ثم إنها تتناجى بأسرار الملك والملكوت بل إفشاء السر لؤم بل صدور الأحرار قبور الأسرار فهل رأيت قط أميناً على أسرار الملك قد يوحى بخفاياه فينادى بسره على ملأ من الخلق ولو جاز إفشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، بل كان يذكر ذلك حتى يبكون ولا يضحكون ، ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افشاء سر القدَر ، ولما قال صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر النجوم فامسكوا ، وإذا ذكر أصحابى فامسكوا ، إلى آخر ما قال الغزالى انتهى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النملة فحرقت ، فأوحى الله تعالى إليه لأن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ، أخرجه الخمسة إلا الترمذى وقرية النمل مسكنها .

وفى حديث الطبرانى جاء قبيصة بن المخارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبرت سنى وعجزت عن أشياء كنت أعملها ، فقال عليه الصلاة والسلام : أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث

مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والمرض والبرص والفالج ، وأما لآخرتك فقل: اللهم اهدنى من عندك وأفض علىَّ من فضلك وانشر علىَّ من رحمتك وأنزل علىَّ من بركاتك ، ثم قال عليه السلام : أما إنه إذا وافى بهن عبدٌ يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب فى الجنة يدخل من أيها شاء ، انتهى من الاحياء .

ونقل صاحب مقال الناصحين عن الاقيلشى قال : قال عطاء بن خالد رحمه الله تعالى : من قال حين يصبح أو حين يمسى سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات ، لم ير فى نفسه ولا فى أهله ولا فى ماله مكروها حتى يمسى أو يصبح ؛ ونقله أيضا صاحب كتاب الحقائق الواضحات عن ابن وهب عن عطاء بن خالد .

وفى تفسير البغوى بسنده إلى أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب الحسنات عن يمين الرجل ، وكاتب السيئات عن يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبِّح أو يستغفر .

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد : سبحان الله وبحمده ، يعنى بعد لا إله إلا الله كما قالوه .

وفى تذكرة الأعداد عن عبدالله بن سلام أنه قال من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم مع زيادة سبحان الله رب العالمين أربع مرات خلق الله تعالى من ذلك ملكا يعبد الله إلى يوم القيامة لحديث صريح فى ذلك اه .

وقال الإمام البغوى فى تفسيره روينا أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح

كما يلهمون النفس وقال فيه قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فأتوهم فى الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لايشبه بعضها بعضا فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك قوله عز وجل وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

وقال عليه السلام أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفس محمد بيده مافيها موضع شبر إلا فيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده رواه ابن مردويه عن أنس .

وقال عليه السلام أكثروا من قول القرينتين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فإنهما يحطان الخطايا ويرفعان الدرجات .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء وقال سبحان الله العظيم وإذ اجتهد فى الدعاء قال ياحى ياقيوم .

وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قال لى الله تعالى يامحمد خمسة تثقل موازين أمتك يوم القيامة أحدها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله الثانى الصلوات الخمس الثالث سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم الرابع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الخامس الاستغفار يامحمد إنى أجعل كل حرف من هذه الحروف فى ميزان أمتك أثقل من جبل أحد .

وذكر الإمام حجة الإسلام فى آخر كتاب ذكر الموت وما بعده أنه رئى الإمام مالك بن أنس فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لايموت فكنت أقولها ، وفى الكتاب المذكور عن يزيد بن نعامه قال هلكت جاريه فى الطاعون

الجارف فرآها أبوها فى المنام فقال لها يابنية أخبرينى عن الآخرة قالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعملون فوالله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فقلّ الماء فقال اطلبوا فضلة ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فادخل يده فيه ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل أخرجه البخارى والترمذى والنسائى .

وفى كتاب الحقائق قال خرّج المالكى فى كتاب رياض النفوس عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق أنه قال من قال سبحان الله وبحمده فى ملأ من الناس من غير تعجب خلق الله منها ملكا يسبحه ويهلله إلى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لقائلها وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شىء قدير فإن أصابته صاعقة فعلىّ ديته .

وفى بعض الاخبار عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول إن هذا الوعيد لأهل الأرض لشديد .

وفى بعض الاخبار يقول الله تعالى لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد قال الجوهرى فى صحاحه والصاعقة هى أشد صوت الرعد يسقط منه قطعة من نار تحرق من أصابته .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنا مع عمر رضى الله عنه فى سفر فاصابنا رعد وبرق وبرَد فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفى من ذلك الرعد ففعلنا فعوفينا نقله فى المهذب .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الرياح والصواعق وغير ذلك اللهم إني أسألك خيرها وخير مافيها وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ما أرسلت به وفي رواية وخير ما أرسلت به وشر ما أرسلت له وكان يقول عند الصواعق اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند نزول الغيث اللهم صيباً نافعا اللهم سُقيا رحمة لا سقيا عذاب وإذا خشي من كثرة المطر يقول اللهم حوالينا ولا علينا .

وقال صلى الله عليه وسلم السوق دار سهو وغفلة فمن سبح الله فيها تسبيحة كتب الله له بها ألف حسنة .

وروى الزهري أن تسبيحة واحـــدة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره .

وروى البزار بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في دبر الصلاة سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله قام مغفوراً له » .

وفي سنن أبي داود عن بعض بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فإنه من قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح نقله الامام محيي الدين في كتابه الأذكار .

وعن أبي صالح عن أبي هريره رضي الله عنه قال « جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال كيف ذلك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون قال ألا أحدثكم بما إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم

خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعة وثلاثين فرجعت إليه فقال يقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين كذا ذكره البخاري في صحيحه.

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم قال كيف ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى أحد بمثل ما جئتم تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا ذكره الإمام البخاري في صحيحه أيضاً.

وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله دبر كل صلاة عشرا ويحمد الله عشرا ويكبر الله عشرا فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة بالميزان ويكبر أربعا وثلاثين. إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين ويسبح ثلاثا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف بالميزان فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده قالوا يا رسول الله هما يسير ومن يعمل بهما قليل قال يأتى أحدكم يعني الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقولها ويأتى في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها انتهى الحديث.

قلت ومعنى قوله فذلك خمسون ومائة باللسان لأن الصلوات المكتوبات خمس والذى يؤتى به منها بعد كل فريضة عشر وعشر وعشر فذلك ثلاثون تصبح الجملة مائة وخمسين كما ذكره عليه السلام ثم يضعف إلى عشرة أمثاله فتصير المائة ألفاً والخمسون خمسمائة فهو معنى قوله تعالى من جاء بالحسنه فله عشر أمثالها وقوله يكبر اربعا وثلاثين إلى آخره هو ما اعطاه بنته فاطمة رضى الله عنها لما

سألته الخادم فى الحديث الصحيح كما سيأتى ذلك فى آخر هذا الباب عند ذكر التسبيحات المخصوصات بالفضيلات الجليلات .

وقال صلى الله عليه وسلم لجويرية وقد خرج من عندها حيث صلى الصبح وهى تسبيح ثم رجع وهى جالسة بعد أن أضحى مازلت على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم قال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، قال الإمام النووى فى شرح مسلم قوله مداد كلماته هو بكسر الميم قيل معناه مثلها فى العدد أوفى انها لاتنفد أو فى الثواب قال والمداد هنا مصدر بمعنى المدد وهو ما كثرت به الشىء قال العلماء واستعماله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لاتحصر بعد ولاغيره والمراد به المبالغة فى الكثرة لأنه ذكر أولا مايحصره العدد الكثير من عدد الخلق ثم زنة العرش ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا أى مالا يحصيه عد كما لاتحصى كلمات الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرين ألف حسنة .

وقال صلى الله عليه وسلم هى أحب الكلام إلى الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم هى أفضل الكلام الذى اصطفاه الله لملائكته وقال صلى الله عليه وسلم هى التى أمر نوح بها ابنه فإنهما صلاة الخلق وتسبيح الحيوانات وبهما يرزق الخلق .

وقال صلى الله عليه وسلم من هاله الليل أن يكابده أو بخل بالمال أن ينفقه أو جبن من عدو أن يقابله فليكثر منها فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه فى سبيل الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخله فى الجنه وقال صلى الله عليه وسلم من قالها مع استغفر الله العظيم وأتوب إليه

كتبت كما قالها ثم علقت بالعرش لايمحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله يوم القيامة مختومة كما قالها .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلاغفرله ما كان فى مجلسه ذلك رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح نقله الإمام النووى فى رياض الصالحين .

وروى الطبرانى والخرائطى من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من أخر يومه عتيقا من النار .

(فائدة) مما يذهب الوسوسة الاكثار من قول سبحان الله الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز .

(فائدة أخرى) ممايعين على حفظ الفرج كثرة قراءة سورة الفلق والدوام على قوله سبحان الملك القدوس اه ذكر ذلك زروق فى كتابه (النصيحة الكافيه لمن خصه الله بالعافيه) .

(فائدة) وفى سنن النسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال من توضأ ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك طبع الله فيها بطابع من نور ثم رفعت تحت العرش لم يكسر إلى يوم القيامة قال شيخ الإسلام ومعنى لم يكسر لم يتطرق إليه إبطال والطابع بفتح الباء وكسرها الخاتم .

* * *

وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك اللهم ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفر لى إنه لايغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كمدب النمل وقوله كمدب النمل أى التراب الذى يدب عليه النمل ، وعن عائشة رضى الله عنها

قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن رواه البخارى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه قال أخبرنى ربى أنى سأرى علامة فى أمتى فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا .

وعن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملأ ن مابين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وموبقها أى مهلكها . وروى الشيخ سبحان الله نصف الميزان والحمد لله تملؤه ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه أى ليس لقبولها حجاب يحجبها .

وروى الطبرانى أن سبحان الله إذا قالها العبد مائة تعدل مائة رقبة تعتق لله تعالى الحديث .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرج البغوى فى منتخبه عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل واستفهم فقال يارسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ماعملت به أنى لكائن معك فى الجنة قال نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله وبحمده

كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يارسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لووضع على جبل لأثقله قال فتقوم النعمة من نعم الله تعالى فيكاد أن ينفد ذلك كله إلا أن يتطاول الله برحمته قال ثم نزلت هذه السورة هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إلى قوله رأيت نعيما وملكا كبيرا قال الحبشى وإن عينى ليرين ماترى عيناك فى الجنة ؟؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فاستبكى حتى فاضت نفسه يعنى مات فى الحال رضى الله عنه قال ابن عمر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه فى حفرته بيده .

وفيه قال خرَّج النسائى عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذكروا الله عباد الله فإن العبد إذا قال سبحان الله وبحمده كتب الله له بها عشراً إلى المائة إلى ألف فمن زاد زاده الله ، ومن استغفر غفر الله له .

وخرَّج ابن وهب فى جامعه عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول حق على كل مسلم حين يقوم فى صلاته أن يقول سبحان الله وبحمده وذلك لأن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ .

وخرَّج العقيلى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال حين يصبح ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ الآية كلها ادرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته .

وروى ابن وهب فى جامعه عن معاوية عن أبى جمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم من المكتوبة قال : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ثم يقول : اللهم بحمدك انصرفت وبذنوبى اعترفت أعوذ بك من شر ما اقترفت يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك حتى ألقاك .

وخرّج أبو نعيم الأصبهانى فى كتاب حلية الأولياء بسنده عن خالد ابن معدان أنه قال : إن فى السماء ملكا نصفه نار ونصفه ثلج يقول : سبحانك اللهم وبحمدك كما ألفت بين هذه النار وبين هذا الثلج فألف بين قلوب المؤمنين ليس له تسبيح غيره .

تسبيحات مخصوصات

وهذه تسبيحات مخصوصات رويت فيها فضائل مخصوصات نقلها بعض العلماء روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وأول من قال سبحان ربى الأعلى ميكائيل قال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل أخبرنى عن ثواب من قالها فى صلاة أو غير صلاة قال يامحمد مامن مؤمن يقولها فى سجوده إلا كانت له فى ميزانه أثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدى أنا الأعلى فوق كل شىء وليس فوق شىء اشهدوا ياملائكتى أنى قد غفرت لعبدى وأدخلته جنتى فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله عز وجل فيقول يارب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة ذكره الإمام الثعلبى فى تفسير سورة الأعلى.

وعن أبى الورد بن ثمامه قال قال على رضى الله عنه لابن اعبد ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت من أحب أهله إليه قلت بلى قال أنها جرت بالرحى حتى أثرت فى يدها واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بخدم فقلت لها لو أتيت أباك فسألتيه خادما فأتته فوجدت عنده أحداثا فرجعت فأتاها من الغد فقال ما كانت حاجتك فسكتت فقلت أنا أحدثك يا رسول الله إنها جرت بالرحى حتى أثرت فى يدها وحملت بالقربه حتى أثرت فى نحرها فلما

أن جيء بالخدم أمرتها أن تأتيك تستخدمك خادماً يقيها ماهى فيه فقال اتق الله يا فاطمه وأدى فريضة ربك وأعملى عمل أهلك وإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين واحمدى ربك ثلاثا وثلاثين وكبرى أربعا وثلاثين فذلك مائة هى خير لك من خادم قالت رضيت عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يُخدمها أخرجه الخمسة إلا النسائى .

وعن أبى الزهراء مؤذن بيت المقدس أنه قال صليت العتمة فى بيت المقدس فأوترت فى الصخرة فغلبتنى عينى فنمت وغلقت الأبواب فلم ينبهنى إلا حفيف أجنحة الملائكة قد امتلأت الصخرة منهم فقال الذى يلينى منهم آدمى أنت فقلت نعم فأخبرته بنومى فقال لا بأس عليك ثم سمعت قائلا من الملائكة عن يمينى يقول « سبحان القائم الدائم سبحان الواحد الأحد الفرد الصمد الحى القيوم سبحان الذى لا يموت سبحان الله وبحمده سبحان الملك القدوس سُبُّوح قُدوس رب الملائكة والروح سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى » ثم قال من بالجانب الأيسر مثل ذلك ثم ارتجت صفوف الملائكة بالتسبيح فقلت للذى يلينى منهم بالذى طوقكم نورا من القائل من الجانب الأيمن قال ذلك جبريل فقلت من القائل من الجانب الأيسر قال ذلك ميكائيل قال فقلت له من قال مثل مقالتكم هذه ما يكون له من الثواب فقال لى من قال مثل مقالتنا هذه لا يموت حتى يرى مقعده فى الجنة إذا قالها عدد أيام السنة كل يوم مرة أو فى فى يوم واحد فقلت عسى إنى لا عيش حتى أتم السنة فخنوت بنفسى فقلتها ثلاثمائة وستين مرة فرأيت والله فى منامى مقعدى فى الجنة فحججت فرأيت الربيع بمكة فأخبرته وأعلمته بالتسبيح فلما كان العام القابل لقيته بمكة فقال لى جزاك الله خيرا أما أنى فعلت التسبيح الذى أمرتنى به فرأيت مقعدى فى الجنة وأنا والحمد لله رأيت خيرا كثيرا ورواها بعضهم (سبحان الدائم القائم سبحان الحى القيوم سبحان الملك القدوس سبحان رب الملائكة والروح سبحان الله

وبحمده سبحان الله العلىّ الأعلى سبحانه وتعالى .

وقال أبو طالب المكى فى قوت القلوب حدثونا عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة فصلى على شاطىء البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا قال فقلت من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت . قال فقلت فما اسمك قال مهلهيابيل قلت فما ثواب من قاله : قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة أو يُرى له وهو هذا التسبيح (سبحان الله العلى الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يأتى بالليل ويذهب بالنهار سبحان من لايشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله فى كل مكان) وفى بعض النسخ سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار .

وعن الشيخ أبى حامد بن عبد الله بن مهدى النسفى صاحب كتاب الفردوس يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال إن بحرا من نور حوله ملائكة من نور على جبال من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر (سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح) من قالها فى يومه أو فى شهره مرة أو فى سنته مرة أو فى عمره مرة غفر الله ما تقدم من ذنبه وماتأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر أو مثل رمل عالج أو فرّ من الزحف ذكره الفقيه الحافظ المحدث أبو العباس أحمد بن على السرورى فى كتاب الأربعين .

وفى كتاب الحقائق الواضحات : قال خرّج ابن حبيب فى كتاب التذكرة عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده من غير عجب يراه أو يذكر له كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعا وعشرين ألف حسنة ومحى عنه من السيئات مثلها ومن قالها من غير عجب يراه

أو يذكر له خلق الله له منها ملكا من الملائكة له وجهان وعينان ولسان وشفتان وجناحان يطير بهما مع الملائكة يسبح معهم حتى تقوم الساعة تكون لقائلها مثل أجره إلى يوم القيامة حيا وميتا ، ومن قال سبحان الله وبحمده أربعمائة مرة ثم سأل الله أن يزوجه من الحور العين زوجه، ومن قالها ألف مرة أعتقه الله من النار لأن الدية ألف دينار فإذا قالها ألف مرة فقد أدى الدية وسبحان الله وبحمده تسبيح الخلائق ثم تلا هذه الآية (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) .

وفيه قال خرّج ابن حبيب فى كتاب الذكر له عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . أنه قال لأصحابه مالى أراكم جلوسا لا تتكلمون قولوا سبحان الله وبحمده فإن الواحدة بعشر والعشر بمائة والمائة بألف ومن زاد زاده الله، وروى البزار فى مسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله عباد الله فإن العبد إذا قال سبحان الله وبحمده كتب له بها عشر حسنات ومن العشر إلى المائة ومن المائة إلى الألف ومن زاد زاده الله ومن استغفر غفر الله له ، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد حادّ الله فى ملكه ومن أعان على خصومة بغير علم فقد باء بسخط من الله ومن قذف مؤمنا أو مؤمنة حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج ومن مات وعليه دين اقتضى من حسناته يوم ليس ثم دينار ولا درهم .

وفيه قال خرّج البخارى فى تاريخه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبعا بنى الله له بيتا فى الجنة .

وخرّج ابن وهب فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قال سبحان الله وبحمده يصدّق لسانه قلبه وقاه الله عذاب جهنم .

فائدة جليلة فى فضل التسبيح

وقد تقدمت فيما مضى من هذا الباب منقولة من صحيح البخارى وإنما أعدتها هنا بهذه الترجمة لأن فى الحديث ألفاظاً زائدة .

نقل صاحب كتاب (الحقائق الواضحات) قال خرّج الدارقطنى عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال يارسول الله إن الدنيا قد أدبرت عنى وتولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله مائة مرة فتأتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثلاثاً ثم عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لقد أقبلت على الدنيا فما أدرى أين أضعها .

وفيه عن ابن مسعود قال شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل فذكر له قلة ذات يده فأمره بهذا التسبيح . وقال صلى الله عليه وسلم إن جبريل أتانى وقال يامحمد ألا أعلمك كلمات خبأتها لك دون الأنبياء فأمرنى بهذا التسبيح بعد طلوع الفجر إلى صلاة الصبح اهـ .

ومن فضائل التسبيح ما حكاه الامام اليافعى فى كتابه (روض الرياحين).
(الحكاية السابعة بعد المائة) حكى أن سليمان بن داود عليهما السلام ركب فى موكبه والطير تظله والدواب والوحوش والأنعام والانس وسائر المخلوقات عن يمينه وشماله فمرّ على عابد من عباد بنى إسرائيل فقال ذلك العابد والله لقد أوتى سليمان ملكاً عظيماً فسمع ذلك سليمان عليه السلام : فقال التسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى سليمان فان الملك يفنى ويذهب والتسبيحة تبقى تكتب اهـ .

(قلت) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا التسبيحة من أحدهم مثل جبل أُحُد . وقد كان يونس بن عبيد يقول من لم تكن عنده تسبيحة أو تهليلة واحدة خيراً من الدنيا بأسرها فهو ممن آثر دنياه على آخرته .

ونقل الشعرانى فى اليواقيت والجواهر من كتاب الفتوحات المكية للشيخ محيى الدين بن عربى أن أعظم الكرامات أن يصل العبد إلى حدٍ لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولى مقام ذكر الجميع فإذا قال سبحان الله مثلا انتقش فى جوهر نفسه جميع ما كان يقوله العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لأن الله تعالى إذا جازى ذلك الولى أعطاه مثل ثواب جميع العالم ، وروى أن رجلا سقط من الهواء على الشيخ إبراهيم بن على بن عمر الأنصارى المتبولى وجلس بين يديه وقال ياسيدى أعطانى الله أن لا يسقط حيوان من بطن أمه من جن أو إنس أو وحش أو طير أو غيرها ولا تخرج ورقة من نبات الأرض إلا ويعلمنى الله بذلك قبل ظهوره ، فقال وعزة ربى وجلاله لقد أعطانى الله هذا . وأنا دون البلوغ فلم أقف إنما الشأن فى الاقبال على الله والاعراض عما سواه والله إن قول العبد سبحان الله مرة واحدة أفضل من إطلاعه (أى على ذلك) .

وفى كتاب (الحقائق الواضحات) خرّج الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى عن سفيان بن عمر ، وعن عبيد بن عمير قال تسبيحة بحمد الله فى صحيفة يعنى صحيفة مؤمن خير له من جبال الأرض تجرى معه ذهباً ، وقال صلى الله عليه وسلم طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح أذهب الله عنه الجوع رواه عمر رضى الله عنه .

* * *

(فائدة أخرى) أسمه تعالى (الحميد) مَن أكثر قراءته فتح الله عليه بذكر القلب الذى هو باق ، ومن كان فاحش اللسان فليكتب هذا الاسم ثم يمحوه فى

الكوز الذى يشرب فيه بحيث لا يشرب إلا منه ولا يشرب من سواه أياماً متتابعة فان الله تعالى يصلح لسانه .

قال سيدى الشيخ زروق : اسمه (الحميد) خاصيته ثبوت الولاية لملازمه حتى أن الذاكر بهذا الاسم يحاسب حساباً يسيراً . وإن ذكره ليلة الجمعة ألفاً تيسر أمره . والله الموفق بمنه وكرمه انتهى القول فى فضائل التسبيح .

وأما شرح معناه فقد تقدم قريباً عند قوله رضى الله عنه (سبحان الله عز الله) . والله أعلم .

الذكر العاشر وشرحه

ثم ارتقى سيدنا عمر إلى منهل الباقيات الصالحات . ذوات الفوائد الواضحات فقال .

(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر « أربعاً ») .

قال الشيخ على مشيراً بالتنزيه فى تنزيلات الحقيقة بالألوهية العامة الذاتية وبالمحامد الشاملة لجميع المظاهر الفعلية ، ولا إله إلا الله كلمة الاخلاص المخلِّصة لقائلها من كثائف الأغيار والماحية عنه ظلمات الذنوب ومترهمات الآثار ، والله أكبر نعته الأكمل ووصفه الأجل عن إدراك ظهوره أو احاطة بوصفه أو مثال لفعله أو أين له أو عين أو قول عن ذلك ينقل ، وأتى به أربعاً ليفهم التنزيه بكماله والمراتب والنعوت والأفعال والصفات عن الطبائع الأربع التى هى مبنى تركيب الخلقيات الموجودات فى الأرضين والسموات فسبحان الله وتعالى عن مشابهته لشىء أو مشاكلته فى الذات والأفعال والصفات وهذه هى الباقيات الصالحات المؤذنات لذاكرها بكمال المثوبات وصنوف المسرات الدافعة عنه المصائب والنافية لشؤم المضرات ، وفضائلها أبين من أن تشهر وأكثر من أن تحصر اه .

الباقيات الصالحات وفضلها

ونحن نبتدىء بعون الملك الوهاب . فى جمع الميسور . من فضائل هذه الكلمات وفى ذكر حقائقها مما جاءت به الآيات والأحاديث . فنقول :

أما الآيات فقد قال الله تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملا) فانظر رحمك الله إلى هذا الثناء الجميل الصادر من الحق الوكيل وهو ثناء واف ، شاف كاف ما أكمله وما أشمله لمن تأمله وقال تعالى (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردًا) وهذا فى معناه أيضاً .

وقال تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) . وقال تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) والآيات فى مدح هذه الكلمات كثيرة . ومن ذلك قوله تعالى : (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىٌّ من الذل وكبِّره تكبيراً) .

وأما الأخبار فقد روى ابن أبى أوفى رضى الله عنهما قال جاء رجل فقال يارسول الله لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلِّمنى مايجزينى . قال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال يارسول الله هذا لله فماذا لى قال قل اللهم ارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى فقال هكذا بيديه فقبضهما . فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير أخرجه أبو داود بتمامه والنسائى إلى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وروى الإمام أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى (إليه يصعد الكلام الطيب

والعمل الصالح يرفعه) قال هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها ملك إلى السماء فحيّا بها وجه الرحمن عز وجل فإذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل ما هي يارسول الله قال الملة قيل وما هي يارسول الله قال هي التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم نقله صاحب الحقائق الواضحات .

وفيه من كتاب جامع بن وهب عن الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد عن عبد الله بن الأشج أن رجلا جاس إلى سعيد بن لسيب فقال حين جلس اللهم إني أسألك الباقيات الصالحات فقال له سعيد وهل تدرى ما الباقيات الصالحات قال نعم الصلوات الخمس . قال سعيد لا ولكنها الله أكبر ولا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله وأتبعهن لا حول ولا قوة إلا بالله فأما الصلوات فهى الحسنات يقول الله تعالى (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات) .

وفيه قال خرّج عبد الملك بن حبيب في كتاب الذكر له عن أنس بن مالك قال جاء أبو قبيصة بن ذويب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني كنت شاباً وكان لي أعمال أعملها من صيام وصلاة وحج وعمرة فعلّمني عملا أدرك به خيرى الدنيا والآخرة ، فقال أعلّمك عشراً خمساً لآخرتك وخمساً لدنياك فأما الخمس التى لآخرتك فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والتى لدنياك اللهم أهدنا من عندك وأفض علينا من فضلك وأنشر علينا من رحمتك وأنزل علينا من بركاتك وألبسنا لباس عفوك وعافيتك فى الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين فان الله يدفع بها عنك الجنون والجذام والبرص وأنواع البلاء فعقد الشيخ هكذا بيده . فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله

ما أشد ما عقد عليهن ذلك الكعبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن قام بهن ولم يتركهن إلا من عذر بلغنه الجنة .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إذا حدثنا كم بحديث أنبأنا كم بتصديق ذلك من كتاب الله عز وجل إن العبد إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه الرحمن تبارك وتعالى ثم تلا عبد الله (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) رواه البيهقى .

وقال المفسرون الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هكذا ورد فى الخبر .

وعن سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى فقال : ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل فقال : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : استكثروا من الباقيات الصالحات - الله أكبر ولا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وروى النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : خذوا جُنتكم قلنا : يارسول الله أمن عدو حضر ؟ قال : جُنتكم من النار قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يأتين يوم القيامة مقدمات معقبات مجنبات هن الباقيات الصالحات .

وقال صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيتهن بدأت.

وقال صلى الله عليه وسلم: كل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة.

وقال صلى الله عليه وسلم هن أفضل الكلام بعد القرآن وهن من القرآن من قالها كتب له بكل حرف عشر حسنات.

وقال صلى الله عليه وسلم لقيني إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال: أخبر أمتك أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وقال صلى الله عليه وسلم: تغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة.

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من الكلام أربعاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فمن قال سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال الحمد لله فمثل ذلك ومن قال لا إله إلا الله فمثل ذلك ومن قال الله أكبر فمثل ذلك ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس.

وفي كتاب الحقائق الواضحات قال: خرج النسائي في مصنفه عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كفرت خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر.

وفيه خرَّج ابن وهب فى جامعه عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ يا أبا الدرداء قال ما آخذ يارسول الله قال خذ سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال لقد علمتُ يا أبا الدرداء أنهن تحتين الخطايا كما تحات ورق الشجر .

وفيه قال خرج أبو الوليد الأزرقى فى أخبار مكة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حج آدم صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعاً فلقيته الملائكة فى الطواف فقالوا بر حجك يا آدم أما إنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام . قال فما كنتم تقولون فى الطواف قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال فزادت الملائكة فيها ذلك ثم حج إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت . فلقيته الملائكة فى الطواف فسلموا عليه فقال لهم ماذا كنتم تقولون فى طوافكم قالوا كنا نقول قبل أبيك آدم عليه السلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه بذلك فقال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله قال إبراهيم زيدوا فيها « العلى العظيم » قال ففعلت الملائكة ذلك .

وفيه قال روى ابن وهب فى جامعه عن ابن لهيعة عن خالد بن زيد عن أبى هلال القرظى أن المطر قحط على بنى إسرائيل فأتوا عيسى ابن مريم فقالوا ادع لنا فقال لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم اغفر لنا وارحمنا واهدنا وانصرنا وارزقنا ثم سكت فقالوا ياروح الله ادع لنا . قال وما تركت من الخير شيئاً .

وفى المهذب عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول من طاف بالبيت سبعاً لم يتكلم فيها إلا بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات .

وقال صلى الله عليه وسلم أما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أُحُد عملا قالوا يارسول الله من يستطيع ذلك قال كلكم يستطيعه . قالوا يارسول الله فهو ماذا قال سبحان الله أعظم من أحد ولا إله إلا الله أعظم من أحد والحمد لله أعظم من أحد والله أكبر أعظم من أحد .

وقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله مائة مرة تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل والحمد لله مائة تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة محملا عليها فى سبيل الله والله أكبر مائة تعدل مائة بدنة مقلدة متقبلة تنحر بمكة ولا إله إلا الله تملأ مابين السماء والأرض .

وقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ لخمس ما أثقلهن فى الميزان لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسب به عند الله .

وقال صلى الله عليه وسلم « هن أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » .

وقال صلى الله عليه وسلم « ماعلى الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » رواه النسائى عن عبد الله بن عمر .

وقال صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل : ماهن يارسول الله قال التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » رواه أبو سعيد الخدرى .

وقال صلى الله عليه وسلم « من ظن بالمال أن ينفقه وهاب الليل أن يكابده وخاف العدو أن يجاهده فليكثر من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن متقدمات ومجنبات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات » .

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه بينما رجل رأى فى المنام أن منادياً

دى من ... يا أيها الناس خذوا سلاح فزعكم فعمد الناس فأخذوا السلاح
ى أن ال ... ليجىء وما معه إلا عصا إذ نادى من السماء ليس هذا سلاح
عكم فقال ... ل من أهل الأرض وما سلاح فزعنا قال لا إله إلا الله وسبحان
والله أ ... والحمد لله .

ورو ... غوى عن سعيد بن جبير أنه قال إذا كنت فى القتال وضرب
اس بعض ... بعضاً فقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واذكر
فتلك ... ك .

وقال ... هم كنا نجالس عثمان البتى فلما مات رأيته فى المنام قلت كيف
بت ما ... نيه . قال باطل لم أجد خيراً من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا
والله أ ... .

ورأى ... ض المشائخ الخليل بن أحمد فقال ماحالك فقال لم أجد شيئاً فى
خرة أن ... ن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وفى
اية قال ... بن نصر رأيت الخليل بن أحمد فى المنام فقلت مافعل الله بك قال
لى فقل ... م نجوت قال بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . قلت كيف
بدت عل ... أعنى العروض والأدب والشعر قال وجدته هباء منثوراً .

وكان ... ن السلف إذا سمع السائل يقول من يقرض الله قرضاً حسناً . قال
بحان الله ... لحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا القرض الحسن .

(قوله ... اعلم أن هذا القائل من السلف إنما هو من الفقراء المعذرين
شار إليه ... قوله تعالى : ﴿ ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج إذا
نصحوا لله ... سوله ﴾ الآية .

وكان ... لف الصالح أهل محافظة على إعطاء السائل ولو لم يجدوا الشىء
ليل حذ ... ن وعيد قوله تعالى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ﴾
وله صلى ... عليه وسلم : « لو صدق السائل ما أفلح من رده » حتى كان

بعضهم إذا سأله السائل ولم يجد ما يعطيه خرج بالإبرة وفيها خيط ويقول للسائل هل فى ثوبك من غيار[١] فأخيطه كل ذلك حذراً من رده ، وكان بعضهم يترك السؤال للناس مع صدق اضطراره فقيل له فى ذلك فقال أخاف أن يردونى فلا يفلحوا للحديث المذكور .

وكانوا إذا سألهم السائل يعطونه العطايا بأيديهم لا بوكيل . وأما الغنى فالمقصود منه الانفاق والتصدق وهو أفضل من التسبيح ، والفقير ينوب منه التسبيح وغيره من الأذكار مناب الصدقة من الغنىّ فافهم أسرار الشريعة والله أعلم .

وقد تقدمت الإشارة فى فصل السبع الفوائد وهو الفصل الرابع[٢] فى مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب فراجعه إن شئت والله الموفق للصواب .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرج ابن وهب موقوفاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قام من الليل فتوضأ ثم كبر الله عشراً وسبّحه عشراً وحمده عشراً ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم فأحسن لم يسأل الله شيئاً من خيرى الدنيا والآخرة إلا آتاه ولا يقضى فى تلك الساعة للمتهاجرين بشىء .

وفيه قال روينا عن أبى نعيم فى كتاب حلية الأولياء بسنده عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أنه حدث وهو يطوف بالكعبة أن العبد إذا قال سبحان الله فهى صلاة الخلائق وإذا قال الحمد لله فهى كلمة الشكر التى لم يشكر الله عبده قط حتى يقولها وإذا قال لا إله إلا الله فهى كلمة الإخلاص التى لا يقبل الله تعالى من عبده قط عملا حتى يقولها وإذا قال الله أكبر ملأ ما بين السماء والأرض وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الله تعالى أسلم واستسلم .

وفيه روى ابن وهب فى جامعه عن الربيع بن خيثم أنه قال أقلوا الكلام

---

(١) كذا فى الأصل (٢) راجع ص ٨٥ من الجزء الأول وما يليها

الا من تسع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسألة الخير والاستعاذة من الشر.

وفيه عن الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض الجنة قال: «المساجد» قلت وما الرتع يا رسول الله قال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وفيه قال خرّج الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ غصن شوك فنفضه فلم ينتفض ثم نفضه فلم ينتفض ثم نفضه فانتفض ثم قال إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الذنوب كما ينفض الشجر الورق.

وعن أنس رضى الله عنه قال جاء اعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمنى خيراً فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال فعقد الأعرابى على يده ومضى فتفكر ثم رجع فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال تفكر البائس فجاء فقال يا رسول الله صلى الله عليك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذه لله تعالى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اعرابى إذا قلت سبحان الله قال الله صدقت وإذا قلت الحمد لله قال الله صدقت وإذا قلت لا إله إلا الله قال الله صدقت وإذا قلت الله أكبر قال الله صدقت وإذا قلت اللهم اغفر لى قال الله فعلت وإذا قلت اللهم ارحمنى قال الله فعلت وإذا قلت اللهم ارزقنى قال قد فعلت. قال فعقد الاعرابى على سبع فى يده ثم ولّى.

وعن ثابت البنانى أن رجلا أعتق أربع رقاب فى الرحبة فقال رجل آخر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيبا السلمى وأصحابه فقال ما تقولون فى رجل أعتق أربع رقاب فقال آخر اللهم إن هذا أعتق

أربع رقاب وإنى أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأيهما أفضل فنظروا هُنَيَّةً فقالوا مانعلم شيئاً أفضل من ذكر الله عز وجل، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ألا أخبركم عن وصية نوح ابنه حين حضره الموت قال إنى واهب لك أربع كلمات هن قيام السموات والأرض هن أول كلمات دخولا على الله وآخر كلمات خروجاً من عنده ولو وزنت بهن أعمال بنى آدم لوزنتها فاعمل بهن واستمسك حتى تلقانى أن تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والذى نفس نوح بيده لو أن السموات والأرض وما فيهن وما تحتهن وُزِنَّ بهؤلاء الكلمات لوزنتهن .

وفى كتاب الحقائق الواضحات قال خرج الترمذى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حج مائة حجة . ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حمل على مائة فرس فى سبيل الله أوقال غزا مائة غزوة ، ومن هلَّل مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل . ومن كبر الله مائه بالغداة ومائة بالعشى لم يأت فى ذلك اليوم أكثر مما أتى به إلا من قال مثل ماقال أو زاد على ماقال ، وخرج النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة ومن قال الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها . ومن قال الله أكبر مائة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من عتق مائة رقبة ومن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يجىء أحد يوم القيامة بعمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال سبحان الله نصف الميزان والحمد لله ملء الميزان والله أكبر ملء السموات والأرض ولا إله إلا الله ليس دونها حجاب ولا ستر حتى تخلص إلى ربها رواه خالد بن سعد بسنده عن أبي هريرة .

وفيه قال خرّج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، وفيه قال قال العقيلي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد المسلم ما تعارّ (استيقظ) من الليل على فراشه فقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر اللهم اغفر لي إلاّ غفر الله له .

وفيه قال خرّج ابن وهب في جامعه عن كعب قال إن الله اختار من البلاد فاختار مكة وإن الله اختار من الشهور فاختار الأشهر الحرم وإن الله اختار من الأشهر الحرم فاختار ذي الحجة وإن الله اختار من ذي الحجة فاختار العشر الأول وإن الله اختار من الأيام فاختار يوم الجمعة : وإن الله اختار من الليالي فاختار ليلة القدر وإن الله اختار من ساعات الليل والنهار فاختار ساعات الصلوات وان الله اختار من الكلام فاختار أربعاً لله اكبر وسبحان الله ولا اله الا لله والحمد لله فمن قال الله أكبر فذلك جلال الله كتب له بها عشرون حسنة ومحيت عنه بها عشرون سيئة ومن قال سبحان الله . فإن الله حين فرغ من الخلق فاستوى على الكرسي سبحه فمن قال سبحان الله كتب له بها عشرون حسنة ومحيت عنه بها عشرون سيئة . ومن قال لا إله إلا الله فتلك كلمة الاخلاص كتب له بها عشرون حسنة ومحيت عنه بها عشرون سيئة . ومن قال الحمد لله فذلك ثناء على الله كتب له بها ثلاثون حسنة ومحيت عنه بها ثلاثون سيئة . وفيه قال خرج ابن أبي شيبة في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه الحاجة فقال ألا أدلك على خير من ذلك ، تهللين الله ثلاثا

وثلاثين عند منامك وتسبحينه ثلاثاً وثلاثين وتحمدينه أربعاً وثلاثين قال تلك مائة خير من الدنيا ومافيها .

وروى الأستاذ أبو اسحاق الثعلبي رضي الله عنه بسنده في تفسير قوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء إسرافيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله عدد ماعلم وزنة ماعلم وملء ماعلم من قالها كتب الله له ست خصال ، كتب من الذاكرين الله كثيراً ، وكان أفضل من ذكر في الليل والنهار ، وكان له غرس في الجنة ، وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحات ورق الشجرة اليابسة ، وينظر الله عز وجل إليه ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه .

تفسير مقاليد السموات والأرض

وروى أيضا بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير هذه الآية (له مقاليد السموات والأرض) فقال ياعثمان ماسألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولاحول ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها إذا أصبح وأمسى عشر مرات أعطاه الله ست خصال أما أولها فيحرس من ابليس وجنوده . والثانية يحضره اثنا عشر ألف ملك والثالثة يعطى قنطاراً من الأجر ، والرابعة ترفع له درجة . والخامسة يزوجه الله من الحور العين . والسادسة يكون له من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزبور وله أيضا من الأجر كمن حج واعتمر وقبلت حجته وعمرته فإن مات من ليلته مات شهيداً :

وروى بسنده أيضاً عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال ياعلى سألت عظيما المقاليد هى أن تقول عشراً إذا أصبحت وعشراً إذا أمسيت لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمدلله واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير من قالها عشراً إذا أصبح وعشراً إذا أمسى أعطاه الله خصالا ستا أولهن يحرسه من إبليس وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان . والثانية يعطى قنطاراً فى الجنة أثقل فى ميزانه من جبل أحد : والثالثة يرفعه الله تعالى درجة لاينالها إلا الأبرار . والرابعة يزوجه الله تعالى من الحور العين . والخامسة يشهده اثنا عشر ألف ملك يكتبونها فى رق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة . والسادسة كمن قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره مات شهيداً أو يطبع بطابع الشهداء فهذا تفسير المقاليد . وزاد فى قوت القلوب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

تسبيحات أبى المعتمر وفضلها

وهذه تسبيحات أبى المعتمر وهو سليمان التيمى فقد روى من فضلها أن يونس بن عبيد رأى رجلا قد قتل شهيداً ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت من الأعمال قال رأيت تسبيحات أبى المعتمر من الله بمكان .

وقال المعتمر بن سليمان رأيت عبد الملك بن جابر بعد موته فى النوم فقلت له ماصنعت قال خيراً قلت ترجو للخطايا شيئاً قال تعلموا تسبيحات أبى المعتمر فإنها نعم الشىء وهى هذه (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ماخلق وعدد ماهو خالق وزنة ماخلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك

وأضعاف ذلك وعدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى وإذا رضى وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة ويوم من الأيام وليلة من الليالى وساعة من الساعات ونسم ونفس من الأنفاس من الأبد إلى الأبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره) .

صلاة الحاجة

﴿ فائدة ﴾ نقل الشيخ أبو الخير اليمنى الشرجى فى فوائده عن محمد بن درستويه قال رأيت فى كتاب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى بخطه صلاة الحاجة لألف حاجة علمها الخضر لبعض العباد يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى الفاتحة وقل يا أيها الكافرون عشر مرات . وفى الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد عشرة مرة ثم يسجد بعد السلام ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى سجوده عشر مرات ويقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عشر مرات ويقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عشر مرات ثم يسأل الله حاجته تقضى إن شاء الله تعالى .

وقال الشيخ أبو القاسم الحكيم بعثت إلى بعض العباد رسولا ليعلمنى هذه الصلاة فعلمنيها وسألت من الله الحكمة فأعطانيها وقضى لى ألف حاجة . قال الحكيم فمن أراد أن يصليها يغتسل ليلة الجمعة ويلبس ثيابا طاهرة ويصليها عند السحر وينوى بها قضاء الحاجة تقضى إن شاء الله .

قال الشرجى وهذه صلاة الحاجة أيضاً منقولة من كتاب أدب الفقراء للشيخ أبى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى يتوضأ لها وضوءا جديداً ثم يصلى أربع ركعات بتشهدين وسلامين يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ربنا آتنا من لدنك

رحمة الآية عشراً . وفى الثانية بعد الفاتحة رب اشرح لى صدرى الآية عشراً . وفى الثالثة بعد الفاتحة فستذكرون ما أقول لكم عشراً . وفى الرابعة بعد الفاتحة ربنا أتمم لنا نورنا الآية عشراً ثم يسجد بعد الفراغ ويقول فى سجوده لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين إحدى وأربعين مرة ثم يسأل حاجته تقضى بإذن الله .

﴿ فائدة ﴾ أخرى قال بعضهم إذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند الفراغ من القراءة بسم الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب أو يكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين .

صلاة التسبيح

﴿ تنبيه ﴾ وقد خصت الباقيات الصالحات لشرفها وعظيم فضلها بالصلاة المشهورة بصلاة التسبيح وهى هذه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة قلت وأنت قائم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشراً وأنت راكع ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، إن استطعت ان تصليها فى كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففى كل جمعة فإن لم تفعل ففى كل شهر فإن لم تفعل ففى كل سنة فإن لم تفعل ففى عمرك مرة .

وقال أبو طالب المكى حدثت عن أبى داود السجستانى أنه قال ليس فى صلاة التسبيح يصح حديث أصح من هذا فذكر فى هذه الرواية أنه يسبح فى القيام خمس عشرة مرة بعد الفراغ من القراءة وأن يسبح عشراً بعد السجدة الثانية فى الركعة الأولى قبل القيام لأنه يجلس جلسة قبل ان ينهض وفى الركعة الثانية كذلك قبل التشهد قال وروينا فى الحديث الآخر انه كان يفتتح الصلاة فيتوجه فيقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة ثم يقرأ الحمد لله وسورة ثم يسبح عشراً ثم يركع فتكون له فى قيامه خمس وعشرون تسبيحة ولا يسبح بعد السجود فى الجلسة بين الركعتين ولا فى جلسة التشهد شيئاً .

قال وهذه الرواية أحب الوجهين إلى وهو اختيار عبدالله بن المبارك .

وقال الغزالى فى الإحياء ويستحب أن يزيد ولا حول ولا قوة إلا بالله فقد وردت فى بعض الروايات .

وروى أبو عيسى الترمذى فى كتابه الجامع عن أبى رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس ياعم ألا أصلك ألا أحبوك ألا أنفعك ، قال بلى يا رسول الله قال صلِّ أربع ركعات واقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة فإذا انقضت القراءة فقل الله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع ثم اركع فقلها عشراً قبل أن ترفع رأسك ثم ارفع رأسك فقلها عشراً قبل أن تسجد ، ثم اسجد فقلها عشراً قبل أن ترفع رأسك ثم ارفع رأسك فقلها عشراً قبل أن تسجد ثم اسجد فقلها عشراً قبل أن ترفع رأسك ثم ارفع رأسك فقلها عشراً قبل أن تقوم فتلك خمس وسبعون فى كل ركعة وهى ثلاثمائة فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج لغفرها الله لك . قال يا رسول الله ومن لم يستطع يقولها فى كل يوم قال فإن لم تستطع فقلها فى كل جمعة فإن لم تستطع فقلها فى كل شهر فلم يزل يقولها له حتى

قال قلها فى كل سنة . وقد وردت الأخبار بفضلها وأن من صلاها غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال بعض العلماء هى صلاة مجربة لقضاء الحوائج المهمة . وقال بعضهم إذا صليت ليلاً كان الذى ينبغى أن تصلى بتحرمين وتشهدين وتسليمين بعد ركعتين وإن صليت نهاراً فبتحرم واحد أربع ركعات جملة واحدة .

قال سيدنا عبد الله الحداد فى النصائح له ولا ينبغى المتمسك أن يدع صلاة التسبيح فى كل أسبوع أو فى كل شهر وذلك أقله والله أعلم .

وقال أيضا قال العلماء ويأتى بأذكار الركوع والاعتدال والجلوس قبل التسبيحات ومن نسى التسبيحات أو بعضها فى ركن أتى بها فى الذى بعده .

وروى ابن أبى الدنيا عن أبى الجوزاء قال حدثنى ابن عباس رضى الله عنهما قال مامن رجل يصلى هذه الأربع الركعات ثم كانت ذنوبه مثل زبد البحر إلا غفرت ذنوبه قلت ومازبد البحر قال إن هذا الخلق أحاط بهم بحر فقلت ومابعد البحر قال هواء قلت ومابعد الهواء قال بحر أحاط بهذا البحر والهواء والبحر الداخل إلى سبعة أبحر والثامن هو قلت وما بعد الثامن . قال انتهى الأمر لوأن رجلا صلى هذه الأربع الركعات ثم كانت ذنوبه مثل عدد زبد البحور السبعة ومافى ذلك الهواء من شجرة أو ورقة أو حصى أو ثرى إلا انصرف مغفوراً له .

﴿ فائدة ﴾ قال البغوى رحمه الله تعالى فى فتاويه لو نسى تسبيح الركوع فتذكره بعد الرفع لايعيد فى الاعتدال بل يقتصر على تسبيح الاعتدال فقط لأنه ركن قصير ولايزيد فى قدره على ماوردت به السنة ويقضيه فى سجوده لأن تطويل السجود مستحب وليس فى قضائه ترك سنة أخرى كما قال الشافعى رحمه الله لوترك سورة الجمعة فى الركعة الأولى قضاها مع سورة المنافقين فى الثانية قال

وإذا جلس بعد التسبيح فى الركعة الأولى يقعد مكبراً فإذا سبَّح يقوم غير مكبر إذ لم ترد السنة بخلافه لأنه ليس محل التكبير ولا يكبر بعد الرفع من السجود إلى القيام الاواحدة قال ويحتمل أن يقال يكبر لأن هذا القعود التحق بسائر قعدات الصلاة فى التطويل والتسبيح فيلحق بها فى التكبير .

الدعاء بعد صلاة التسبيح

هذا الدعاء يقال فى آخر صلاة التسبيح قبل السلام بعد تمام التشهد وهو (اللهم إنى أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجِد أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان اهل العلم حتى أخافك ، اللهم إنى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا استحق به رضاك وحتى أناصحك بالتوبة خوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حبالك وحتى أتوكل عليك فى الأمور بحسن الظن بك سبحان خالق النور) ثم يسلم .

ورد المسبعات العاشر وفضله

﴿ تنبيه آخر ﴾ فيه هدية جليلة . وفائدة جميلة . أحببت إيرادها هنا . وهى ورد المسبعات العشر لورود الباقيات الصالحات فيها ولما فيها من جزيل الفضائل الآجلة والعاجلة لئلا يخلو منها هذا المؤلف . وهى التى أهداها الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمى رحمه الله وأوصاه أن يقولها غدواً وعشياً فقد استكمل له بها الفضيلة وجمع له ثواب جملة من الأدعية المأثورة كما أشار إلى ذلك حجة الإسلام فى الإحياء فنوردها أولا ثم نورد الحكاية الدالة على عظيم فضلها إن شاء الله وهى أن تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الأرض وقبل الغروب : سورة الفاتحة . وقل أعوذ برب الناس . وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد . وقل يا أيها الكافرون . وآية الكرسى . كل واحدة سبع

مرات . وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعاً . وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعاً . وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعاً . وتقول اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم سبع مرات . وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية انتهى .

وأما الحكاية الواردة فى ذكر ثوابها فقد قال حجة الإسلام الغزالى : روى عن كُرز بن وبرة وكان من الأبدال قال : أتانى أخ لى من أهل الشام فأهدى إلى هدية وقال : يا كرز اقبل منى هذه الهدية فانها نعمت الهدية ، فقلت : يا أخى من أهدى إليك هذه الهدية ؟ قال : أعطانيها إبراهيم التيمى ، قلت : أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه ؟ قال : بلى سألته ! فقال : كنت جالساً فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد فجاءنى رجل وسلم على وجلس عن يمينى ، فلم أر فى زمانى أحسن منه وجهاً ولا أحسن منه ثياباً ، ولا أشد بياضاً ولا أطيب رائحة منه فقلت : يا عبد الله من أنت ومن أين جئت ؟ فقال : أنا الخضر ! فقلت : فى أى شىء ؟ فقال : جئتك للسلام عليك وحباً لك فى الله تعالى وعندى هدية أريد أن أهديها إليك ، قلت : وما هذه الهدية ؟ فقال : هى أن تقرأ المسبعات (يعنى المذكورة أولا كما تقدم) ، فقلت : أحب ان تخبرنى من أعطاك هذه الهدية ؟ فقال : أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أخبرنى بثواب ذلك ؟ فقال : إذا لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ثواب ذلك . فإنه يخبرك بذلك . فذكر إبراهيم التيمى أنه رأى ذات ليلة فى منامه كأنَّ الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رأى فى الجنة قال : فسألت الملائكة لمن هذا كله ؟ فقالوا : لمن يعمل بمثل عملك . وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها .

قال : فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من

الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلمَ عليَّ وأخذ بيدى فقلت :
يا رسول الله إن الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث ! فقال : صدق
الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من
جنود الله فى الأرض . فقلت : يا رسول الله ! من فعل هذا أو عمله ولم ير مثل
الذى رأيت فى المنام هل يعطى شيئاً مما أعطيته ؟ فقال : والذى بعثنى بالحق نبياً
إنه ليعطى العامل بها وإن لم يرنى ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها
ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئاً من
السيئات إلى سنة ، والذى بعثنى بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله
سعيداً . ولا يتركه إلا من خلقه الله شقياً . وكان إبراهيم التيمى قد مكث أربعة
أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا ، انتهى ما أورده الإمام
حجة الإسلام .

عود إلى الكلام فى الباقيات الصالحات

ونرجع إلى ما نحن بصدده من تكملة ذكر فضائل الباقيات الصالحات .
من الأخبار والآثار الواضحات . فقد نقل الإمام حجة الإسلام فى كتاب مدح
الفقر والزهد ، قال : وروى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك قال : بعث الفقراء
رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنى رسول الفقراء إليك ،
فقال : مرحباً بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم ، قال :
قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ، ويعتمرون
ولا نقدر عليه ، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال النبى صلى
الله عليه وسلم : بلغ عنى الفقراء لمن احتسب وصبر منكم ثلاث خصال ليست
للأغنياء : أما خصلة واحدة فإن فى الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر
أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن

فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام .. والثالثة إذا قال الفقير : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير وإن أنفق معها عشرة آلاف درهم ، فكذلك أعمال البر كلها . فرجع الرسول فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : رضينا رضينا .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها ، رواه أنس .

وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم : من قال حين يستيقظ : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم دعا استجيب له ، فإن قام وصلى قبلت صلاته ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾ اسم الله تعالى (الكبير) من دوام على قراءته كان كبيراً عند الناس معظما بين الأنام .

قال سيدى الشيخ أحمد زروق إسمه (الكبير) خاصيته وقوع الأمن بين ذوى الأنساب والقرابة فليقرأه من خاف غابة قريبه كل يوم قبل طلوع الشمس وبعد الغروب سبعين مرة فإن الله يؤمنه قبل الأسبوع ويكون المبدأ به يوم الخميس والله أعلم .

تفسير حجة الاسلام للباقيات الصالحات

قال الإمام حجة الإسلام . ومن أفضل الذكر قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لأن قولك سبحان الله للتقديس وهو حقيقى فى حقه فإن القدس الحقيقى لا يتصور إلا له تعالى ، وقولك الحمد لله يشعر باضافة النعم كلها إليه وهو حقيقى إذ هو المنفرد بالأفعال كلها تفرداً حقيقياً بلا تأويل وهو مستوجب للحمد وحده إذ لا شركة لأحد معه فى فعله أصلا البتة كما لا شركة

لتقلم مع الكاتب فى استحقاق المحمدة عند حسن الخط ، وقال أعلم أن كل ماسواه ممن ترى منه نعمة فهو المسخر له كالقلم وهذا مثال ينبهك على تفرده تعالى باستحقاق الحمد ، وقولك لا إله إلا الله وقد عرفته أنه للتوحيد الحقيقى ، وقولك الله أكبر فليس المعنى أنه أكبر من غيره إذ ليس معه غيره حتى يقال إنه أكبر منه بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية . حتى يقال إنها أكبر منه بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس ويدرك جلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره بل أكبر من أن يعرفه غيره فإنه لا يعرف الله إلا الله وأن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أنه تستحيل منهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك بكماله أيضاً إلا نبى أو صديق . أما النبى فيعبر عنه فيقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وأما الصديق فيقول العجز عن درك الادراك ادراك . قال وإن تشوفت إلى زيادة تحقيق فى هذا المعنى واستنكرت قولى لا يعرف الله إلا الله فاطلب معرفة حقيقة البرهان من كتاب المقصد الأسنى فى معانى أسماء الله الحسنى ويكفيك الآن هذا القدر من الرموز إلى أسرار الذكر انتهى ما ذكره الإمام نفع الله به .

فصل

فيما اندرج تحت الباقيات الصالحات من أنواع الذكر

اعلم أن الباقيات الصالحات قد جمعت أربعة أنواع من الذكر وهى التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقد أشارت إلى ذلك آية واحدة من كتاب الله تعالى وهى قوله عز وجل (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) فتفهم معناها لتعلم أن الحمد فيها صريح . وقوله لم يتخذ ولداً إشارة إلى التسبيح . وقوله ولم يكن له شريك فى الملك إشارة إلى التهليل صحيح . وأما التكبير فصريح . وقد تقدمت

الإشارة إلى ذكر شيء من معانى التسبيح وشيء من فضائله عند قوله « سبحان الله عز الله وسبحان الله وبحمده » ونذكر هنا فضيلة الحمد ومعناه . وأما التهليل فسيأتى بيان فضيلته وشرحه عند قوله . لا إله إلا الله .

فضيلة الحمد والشكر

أما الآيات فقد قال الله تعالى فى أول فاتحة كتابه العزيز (الحمد لله رب العالمين) وقال (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) وقال تعالى (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة) وقال تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض) وقال تعالى (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) وقال تعالى (فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) وقال تعالى (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) وقال تعالى (الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) . وقال (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) وقال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال تعالى (وقليل من عبادى الشكور) وقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم) الآية

وأما الأخبار فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع . وفى رواية بحمد الله فهو أقطع . وفى رواية بالحمد فهو أقطع . وفى رواية كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم . وقد تقدم أنه روى كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع . قال الإمام النووى ورويناهذه الألفاظ كلها فى كتاب الأربعين للحافظ عبد القادر الرهاوى قال وهو حديث حسن ، ومعنى ذى بال أى له حال يهتم به . ومعنى أقطع أى ناقص قليل البركة وأجذم بمعناه وهو بالذال المعجمة .

وفى كتاب الترمذى ونقله النووى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكته قبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول عز وجل قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول فماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد قال النووى قال الترمذى حديث حسن .

وعن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعوّاده فإن هو إذا جاؤه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى علىّ إن توفيته أن أدخله الجنة . وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته أخرجه مالك .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه أخرجه الشيخان والترمذى .

وفى كتاب الأذكار عن أبى نصر التمار عن محمد بن النضر قال : قال آدم صلى الله عليه وسلم يارب شغلتنى بكسب يدى فعلمنى شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح فأوحى الله إليه يا آدم إذا أصبحت فقل ثلاثاً وإذا أمسيت فقل ثلاثاً الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده . فذلك مجامع الحمد والتسبيح .

وقال الإمام النووى أيضاً فى الأذكار اعلم أن الحمد لله مستحب فى ابتداء كل أمر ذى بال فيستحب بعد الفراغ من الطعام والشراب والعطاس وعند خطبة المرأة وهو طلب زواجها وكذا عند النكاح . وبعد الخروج من الخلاء ويستحب على حصول نعمة واندفاع مكروه . وفى ابتدا الكتب المصنفة وكذا ابتداء درس المدرسين وقراءة الطالبين سواء قرأ حديثاً أو فقهاً أو غيرهما . وأحسن العبارات

في ذلك الحمد لله رب العالمين أنتهى كلام النووى .

وخرج ابن أبي شيبة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التأنى من الله والعجلة من الشيطان . وما شىء أكثر معاذير من الله وما شىء أحب إلى الله من الحمد . وخرّج بن وضاح عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله اتّزر العزة وتقمّص الحمد وارتدى بالكبرياء فلا تنازعوا الله فى لباسه نقله والذى قبله فى العزة وتقمص كتاب الحقائق .

وقال الإمام النووى فى الأذكار قال المتأخرون من أصحابنا الخراسانيين لو حلف إنسان ليحمدن لله تعالى بمجامع الحمد . ومنهم من قال بأجل التحاميد فطريقه فى بر يمينه أن يقول الحمد لله حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده . قال ومعنى يوافى نعمه أى يلاقيها فتحصل معه ويكافىء بهمزة فى آخره يساوى مزيد نعمه ومعناه يقوم بشكر ما زاد من النعم والإحسان، ثم قال قالوا ولو حلف ليثنين على الله تعالى أحسن الثناء فطريق البر إن يقول لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى إلى آخر ما قاله . وروى الطبرانى من قال الحمد لله مائة مرة كان عدل مائة فرس مسرج ملجم فى سبيل الله .

وقال سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه قلت يوما وأنا فى مفازة فى سياحتى آلهى متى أكون لك عبداً شاكراً فإذا على يقال لى إذا لم تر منعماً عليه غيرك . قلت إلهى كيف لا أرى منعماً عليه غيرى وقد أنعمت على الأنبياء وقد أنعمت على العلماء وقد أنعمت على الملوك . فإذا على يقال لى لولا الأنبياء لما اهتديت . ولولا العلماء لما اقتديت. ولولا الملوك لما أمنت فالكل نعمة منى عليك . فانظر أيها الأخ الصالح إلى هذا الكلام واشكر الله على جميع نعمه التى أسبغها على جميع خلقه قال تعالى (وإن تشكروا يرضه لكم) .

وقد روى أبو داود بإسناد جيد عن عبد الله بن غنّام بالغين المعجمة والنون المشدودة البياضى نسبة إلى قبيلة بياضة من الأنصار الصحابى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد شكر يومه . ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أصبح اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم نعمتك على وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى ، كان حقاً على الله أن يتم نعمته عليه ، رواه ابن السنى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السموات والأرض ، وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السابعة إلى الأرض ، وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى : سل تعطه .

وقال رفاعة بن رافع كنا يوما نصلى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه . فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا .

وقال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله تملأ الميزان .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنعم الله على عبد نعمة وقال الحمد لله إلا كان الذى أعطاه أفضل مما أخذ .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لبعض إخوانه أوصيك بستة أشياء : إن أردت أن تقع فى أحد وتذمه فذم نفسك فإنك لا تعلم أحداً أكثر عيوباً منها . وإن أردت أن تعادى أحداً فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها . وإن أردت أن تحمد أحداً فاحمد الله فليس أحد أكثر منةً عليك وألطف

بك منه . وإن أردت أن تترك شيئا فاترك الدنيا فإنك إن تركتها فإنك محمود. وإلا تركتك وأنت مذموم. وإن أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وإن أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فلست تنالها إلا بأن تطلبها .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : من كان فيه أربع خصال أبدل الله تعالى سيئاته حسنات يوم القيامة . الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق .

ويروى أن الحسن بن على رضى الله عنهما التزم الركن وقال : إلهى نعّمتنى فلم تجدنى شاكراً ، وابتليتنى فلم تجدنى صابراً ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهى ما يكون من الكريم إلا الكرم ولا من الجافى إلا الجفاء .

وقال عون بن عبد الله : الخير الذى لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة . وروى أن نملة قالت لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : يا نبى الله أنا صغيرة على ضعف قدرى أشكر لله منك ، وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنها ساجداً ، ثم قال : لولا انى أجلك لسألتك أن تنزع منى ما أعطيتنى .

وخرّج يحيى بن معين عن أبى أيوب الأنصارى قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول الحمد لله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صاحب الكلمة ؟ فسكت الرجل خشية أن يهجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيء يكرهه ، فقال : من صاحب الكلمة ؟ لم يقل إلا صوابا ، فقال : أنا يا رسول الله قلتها أرجو بها الخير . فقال : والذى نفس محمد بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يبتدرونها أيهم يرفعها إلى الله عز وجل ، نقله صاحب كتاب الحقائق .

وقال صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة وقال الحمد لله إلا وقد

أدّى شكرها ، فإن قالها الثانية جدَّد الله له ثوابها ، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه .

وقال صلى الله عليه وسلم : الحمد لله رأس الشكر ، ما شكر الله عبد إلا بحمده .

وقال صلى الله عليه وسلم : أول من يدخل الجنة الحمادون لله على كل حال .

وقال صلى الله عليه وسلم من لبس ثوبا جديداً فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله عز وجل وفى سبيل الله حياً وميتاً .

وقال صلى الله عليه وسلم من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وفى رواية وما تأخر .

وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل رأى مبتلى فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضّلنى على كثير ممن خلق تفضيلا إلا عافاه الله من ذلك البلاء كائناً ما كان أبداً ما عاش .

قلت فانظر أيها الأخ هذا الحديث وتدبر ما قيل فيه فإنه شفاء ودواء لكل داء من أدواء الدين والبدن ومتى رأيت مبتلى بعلة بدنية أو دينية فقل ما فى الحديث فإنك تسلم منها إن شاء الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها .

وروى أن نوحا عليه السلام كان إذا أكل وشرب قال الحمد لله فسماه الله عبداً شكوراً .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال إذا أوى إلى فراشه الحمدلله الذى كفانى وآوانى الحمدلله الذى أطعمنى وسقانى الحمد لله الذى منّ علىّ فأفضل فأسألك بعزتك أن تنجينى من النار فقد حمد الله تعالى بجميع محامد الخلق كلهم .

وعن سلمان قال مامن عبد يقول حين يصبح بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه إلاّ صرف الله عنه سبعين نوعامن البلاء أدناها الهمُّ .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح الحمد لله ربى لاأشرك به شيئا أشهد أن لا إله إلا الله ظل مغفورا له . ومن قالها حين يمسى بات مغفوراً له .

وروى الإمام البغوى بسنده عن عبدالله بن ضمرة وغيره عن كعب الأحبار قال إنى أجد فى التوراة مكتوبا محمد رسول الله لافظ ولاغليظ ولاصخّاب فى الأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف وعلى كل حال وتذلل ألسنتهم بالتكبير وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه يغسلون فروجهم بالماء ، وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها ، وتراحمهم بينهم تراحم بين الأب والأم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، هم السابقون المقربون الشفعون المشفع بهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لانبى بعده مولده بمكة ومهاجَره بطيبة . وملكه بالشام يأتزرون على أنصافهم ويوضئون

أطرافهم، صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء، مناديهم ينادى فى جو السماء، لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل انتهى ماجاء من صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . أهلِ الحمد .

وقال رجاء بن حيوة بينا نحن بخناصرة إذا نحن بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز فأرشدناها إلى الدار فرأت داراً متهشمة فقالت لخياط هناك استأذن لى على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز. فقال أدخلى وصوتى بها فإنها تأذن لك فدخلت فلما أبصرت ماهنا لك قالت جئت أرُمّ فقرى من بيت الفقراء . وإذا رجل يعمل فى الطين فسألتها عن أمير المؤمنين فقالت هو ذاك يعمل فى الطين فقالت له . يا أمير المؤمنين مات زوجى وترك لى ثمان بنات فبكى عمر، ثم قال لها ماتريدين قالت تفرض لهن قال نفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد الله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها أما إنك لو وليت الحمد أهله لأعمنا هن لك مُرِى السبع فليواسين هذه الثامنة .

﴿ فائدة ﴾ قال جعفر الصادق رضى الله عنه من قرأ الفاتحة أربعين مرة على قدح فيه ماء ورش به وجه المحموم نفعه بإذن الله تعالى، ومن كتب حروفها أى الفاتحة حرفا حرفا مفصلة فى اناء طاهر ومحاه بماء طاهر وسقاه مريضا برأ بإذن الله تعالى ، وينبغى أن يقرأ الفاتحة عند الحجامة سبع مرات فإن ذلك عجيب . قالوا وكثرة قراءة الفاتحة ممايلين القلب ويذهب قساوته ويهيئه لقبول الخير ويسهل عليه العمل به قالوا ويحسن للراغب فى تحصيل الخير أن يقرأ الفاتحة كل يوم ألف مرة وقد تقدم بيان ذلك فى الفصل الثالث من المقدمة من هذا الجزء وذكرنا هناك ورد الغزالى الذى رتبه من قراءة الفاتحة بعد الفرائض فراجعه إن شئت وبالله التوفيق .

وروى البزار بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدخل الجنة الذين يحمدون الله فى السراء والضراء ، وفى كتاب ابن السني وابن ماجه باسناد جيد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى مايحب قال الحمدلله الذى بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى مايكره قال الحمدلله على كل حال نقله النووى فى الأذكار وقال قال الحاكم أبو عبد الله هذا الحديث صحيح الاسناد . وعن عطاء أنه قال الحمد لله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون .

﴿ فائدة ﴾ قال الإمام أبو العباس المرسى لوعلم الشيطان أن ثمَّ طريقا توصل إلى الله تعالى أفضل من الشكر لوقف عليها ألا تراه كيف قال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين. ولم يقل صابرين ولاخائفين ولا راجين .

خاتمة فى الشكر ومعناه ومايتعلق به

قال تعالى على لسان نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس موضوعا مستقرا عنده ورأى مامنَّ الله به عليه من الملك العظيم مع النبوة والحكمة وغير ذلك. (هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم) .

قال العلماء ولا شك أن النعم الواصلة إلى العبد إما أن تكون سببا للشكر وذلك إذا عرف العبد حق الحق جل شأنه وعلم أن النعم مفاضة منه وقام بمايجب فيها له تعالى فيكون شكره لله عائدا إليه بمعنى لئن شكرتم لأزيدنكم ، وإما أن تكون النعمة سببا للكفر بواسطة الجهل بالله عزوجل وعدم المعرفة بوصول النعم منه إليه وعدم قيامه بما يجب عليه فيها . وكفر العبد لايضر بالمولى

جل شأنه لكونه سبحانه غنيا عن العالمين كما قال ذلك فى كتابه المبين انتهى .

قلت ولا تظنن أن الشكر قولك الحمدلله مع التقصير بالحقوق وعدم المواساة. ولا الإسلام قولك لا إله إلا الله بغير قيام بحقها. ولا الاستغفار قولك استغفر الله مع مقارفة الذنوب والاصرار عليها وهكذا فى سائر الأذكار والأعمال والأقوال والأفعال فإن ذلك قليل الجدوى . وقد قال تعالى (كبرُ مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) . وقال تعالى (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية .

وقد كان بشر الحافى رحمه الله يقول من شكر بلسانه دون بقية أعضائه فقد قلَّ شكره . قيل وماشكر الأعضاء فقال شكر العينين أن ترى الخير وتعيه . والشر وتستره قيل فما شكر الأذنين فقال إن سمع خيراً حفظه وإن سمع شرا نسيه قيل فما شكر اليدين فقال أن لاتأخذ بهما ولا تعطى إلا حقا . قيل فما شكر البطن فقال أن تكون ملآنة من العلم والحِكَم قيل فما شكر الفرج فقال أن لا يفعل به إلا ما أبيح له فقط فمن فعل ماقلناه فهو من الشاكرين انتهى .

وقال بعضهم بعد إيراده كلام بشر ففتش نفسك يا أخى هل شكرت ربك كما شكر هؤلاء القوم أم قصرت فى ذلك واستغفر ربك والحمدلله رب العالمين . وقد قيل الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بإن ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجلِّ النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلى مايتناهى وقد قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى نفع الله به .

تبارك من شكرُ الورى عنه يقصر ... لكون أيادى جوده ليس تُحصَر
وشاكرها يحتاج شكراً لشكرها ... كذلك شكر الشكر يحتاج يُشكر

وقال محمود الوراق :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمةً ... علىَّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

فما منهما إلا له فيـه نعمة تضيق بها الأوهام والسر والجهر

وقال عبد الحميد الكاتب لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت .

وقال سيدنا عبد الله الحداد :

وعليك بالصبر فلا تعدل به شيئاً وبالشكر الأتم الأوسع

وقال أحمد بن أبي الحوارى قال لى أبو سليمان الدارانى أتدرى بم أزال العقلاء اللوم عمن أسأ إليهم قلت لا قال لعلمهم بأن الله تعالى هو الذى ابتلاهم بذلك فصبروا .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فما طلته بالإجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شىء به أرحمك .

معنى الحمد والشكر والمدح

واعلم وفقنا الله وإياك لشكره . والاكثار من ذكره أن معنى قولك الحمد لله هو الثناء على المحمود بحميد صفاته على الاطلاق . والشكر الثناء بانعامه خاصة والمدح يشملهما . ونقيض الحمد الذم ، ونقيض الشكر الكفر . وهما متلازمان . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما شكر الله عبد لم يحمده . وفى الحقيقة هما بمعنى واحد . وقد فسر ابن عباس قوله تعالى الحمد لله رب العالمين بالشكر لله تعالى . ويفترقان من حيث وضع اللسان فالشكر فى مقابلة النعم . والحمد يكون فى مقابلة النعم وغيرها . والشكر يكون بالجنان واللسان والاركان . قال الشاعر .

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

والحمد يختص باللسان .

قال موسى عليه السلام كيف شكرك آدم يارب على ماأنعمت عليه فقال علم أن ذلك منى فكان شكراً « فهذا شكر الجنان » .

وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة .

وقال صلى الله عليه وسلم ما شكر الله عبد لم يحمده « فهذا شكر اللسان » .

وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلم تجهد نفسك فى العبادة قال أفلا أكون عبداً شكوراً « فهذا شكر الأركان » .

وقال الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد والذى يتحرر أن الشكر يطلق على القول والفعل جميعاً . قال الله تعالى (أعملوا آل داود شكراً) والحمد يختص بالقول قال الله تعالى (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) وإذا نظرنا إليهما بالنسبة إلى القول خاصة كان الحمد أعم فى هذا المحل لأنه يحمد على الصفات الجميلة وعلى الإحسان الصادر منه .

وقال سعد الدين التفتازانى الحمد هو الثناء باللسان على قصد التعظيم سواء تعلق بالنعمة أو بغيرها والشكر فعل ينبىء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان فمورد الحمد لا يكون إلا اللسان ومتعلقه يكون النعمة وغيرها . ومتعلق الشكر لا يكون إلا النعمة ومورده يكون اللسان وغيره فالحمد أعم من الشكر باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والشكر بالعكس .

وقال الإمام الغزالى فى منهاج العابدين إن الحمد من أشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعى الظاهرة . والشكر من أشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعى الباطنة ولأن الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولأن الحمد أعم وأكثر والشكر أخص وأقل . قال الله تعالى (وقليل من عبادى الشكور)

فثبت أنهما معنيان متميزان اه ، وفى قوله إن الحمد من أشكال التسبيح والتهليل إشارة إلى اختصاصه بالله تعالى كاختصاصهما به بخلاف الشكر والله أعلم .

وقال الشيخ محمد بن عباد فى شرح الحكم الشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح . فشكر القلب أن يعلم أن النعم كلها من الله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له . ويدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ونشرها . قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) .

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذاكروا النعم فإن ذكرها شكر ومن شكر باللسان أيضاً شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم .

وفى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس ، لم يشكر الله تعالى .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس ، وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) فجعل العمل شكراً وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام حتى انتفخت قدماه فقيل يارسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً .

وسأل رجل أبا حازم رضى الله عنه وقال له ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيراً أعلنته وإذا رأيت بهما شراً سترته . قال فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيراً وعيته وإذا سمعت بهما شراً دفنته قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبراً وأعلاه علماً قال فما شكر الفرج قال كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين)

وإن فما شكر الرجلين قال إن رأيت شيئاً غبطته استعملتهما عليه وإن رأيت شيئاً مقته كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله تعالى إلى آخر ما ذكره الشيخ محمد بن عباد فى هذا الباب .

﴿ حكاية عجيبة ﴾ يستدل بها على دوام النعمة للشاكرين وذهابها عن الكافرين . وهى ما حكاه القاضى ابن خلكان فى تاريخه ونقله الدميرى فى كتاب حياة الحيوان وهى أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائباً وكان الرجل مترباً فوقع بينه وبين زوجته فرقة وذهب ماله وتزوجت امرأته فبينما الزوج الثانى يأكل وبين يديه دجاجة مشوية إذ جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثانى بأمره فقال وأنا والله ذلك المسكين خولنى الله تعالى نعمة وسلبه إياها لقلة شكره .

وقد قال إبراهيم الخواص رضى الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان إحداهما الثقة بالله تعالى والأخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا . ولا يكمل الفقر حتى يكون نظر الله تعالى له فى المنع أفضل من نظره له فى العطاء ، وفى بعض الكتب أن الدراج يقول فى صياحه : بالشكر تدوم النعم . قالوا وصوته مقطع على عدد هذه الكلمات .

وروى البيهقى فى الشعب عن صدقة بن يسار انه قال دخل داود عليه السلام فى محرابه فأبصر دودة صغيرة ففكر فى خلقها وقال وما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى وقالت يا داود اتعجبك نفسك وأنا على قدر ما أعطانى الله أذكر لله تعالى وأشكر له منك على ما آتاك الله قال (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) .

وقال الإمام البغوى قيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح فى السر والعلانية وقال الحسن شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) .

وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بعدها . وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر . حكى أن موسى قال إلهى أنعمت على بالنعم السوابغ وأمرتنى بالشكر وإنما شكرى إياك نعمة منك قال الله ياموسى تعلمت العلم الذى لا يفوقه شيء من علم حسبي من عبدى أن يعلم أن ما به من نعمة فهى منى .

فضيلة التكبير

قال الله تعالى (وكبره تكبيرا) وقال تعالى (وربك فكبر) قال المفسرون أى اختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وهو أن تقول الله أكبر ويجوز حمله على تكبير الصلوات .

وقال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

وقال الله تعالى (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) والآيات فى ذلك كثيرة .

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى وكبّر الله مائة مرة تعدل مائة بدنة مجللة مقلدة تهدى إلى بيت الله وفى لفظ أحمد فهو خير من مائة بدنة متقبلة . وعن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مفتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم قال فى المهذب والتكبير هو أن يقول الله أكبر لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدخل به فى الصلاة أى بهذا اللفظ ، وآكد التكبير وأفضله تكبير العيدين الفطر والأضحى لما روى نافع عن عبدالله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج فى العيدين مع الفضل بن العباس وعبدالله بن العباس وعلى وجعفر والحسن والحسين وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة وأيمن بن أم أيمن رافعا صوته بالتكبير والتهليل فيأخذ طريق الحدادين حتى يأتى المصلى نقله فى المهذب .

وفيه عن عمر وعلى رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكبر فى دبر كل صلاة من بعد صلاة الصبح من يوم عرفة إلى ما بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفيه .

وفى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال : سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بُعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد . وإذا رجع قالهن وزاد فيه آيبون تائبون لربنا حامدون هذا لفظ رواية مسلم .

وفيه عن عبد الله بن سرجيس رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول : اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحوَر بعد الكوَر ومن دعوة المظلوم ، الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : إذا كبَّر العبد سترت تكبيرتُه ما بين السماء والأرض من شىء ، رواه البخارى والطبرانى عن أبى الدرداء .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا كانت عظيمةٌ أو هبت ريح عاصفة فعليكم بالتكبير فإنه يجلى العجاج الأسود انتهى .

قال بعض العلماء : وقد جرب ذلك كثيراً فى مواطن الحرب والشدائد فحصل الفرج والنصر من فضل الله تعالى ، وكذلك الحريق يطفى بالتكبير وقد جرب ذلك كثيراً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله أريد أن أسافر فأوصني ، قال : عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرَف ، فلما ولى الرجل قال : اللهم اطوِله البعد وهوِّن عليه السفر ، رواه الترمذى وقال حديث حسن نقله النووى فى رياض الصالحين .

ونقل الإمام النووى أيضاً من صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير .

وعن جعفر الصادق أنه قال : كان أكثر كلام عمر الله أكبر ، نقله الطبرانى .

التكبير فى الآذان والاقامة

واعلم أن التكبير أكبر الأذكار وأكثرها فضائل وله مواضع يختص بها فمن أعظمها فضلا الآذان والإقامة .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : قال أهل اللغة الأذان الاعلام قال الله تعالى ﴿ وأذان من الله ورسوله ﴾ وقال تعالى : ﴿ فأذَّن مؤذن ﴾ ويقال الأذان والتأذين والأذين . قال وقوله فى الحديث كان المسلمون يجتمعون فيتحينون الصلوات ، قال القاضى عياض رحمه الله تعالى معناه يقدرون حينها ليأتوا إليها فيه والحين الوقت من الزمن .

ونقل النووى من صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار ، فسمع رجلا يقول الله أكبر الله أكبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على الفطرة ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرجت من النار ، فنظر فإذا هو راعى معزى . ثم قال النووى : الفطرة الإسلام

ونقل منه قوله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول

ثم صلوا علىّ فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة .

وفى الحديث الآخر إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله ثم قال حىّ على الصلاة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حى على الفلاح فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر فقال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله فقال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة .

وفى الحديث الآخر من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه . ثم قال النووى قال أهل اللغة الوسيلة المنزلة ومعنى حى على كذا تعالوا إليه . والفلاح الفوز والنجاة وإصابة الخير قالوا وليس فى كلام العرب كلمة أجمع للخير من لفظة الفلاح وتقرب منها النصيحة .

كلام القاضى عياض فى فضل الأذان والاقامة

﴿ فائدة ﴾ نقل الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم عن القاضى عياض كلاماً فى معنى الأذان أحببت ذكره هنا لاحتوائه مع اختصاره على الفوائد وتحقيق العقائد . قال معنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ثم قال فى آخره من قلبه دخل الجنة إنما كان كذلك لأن ذلك توحيد وثناء على الله تعالى وانقياد لطاعته وتفويض إليه لقوله لا حول ولا قوة إلا بالله فمن حصّل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان وكمال الإسلام واستحق الجنة بفضل الله تعالى وهذا معنى قوله فى الرواية الأخرى رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً .

ثم قال النووى قال القاضى واعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعيه من العقليات والسمعيات فأوله إثبات الذات وما استحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها وذلك بقوله الله أكبر وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم وهى قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت القواعد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز فى حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى مادعاهم إليه من العبادات فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة لأن معرفة وجوبها من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل. ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء فى النعيم المقيم وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهى آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للاعلام بالشروع فيها وهو متضمن لتأكد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع فى العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلى فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه، قال النووى هذا آخر كلام القاضى رحمه الله تعالى، وهو من النفائس الجليلة وبالله التوفيق.

* * *

ومن فضائل الأذان ما نقله الإمام النووى من صحيح مسلم رحمهما الله قوله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء. قال الراوى هى من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً. وفى رواية

إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال[1] له ضراط حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس . وفى رواية إذا أذن المؤذن ولى الشيطان وله حُصاص[2] وفى رواية أنه إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى التأذين أقبل حتى إذا ثوِّب بالصلاة[3] أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى .

ثم قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم ، وقوله صلى الله عليه وسلم المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة وهو بفتح همزة أعناقاً جمع عنق قد اختلف فى معناه فقيل معناه أكثر الناس تشوفاً إلى رحمة الله لأن المتشوف يطيل عنقه لما يتطلع إليه فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب ، وقال النضر بن شميل إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب ، وقيل معناه أنهم سادة ورؤساء والعرب تصف السادة بطول العنق ، وقيل معناه أكثر أتباعاً ، وقال ابن الاعرابى معناه أكثر الناس أعمالا . قال وقيل إنما يدبر الشيطان إذا سمع الأذان لعظم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شرائع الإسلام وأعلامه . قال والتثويب الإقامة وأصله من ثاب إذا رجع ومقيم الصلاة راجع إلى الدعاء إليها ، ثم قال النووى فى موضع آخر من شرح صحيح مسلم والحكمة فى ابتداء الصلاة بالتكبير افتتاحها بالتنزيه والتعظيم لله تعالى ونعته بصفات الكمال والله اعلم .

معنى التكبير

اعلم أن معنى التكبير هو أن يستشعر العبد ويتحقق فى قلبه بقوله

---

(١) أحال : أى ذهب هاربا .   (٢) حصاص : ضراط وقيل هو شدة العدو .
(٣) ثوب للصلاة : أتم لها كما سيأتى .

الله أكبر انفرادَ الله عز وجل بالكبرياء واختصاصه به تعالى وليس معنى أكبر أن غيره يشاركه فى الكبرياء وهو أكبر منه إذ لا مشارك له فى الكبرياء. وصيغة أفعل قد تأتى ولا يراد بها التفضيل .

ثم قال الإمام الغزالى وقولك الله أكبر ليس المعنى أنه أكبر من غيره إذ ليس معه غيره حتى يقال إنه أكبر منه بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية حتى يقال إنها أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس أو يدرك جلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره بل أكبر من أن يعرفه غيره فإنه لا يعرف الله بالحقيقة إلا الله فإن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أنه يستحيل عليهم معرفته الحقيقية ولا يعرف ذلك أيضاً بكماله إلاَّ نبى أو صديق . أما النبى فيعبر عنه ويقول لا أحصى ثناءعليك أنت كما أثنيت على نفسك . وأما الصديق فيقول العجز عن درك الادراك إدراك اه . وقد تقدم هذا الكلام قريبا بالتمام وإنما أعدناه هنا لمناسبة المقام .

قصة غريبة

نقل الإمام الدميرى عن الفضيل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وهو بالقادسية بأن يوجه نَضلة الأنصارى إلى حلوان العراق ليغزو على ضواحيها فوجه سعد نضلة فى ثلاثمائة فارس فساروا حتى أتوا حلوان العراق فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة عظيمة وسبياً وأقبلوا بذلك حتى أرهقهم العصر وكادت الشمس تغرب فالجأ نضلة السبى والغنيمة إلى سفح جبل ثم قام فأذن فقال الله أكبر الله أكبر فأجابه مجيب كبّرت كبيراً يانضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله فقال هو الذى بشر به عيسى ابن مريم وعلى

رأس أمته تقوم الساعة ، ثم قال حي على الصلاة فقال طوبى لمن سعى إليها وواظب عليها ، ثم قال حي على الفلاح فقال قد أفلح من أجاب داعي الله . ثم قال الله أكبر الله أكبر فقال أخلصت الإخلاص كله يا نضلة حرم الله بها جسدك على النار فلما فرغ من أذانه قام فقال من أنت يرحمك الله أملك أنت أم من الجن أم طائف من عباد الله قد أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فإن الوفد وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله قال رزين بن مرثملا وصي العبد الصالح عيسى ابن مريم أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء فاقرؤا عمر مني السلام وقولو له سددوا وقاربوا فقد دنا الأمر بعلامات الساعة . ومنها أن الكبير لا يرحم الصغير وأنه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك انتهى ملخصاً

﴿ فائدة ﴾ ذكر بعض العلماء أن من رأى الهلال فقال « الله أكبر اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والعافية من كل سوء والرزق الجلل الحسن » نال خير ذلك الشهر وسلم من شره وكذلك « يقول اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير ما فيه وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا الشهر وشر ما فيه وشر ما بعده » .

﴿ فائدة أخرى ﴾ قال الشرحي في فوائده وجدت بخط بعض العلماء أن هذه الكلمات تسمى كلمات العزة وهي لدفع جميع الآفات ، من داوم على قراءتها يرى عجباً من العزة والقبول وهي ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا . سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾ .

﴿ فائدة أخرى ﴾ نقل صاحب كتاب الحقائق من كتاب النسائى عن ابن عمر قال قام رجل خلف النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الكلمة ؟ قال الرجل أنا يانبى الله صلى الله عليك وسلم قال لقد ابتدرهن اثناعشر ملكاً .

وفيه خرّج ابن أبى شيبة فى مسنده من حديث وائل بن حجر قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فدخل داخل فى الصلاة فقال الله أكبر كبيراً وسبحان الله وبحمده كثيراً فرفع نبى الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء ثم أقبل على صلاته حتى إذا فرغ من الصلاة قال من صاحب الكلمة ؟ قال أنا يارسول الله قال لقد فتح الله لها أبواب السماء مانهنها شىء دون العرش ، وخرّج النسائى عن جابر رضى الله عنه قال إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فصعدنا كبّرنا وإذا انحدرنا سبّحنا. وفيه قال خرّج ابن وهب فى جامعه قال حدثنى بن أنعم عن أبى مرحوم أنه كان يقول من قال الله أكبر لا إله إلا الله عتق ربعه من النار فإن زاد أخرى عتق ربعه الثانى فإن زاد الثالثة عتق ربعه الثالث فإن زاد الرابعة عتق كله يومه ذلك حتى يمسى أو ليلته إن قالها حتى يصبح .

الذكر الحادى عشر وشرحه

ثم أتى سيدنا عمر بتكرير الدعاء وتحرير النداء باسم الله الخبير اللطيف الجامع للسر اللطيف والمعنى الشريف الذى به أمان من كل مخيف : فقال رضى الله عنه .

(يالطيفاً بخلقه ياعليماً بخلقه ياخبيراً بخلقه ألطف بنا يالطيف ياعليم ياخبير) « ثلاثاً » .

قال الشيخ على . وينصب يالطيفاً وياعليماً وياخبيراً بخلقه لأنه شبيه بالمضاف

واسمه اللطيف حرز حريز ، وكنز شريف عزيز ، وسر لطيف يحفظ الله به الوجود ويدفع به ما يبرم من العقود وكانوا يوصون بالمواظبة عليه لدفع المعضلات وحل المشكلات ولهذا قيل إن لله فى كل نفس إلى الوجود الخلقى تسعا وتسعين وتسعمائة نظرة من اللطف الخفى ولولا ذلك لا نعدم الوجود لعظمة سلطان التجلى الحقى ولولا لطف اللطيف لما يشاء من عباده لم يهتد إليه أحد من خلقه قال قائلهم إنى تلطفت لأوليائك حتى عرفوك ولو تلطفت لأعدائك لما جحدوك ، وبذلك الاسم أتى ليدل الذاكر الداعى به إلى سبيل النجح والفلاح لحفظه من ملمات المعضلات ويستعطف به لينال المواصلات والوصول إلى مناهج المكاشفات بحقائق معانى الروحيات والملاطفات الخفيات وتنزل التجليات الوصفيات والاسميات والفعليات من سماء القرب العرفانى ؛ ياعليماً بخلقه ياخبيرا بخلقه دعا إليه بعلمه بخلقه وخبرته التى هى أخص من العلم وهى ظهوره فى الأشياء بآثار صفاته وفى الذوات بتجلى أنوار ذاته . وفى الأفعال بلطيف الاختراع وعجيب الابتداع وعز الامتناع انتهى .

* * *

ولنشرع الآن . بذكر ما يسره المنان من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء فى فضائل ومعانى اسم الله اللطيف المنان فنقول .

أما الآيات فقد قال تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقال تعالى (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم) وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) . وقال تعالى (يابنى إنها إن تك

مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتى بها الله إن الله لطيف خبير) وقال تعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً) وقال تعالى (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز) وقال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) قال بعض المشايخ وقد أوصى بعض الصالحين بالمواظبة على قراءة هذه الآيات السبع لما فيها من السر اللطيف .

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تعالى فى كل طرفة تسعين ألف نظرة إلى خلقه . وقال صلى الله عليه وسلم إن الله أرأف بعباده من الأم البرة بولدها الرضيع .

ما قيل فى معنى اللطف واللطيف

قال الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الطوسى فى كتابه الذخيرة وإذا نظر الإنسان إلى وجوده بعد العدم وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ثم أوجده الله تعالى من ماء مهين وشق سمعه وبصره وصور خلقه عرف من ذلك وجود الخالق سبحانه فان حقيقة روحه التى يعبر عنها بلفظ القلب منزهة أن تدخل فى وهم أو خيال وأنها ليس لها مقدار ولا كمية ولا تقبل القسمة . ثم إذا نظر فى تفاصيل أجزائه وأطرافه عرف كمال قدرة الخالق جل جلاله . وفى عجائب الحكم ومنافع الأعضاء شاهد كمال خالقه . وإذا نظر فيما يحتاج إليه لبقائه وحاجته فوجده مخلوقاً معه من غير مسألة ولا علم سابق منه عرف بذلك كمال لطف الله تعالى ورحمته فبذلك يعرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه . فإذاً معرفة نفس الآدمى مفتاح معرفة الله ومرآة لها على هذا الوجه .

وقال الشيخ أبو الخير الأقطع لا تسألوا الله أن يصبركم واسألوه اللطف بكم

لأن تجرع مرارة الصبر شديد لمثلنا . فإن زكريا عليه السلام لما بلغ المنشار لرأسه أن لشدة الوجع فأوحى الله إليه وعزتى وجلالى لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحون أسمك من ديوان النبوة ، وكان الشيخ إبراهيم المتبولى كثير التعبد لا يفتر ليلا ونهاراً وبه مرض الحصى وعسر البول فكان يخر كالثور ويقول يارب لا أسألك تحويل ما قدرته ولكن أسألك اللطف فيه .

وفى كتاب طبقات الصوفية الكبرى للشعرانى قال أبو العباس المرسى اللطف حجاب عن اللطف إذا وقف معه العبد والحق لا يحب أن يأنس عبده إلى غيره وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام نعم العبد الشيخ لولا أنه يسكن إلى نسيم الأسحار ولو أنه عرفنى ما سكن إلى غيرى .

وفى كتاب زهر الأكام أوحى الله إلى بعض أنبيائه أدرك لطف الفطنة وخفى اللطف فإنى أحب ذلك فقال يارب وما لطف الفطنة وما خفىُّ اللطف قال لطف الفطنة هو إن وقعت عليك ذبابة فما فوقها فاعلم أنى أنا الذى أوقعتها عليك فاسألنى أرفعها عنك وأما خفى اللطف فهو إن وردت على قلبك قولة مشوشة فاعلم أنى أنا الذى أوردتها فاسألنى أرفعها عنك .

وأما معنى أسمه اللطيف فهو الذى يسرع بكشف الغمة عند حلول النقمة ويسبغ بابتداء النعمة من غير أن تتوقعها الهمة كذا ذكره القاشانى فى كتاب شرح أسماء الله الحسنى ، وقال فيه أسمه تعالى اللطيف من أسماء صفات الأفعال وصفته اللطف وهو عبارة عن سريان الرحمة بأنواع الإعانة والنعمة من غير انقطاع ولا أمتناع ، وباعتبار آخر اللطيف هو الذى أمتنع إدراكه بالأبصار وتنزه عن المكان فلا يتحيز فى الجهات والأقطار وتعالى عن الحد فلا تعرفه العقول بالفهوم والأفكار وهو مع ذلك أقرب إلى الأشياء من ذواتها وأظهر عليها من صفاتها غاية الإظهار ومع ذلك لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير

لاطف جلاله وغموض باطن علمه وخفائه لاحتجابه عن العيون بحجاب عظمته وعن العقول بحجاب كبريائه وعن القلوب بحجاب نور جماله وشدة نوره وبهائه فلشدة ظهور نور جماله عن الادراك غاب فكان ظهور نور جمال كماله الحجاب وفي هذا المعنى كان ينشد بعض العارفين .

وما أحتجبت إلا برفع خمارها   ومن عجب أن الظهور تستر

ثم قال القاشانى رحمه الله وهذا الاسم اسم صفة إلهية بهذا الاعتبار وصفته اللطف وهو عبارة عن غموض العلم به وعن أمتناع معرفته على الحقيقة للطافتها عن مدارك الفهوم وتنزهها عن مبالغ غايات العلوم أنتهى كلامه .

قال الإمام البيضاوى فى تفسيره اللطيف هو الرفيق بعباده العالم ببواطن الأشياء ، والخبير هو العالم بظواهرها ، فيدرك مالا تدركه الأبصار لأنه الخبير .

وقال الشيخ أحمد بن عمر الأنصارى المرسى كما نقله عنه تلميذه ابن عطاء الله فى لطائف المنن إن لله ملكاً لو وضع قدمه فى الأرض لم يجد أين يضع الثانية ، ثم قال يقول القائل إذا كان ملك يملأ الكون كله فأين يكون الملك الذى يملأ ثلث الكون والملك الذى يملأ ثانى الكون فقال رضى الله عنه جواباً عن ذلك اللطائف لا تتزاحم كمثل سراج أدخلته بيتاً فملأ البيت نوره ولو أتيت بعد ذلك بألف سراج لوسع ذلك البيت أنوارها اه . والله أعلم .

ونقل الإمام البغوى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ قال اللطيف بأوليائه الخبير بهم ، وقيل اللطيف الموصل الشيء باللين والرفق ، وقيل اللطيف الذى ينسى العبادَ ذنوبهم لئلا يخجلوا قال وأصل اللطف دقة النظر فى الأشياء اه .

وقال فى موضع آخر وحقيقة اللطيف هو الذى يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق اهـ .

قصة فيها حكمة

وفى كتاب زهر الكمام عن وهب بن منبه أن نبى الله عُزير عليه السلام لما احتار فى تصاريف الأقدار وخفى عليه لطف الواحد القهار وحكمه بما يجرى على الأخيار من الأشرار وأراد أن يعلم ما فى طىّ ذلك من الأسرار أرسل الله تعالى إليه ملكاً فسلم عليه ثم قال له يا عزير لقد أهمتك الدنيا وأحزنك شأنها أتريد أن تعلم سر قضاء الله تعالى قال نعم قال إن الله عز وجل أرسلنى إليك لأسألك فتخبرنى وأقول لك فتسمع يا عزير أريد أن تصر لى صرة من الشمس أو تكيل لى مكيالاً من النور أو تزن لى مثقالاً من الريح أو ترد لى يوماً من أمس قال ومن يطيق هذا قال من يسأل علما لا يصل إليه علمه ولم يكف النظر فيه ، يا عزير إذا كنت تعجز عن هذا فكيف لو سألتك كم تحت الأرض من ينبوع وكم فيها من مثقال وكم فى البحر من نقطة وكم عدد ما أنزل الله من السماء من قطرة وكم أرواح الموتى وكم حُفر القبور وكم أبواب السماء وكم عمق البحر وأين طريق الجنة ؟ فقال لا علم لى بهذا قال إذا لم تعلمه وأنت تدركه ببصرك وتعرفه بعقلك فكيف تريد أن تعلم علم الله تعالى الذى توحّد به وغيبه الذى حجبه عن خلقه واختاره لنفسه ، ثم قال الملك ياعزير سل الأرض مابالها تطول أشجارها وتخضر أوراقها وتظهر ثمارها فى وقت فإذا بلغت حدها زال ذلك عنها أليس الماء من تحتها يجرى والهواء من فوقها يسرى ؟ ياعزير واسأل البحار مابالها تعلو بأمواجها وتدفق فإذا بلغت حدها ردت بزمام القهر إلى القعر ، أرأيت ياعزير لو اختصم إليك الأرض والبحار فقالت الأرض قد ضقت بجبالى وأشجارى ومافى من خلق ربى وأريد أن أمتد فى البحر فاتسع فيه . وقالت البحار

قد ضقت بأمواجى ومائى وحيتانى ودوابى وأريد أن أمتد فى الأرض واتوسع. ما كنت تقضى بينهما ؟ قال عزير كنت أقول لهما كل منكما جاء بحجة لاتنفعه وإن لـكل واحد منكما حداً هو بالغه ومدة لا يتعداها. فقال الملك نعم ما وصفت وقضيت لغيرك فاقض على نفسك فإن الله قد أجَّل لأهل الدنيا أجلاً هم بالغوه وحداً لابد لهم منه .

حكمة و نصيحة

وفى الجزء الثانى من كتاب طبقات الصوفية للشيخ المناوى قال لقى الشيخ أبو العباس ابن العرانى فى سياحته بعض الأبدال وهو يمشى على البحر فأخذ يذكر له ما الناس عليه من فساد أحوالهم من الملوك والرعايا فغضب البدل وقال ومالك وعباد الله لاتدخلْ بين السيد وعبيده فإن الرحمة والمغفرة هؤلاء أتريد أن تبقى الألوهية معطلة الحكم ، اشتغل بنفسك وليكن نظرك لله تعالى وشغلك به . وقال الأعرابى وقد دخلت على شيخنا هذا [يعنى أبا العباس] وأنا فى مثل هذا خل فى بدايتى وقد تـكدر على وقتى لما أرى الناس فيه من مخالفه الحق فقال لى « عليك بالله » فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا ابن عمران فقال لى « عليك بنفسك » فقلت ياسيدى حرت بينكما أبو العباس يقول عليك بالله . وأنت تقول عليك بنفسك فبكى وقال الذى دلَّك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع وكل منا ذكر مايقتضيه حاله وأرجو الله أن يلحقنى بمقامه . فرجعت إلى أبى العباس وذكرت مقالته . فقال قد أحسن فى قوله هو دالّك على الطريق . وأنا دالك على الرفيق فاعمل بما أقول لك وبما قاله لك يُجمع لك بينهما . وكل من لايصحب الحق فى سفره فليس له سبيل إلى سلامته .

عود إلى الـكلام فى اللطف

وبالجملة فقد قال العلماء بأصول الدين اللطف هو الرأفة والرفق يقال لطف به يلطف كنصر ينصر لطفاً بالضم ، وفى صدر كتاب المحبة والشوق فى الاحياء

قال قال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ، وحبه يدهش العقول فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه ، وفى بعض الكتب أنا وحقك لك محب فبحقى عليك كن لى محبا .

وفى كتاب المحبة أيضا أوحى الله تعالى إلى داود لويعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما تواشوقا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتى ، ياداود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إرادتى فى المقبلين على ، ياداود أحوج مايكون العبد إلى إذا استغنى عنى وأرحم ما أكون بعبدى إذا أدبر عنى وأجل ما يكون عبدى إذا رجع إلى .

وفى اصطلاحهم أيضا اللطف هو خلق الله القدرة على الطاعة لعبده ومقابله عندهم الخذلان والعياذ بالله . وهو خلق الله القدرة على المعصية لعبده فلا يطاع سبحانه إلا بعلمه وإرادته ومحبته وأمره . ولا يعصى إلا بعلمه وإرادته دون محبته وأمره انتهى .

ومما يزيدك إيضاحا فى هذا المعنى وتكميلا لهذا المبنى . ماذكره الإمام ابن حجر فى تحفته . عند قول الأصل باللطف والارشاد قال اللطف هو مايقع به صلاح العبد آخرته ويساويه التوفيق الذى هوخلق قدرة الطاعة فى العبد منطوقاً لامفهوما قال ولعزته لم يذكر فى القرآن إلا مرة فى سورة هود وليس منه (إلا احسانا وتوفيقا) (يوفق الله بينهما) لأنهما من الوفاق الذى هو ضد الخلاف . قال وقد يطلق التوفيق على أخص من ذلك ومن ثم قال المتكلمون اللطف مايحمل المكلف على الطاعة ثم إن حمل على فعل المطلوب سمى توفيقا أو ترك القبيح سمى عصمة قال وصرح أهل السنة فى بحث خلق الأفعال بإن لله لطفا لو فعله بالكفار لآمنوا اختياراً غير أنه لم يفعله وهو فى فعله بالمؤمنين متفضل وفى تركه بالكافرين عادل ، ومن عجيب خفى لطفه تعالى بخاصته من خلقه ماأنزله

تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أهل الاخلاص من أصحابه يوم أحد من الأمنة . وهى النعاس المشار إليه بقوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمَنة نعاسا) قال ابن عباس رضى الله عنهما آمنهن يومئذ بنعاس يغشاهم وإنما ينعس من يأمن . قال طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد فجعل سيفى يسقط من يدى فآخذه فرفعت رأسى يومئذ فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا وهو يميل تحت جحفته من النعاس فهذا خفى لطف الله بالمؤمنين . وأما المنافقون الذين أهمتهم أنفسهم بظن الجاهلية فى ذلك اليوم فلم يدركهم لطف الله فلم ينزل عليهم الأمنة ولا النعاس فبقوا فى الخوف .

ومن ذلك اللطف الخفى بعباده المؤمنين ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله « الشهيد لايجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة فانظر رحمك الله إلى هذا المعنى العجيب من لطف القريب المجيب واسأل الملك اللطف وقل ياللطيف إلى آخر هذا الذكر اهـ .

ومن عجيب خفى لطفه تعالى بعباده ما روى عن على رضى الله عنه قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له الرب يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة فلا تدع على عبادى فإنما أنا من عبدى على ثلاث خلال إما أن يتوب إلى فأتوب عليه . وإما أن أخرج منه نسمة تعبدنى وإما أن يبعث إلى فإن شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته .

حكاية فيها عبرة

ومن ذلك ماحكى أن نبيا من الأنبياء كان يتعبد فى جبل مرتفع وتحته عين ماء تجرى فكان بالنهار يجلس فى أعلى الجبل من حيث لايراه الناس يذكر الله عز وجل وينظر إلى من يرد العين من المسلمين فبينما هو قاعد ينظر إذ بفارس قد أقبل إلى العين فنزل عن فرسه وأزال قرابا كان فى عنقه واستراح وشرب من الماء ثم قام وترك القراب بالمال وكان فيه ألف دينار

فإذا برجل آخر قد أقبل إلى العين فأخذ القراب بالمال وانصرف سالما . فإذا بحطاب يحمل حُزمة حطب ثقيلة على ظهره قد جاء وأنزلها وقعد على العين فغسل وجهه وإذا بالفارس الأول قد أقبل لهفانا فقال للحطاب أين القراب فقال لا أدرى فقال له وكان فيه ألف دينار فقال لا أدرى فضربه الفارس فقتله وسار فقال ذلك النبي يارب هذا واحد أخذ ألف دينار والآخر قتل مظلوماً . فأوحى الله إليه اشتغل بعبادتك فإن تدبير أسرار المملكة ليست من شأنك فإن والد هذا الفارس كان قد غصب ألف دينار من مال والد هذا الرجل الذى أخذ المال والقراب فمكنت الولد من مال أبيه . وأن الحطاب قد قتل والد الفارس فمكنت الولد من القصاص وأنا بخلقى عليم خبير سميع بصير عزيز حكيم فقال النبي لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين لا إله إلا أنت سبحانك علام الغيوب تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ذكر فى كتاب زهرة الأكم وغيره .

ويروى عن قسامة بن زهير رضى الله عنه أنه قال : بلغنى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق . قال : فرفعه الله تعالى حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يعملون . فقال : يا رب دمّر عليهم ، فقال الله تعالى : أنا أرحم بعبادى منك يا إبراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون .

* * *

ومن ذلك ما حكى عن الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه قال : قرأت ليلة من الليالى ﴿ قل أعوذ برب الناس — إلى أن انتهيت إلى قوله — من شر الوسواس ﴾ . وسواس يدخل بينك وبين جنبيك ينسيك ألطافه الحسنة ويذكرك أفعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ، ليعدل بك عن حسن الظن بالله تعالى ورسوله ، إلى سوء الظن بالله عز وجل ورسوله اهـ .

فضل هذا الذكر

ومما يدل على عظيم فضل هذا الدعاء الذى اختاره سيدى عمر فى هذا الراتب ما حكى الإمام اليافعى فى كتابه روض الرياحين عن بعضهم أنه قال : أدركتنا ضائقة وخوف شديد فخرجت هائماً ، فسلكت طريق مكة بلا زاد ولا راحلة فمشيت ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع اشتد بى العطش والحر وخفت على نفسى التلف ولم أجد فى البرية شجرة أستظل بها فوكلت أمرى إلى الله وجلست إلى القبلة ، فنمت وأنا جالس فرأيت شخصاً فى المنام يمد يده إلى وقال : أعطنى يدك ، فمددت يدى إليه فصافحنى وقال : أبشر أنت تسلم وتصل إلى بيت الله الحرام ، وتزور قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فقلت : من أنت يرحمك الله ، فقال لى : أنا الخضر فقلت له ادع لى فقال قل يا لطيفاً بخلقه يا عليما بخلقه يا خبيرا بخلقه ألطف بى يالطيف يا عليم يا خبير « ثلاث مرات » .

فقلت ذلك فقال هذه تحفة فيها غنى الأبد فإذا لحقتك ضائقة أو نزل بك نازل فقلها تكفى وتشفى ثم غاب عنى وإذا أنا أسمع شخصاً ينادى يا شيخ ياشيخ فانتبهت فإذا برجل راكب على راحلة فقال يا هذا أرأيت لى شاباً من صفته كذا وكذا فقلت له ما رأيت أحداً فقال خرج شاب من أهلنا منذ سبعة أيام وأخبرنا أنه توجه إلى الحج . وقال أين تقصد فقلت حيث يشاء الله ، فأناخ راحلته ونزل عنها ومدّ يده إلى جراب فأخرج منه قرصين من الخبز السميذ بالذال المعجمة وهو الحوارى الأبيض وبينهما حلوى وانزل سطيحة مملوءة ماء وقال اشرب فشربت وأكلت قرصاً واحداً اكتفيت به ثم قال لى اركب وركب أمامى وسرنا ليلتين ويوماً والتحقنا بالقافلة وسأل عن الشاب فأخبر أنه فى القافلة وتركنى ومضى ثم أتى بعد ساعة والشاب معه .

وقال : يا ولدى هوّن الله علينا بالاجتماع بك اجتماعى بهذا الرجل ثم ودعتهما

وانصرفت فلحقني رجل بكاغدة فناولني إياها وقبل يدي وانصرف عني فوجدت فيها خمسة دنانير مصرية فاكتريت منها إلى مكة وتزودت ببقيتها وحججت تلك السنة وزرت النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت إلى الخليل عليه السلام ، وكلما أدركتني ضائقة أو نزلت بي نازلة ذكرت الكلمات التي علمني الخضر عليه السلام واعترفت بفضيلته وشكرت الله تعالى على نعمته .

ومما يحسن إيراده هنا ما ذكره الإمام اليافعي أيضاً في كتاب روض الرياحين وهو ما حكى أن بعض الأخيار الأمناء استودعه بعض الملوك جوهرة نفيسة فوضعها في بيته فظفر بها ابن له صغير فضربها بحجر فانفلقت أربع فلق فدخل على ذلك الرجل من الغم والخوف من الملك مالا يطيق فعزم على الهرب فلقيه شخص فقال له أراك محزوناً فذكر له قصته وما أصابه من الضيق والخوف فعلمه هذه الأبيات :

فكم لله من لطف خفي ... يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر ... ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحاً ... وتأتيك المسرة بالعشي
وإذا ضاقت بك الأحوال يوماً ... فثق بالواحد الفرد العلي

وقال له كررها فإن الفرج يأتيك من الله فكررها ساعة أو ساعتين ، فبينما هو كذلك إذ برسول الملك قد جاءه وقال إن سرية الملك حدث بها وجع وقال الحكماء تكسر جوهرة أربع فلق وتطرح في ماء وتشربه والملك يقول لك انظر لنا صانعاً عارفاً يكسر الجوهرة التي عندك أربع فلق لا تزيد ولا تنقص وأكد عليه في ذلك فقال السمع والطاعة فانفرج عنه الكرب والغم وذهب عنه الخوف والهم ، فحمد الله وشكره على ما أولاه من النعم باللطف الخفي ثم حمل تلك الفلق الأربع إلى الملك ، فرأى الملك له صنيعاً في ذلك وإحساناً فأنعم عليه وأحسن إليه فعاد بالجائزة مسروراً آمناً بعد أن كان محزوناً ببركة

سر اسمه اللطيف فسبحان اللطيف الكريم الرحمن الرحيم . الذي يكشف الأحزان والشرور ويعقبها بالاحسان والسرور وسبحانه ما أقرب فرجه من المضطرين . ورحمته من المحسنين تبارك الله رب العالمين .

حكاية أخرى طريفة

ومن ذلك ما حكى صاحب كتاب زهر الاكام عن بعض السادة قال : كنت ملاحا بنيل مصر أغدو من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي فبينما أنا في يوم في الزورق وإذا بشيخ وجهه مشرق قد وقف علي وسلم فرددت عليه السلام فقال أتحملني لله قلت نعم قال وتطعمني لله قلت نعم فركب في الزورق . فغدوت به إلى الجانب الغربي وكان عليه مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد النزول قال إني أريد أحملك أمانة قلت وما هي قال إذا كان غداً عند صلاة الظهر فإنك ستجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى ، فإذا ألهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وادفني بعد الصلاة علي في هذا الرمل وأمسك المرقعة والركوة والعصا فإن جاءك من يطلبها منك فادفعها إليه ثم سار وتعجبت من قوله وبت ليلتي تلك متحيراً وأصبحت أنتظر الوقت الذي قال فلما جاء وقت الظهر نسيت ، قال ثم ألهمت قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديداً عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فيه وحفرت له في الرمل ودفنته بعد الصلاة عليه ثم عدت إلى الجانب الشرقي ليلا ومعي المرقعة والعصا والركوة .

فلما أصبح الصباح وفتح باب البلد إذا بشاب شاطر كنت أعرفه عليه ثياب رفيعة وفي يده أثر الحناء فأتى إلي فقال : أنت فلان قلت نعم قال اعطني الأمانة قلت وما هي قال المرقعة والعصا والركوة قلت ومن دلك عليها ؟

قال : لا أدري !! بت البارحة في عرس فلان وسهرت إلى الصباح فنمت

لاستريح فإذا بشيخ قد وقف على وقال لى : إن الله قد قبض روح فلان الولى وأقامك مقامه فسر إلى فلان المعدى وخذ أسلابه منه فإنه قد أودعها لك عنده . قال فأخرجتها ودفعتها إليه . فأزال أثوابه ولبسها وسار وتركنى فبكيت لما حرمت من ذلك . فلما جن الليل نمت فرأيت رب العزة فى المنام وقال : يا عبدى أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع إلىّ إنما هو فضلى أعطيه من أشاء وأخص برحمتى من أشاء وأنا اللطيف الخبير .

وقال فى كتاب التنوير : أعلم أن الله تعالى تعرَّف إلى آدم بالإيجاد فناداه يا قدير ثم تعرف له بتخصيص الإرادة فناداه يا مريد ثم تعرف له بحكمه لما نهاه عن أكل الشجرة فناداه ياحاكم . ثم قضى عليه بأكلها فناداه ياقاهر . ثم لم يعاجله بالعقوبة إذ أكلها فناداه ياحليم ثم لم يفضحه فى ذلك فناداه يا ستار . ثم تاب عليه بعد ذلك فناداه يا تواب . ثم أشهده أن أكله من الشجرة لم يقطع عنه ودّ الله تعالى فناداه يا لطيف إلى آخر ما تعرَّف إليه به من الأسماء ، واعلم أن لهذا الاسم أعنى اللطيف أسراراً وأنواراً ومنافع ومجالب ومدافع وهو مذكور فى كتاب الله العزيز فى سبعة مواضع تقدم ذكرها قريبا وبالله الهداية ومنه التيسير وهو اللطيف الخبير .

فوائد

﴿ الأولى ﴾ : اسمه تعالى (العليم) قال الشيخ التبريزى كل من قرأه كثيراً رزقه الله المعرفة به جل وعلا ، واسمه تعالى (الخبير) من قرأه وهو فى حالة من الخشوع حصلت له عند الناس منزلة عظيمة ومن كان متعبا من نفسه فليكثر من قراءته بالليل والنهار فإن ذلك يملكه نفسه .

وقال الشيخ زروق اسمه تعالى (الخبير) خاصيته حصول الأخبار بكل شىء فمن ذكره سبعة أيام أتته الروحية بكل خبر يريده ، ومن كان فى يده شخص

يؤذيه فليكثر من ذكره يصلح حاله والله أعلم.

وقال التبريزى اسمه تعالى (الخبير) كل من أكثر من الذكر به خلصه الله من سوء الأخلاق ومن شر نفسه.

قال العمرى واللطف من الله هو التوفيق والعصمة ، والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد . ومعنى اسمه (اللطيف) الرفيق بعباده . وفى الحديث لا يتوفق عبد حتى يوفقه الله.

ومن كتاب العهود للشعرانى قال : كان على الخواص يقول إذا سألتم الله لإخوانكم فى هذا الزمان فاسألوه باسمه اللطيف والمغيث والرحيم والحنان ونحو ذلك وكل من سألك فى هذا الزمان فى حاجة فقل له توجه بقلبك إلى سيد المرسلين فإن أبواب جميع الأولياء قد استدارت للغلق وما بقى مفتوحاً إلى يوم القيامة إلا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم ذلك.

وقال بعض السادة وجدت بخط بعض الفضلاء يا خفى الألطاف نجنى مما أخاف يا لطيف أدركنى بلطفك الخفى من قالها ألف مرة قضيت حاجته.

(الفائدة الثانية) قال الشرجى فى كتابه الفوائد : سمعت بعض الصالحين يدعو بهذا الدعاء يا لطيف يا عليم يا خبير ألطف بنا فيما جرت به المقادير . وتارة يقول يا لطيف يا عليم يا خبير أسألك اللطف فيما جرت به المقادير . ويكرر ذلك كثيراً فدعوت به فوجدت له تأثيراً حسنا والحمد لله كثيرا . قال ووجدت هذا الدعاء بخط بعض العلماء وذكر له فضلا كثيراً . وهو يا لطيفا فوق كل لطيف ألطف بى فى أمورى كلها كما تحب وأرضنى فى دنياى وآخرتى.

(دعا مشهور) ومن كتاب الفوائد أيضا قال وهذا دعاء آخر مشهور وله شرح طويل مذكور اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفا وعلوت على العظماء وعلمت بما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شىء لعظمتك

وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك أجعل لى من كل هم أصبحت فيه أو أمسيت فيه فرجاً ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح فعلى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنساً إنك أنت المحسن إلى وأنا المسيء إلى نفسى فيما بينى وبينك ، تتودد إلىَّ بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعدْ بفضلك وإحسانك علىَّ إنك أنت الغفور الرحيم) .

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ : قال الشرجى فى فوائده هذان البيتان لأبى الفضل البكرى قال وقعت فى شدة عظيمة عجز عن دفعها أرباب الجاه فعملت هذين البيتين وعلقتهما تجاه القبلة فكشف الله ذلك عنى وهما :

يارب ما زال لطف منك يشملنى   وقد تجدد لى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى بما عوّدتنى كرماً   فمن سواك لهذا العبد يرحمه

روى عن الشيخ عز الدين بن جماعة أنه حصل به فالج قال فكنت أكررهما ليلا ونهاراً فعوفيت من ذلك كله .

الذكر الثانى عشر وشرحه

ولما أروى سيدنا عمر بالدعاء وأنهل . وأوجز فيه وما أملَّ . ولا قصَّر ولا أخل . وبلَّغ الطالبين غاية الأمل . أردف بعد النهَل العلَل ، وتوسل بأفضل توسل وهو اسم الله (اللطيف) عز وجل فقال :

(يالطيفاً لم تزل ألطف بنا فيما نزل إنك لطيف لم تزل ألطف بنا والمسلمين « ثلاثاً ») .

قال الشيخ على انتصب بالطيفاً لدخول ياء النداء عليه ، لم تزل لطيفاً ، وبالوجود

كفيلالم ... كذلك ... ووجو أبداً لأ ... تزل ... صفك و ... ل عن
نعتك ، ... ب بنا و ... ين في ... حركاتنا ... سكناتنا ... باتنا ، مجيئنا
وذهابنا ، ... ف بنا ... يات أ ... وتفصي ... لطائف ... رقائق ... رجات
ودقائق ... عات ودر ... ت الأوق ... وساعات ... يالى و ... ومتداد ... السنين
والعصور ... تطاولات ... هور ، ... يفاً في ... ك وعف ... في لطف ... خبيراً
بدقائق ... ال وخ ... الأفعال ... ما أور ... الشيخ ر ... الله عنه

*

وقد ... منا ذكر ... يات الوا ... في كتاب ... له تعالى ... كر اسمه تع ... اللطيف
وقدمنا في ... ح الذك ... سابق م ... وجملا ... فوائد ا ... لة للذا ... ه .
ونو ... الآن ما ... ن تـكم ... ع . وتر ... لما هنا ... فنقول

قال ... ض العلم ... طيف ... ذى يوص ... إليك أر ... رفق ... قيل هو
الذى لط ... ن أن يد ... بالكيف . وقال ال ... البوني في ... تاب (شم ... عارف)
اسم الله ... يف له أر ... تصرفات ... ب الرز ... لكشف ... نوم ولعة ... الأنس
ولتفريج ... كروب ... الجلب ... ق فهو أ ... ذكر الا ... الشريف ... اللطيف
مائة وت ... وعشرين ... ثم يقرأ ... كذلك قو ... عالى (الله ... يف بعباد ... الآية ،
ولكشف ... العلوم في ... الاسم ... د المذكو ... م يقرأ أ ... الموافق ... وهو
قوله تعا ... ألا يعلم ... خلق وه ... طيف الخ ... كذلك ... عقد الأ ... فيذكر
الاسم با ... المذكو ... يقرأ الآ ... هي (لا ... كه الأبص ... وهو يدر ... الأبصار
وهو اللط ... الخبير) ... لك ، ول ... ج الكر ... فيقرأ الا ... كما تقدم ... رأ الآية
كذلك و ... قوله تع ... (إن ربى ... ف لما يشا ... ه هو ال ... الحكيم) ... هي من
فوائد الش ... ح حسين ... نعل .

(... ة) من ... ح زروق ... ه (اللطي ...) يرفع أ ... المريدين ... من كان

فى سفر أو فى شدة أورام شيئاً وعسر عليه فيقرؤه عقيب سنة الوضوء مائة مرة متتابعة فتح الله عليه ذلك . ومن قرأه مائة وتسعا وعشرين مرة أو مائة وثلاثا وثلاثين مرة وسع الله عليه ما ضاق وكان ملطوفاً به فى أمره .

وقال التبريزى فى شرح أسماء الله الحسنى . اسمه تعالى (اللطيف) روى أنه من قال وهو على طهارة يالطيف ألف مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت ، ونقلتُ من خط بعضهم ما لفظه اسمه تعالى (اللطيف) هو اسم مكعب لا يصدق فيه التربيع ما أسرعه لتفريج الكرب فى أوقات الشدائد لا يضاف إليه غيره ، ولا يذكره من يؤلمه شىء فى نفسه أو بدنه إلا أزاله الله عنه فى أثناء الذكر . وما ذكره فى أمر عظيم هاله ثم أقبل على الذكر وهو يلاحظ تلك الكيفية إلا شاهدها كيف تنحل وتضمحل ولا يقوم من مقامه ويبقى عليه مايوهنه ، وكيفية ذكره أن يذكره ألف مرة بعد صلاة العصر ثم يسجد ويقول فى سجوده يالطيف مائة وتسعا وعشرين مرة يالطيف ألطفنا وأرحم الرحماء أذهب عنى مايؤلمنى يامجيب .

قصة عجيبة

فى أن اصطناع المعروف يقى مصارع السوء ولو مع غير أهله، وفيها فضل هذا الذكر

حكى الإمام أبو نعيم فى كتابه حلية الأولياء أن رجلا كان يعرف بابن حمير وكان له ورع وكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص فخرج ذات يوم يتصيد إذ عرضت له حية وقالت يامحمد بن حمير أجرنى أجارك الله تعالى فقال لها ممن ؟ قالت من عدو ظلمنى قال لها فأين عدوك؟ قالت له ورائى قال لها ومن أى أمة أنت؟ قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ففتحت ردائى وقلت ادخلى فيه قالت يرانى عدوى . قلت فما أصنع بك قالت إن أردت اصطناع المعروف فافتح لى فاك حتى أنساب فيه فقلت أخشى أن تقتلينى فقالت لا والله ما أقتلك والله شاهد على بذلك قال ففتحت فمى فانسابت فيه ثم مضيت

فعارضنى رجل معه صمصامة فقال يامحمد قلت وما تشاء قال هل لقيت عدوٍّى
قلت ومن عدوُّك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربى من قولى لا مائة مرة
وقد علمت أين هى ثم مضيت قليلا فأخرجت رأسها من فمى وقالت انظر هل
مضى هذا العدوُّ فالتفتُّ فلم أرا أحداً فقلت لا أرى أحداً إن أردت تخرجى فاخرجى.
فقالت الآن يامحمد اختر لنفسك واحدة من اثنتين إما أن أفتت كبدك وإما أن
أثقب فؤادك فأدعك بلا روح فقلت سبحان الله أين العهد الذى عاهدتنى واليمين
التى حلفت بهاما أسرع مانسيتيها قالت يامحمد لمَ نسيت العداوة التى كانت بينى
وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة ، على أى شىء طلبت اصطناع المعروف
من غير أهله قلت لها ولا بد أن تقتلينى فقالت لا بد من ذلك قلت لها فأمهلينى
حتى أصير إلى تحت هذا الجبل فامهد لنفسى موضعاً قالت شأنك وماتريد فمضيت
أريد الجبل وقد يئست من الحياة فرفعت طرفى إلى السماء وقلت ﴿ يالطيف يالطيف
ألطف بى بلطفك الخفى يالطيف ألطف بى بالقدرة التى استويت بها على العرش
فلم يعلم العرش أين مستقرك منه ياحليم ياعليم ياعلى ياعظيم ياحى ياقيوم يالله إلا
كفيتنى هذه الحية ﴾ ثم مشيت فعارضنى رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقىّ
الثوب فقال لى سلام عليك فقلت وعليك السلام فقال لى مالى أراك قد تغير
لونك قلت من عدوٍّ ظلمنى قال وأين عدوك قلت فى جوفى قال لى افتح لى فاك
ففتحت فمى فوضع فيه مثل ورقة الزيتون خضراء ثم قال لى امضغ وابلع فمضغت
وبلعت قال محمد فلم ألبث إلا يسيراً حتى مغصتنى بطنى ودارت الحية فى بطنى
فرميت بها من أسفل قطعة قطعة وذهب عنى ما كنت أجده من الخوف فتعلقت
بالرجل فقلت ياأخى من أنت الذى منَّ الله على بك فضحك ثم قال أما تعرفنى
قلت اللهم لا . قال يا محمد بن حمير إنه لما كان بينك وبين هذه الحية ما كان
ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فقال
الله تعالى وعزتى وجلالى بعينى كل مافعلت الحية بعبدى وأمرنى سبحانه وتعالى

آن أنطلق إلى الجنة فآخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى وألحقك بها فأنا يقال لى المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة ثم قال يا محمد بن حمير عليك باصطناع المعروف فإنه يقى مصارع السوء .

قصة أخرى طريفة

وحكى الإمام اليافعى فى كتاب روض الرياحين أن بعض الملوك غضب على بعض الفقراء فبنى عليه قبة وجعله فيها وسدَّ بابها ولم يترك له منفذاً ومنعه الطعام والشراب فلما كان بعد ثلاثة أيام وُجد ذلك الفقير خارجاً فى عافية طيباً مسروراً فأخبِر الملك بذلك فقال هاتوه فأحضر بين يديه ، فقال الملك : بالذى نجاك من هذه الشدة وفرج عنك تلك الكربة وأنقذك مما كنت فيه قل لى ماسبب خلاصك فقال الفقير دعوت دعوات قال وما هى . قال قلت ﴿ اللهم إنى أسألك يا لطيف يا من وسع لطفه وفضله أهل السموات والأرض أسألك اللهم أن تلطف بى فى خفى لطفك الخفى الذى إذا لطفت به لأحد من عبادك كُفى فإنك قلت وقولك الحق الله لطيف بعباده ﴾ الآية اهـ .

ونقل المناوى من كتاب الطبقات عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه قال رأيت الخضر . فقال يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل ، وكان لك صاحباً فى المقام والرحيل . اهـ فما أعظم نفع هذا الاسم وأكثر فوائده نفع الله به وأعاد علينا وعليكم من عوائده آمين .

الذكر الثالث عشر وشرحه

ثم أتى سيدنا عمر بكلمة الإخلاص . وموجبة الخلاص . من كل ماتعسر واعتاص . والمنجية لقائلها يوم الجزاء والقصاص . فقال : ﴿ لا إله إلا الله ﴾ « مائة مرة » ويقال عند تمام المائة محمد رسول الله « مرة واحدة » .

قال الشيخ على وهى باب الدخول إلى الله وبها حقنت الدماء وعصمت

الأمو إلا بحقو قها فعل جميع الحقوق المأمورة وترك جميع الأعمال المحظورة

كالز السرقة ذف والشرب وترك الصلاة وجحود ما أنزل الله من

المأمو واستح مانهى الله عنه من المنهيات، وأما فضلها فمما ورد به الكتاب

قوله : ﴿ قـ نه لا إله إلا الله ﴾ وورد فى الحديث القدسى ﴿ لا إله إلا

الله ومن حصنى أمن من عذابى ﴾ وكل عمل له مقدار من الثواب

إلا الكلمة لو كانت السموات والأرض فى كفة وهى فى كفة أخرى

لرجح على السمو والأرض وقال صلى الله عليه وسلم لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله

فإنها م الذنو دماً قيل يا رسول الله هذا فى الموتى فكيف الأحياء فقال

صلى عليه وسـ هدا أهدم وأهدم .

عن ابن رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال يفتح

الله ب الجنة دى من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعيم ،

لمن فتقـ لجنة وما فيها نحن لأهل لا إله إلا الله ولا علينا إلا أهل

لا إ الله و محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله ومن لا يؤمن بلا إله

إلا ، وتقول تقول النار وما فيها من العذاب لا يدخلنى إلا من كفر

بلا إلا الله و طلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال

لا إله الله وتقـ غضبى إلا على من أنكر لا إله إلا الله ولا أمتلىء إلا ممن

جحـ إله إلا . قال فتجىء مغفرة الله ورحمته فتقولان إنا لأهل لا إله

إلا وناصران ال لا إله إلا الله ومحبيان لمن قال لا إله إلا الله ومنعمان لمن

قال إلا الله يقول الله تبارك وتعالى أبحت الجنة لمن قال لا إله إلا الله .

وحرمت النار من قال لا إله إلا الله وغفرت ذنب من قال لا إله إلا الله

ولا بت مغفـ وجنتى عمن قال لا إله إلا الله وما خلقت الجنة إلا لأهل

لا إ لا الله و الطوا أهل لا إله إلا الله إلا بما يوافق لا إله إلا الله .

قال صلى عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله

فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » وحقها ما قدمناه آنفاً . قال : [أى الشيخ الشارح]

وجعلها صاحب الراتب مائة لتفيد توحيد الله بجميع أسمائه الحسنى التسعة والتسعين وتمامها بلا إله إلا الله لأنه لايبدو فى العالم أثرحسى أو معنوى إلا عن هذه الأسماء فلا يخرج عن تأثيرها شيء . لذلك من أحصاها دخل الجنة . قال ويختم بقوله محمد رسول الله ليثبت ما أثبته رسول الله وما شرعه ثابت بإثبات الله كسائر الرسل والشرائع والأديان . وينبغى للذاكر عند إشارته بالإثبات بعد النفى [الالتفات] إلى الجهة اليسرى [و] إذا قال بعد كلمة الإثبات محمد رسول الله أن يشير بوجهه إلى جهة اليمين مستثنياً من النفى الكلى بإثبات قوله محمد رسول الله(١) .

وأما فضائلها وآدابها وما احتوت عليه من الأسرار فيستدعى إفراد ذلك بكتاب تام وما أتينا بهذه النبذة اليسيرة إلا استدلالاً واستجلاباً بالإغراء للمريد بما احتوى عليه هذا الراتب الشريف .

* * *

ومن فضائل هذه الكلمة أنها ترفع ذاكرها إلى مقام الولاية الكبرى وأنها تحفظ ذاكرها عن طريق الكفر والبدعة والمعصية ، ومنها أنها تحفظ ظاهر صورة الذاكر بها عن طريق الأسواء كما يروى ذلك عن بعض سادتنا أهل البيت وتنفى ما يتولد فى القوى من أكل الحرام والشبهة كما تنفى النار الخبث من الحديد إلى آخر ما ذكره الشيخ .

ونحن نتمم ما أفاده ونعلى ما أشاده . ببيان الفضائل والآداب والمعانى والأحكام لكلمة الشهادة . ووسيلة نيل الفوز والسعادة . ونجعل ذلك فى ثلاثة فصول .

---

(١) مابين المربعات زدناه لتصحيح العبارة وتفهم .

الفصل الأول

فى ذكر أحرف يسيرة من فضائل لا إله إلا الله وذكر معناها .

اعلم أرشدك الله أن هذه الكلمة العظيمة هى « كلمة التوحيد » الذى هو أصل الدين وبذرته التى منها نمت أغصان شجرته . وأينعت أفنان ثمرته . وبرقت أسارير مسرته . وتشمشمت أنوار غُرته . فمنها نشأ الإسلام . وبعدها أنزلت الأحكام . من الصلاة والزكاة والحج والصيام . وسائر العبادات والإلزام والنوافل بالتمام .

واعلم أن سيدنا عمر قد جعلها فى راتبه هذا مائة وذلك لما فيها من عظيم الفوائد . وفيض الامدادات الزوائد . فاصغ سمعاً إلى ما يلقى إليك من عظيم فضلها جعلنا الله وإياك من خواص صالحى أهلها آمين .

أما بيان فضل هذه الكلمة من الكتاب العزيز فقوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) الآية . وقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم) فقد ورد فى التفسير أنها هى القول السديد . وأنها الكلم الطيب فى قوله (إليه يصعد الكلم الطيب) وقوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) . وقوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) . وقوله تعالى . (ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) وقال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال تعالى (ومامن إله إلا الله الواحد القهار) . وقال تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) وقال تعالى (ذى الطَّول لا إله إلا هو إليه المصير) وقال تعالى.(وما أرسلنا من قبلك من رسول الانوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (آلم الله لا إله إلا هو) وقال تعالى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) إلى غير ذلك من الآيات وسيأتى قريبا تعداد

المواضع التى ذكرت فيها هذه الكلمة العظيمة من القرآن الكريم فى خاتمة هذا الفصل .

واما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا رواه البخارى ومسلم ، وروى البيهقى بإسناد موجود فى صحيح مسلم فى حديث السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان . الإسلام أن تشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء وتصوم رمضان . وروى الدارقطنى هذا اللفظ بحروفه ، ثم قال هذا اسناد صحيح ثابت .

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن إنك تقدم على أهل كتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة فإن هم أطاعوا فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب رواه الشيخان عن معاذ رضى الله عنه ونقله الإمام النووى فى رياض الصالحين ، ثم قال النووى فى شرح صحيح مسلم معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب . أنها مسموعة لاترد .

قال شيخ الإسلام زكريا الانصارى والاقرار بالشهادتين يتضمن المعرفة وقال صلى الله عليه وسلم لاتزال لا إله إلا الله تدفع عن أهلها المصائب مالم يؤثروا دنياهم على آخرتهم ومالم يقولوها ولم تحجزهم عن محارم الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة قال أبو ذر فقلت

وإن زنى وإن سرق فقال وإن زنى وإن سرق فقلت وإن زنى وإن سرق . فقال وإن زنى وسرق على رغم أنف أبي ذر الحديث ، وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث حرمات من حفظهن حفظ الله عليه دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله عليه دينه ولا آخرته حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي أخرجه الطبراني .

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يستخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق فتنشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدّ البصر فيقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر ؟ فيقول لا يارب فيقول الله عز وجل بلى إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم يقول أحضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لن تظلم فتوضع السجلات في كفه والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء أخرجه الترمذي (السجل) الكتاب الكبير ، (والبطاقة) رقعه صغيرة وهي ماتجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه ، (والطيش) الخفة .

وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالي .

وقال يحيى بن معاذ الرازى توحيد لم يعجز عن هدم ماقبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم مابعده من ذنب .

ونقل الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الحسني في شرحه على العقيدة من مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره أصابه قبل ذلك ما أصابه .

وفيه من كتاب عبد الغفور عن أبي الفضل الجوهري قال إذا دخل أهل

الجنة الجنة سمعوا أشجارها وأنهارها وجميع مافيها يقولون لا إله إلا الله فيقول بعضهم لبعض كلمة يغفل عنها فى الدنيا.

وفيه عنه أنه قال وجدت أنه يهتز العرش لثلاث. لقول المؤمن لا إله إلا الله. ولكلمة الكافر إذا قالها. وللغريب إذا مات فى أرض غربة.

وفيه قال وذكر عياض فى المدارك عن يونس بن عبد الأعلى أنه أصابه شىء فرأى فى المنام قائلا يقول اسم الله الأكبر لا إله إلا الله فقالها ومسح وجهه فأصبح معافى. قال وذكر ابن الفاكهانى أن ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفى الفقر.

ثم قال السنوسى وفضل هذه الكلمة كثير لا يمكن استقصاؤه ولهذا اختار الأئمة ملازمة هذا الذكر فى كل حال حتى إن منهم من لا يفتر عنه ليلا ونهاراً ومنهم من يذكره بين اليوم والليلة سبعين ألف مرة وأهل التسبب والمشتغلون بالخدمة والصنائع اثنتى عشرة ألف مرة. وعن طارق الأشجعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم الله ماله ودمه على النار وحسابه على الله تعالى أخرجه الإمام مسلم. وعن عبد الله بن عدى بن الخيار قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ جاءه رجل فساره فلم ندر ماساره حتى جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يستأذنه فى قتل رجل من المنافقين. فقال أليس يشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال بلى ولا شهادة له قال أليس يصلى قال بلى ولا صلاة له. قال أولئك الذين نهانى الله عن قتلهم[١] أخرجه مالك.

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله

---

(١) أى أنها تعصم دم قائلها ولوقالها بلسانه فقط وهذا فى حق الدنيا وأما فى الآخرة فله الخلود فى النار اهـ

بعثنى بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدَر أخرجه الترمذى ، وروى مسلم وغيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .

وفى رواية مسلم من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

وقال صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى القبور ، ولا عند النشور وكأنى أنظر إلى أهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم عند البعث ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة أخرجه الخمسة .

وقال صلى الله عليه وسلم إذا عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة تمحها . قيل : يارسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله . قال : هى أفضل الحسنات . وقال عليه السلام يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع فى الميزان لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقُراب الأرض ذنوباً لغفرها الله تعالى له .

وقال صلى الله عليه وسلم لتدخلن الجنة كلكم إلا من تأبى وشرد عن الله شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى كلمة التقوى ، وهى الكلمة الطيبة ، وهى دعوة الحق ، وهى العروة الوثقى ، وهى ثمن الجنة .

وقال : قال الله تعالى : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ فقيل : ما الإحسان يارسول الله قال الإحسان فى الدنيا قول لا إله إلا الله وفى الآخرة الجنة ، وروى البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو نسمة يعتقها من ولد إسماعيل ومن قالها مائة مرة كانت كعدل عشر رقاب رواه الشيخان ، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها فى يوم مائتى مرة لم يسبقه أحد كان قبله ولم يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله ، وقال عمر رضى الله عنه من قالها فى سوق من الأسواق كتبت له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت فى الجنة إلا أن فى رواية عمرو بن شعيب ، وفى رواية عمر بن الخطاب . وهو حى لا يموت بيده الخير وليس فى رواية البراء وكل ذلك ورد فى الصحيح .

وفى كتاب الترمذى عن عمارة بن شبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات على أثر المغرب بعث الله له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح وكتب الله تعالى له بها عشر حسنات موجبات ومحا عنه عشر سيئات موبقات وكانت له عدل عشر رقاب مؤمنات نقله الإمام النووى من رواية النسائى فى كتابه عمل اليوم والليلة ، وقال : قال الحافظ أبو القاسم بن

عساكر إنه عن عمارة عن رجل من الأنصار وهو الصواب ، ثم قال النووى قوله مسلحة بفتح الميم وإسكان السين المهملة وفتح اللام وبالحاء المهملة وهم الحرس يعنى أهل السلاح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير فنفدت أزواد القوم حتى هموا بنحر بعض جمالهم فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله لو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل فجاءه ذو البر ببره وذو التمر بتمره وذو النواى بنواه قيل ما كانوا يصنعون بالنوى قال كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء فدعا عليها[1] حتى ملأ القوم مزاودهم ثم قال عند ذلك أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة أخرجه مسلم .

وفى كتاب الحقائق قال خرج ابن حبيب فى كتاب التذكرة له قال حدثنى أحمد بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير خرقت كل سقف إلى السماء السابعة فلا يلتئم خرقها حتى ينظر الله إلى من قالها من أهل الأرض وحق على الله أن لا ينظر إلى عبد فيعذبه .

وخرج محمد بن يحيى العدنى فى مسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً كان كمن قرأ القرآن اثنتى عشرة مرة وكتب الله له بها أربعين حسنة

وخرج ابن أبى شيبة فى مسنده عن أنس رضى الله عنه قال سمع النبى صلى

---

(١) أى فدعا أصحابه عليها ليطعموا منها وفى الكلام اختصار لا يخفى أى فدعا دعوات ثم دعا أصحابه الخ .

الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام . فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب .

وفيه خرّج البغوى فى منتخبه عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إخلاصها أن تحجزه عما حرم الله عليه ، وفيه خرّج النسائى عن زيد بن خالد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من دخل القبر بلا إله إلا الله خلصه الله من النار .

وورد أيضاً من قال كل يوم اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك مرة واحدة عتق ربعه من النار فإن قالها مرتين عتق نصفه فإن قالها ثلاث مرات عتق ثلاثة أرباعه فإن قالها أربع مرات عتق كله . قال بعض العلماء ويظهر لى فيه من الحكمة المناسبة لقوله : ﴿ ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴾ . فلما كانت الشهادات الأربع تدرأ العذاب مع الخاتمة الموجبة فكذلك أربع شهادات لله تعالى بالتوحيد مع الإيمان الموجب تدرأ عذاب الآخرة وهو النار ، وكذلك أربعة شهود فى الزنى توجب عذاب الجلد . فكذلك ينبغى أن يكون على الضد من ذلك أربع شهادات لله تعالى بالتوحيد توجب العتق من عذاب النار والله ورسوله أعلم .

(قلت) ويؤيده ما روى أن الله تعالى لما أرسل الملائكة لاهلاك قوم لوط قال لهم لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فجاءت الملائكة إلى لوط نصف النهار وهو فى أرض له يعمل فيها فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال مابلغكم أمر اهل هذه القرية . قالوا وما امرهم ؟ قال

أشهد بالله أنها لشر قرية فى الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ، وروى انه حمل الحطب وتبعه الملائكة فمرّ على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط إن قومى لشرُّ خلق الله ثم مرَّ على قوم آخرين ففعلوا مثلهم فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا حتى اتى قومه انتهى والله ورسوله اعلم .

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشى فى الطرق ويقول قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .

وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة افضل من أن عرفهم لا إله إلا الله وإن لا إله إلا الله لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا ، وقال سفيان الثورى رحمه الله ان لذاذة قول لا إله إلا الله فى الآخرة كلذة شرب الماء البارد فى الدنيا، وحكى أيضا أنه إذا كان آخر الزمان فليس شىء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صلاتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا إخلاص فى شىء منها . أما كلمة لا إله إلا الله فهى ذكر الله والمؤمن لا يذكرها إلا من صميم قلبه . .

وأخرج الشيرازى والخطيب والرافعى وابن النجار من قال فى كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كانت له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر واستجلب الغنى واستقرع بها باب الجنة انتهى .

قلت : وقد صدر الإمام السيفى حزبه العظيم بها أعنى لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وقال أحد شراحه قال العلماء : إنه إذا قال العبد بنية صادقة خالصة اللهم إنك أنت الملك الحق المبين سجد سبعون ألف ملك فيقول الله عز وجل ارفعوا رؤسكم وعزتى وجلالى إنى قد غفرت لقائل هذه الكلمة جميع ذنبه ماتقدم وما تأخر وإن سألنى شيئاً من أمور الدنيا والآخرة لأعطيته انتهى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى ، رواه ابن جرير عن سعد .

وقال صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بشىء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففرج عنه دعاء ذى النون لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، رواه ابن أبى الدنيا عن سعد .

وقال صلى الله عليه وسلم : دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شىء إلا استجاب الله له ، رواه الضياء عن سعد بن زيد .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما مسلم قال فى مرضه لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى أجر شهيد وإن برىء برىء وقد غفرت له جميع ذنوبه ، رواه الحاكم فى مستدركه على الصحيحين اه منقولا منه .

وفى كتاب الحقائق قال خرج ابن أبى شيبة فى مصنفه عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿فالتقمه الحوت﴾ . قال لما التقمه ذهب به حتى وضعه فى الأرض السابعة فسمع يونس الأرض تسبح فهيجته على التسبيح فقال لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين قال فأخرجته حتى ألقته على الأرض بلا شعر ولا ظفر مثل الصبى المنفوس فأنبت الله عليه شجرة تظله ويأكل من تحتها من حشرات الأرض فبينما هو نائم تحتها تساقط عليه ورقها وقد يبست فشكى ذلك إلى ربه فقيل له تحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون يعذبون .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله ، رواه عتبان بن مالك .

وقال عليه السلام إن الله يحشر المؤذنين يوم القيامة أطول الناس أعناقا بقولهم لا إله إلا الله ، رواه أبو هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب وإن صلة الرحم تزيد فى العمر وإن صنائع المعروف تقى مصارع السوء وإن قول لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أدناها الهمّ ، رواه ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين .

وقال عليه السلام إن للاسلام ضوءاً وعلامات كمنار الطريق واسعة وجماعُه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتمام الوضوء ، رواه أبو الدرداء رضى الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : ثمن الجنة لا إله إلا الله ، رواه عبد بن حميد عن الحسن مرسلا ورواه ابن مردوية عن أنس رضى الله عنهم .

وقال عليه السلام : جددوا إيمانكم أكثروا من قول لا إله إلا الله ، رواه أبو هريرة .

وقال صلى الله عليه وسلم : حضر ملك الموت رجلا فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيراً قط ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص ، رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين .

وروينا فى بعض الأجزاء عن الحارث بن الحكم قال أنزل الله تعالى فى بعض الكتب أنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى قضيت بالنتن على الميت لحبس فى البيوت . وأنا الله لا إله إلا أنا مرخص الأسعار والبلاد مجدبة . وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى أسكنت الأمل فى القلوب لأهلكها التفكر .

وقال صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة فرأيت مكتوباً ثلاثة أسطر بالذهب . السطر الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله . والسطر الثانى : ما قدمناه وجدناه . وما أكلناه ربحناه . وما خلفناه خسرناه . والسطر الثالث أمة مذنبة ورب غفور ، رواه الإمام الرافعى وابن النجار عن أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم شعار المؤمنين يوم يبعثون من قبورهم لا إله الا الله وعلى الله فليتو كل المؤمنون ، رواه ابن مردوية عن عائشة رضى الله عنها .

وقال صلى الله عليه وسلم : صلوا على من قال لا اله الا الله وصلوا وراء من قال لا اله الا الله ، رواه ابن عمر رضى الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن ابليس يقول أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار . فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون ، رواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وقال عليه السلام كل شيء بينه وبين الله حجاب . الا شهادة أن لا اله الا الله . ودعاء الوالد لولده ، رواه ابن النجار عن أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم : لكل شيء مفتاح ومفتاح السموات قول لا اله الا الله ، رواه الطبرانى عن معقل بن يسار .

وقال عليه السلام : لو دعى بهذا الدعاء على شيء بين المشرق والمغرب فى ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا اله الا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام يصلى فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم قال لهم لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى . اما أولهن فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت بالرعب على العدوّ ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر لملىء منى رعبا ، وأحلت لى الغنائم كلها وكان من قبلى يعظمونها كانوا يحرمونها ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا

أينما أدركتنى الصلاة تيممت وصليت ، وكان من قبلى يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون فى كنائسهم وبيعهم ، والخامسة قيل لى سل فإن كل نبى قد سأل : فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله .

وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أوزاد ، رواه الطبرانى عن أبى الدرداء .

(قلت) فلهذا الحديث وأمثاله اختار سيدنا عمر أن يؤتى بها مائة فى راتبه هذا فافهم .

وقال عليه السلام «من ربى صغيرا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله» روته عائشة رضى الله عنها ، وقال عليه السلام « لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبا » روته أم سلمة .

وفى كتاب الحقائق قال خرج ابن أبى شيبة عن جابر رضى الله عنه قال سمعت عمر يقول لطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما مالى أراك قد شعثت واغبررت منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك أساءتك إمارة ابن عمك قال فقال معاذ الله إنى سمعته يقول إنى لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحا حين يخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة فلم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ولم يخبرنى بها فذلك الذى دخلنى قال عمر رضى الله عنه فأنا أعلمها قال فلله الحمد فما هى قال التى قال لعمه لا إله إلا الله قال صدقت انتهى الحديث .

وعمه هو أبو طالب فقد خرج ابن أبى شيبة أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله يوم القيامة فقال لولا أن تعيرنى قريش لأقررت بها عينك فأنزل الله تعالى (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

وفيه قال خرّج النسائى فى مصنفه عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال إن جبريل عليه السلام كان يدس فى فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا إله الا الله ، وخرّج البزار عن عياض الأنصارى رفعه قال إن لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة لها عند الله مكان ، من قالها صادقا أدخله الله بها الجنة ومن قالها كاذبا حقنت دمه وأحرزت ماله ولقى الله غدوا فحاسبه .

وخرّج النسائى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى يارب علمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به . قال ياموسى قل لا إله الا الله قال موسى يارب كل عبادك يقولون هذا القول قال قل لا إله الا الله قال لا إله الا أنت انما أريد شيئا تخصنى به قال ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة ولا اله الا الله فى كفة مالت بهن لا إله الا الله .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ؛ رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت هكذا ذكره الإمام النووى فى تهذيبه فى ترجمة عيسى عليه الصلاة والسلام .

وروى الإمام البغوى بسنده عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿ يا أيها النبى انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو

ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً ».

وروى عن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : « يارب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة أمة محمد صلى الله عليه وسلم » فقال : (علماء أحفياء أتقياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل أدخلهم الجنة بلا إله إلا الله ياعيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذل رقاب قوم قط للسجود كما ذلت رقابهم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى، وفي رواية كتب له بكل واحدة عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكأنما أعتق عشر رقاب وحفظ من الشيطان وكان يومه في حرز ولم يلحقه في ذلك اليوم ذنب . زاد في بعض الروايات وإن قالها مائة مرة كان من أفضل أهل الأرض عملا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو أكثر من زبد البحر .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد

يقول عند ردِّ روحه إليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل الذكر لا إله إلا الله. وأفضل الدعاء الحمد لله.

وفى كتاب الحقائق قال روينا فى الموطأ وفى الصحيحين وفى النسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان فى يومه حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ».

وفيه قال خرّج البزار عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال فى يوم إذا أصبح وإذا أمسى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر ».

وخرّج النسائى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين ينصرف من صلاة الغداة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قبل أن يتكلم كتب له بهن عشر حسنات ومحى عنه بهن عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات وكن له عدل عشر نسمات وكن له حرساً من الشيطان وحرزاً من المكروه ولم يلحقه فى يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله. ومن قالها حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك فى ليلته ».

وخرّج النسائى أيضاً عن رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما قال عبد قط لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها روحه مصدقاً بها قلبه ولسانه الافتق له السماء فتقاً حتى ينظر الله إلى قائلها من أهل الأرض وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله » .

وخرّج ابن حبيب في كتاب الذكر له عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير لم تترك شيئاً مرت به في كتابه إلا طلمسته حتى تسكن إلى حسنة مثلها » وقال عليه الصلاة والسلام « من قال إحدى عشرة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كتب الله له ألفي ألف حسنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مالك وغيره عن طلحة بن عبيد الله بن كريز رضي الله عنه : « أفضل الأيام يوم عرفة ووافق يوم جمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم جمعة ، وأفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من تعار (استيقظ) من الليل . فقال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين انسلخ من ذنوبه كما تنسلخ الشاة من جلدها » .

وقال الحسن : ثمن الجنة لا إله إلا الله .

وروى الإمام الثعلبي في تفسيره عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : كان رجل غزا في سبيل الله ، وكان إذا خلا المكان قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فبينما هو ذات يوم في أرض الروم في موضع ورفع صوته يقول

لا إله إلا الله وحده لا شريك له خرج له رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال يا عبد الله ماذا قلت ؟ قال : قلت الذى سمعته . فقال : والذى نفسى بيده إنها الكلمة التى قال الله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ .

وروى أيضاً فى تفسيره عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ قال كتب الله كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفى عام فى ورقة آس ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم قبل أن تسألونى وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى من تقينى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدى ورسولى أدخلته الجنة .

وروى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدرس الإسلام كما يدرس الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى فى ليلة لا يبقى فى الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولان أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها . فقال صلة بن زفر لحذيفة فما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة . فأعرض عنه حذيفة فرد عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه الثالثة فقال : ياصلة تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار ، رواه ابن ماجه فى سننه .

وقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله والله أكبر كلمتان إحداهما ليس لها نهاية دون العرش والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض ، وقال صلى الله عليه وسلم «من قال حين يصبح لا إله إلا الله والله أكبر أعتق الله رقبته من النار»

وقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ما على الأرض أحد يقولها إلا كفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .

وروى عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات اللهم لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك . قال الله يا أمة محمد إن رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم من قبل أن تسألونى وقد أجبتكم من قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم من قبل أن تستغفرونى ومن جاءنى يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدى ورسولى دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر .

وفى كتاب الحقائق قال خرّج أبو داود فى السنن عن أبى بردة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب ، وخرّج النسائى عن عبد الله بن جعفر قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه إنى مخبرك بكلمات لم أخبر بهن حسناً ولا حسيناً إذا سألت الله مسألة وأنت تحب أن تنجح فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلى العظيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم الكريم .

وخرّج ابن حبيب فى كتاب الذكر له عن ليث بن مجاهد قال إن الملك ليريد أن ينفخ فى الصور فإذا سمع قائلا يقول لا إله الا الله أخرها سبعين خريفاً . وذلك أن الساعة لا تقوم على أحد يقول لا إله الا الله : وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله الا الله والله أكبر، لا إله الا الله وحده لا شريك له، لا اله الا الله

له الملك وله الحمد ، لا إله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فى يوم أو فى ليلة أو فى شهر ثم مات فى ذلك اليوم أو فى تلك الليلة أو فى ذلك الشهر غفرت ذنوبه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا قال العبد لا إله الا الله والله أكبر قال صدق عبدى لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال لا إله إلا الله وحده قال الله صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى ، وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدى لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال لا إله الا الله له الملك وله الحمد قال الله تعالى صدق عبدى لا اله الا أنا لى الملك ولى الحمد، وإذا قال العبد لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قال الله تعالى صدق عبدى لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى . ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال علم جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء وعلمه صلى الله عليه وسلم أبا هريرة وكان مريضاً فقال إذا أصابك مرض فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان رب العباد ورب البلاد والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال والله أكبر كبيراً جلال الله عز وجل وكبرياؤه وقدرته وعظمته بكل مكان اللهم إن كنت كتبت على الموت فاغفر لى ذنوبى وأسكنى جنة عدن .

وروى أنه قال لأبى هريرة يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به فى أول مضجعه من مرضه نجاه الله عز وجل من النار قال قلت بأبى أنت وأمى قال فاعلم أنك اذا أصبحت لم تمس واذا أمسيت لم تصبح فانك اذا قلت ذلك فى أول مضجعك من مرضك نجاك الله تعالى من النار أن تقول لا اله الا الله

يحيى ويميت وهو حى لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيراً طيباً مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيراً كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنت أمرضتنى لتقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى فإن مت فى مرضك ذلك فالى رضوان الله عز وجل والجنة . وإن كنت قد اقترفت ذنوباً تاب الله عليك .

وقال صلى الله عليه وسلم بشر الناس أنه من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له دخل الجنة .

وروى الإمام البغوى بسنده الى سلمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق، من فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له أجر مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع صائماً أسقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة . وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما . أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار . قلت ويجمع ذلك أن يقول أشهد أن لا اله إلا الله استغفر الله نسألك الجنة ونعوذ بك من النار كما عليه الغالب فى غالب الجهات لهذا الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم يُخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويُخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير ويُخرج من النار من فى قلبه وزن ذرة من خير رواه البخارى عن أنس ،
وروى أن المأمون لما انصرف من مرو يريد العراق واجتاز نيسابور وكان على مقدمته على الرضا بن موسى الكاظم رضى الله عنهما فقام إليه الامامان الحافظان للأحاديث النبوية والمثابران على السنة المحمدية أبوزرعة الرازى ومحمد بن أسلم الطوسى ومعهما قوم من المشائخ وقالوا إنا نسألك بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحدثنا بحديث ينفعنا فقال حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أبيه على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل الأمين عن الله تعالى أنه قال لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى ثم أرخى الستر على القبة وسار فعدّ أهل المحابر والدفاتر والدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين الفا . نقله صاحب كتاب جواهر العقدين عن تاريخ نيسابور وعن كتاب الفصول المهمة فى مناقب الأئمة . ورأيته فى كتاب الفصول كذلك بقراءتى على شيخنا الشيخ الربانى الحسين بن عمر العطاس انتهى .

وفى كتاب الجواهر قال الحافظ جمال الدين الرازى فى كتاب معراج الوصول عن أبى الليث عبد السلام بن صالح الهروى قال كنت مع على بن موسى حين دخل نيسابور ثم ساق القصة والسند منه إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الايمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وفيه أيضا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرىء من جنته انتهى .

وقال الاستاذ أبو القاسم القشيرى اتصل هذا الحديث ببعض الأمراء

فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه فى قبره فرئى فى النوم بعد موته فقيل مافعل الله بك قال غفرلى بتلفظى بلا إله إلا الله وتصديق بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم ذكر هذا الاسناد وما جاء من الفضائل عند قول سيدنا عمر [بسم الله تحصنا بالله] بهذه الألفاظ لقوله تعالى لا إله إلا الله حصنى وأعدته هنا لأن هذا موضعه الحقيقى ولأجل تكراره فى الكتاب كما لا يخفى ذلك على ذوى الألباب ؛ وقال صلى الله عليه وسلم من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

موافقات عجيبة

وقال بعضهم لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا وساعات الليل والنهار كذلك فكأنه قيل كل ذنب أذنبته من الصغيرة والكبيرة والسر والجهر والخطأ والعمد والقول والعمل فى هذه الساعات فهو مغفور بهذه الحروف والكلمات .

وأيضا كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الأبواب السبعة عن عضو من الأعضاء السبعة .

وأيضاً كلمة لا إله إلا الله اثنا عشر حرفاً فلا جرم وجب بها اثنتا عشرة فريضة ست ظاهرة وست باطنة . أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد . وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والرضا والزهد والتوبة[1] .

وقال بعضهم وفى كلمة لا إله إلا الله أسرار (منها) أن جميع حروفها جوفيه ليس فيها حرف شفهى إشارة إلى أن الإتيان بها من خالص الجوف وهو

(١) لم يذكر السادسة ولعلها الصبر .

القلب . (ومنها) أنه ليس فيها حرف معجم إشارة إلى التجرد عن كل معبود سواه . (ومنها) أنها اثنا عشر حرفاً كشهور السنة منها أربعة وهى الجلالة حرف فرد وثلاثة سرد وهى أفضل كلماتها كما أن الحرُم أفضل السنة فمن قالها مخلصاً كفرت عنه ذنوبه سنة . وكان مجاهد رحمه الله يقول ليس عندى شىء أقطع لظهر إبليس عند النكبة والمعرة مثل قول لا إله إلا الله . فإذا لعنته قال لعنت مُامنا .

وفى كتاب الحقائق قال خرّج الترمذى عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبَد البحر .

وفى كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى قال وروى الدارقطنى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أنس بن مالك رضى الله عنه والبيهقى فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قالا مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوم قد صادوا ظبية وشدوها إلى عمود فسطاط فقالت يا رسول الله إنى تركت لى خشفين[1] فاستأذن لى أن أرضعهما ثم أعود إليهم فقال صلى الله عليه وسلم : خلوا عنها حتى تأتى خشفيها ترضعهما وتأتى إليكم قالوا ومن لنا بذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أنا فأطلقوها فذهبت فأرضعتهما ثم عادت إليهم فأوثقوها فقال صلى الله عليه وسلم اتبيعونها قالوا هى لك يارسول الله وخلوا عنها فأطلقها ، وفى رواية عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أنه قال لما أطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتها تسبح فى البرية وهى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وروى الطبرانى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحراء فإذا مناد يناديه يا رسول الله فالتفت فلم ير أحداً ثم

---

(١) الخشف مثلثة الخاء ولد الظبى أول مايولد أو أول مشيه .

التفت فرأى ظبية موثقة فقالت أدن منى يا رسول الله فدنا منها وقال. ما حاجتك قالت إن لى خشفين فى هذا الجبل فخلنى حتى اذهب فأرضعهما ثم أعود إليك قال صلى الله عليه وسلم وتفعلين . قالت عذبنى الله عذاب العشار إن لم أفعل فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت فأوثقها وانتبه الاعرابى فقال ألك حاجة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم نعم تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وروى فى الآثار أن العبد إذا قال لا إله إلا الله فإنه يعطى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الأرض . قال المحققون السبب فى ذلك أنه لما قال هذه الكلمة فإنه قد رد على كل كافرة يثبت لله ضداوندا وشريكاً فلا جرم يستحق الثواب بعددهم .

حكاية فيها حث على الايمان والتوحيد

ويحكى أن رجلا كان وقفاً بعرفات فى يده سبعة أحجار فقال يا أيتها الأحجار أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوه إلى باب من أبواب جهنم جاءت حجرة من تلك الأحجار السبعة وألقت نفسها على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا ثم سيق إلى الباب الثانى فكان الأمر كما فى الأول وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى باب العرش فقال الله سبحانه وتعالى عبدى أشهدت الأحجار فلا يضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك على توحيدى ادخل الجنة فلما قرب من باب الجنان فإذا أبوابها مغلقة فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت الأبواب ودخلها الرجل .

حكاية فيها فضل الأذان والاقامة

وحكى أنه زاد الماء فى بغداد حتى أشرفت على الغرق فقال بعض الصالحين

رأيت فى بعض تلك الليالى كأنى واقف على طرف وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله غرقت بغداد فجاء إنسان حسن الصورة وكنت أعلم أنه ملك . وجاء آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر ما الذى أمرت به قال أمرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه فقال بم قال رفعت ملائكة الليل أن البارحة افتض ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله وأمرنى بتغريقها ثم رفعت ملائكة النهار فى صبح هذا اليوم سبعمائة أذان وإقامة فغفر الله لهؤلاء بهؤلاء . وقال صاحب الرؤيا فانتبهت وجئت إلى دجلة فإذا الماء قد نقص .

وعن الأصبغ بن نباته قال كنت مع على عليه السلام فى المقابر فقال السلام على أهل لا إله إلا الله من أهل لا اله الا الله يا أهل لا اله الا الله كيف وجدتم قول لا اله الا الله اللهم بحق لا اله الا الله اغفر لمن قال لا اله إلا الله واحشرنا فى زمرة من قال لا اله الا الله . قال على كرم الله وجهه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قالها اذا مر بالمقابر غفر الله له ذنوبه ماتقدم خمسين سنة ولوالديه ولقرابته ولجيرانه ولعامة المسلمين .

ما ورد فى تلقين الميت فى قبره

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة ثانياً فإنه يستوى قاعداً ثم ليقل يافلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له أذكر ما كنت خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما . فقال رجل يارسول الله فإن لم يعرف

اسم أمه فقال ينسبه إلى حواء ، رواه سعيد بن عبد الله الأزدى عن أبى أمامة الباهلى و نقله الغزالى فى كتاب ذكر الموت وما بعده .

سؤال القبر وعذابه

وقال صلى الله عليه وسلم إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر والآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول فى النبى صلى الله عليه وسلم فإن كان مؤمنا قال عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فيقولان إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا وينور له فى قبره ثم يقال له نم فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقال نم فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقا قال لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان انا كنا نعلم أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

دعوات موسى عليه السلام

وروى أبو الليث السمرقندى بإسناده عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى أنه قال بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى بن عمران خمس دعوات جاء بهن جبريل صلوات الله عليه فى أيام العشر (أولهن) لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير (والثانية) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الها واحدا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولداً (والثالثة) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له أحدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (والرابعة) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير (والخامسة) حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس

ورآء الله منتهى ، وذكر ان هذه الكلمات أنزلت فى الانجيل وأن الحواريين سألوا عيسى ابن مريم عليه السلام عن فضل هذه الدعوات فذكر لهم من الفضيلة والثواب لمن قرأها فى أيام العشر يعنى عشر ذى الحجة مالا يقدر على وصفه .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا رجل أنه دعا بهذه الكلمات فى أيام العشر فرأى فى المنام كأن فى بيته خمس طباق من نور بعضها فوق بعض فقال ماهذا فقيل له هذا ثواب الكلمات التى قلتهن فى أيام العشر فاستكثر منهن . وروى عن الشيخ أبى زيد القرطبي رحمه الله تعالى أنه قال سمعت فى بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداه من النار فعملت بذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى وعملت منها أعمالا ادّخرتها لنفسى ، وكان إذ ذاك معنا شاب كان يقال أنه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه ، وكان فى قلبى منه شىء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان إلى منزلة فبينما نحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول يا عم هذه أمى فى النار وهو يصيح صياحا عظيما لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت مابه من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرّب صدقه فألهمنى الله تعالى السبعين الألف ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى فقلت فى نفسى الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم إن السبعين الألف فداء هذه المرأة أم الشاب فما استتمت الخاطر فى نفسى إلا أن قال ياعم هاهى أخرجت الحمد لله . فحصلت فائدتان إيمانى بصدق الأثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه .

اسم الله الأعظم

وروى ابن أبى الدنيا عن شريح العابد قال رأيت فى النوم قائلا يقول لى ائت فلانا فقد أمرناه يعلمك اسم الله الأعظم . فلما أصبحت جاءنى رجل

فقال إنى رأيت البارحة فى النوم من يقول لى إيت شريحاً فعله اسم الله الأعظم وهو كل شيء فى القرآن لا إله إلا هو قال أبو هاشم الراوى عن شريح العابد فوجدها فى ثلاثين موضعاً من القرآن .

وعن يونس بن عبد الأعلى أنه أصابه شيء فرأى فى منامه قائلا يقول له اسم الله الأكبر لا إله إلا الله فقالها ومسح وجهه فاصبح معافى .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات فى يومه كانت له كفارة لكل ذنب أصابه فى ذلك اليوم ، وعن كعب الأحبار أوحى الله تعالى إلى موسى فى التوراة لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا ، وعن بعض الصحابة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ومدّها مع التعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب قيل فإن لم تكن له هذه الذنوب قال غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه ذكره الشيخ محمد السنوسى انتهى .

قال حجة الإسلام الغزالى ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد عن الصدق فى توحيده وأمره مخطر فى نفسه . فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم فعساك تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله مالا يخلط بها غيرها صفه لنا وفسره لنا . فقال حب الدنيا طلباً لها واتباعاً لها . وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاءه

بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة ، وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله لم تضره معها خطيئة . كما لو أشرك بالله لم تنفعه معه حسنة وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

وقال الفقيه أحمد بن على السردوى : حدثنى الفقيه السيد محمد بن أحمد النجيتيح عن الفقيه الإمام السيد محمد بن يوسف الضجاعى بإسناده يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قال خلف جنازة (لا إله إلا الله العاقى بعد قدرته لا إله إلا الله الباقى بعد فناء خلقه لا إله إلا الله كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) غفر الله للميت ولقائلها ولمن شيع جنازته وللقرية التى خرج منها وللمقبرة التى دفن فيها .

وذكر حجة الإسلام فى آخر الشطر الأول من كتاب ذكر الموت وما بعده أنه رئى الصديق رضى الله عنه فقيل له : إنك كنت تقول بيدك فى لسانك «هذا أوردنى الموارد» فما فعل الله بك؟ فقال : قلت به لا إله إلا الله فأوردنى الجنة .

وفى الكتاب المذكور عن الكتانى أنه قال رأيت الجنيد فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وذهبت العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليهما بالسحر بالليل . ورؤيت زبيدة فى المنام فقيل لها : ما فعل الله بك ؟ فقالت : غفر لى بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفنى بها عمرى لا إله إلا الله أدخل بها قبرى لا إله إلا الله أخلو بها وحدى لا إله إلا الله ألقى بها ربى عز وجل .

وفى آخر كتاب الحقائق قال : قال ابن عطاء يحتاج قائل لا إله إلا الله إلى أربع خصال تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع ومن لم تكن له حلاوة فهو مراء . ومن لم تكن

له حرمة فهو فاسق ، ثم قال صاحب كتاب الحقائق نظار هنا إلى القلب والنفس واللسان والجوارح فجعل التصديق حظ القلب والتعظيم حظ النفس والحلاوة حظ اللسان والحرمة حظ الجوارح .

وقال : فالكلمة لا إله إلا الله مبدأ ونهاية فمبدؤها نفى كل آلهة عبدت من دون الله وبهذا يكون العبد موحداً . ونهايتها نفى النظر لشىء سوى الله تعالى إذ هو موجد الأشياء ومظهرها . ولا حكم للموجَد مع الموجِد . ولا للمظهَر مع المظهِر . وهذا توحيد السابقين . وهم المفردون . وبين هذا المقام الأعلى الذى هو مقام السابقين . وبين المقام الأدنى الذى هو مقام عوام المؤمنين . مقام متوسط وهو توحيد الصالحين. وهو نفى كل هوى تميل إليه النفس . لقوله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ .

وفى الخبر الهوى أبغض إله عبد فى الأرض ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة . ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله ولا يبقى فيه شركة لغير الله .

تهليلات لها فضائل

وهذه تهليلات مخصوصات وردت فيها فضائل كثيرة .

قال أبو طالب المكى روينا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم يقول : (إنى أنا الله لا إله إلا أنا رب العالمين . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحى القيوم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا العفوُّ الغفور . إنى أنا الله لا إله إلا أنا مبدى كل شىء وإلىَّ يعود . إنى أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد . إنى أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الحكيم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم . إنى أنا الله لا إله إلا أنا مالك يوم الدين . إنى أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر . إنى أنا الله لا إله إلا أنا

خالق الجنة والنار . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الواحد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . إنى أنا الله له إلا أنا الفرد الوتر إنى أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدوس . إنى أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن . إنى أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الغفار المتكبر . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الأحد المصوّر . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الكبير المتعال إنى أنا الله لا إله إلا أنا المقتدر القهار ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم الكريم أنى أنا الله لا إله إلا أنا أهل الثناء والمجد إنى أنا الله لا إله إلا أنا اعلم السر وأخفى . إنى أنا الله لا إله إلا أنا القادر الرزاق . إنى أنا الله لا إله إلا أنا فوق الخلق والخليقة . إنى أنا الله لا إله إلا أنا الجبار المتكبر) فمن دعا بهذه الأسماء . فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهذه الأسماء كتب من الشاهدين المخبتين الذين يجاورون محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والأرض .

خاتمة

فى أن كلمة التوحيد فى سبعة وثلاثين موضعا فى القرآن

قال بعض العلماء قال الإمام فخر الدين الرازى قد ذكرت هذه الكلمة يعنى لا إله إلا الله فى القرآن فى سبعة وثلاثين موضعاً (اثنان) فى البقرة وآلهكم إله واحد لا إله لا هو الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم . (وأربعة) فى آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، (وواحد) فى سورة النساء لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ومن أصدق من الله حديثا (واثنان) فى الأنعام ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء

فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ، اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (وواحد) فى الاعراف قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت (واثنان) فى التوبة . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (وواحد) فى يونس . وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين (وواحد) فى هود . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون (وواحد) فى الرعد قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب (وواحد) فى النحل . أن انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون (وثلاثة) فى طه . الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ، اننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون وأقم الصلاة لذكرى إنما الهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيء علما (واثنان) فى الأنبياء وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وواحد) فى المؤمنين فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم (وواحد) فى النمل الله لا إله الا هو رب العرش العظيم (واثنان) فى القصص وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون (وواحد) فى فاطر يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون (وواحد) فى الصافات . انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون (وواحد) فى الزمر

يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فإنى تصرفون (وثلاثة) فى المؤمن ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو فأنى تؤفكون هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (وواحد) فى الدخان. لا اله الا هو يحيي ويميت . ربكم ورب آبائكم الأولين (وفى محمد واحد) . فاعلم أنه لا اله الا هو واستغفر لذنبك (وفى الحشر اثنان) هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (وفى التغابن واحد) الله لا اله الا الله هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون (وفى المزمل واحد) رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا .

كيفية النطق بكلمة التوحيد

ثم قال العالم ذكر ذلك فى أسرار التنزيل . وقال من الناس من قال تطويل المدّة فى كلمة لا من قولنا لا إله إلا الله مندوب إليه مستحسن لأن للمكلف فى زمان التمديد يستحضر فى ذهنه جميع الأضداد والأنداد وينفيها ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقول إلا الله فيكون ذلك أقرب إلى الإخلاص والكمال . ومنهم من قال ترك التمديد أولى لأنه ربما مات فى زمان التلفظ بلا قبل الإنتقال إلى كلمة إلا الله . قال والذى عندى أن المتلفظ بهذه الكلمة إن كان يتلفظ بها من الكفر إلى الإيمان فترك المد أولى حتى يحصل الانتقال من الكفر إلى الإيمان على أسرع الوجوه . وإن كان المتلفظ بها مؤمناً وإنما يذكرها لتجديد هذه الكلمة فالتمديد أولى حتى يحصل فى زمان التمديد صور الأضداد والأنداد على التفصيل فى الخاطر وينفيها ويعقبها بقوله إلا الله فيكون الاقرار بالآلهيه أصفى وأكمل .

اسماء كلمة التوحيد أربعة وعشرون

ثم قال ذلك العالم وذكر الإمام فخر الدين الرازى أيضاً أن لا إله إلا الله لها أربعة وعشرون اُسماً (الأول) كلمة التوحيد وذلك يدل على نفى الشرك على الاطلاق (الثانى) كلمة الإخلاص قال وذلك لأن الأصل فى هذه الكلمة عمل القلب وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل أن يؤتى بها لغرض آخر سوى طاعة الله تعالى وحبه وَعبوديته فهذه المعرفة إن طلبت فلوجه الله تعالى لا لغرض آخر البتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الإخلاص (الثالث) كلمة الإحسان قال الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما جزاء من أحسن بقول لا إله إلا الله إلا الجنة (الرابع) دعوة الحق . قال الله تعالى فى سورة الرعد له دعوة الحق . قال ابن عباس هو قول لا إله إلا الله (الخامس) كلمة العدل . قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنه قال العدل شهادة أن لا إله إلا الله . والإحسان : القيام بالعبودية (السادس الطيب من القول) قال تعالى وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد . قال الإمام أىُّ كلمة توجد أطهر وأطيب من هذه الكلمة ؟ (السابع) الكلمة الطيبة . قال تعالى كلمةً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء (الثامن) القول الثابت . قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة (التاسع) كلمة التقوى . قال تعالى وألزمهم كلمة التقوى (العاشر) الكلمة الباقية . روى عن كثير من المفسرين فى قوله تعالى . وجعلها كلمة باقية فى عقبة أنها قول لا إله إلا الله (الحادى عشر) كلمة الله العليا .

قال تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا (الثانى عشر) المثل الأعلى. قال تعالى . ولله المثل الأعلى معناه قول لا اله الا الله (الثالث عشر) كلمة السواء . قال تعالى . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا تعبد إلا الله قال أبو العالية الرياحى هى كلمة لا اله الا الله (الرابع عشر) كلمة النجاه قال صلى الله عليه وسلم من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة (الخامس عشر) كلمة العهد قال ابن عباس فى قوله تعالى . لا يملكون الشفاعه إلا من اتخذ عندالرحمن عهداً . العهد هو قول لا إله إلا الله . (السادس عشر) كلمة الاستقامة . قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . قال ابن مسعود والمراد من قوله استقاموا هو قول لا إله إلا الله . (السابع عشر) مقاليد السموات والأرض قال تعالى . له مقاليد السموات والأرض . قال ابن عباس هى قول لا إله إلا الله . (الثامن عشر) القول السديد . قال تعالى . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (التاسع عشر) البر قال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله (العشرون) كلمة الدين . قال تعالى . ألا لله الدين الخالص (الحادى والعشرون) كلمة الصراط . قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم (الثانى والعشرون) كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق يعنى قول لا إله الا الله (الثالث والعشرون) العروة الوثقى. قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعنى بلا اله الا الله (الرابع والعشرون) كلمة الصدق لقوله تعالى . والذى جاء بالصدق وصدّق به . قال فهذا مجمل الكلام فى اسماء قول لا إله إلا الله . اللهم بحق أسمائك الطاهرة المطهرة احفظ بحفظك معرفة الكلمة فى قلوبنا وذكرها على ألسنتنا يا أرحم الراحمين اه . كلام الإمام الرازى باختصار .

اسماء كلمة التوحيد أربعة وعشرون

ثم قال ذلك العالم وذكر الإمام فخر الدين الرازى أيضاً أن لا إله إلا الله لها أربعة وعشرون اسماً (الأول) كلمة التوحيد وذلك يدل على نفى الشرك على الاطلاق (الثانى) كلمة الإخلاص قال وذلك لأن الأصل فى هذه الكلمة عمل القلب وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة بالقلب يستحيل أن يؤتى بها لغرض آخر سوى طاعة الله تعالى وحبه وعبوديته فهذه المعرفة إن طلبت فلوجه الله تعالى لا لغرض آخر البتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فإنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الإخلاص (الثالث) كلمة الإحسان قال الله تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما جزاء من أحسن بقول لا إله إلا الله إلا الجنة (الرابع) دعوة الحق . قال الله تعالى فى سورة الرعد له دعوة الحق . قال ابن عباس هو قول لا إله إلا الله (الخامس) كلمة العدل . قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنه قال العدل شهادة أن لا إله إلا الله . والإحسان : القيام بالعبودية (السادس الطيب من القول) قال تعالى وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد . قال الإمام أىُّ كلمة توجد أطهر وأطيب من هذه الكلمة ؟ (السابع) الكلمة الطيبة . قال تعالى كلمةً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء (الثامن) القول الثابت . قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة (التاسع) كلمة التقوى . قال تعالى وألزمهم كلمة التقوى (العاشر) الكلمة الباقية . روى عن كثير من المفسرين فى قوله تعالى . وجعلها كلمة باقية فى عقبة أنها قول لا إله إلا الله (الحادى عشر) كلمة الله العليا .

قال تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا (الثانى عشر) المثل الأعلى. قال تعالى . ولله المثل الأعلى معناه قول لا اله الا الله (الثالث عشر) كلمة السواء . قال تعالى . قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله قال أبو العالية الرياحى هى كلمة لا اله الا الله (الرابع عشر) كلمة النجاه قال صلى الله عليه وسلم من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة (الخامس عشر) كلمة العهد قال ابن عباس فى قوله تعالى . لا يملكون الشفاعه إلا من اتخذ عندالرحمن عهداً . العهد هو قول لا إله إلا الله . (السادس عشر) كلمة الاستقامة . قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . قال ابن مسعود والمراد من قوله استقاموا هو قول لا إله إلا الله . (السابع عشر) مقاليد السموات والأرض قال تعالى . له مقاليد السموات والأرض . قال ابن عباس هى قول لا إله إلا الله . (الثامن عشر) القول السديد . قال تعالى . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (التاسع عشر) البر قال تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله (العشرون) كلمة الدين . قال تعالى . ألا لله الدين الخالص (الحادى والعشرون) كلمة الصراط . قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم (الثانى والعشرون) كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق يعنى قول لا إله الا الله (الثالث والعشرون) العروة الوثقى. قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعنى بلا اله الا الله (الرابع والعشرون) كلمة الصدق لقوله تعالى . والذى جاء بالصدق وصدّق به . قال فهذا مجمل الكلام فى اسماء قول لا إله إلا الله . اللهم بحق أسمائك الطاهرة المطهرة احفظ بحفظك معرفة الكلمة فى قلوبنا وذكرها على ألسنتنا يا أرحم الراحمين اه . كلام الإمام الرازى باختصار .

ثم قال ذلك العالم بعد إيراد كلام الرازى هنا . ومن أسمائها (أى غير ماذكر) (المعروف) قال تعالى (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) قال ابن عباس المعروف قول لا إله إلا الله .

* * *

وقال المفسرون فى قوله تعالى ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ﴾ أى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ ومن يكفر بالإيمان ﴾ يعنى لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ يعنى عن لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ يعنى أهل لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ يعنى بذكر لا إله إلا الله وقوله ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ يعنى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى : ﴿ له دعوة الحق ﴾ يعنى قول لا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ وقولوا حطة ﴾ أى لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ أى يقول لا إله إلا الله. وقوله تعالى ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ أى قال لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ أى لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ﴾ يعنى بقول لا إله إلا الله باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالجنان ، وقوله تعالى ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ أى مقر بلا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ يعنى بلا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ يعنى على قول لا إله إلا الله . وقوله تعالى ﴿ والباقيات الصالحات) يعنى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقوله تعالى ﴿ انما أعظكم بواحدة ﴾ يعنى بلا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ أى لا اله الا الله . وقوله تعالى ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ يعنى بقول لا اله الا الله وقوله تعالى ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ يعنى بلا اله الا الله . وقوله تعالى ﴿ بل أتيناهم بالحق ﴾ أى بلا اله الا الله . وقوله تعالى ﴿ وطهر بيتى ﴾ أى من

الأوثان أى بقول لا اله الا الله. وقوله تعالى ﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ﴾ يعنى بلا إله الا الله وقوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ أى بلا اله الا الله وقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون ﴾ أى ليوحدون فيقولوا لا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ ادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أى قول لا إله إلا الله اه باختصار.

ثم قال وعلى التحقيق جميع القرآن انما هو توحيد الله تعالى إما تصريحاً وإما تلويحاً وكل آية منه لها ظاهر وباطن وحدٌ ومطلع والكل رمز الى توحيد الله تعالى وصمديته والله سبحانه أعلم.

الفصل الثانى

فى فوائد تتعلق بكلمة الاخلاص

﴿ الفائدة الأولى ﴾ قال العلماء الشهادتان هما لا إله إلا الله محمد رسول الله وهما الركن الأول من أركان الإسلام. والثانى الصلاة والثالث الصوم. والرابع الزكاة، والخامس الحج، وقالوا يعتبر فى تحقيق الإسلام والإيمان النطق بالشهادتين مع التصديق بالقلب فلو تقدم النطق ثم وجد التصديق لم يكف، ويجب على الإنسان فى عمره مرة واحدة أن يتلفظ بالشهادتين وينوى بهما الفريضة فينوى بقلبه وينطق بلسانه بأن لا معبود بحق إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويعتقد بقلبه أن محمدا وجميع الأنبياء والرسل منزهون عن الكذب والغش والخيانة.

دعاء الكرب

وهذا دعاء الكرب المعروف الذى يدعى به عند الأمور المهمة وهو ما روى فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله الا الله العظيم الحليم ، لا إله الا الله رب العرش العظيم ، لا إله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم ، وفى رواية لمسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر قال ذلك . وذكر بعضهم أنه من قال فى أول الليل وأول النهار عقدت لسان الحية وزبان العقرب ويد السارق بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن الحية والعقرب والسارق :

* * *

﴿ الفائدة الثانية ﴾ روى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى جبريل دواء يشفى من كل داء وقال نسخته من اللوح المحفوظ يأخذ ماء للطر الذى لم يجر على سقف فى إناء نظيف فيقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرة وآية الكرسى مثله وسورة الأخلاص مثله . وقل أعوذ برب الفلق مثله . وقل أعوذ برب الناس مثله . ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ثم يصوم سبعة أيام ويفطر كل يوم بذلك الماء أخرجه رزين:

فوائد آية الكرسى

ومما يحسن هنا ذكر شيء من فضائل آية الكرسى لأنها تضمنت كلمة التوحيد واشتملت على معانى الصفات العلى : قال بعض العلماء إنها تعدل ثلث القرآن . وهى خمسون كلمة وفى كل كلمة خمسون بركة ، ونزلت ليلا وعن محمد بن الحنفية أنه لما نزلت آية الكرسى خرَّ كل صنم فى الدنيا على وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين وضرب بعضهم بعضا الحديث ، وروى عن أبى عبدالله الحكيم الترمذى عن نوف البكالى أنه قال آية الكرسى تدعى فى التوراة ولية الله ويدعى قاريها فى ملكوت السموات عزيزا ، وكان عبدالرحمن بن عوف

إذا دخل بيته قرأ آية الكرسى فى زواياه الأربع . ونقل أيضاً عن الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم المؤمن إلى المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح وقال حديث غريب . قال الترمذى روى أن المؤمنين ندبوا الى المحافظة عليها وعلى قراءتها دبر كل صلاة ، وعن أنس رفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله إلى موسى عليه السلام من دوام على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة أعطيته قلوب الشاكرين وأجر النبيين وأعمال الصديقين وبسطت عليه يمينى بالرحمة ولم يمنعه أن أدخله الجنة إلا أن يأتيه ملك الموت . قال موسى عليه السلام يارب من سمع بهذا ألا يداوم عليه قال إنى لا أعطيه من عبادى إلا نبيا أو صديقا أو رجلا أحبه أو رجلا أريد قتله فى سبيلى . وعن أبى بن كعب . قال قال الله تعالى ياموسى من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء . قال أبو عبدالله معناه عندنا أنه يعطى ثواب عمل الأنبياء فأما ثواب النبوة . فليس لأحد إلا للأنبياء .

وقال الإمام ناصر الدين محمد بن عبد الدائم الشهير بابن بنت الميلق الشافعى الشاذلى الأشعرى رحمه الله فى جواب من استفهم عن اسم الله الأعظم ، وأما لا إله إلا الله فشواهدها كثيرة ، وكل شىء جاء فى فضلها يدل على أنها أعظم الكلمات . ولهذا كانت مفتاح الإسلام ومفتاح الجنة ولا سيما وهى مشتملة على اسم الله الذى هو أعظم الأسماء فى الدلالة على الألوهية وكمالها حتى ذهب كثير من العلماء إلى أنه اسم الله الأعظم قال ومما يؤيد أن الاسم الأعظم لا إله إلا الله أن الدعاء الذى يشتمل عليها يستجاب .

* * *

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ من الكتاب المذكور فى دعاء الحاجة أخرج الطبرانى فى كتابيه الأوسط والصغير من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى

صلى الله عليه وسلم قال إذا طلبت حاجة فأحببت أن تنجح أى تقضى فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم بسم الله الذى لا إله إلا هو الحى الحكيم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون. كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها اللهم أنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا ديناً إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين انتهى .

﴿الفائدة الرابعة﴾ من الكتاب المذكور نقلا من كتابى الطبرانى المذكورين عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه أياه لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

﴿ الفائدة الخامسة ﴾ حكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إذا قال العبد لا إله إلا الله خرقت الحجب حتى تقف بين يدى الله فتطلب المغفرة لقائلها . فيقول الله تعالى إنى ما أجريتك على لسانه إلا بعد أن سبقت إرادتى له بالمغفرة اه من كتاب أنس المنقطعين .

وفى كتاب (الرياض المستطابه فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة) للامام يحيى بن أبى بكر العامرى لما حضرت الوفاة أبا سليمان خالد بن الوليد رضى الله عنه قال لقد حضرت مائة زحف أو نحوها وما فى بدنى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشى فلا نامت أعين الجبناء

وما من عمل أرجى عندى من لا إله إلا الله وأنا متترس بها من النار ، توفى رحمه الله بحمص سنة ٢١ إحدى وعشرين فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما حضرته الوفاة أيضاً حبس فرسه وسلاحه فى سبيل الله .

وفى كتاب الاكتفاء للشيخ الكلاعى رحمه الله قال لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وحمل إلى بيته . قال لابنه عبدالله رضى الله عنهما أخرج وانظر من قتلنى . فقال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يسجد لله سجدة واحدة يحاجنى بلا إله إلا الله .

وفى تفسير البغوى مارواه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة مرداس بن نهيك وكان مسلماً وأصحابه كفار فلما أقبلت عليه خيل النبى صلى الله عليه وسلم وسمع التكبير عرف أنهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنزل وهو يكبر ويقول لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد فقتله فوجد النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وجداً شديداً فقال لأسامة بن زيد كيف بلا إله إلا الله قالها ثلاثاً قال أسامة فما زال النبى صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أستغفر لى بعد ذلك ثلاث مرات وقال : أعتق رقبة .

﴿ الفائدة السادسة ﴾ روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أوصى نوح ابنه باثنتين ونهاه عن اثنتين قال له أوصيك بقول لا إله إلا الله فإنها لو وضعت لا إله إلا الله فى كفة ووضعت السموات والأرضون فى كفة لوزنت بهن . وآمرك بقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء وأما الإثنتان اللتان أنهاك عنهما فالشرك بالله والاتكال على غير الله عز وجل .

﴿ الفائدة السابعة ﴾ قوله تعالى ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ قيل فى التفسير هو لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكان أبو الغلامين رجلا صالحاً اسمه كاشح قيل كان بينهما وبين الأب الذى حُفظا به سبعة آباء وذلك من جهة الأم والله أعلم .

* * *

﴿ الفائدة الثامنة ﴾ نقل الطبرى فى كتاب الرياض النضرة فى فضائل العشرة عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك مع أنك مغفور لك « لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلى العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم » والحمد لله رب العالمين أخرجه أحمد والنسائى . وأبو حاتم . وأخرجه ابن الضحاك . وزاد بعد الحمد لله رب العالمين « اللهم اغفر لى اللهم ارحمنى . اللهم اعف عنى إنك غفور رحيم أو عفو غفور » وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى هؤلاء الكلمات وقال حجة الإسلام فمن أفضل الذكر الله لا إله إلا هو الحى القيوم فإن فيه الاسم الأعظم اذ قال عليه الصلاة والسلام اسم الله الأعظم فى آية الكرسى وأول سورة آل عمران ولا يشتركان إلا فى هذا وله صرٌّ يدق عن فهمك ذكره فافهم كلامه .

* * *

﴿ الفائدة التاسعة ﴾ قال حجة الإسلام الغزالى كان رجل بالبصرة يرقى الضرس وكان يبخل أن يعلم الناس فلما حضرته الوفاة قال لمن حوله اكتب ما كنت أرقى به الضرس لينتفع به الناس وأخلص من كتمانه . فأملى عليه هذه الأحرف . المص كهيعص حمعسق الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم اسكن

أيها الوجع بالذى إن يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ، وله ماسكن فى الليل والنهار الآية .

* * *

﴿ الفائدة العاشرة ﴾ ما روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر ذنبه » رواه مسلم ونقله الإمام النووى فى كتاب رياض الصالحين .

* * *

﴿ الفائدة الحادية عشرة ﴾ وهى ما نقله الشرجى عن البونى أن من قرأ آية الكرسى سبع عشرة مرة بعد صلاة العصر من يوم الجمعة فى موضع خال وجد من قلبه حالة لم يعهدها قبل فإذا دعا فى تلك الحالة استجيب له ، وقال من قرأها ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة حصل له من الخير مالا يقاس عليه ، وفيها يروى عن بعض الصالحين أن الخضر عليه السلام يقول إن من قَبَل ظفرى ابهاميه ومسح بهما عينيه عند قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله وقال مرحباً بحبيبى وقرة عينى محمد صلى الله عليه وسلم لم يصبه رمد العين .

وفى كتاب الفوائد للشرجى قال من دخل على من يخاف شره . فقال فى وجهه أطفأت غضبك بلا إله إلا الله واستجلبت رضاك بلا إله إلا الله واستقضيت حوائجى منك بلا إله الا الله أمن من شره وقضيت حوائجه قال واذا رأيت من تخاف شره وأردت أن ينجيك الله منه فقل ان الله هو الذى ليس كمثله شىء وهو الواحد القهار . وفيه قال هذه فائدة مسهلة للولادة . مباركة تروى عن ابن عباس رضى الله عنهما تكتب فى اناء طاهر وتمحى بماء طاهر وتشربه المرأة

تخلص باذن الله تعالى . وهى بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها .

دعاء مبارك

وهذا دعاء مبارك وذكر عظيم وهو مما تبين نفعه وجربت بركته وجد بخط بعض العلماء من واظب عليه بعد كل فريضة كفاه الله أهوال الدنيا والآخرة وهو هذا .

أعددت لكل هول ألقاه فى الدنيا والآخرة لا إله إلا الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رخاء وشدة الشكر لله ولكل أعجوبة سبحان الله ولكل ذنب استغفر الله ولكل ضيق حسبى الله ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انتهى ما أردنا ذكره هنا من الفوائد ولا سبيل إلى احصاء ما احتوت عليه لا إله إلا الله من جميل العوائد وجليل الفرائد وفى هذا كفاية وبالله التوفيق .

الفصل الثالث

فى معنى لا إله إلا الله

قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى لا إله إلا الله أى لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطى ولا مانع إلا الله . وقال بعضهم تفسيرها لا معبود بحق إلا لله ، وقال فخر الدين الرازى قول العبد لا إله إلا الله إشارة إلى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتسديد إلى الملك المجيد فإذا قال العبد لا إله إلا الله فالمعنى لا إله له ، الآلاء والنعماء والقدرة والبقاء والعظمة والسناء والعز والثناء

والسخط والرضاء إلا الله الذى هو رب العالمين وخالق الأولين والآخرين وديان يوم الدين اه .

قال السنوسى معنى الألوهية استغناء الا له عن كل ماسواه وافتقار كل ما سواه إليه فمعنى لا إله إلا الله لامستغنيا عن كل ماسواه ومفتقرا إليه كل ماعداه إلا الله تعالى .

وقال بعض العلماء معنى لا إله إلا الله لا خالق للخلق ولا مالك للأمر إلا الله . وأخذ هذا من قوله تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ ومن قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ والله اعلم .

وقال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد فى كتابه اتحاف السائل سألت عن معنى لا إله إلا الله فاعلم أن جميع العلوم الدينية ووسائلها ترجع إلى شرح معنى لا إله إلا الله وشرح حقها الذى هو الأمر والنهى والوعد والوعيد وما يتبع ذلك وما كان شرحاً لحقها فهو شرح لها بحكم التبعية ، والقصد التعريف بأنه لا سبيل إلى الإحاطة بشرح علومها ، وأما شرح معناها فى نفسها فهو فى العلم الذى يطلق عليه علم التوحيد وهو البحر الزاخر الذى لا يبلغ له ساحل ولا يدرك له قعر ولا آخر قد سبح النظار من المتكلمين فى باحته وغاص المحققون من العارفين فى لجته فأدركوا من لطائفة ونفائسه وعجائبه وغرائبه مايجل قدره ويتعذر حصره ثم أجمعوا بعد طول البحث والامعان بحسب الطاقة والإمكان على الاعتراف بالعجز عن الغاية والوقوف على النهاية . وذلك لأن الإحاطة بعلوم التوحيد موقوفة على الإحاطة بذات الموحد وصفاته تعالى عن ذلك علواً كبيراً . وقد أجمع المحققون على أن الإحاطة بذات الله وصفاته غير ممكنة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ثم قال بعد أن أتى بكلام طويل عجيب فى هذا المعنى (فصل) نذكر فيه طرفاً من ظاهر معنى لا إله إلا الله وقد أسلفنا العذر المقتضى للسكوت عن باطن معناها فنقول ، اعلم أنه لا إله إلا الله واجب الوجود لذاته الفرد الواحد الملك القادر الحى القيوم القديم الأزلى الدائم الأبدى الذى هو بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير يفعل ما يشاء ويحكم مايريد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير تقدس وتعالى عن الشبيه والنظير وعن الشريك والوزير لا يحده الزمان ولا يشغله شأن عن شأن ولا تحيط به الجهات ولا تعتريه الحادثات له الغنى المطلق عن كل شىء بكل معنى ومن كل وجه وكل ماسواه مفتقر إليه فقراً لا يتصور عنه انفكاك . خلق الخلق أجمعين وخلق أعمالهم خيرها وشرها نفعها وضرها فتبارك الله أحسن الخالقين ، يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، خلقهم ورزقهم وأنزل الكتب وبعث الرسل لهدايتهم لطفاً بهم وتفضلاً عليهم يجب توحيده وطاعته على عباده بإيجابه ولا يجب عليه لأحد شىء لأنه المالك لكل شىء المستولى على كل شىء فليس لأحد معه ملك ولا لأحد عنده حق ، وعد المحسنين بثوابه فضلاً . وتوعد المسيئين بعقابه عدلاً . فالإله هو الجامع لجميع هذه الصفات وهو الله الذى لا إله إلا هو .

ثم قال فى موضع آخر اعلم أن هذه الكلمة الشريفة شطران أحدهما نفى وهو قولك « لا إله » . والآخر إثبات وهو قولك « إلا الله » . فإذا صدر النفى معقباً بالإثبات ممن لا يشرك مع الله آخر فمعناه نفى توهم أن مع الله آلها آخر من المشركين والرد عليهم وتقرير المعنى الحاصل فى القلب من التوحيد فإنه يتأكد بتكرار هذه الكلمة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله ثم قال وإنما قلنا فى صدر الفصل ينبغى للموحد أن

يقصد بنفيه الآلهية عما سوى الله الرد على من توهم ذلك من المشركين ونحوهم .
وسمينا اعتقادهم الفاسد توهماً لأنه إنما ينشأ عن تصور فاسد ورأى ضعيف يؤذن
بتغير قائله وفقد عقله وإلا فكيف يخفى على ذى بصر وسمع فضلا عن ذى
بصيرة وقلب وجود من ظهرت به الأشياء وانفراده بها ولكن من يهدى الله
فماله من مضل ومن يضلل الله فماله من هاد .

أيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه واحد
ولله فى كل تحريكة ... وتسكينة أثر شاهد

قال بعض العارفين من طلب دليلا على وحدانية الله فالحمار أعرف منه .
قال المحققون الإله هو المعبود بحق والمعبود بحق هو الخالق الرازق والخالق
لكل شىء والرازق هو الله تعالى وهو الإله المعبود وحده لا شريك له . ومن
المستحيل عقلا وشرعاً أن يكون للعالم أكثر من إله فما من إله إلا الله العزيز
الحكيم . قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . انتهى وهو بعض ماذكره
سيدنا القطب عبد الله بن علوى الحداد . والسائل المذكور هو الشيخ الزكى
وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله أبى عبّاد .

خاتمة

فى إسلام الأعرابى وشهادة الضب بالرسالة المحمدية

روى الدارقطنى والبيهقى وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى عن ابن عمر
رضى الله عنهما كما فى كتاب حياة الحيوان للدميرى أن النبى صلى الله عليه وسلم
كان فى محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابى من بنى سُليم وقد صاد ضبا وجعله فى
كمه وذهب به إلى رحله فرأى جماعة فقال على مَن هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا
الذى يزعم أنه نبى . فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب

منك ولولا أنى أخاف أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين . فقال عمر رضى الله عنه دعنى أقتله يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا . أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا أؤ من بك أو يؤمن بك هـذا الضب وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان آمن بك آمنت فقال صلى الله عليه وسلم ياضب فكلمه بلسان طلق فصيح عربى مبين صريح يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يارسول رب العالمين، فقال صلى الله عليه وسلم من تعبُد قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه ، قال صلى الله عليه وسلم فمن أنا ياضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك . فقال الاعرابى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا والله لقد أتيتك وماعلى وجه الأرض أحد هو أبغض إلى منك . ووالله لأنت الساعة أحب إلى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك إلى هـذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه فلا يقبله الله إلا بصلاة ولاتقبل الصلاة إلا بقرآن . قال فعلمنى فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص فقال يارسول ماسمعت فى البسيط ولافى الوجيز أحسن من هـذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر إذا قرأت قل هو الله أحد فكأنما قرأت ثلث القرآن وإن قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن ، وإن قرأتها ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابى ان إلهنا يقبل اليسير و يعطى الكثير الحديث بتمامه .

الذكر الرابع عشر وشرحه

فلما أكمل سيدنا عمر التهاليل . أتى بالكلمة التى أول من قالها آبونا

براهيم الخليل وثنى بها نبينا محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام يوم أحد ودماء أصحابه ودماء الأعداء منهم تسيل جهادا فى سبيل الله ونعم الجهاد ونعم السبيل وهى قولها ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل (سبعا) ﴾ قال الشيخ على أول من قالها سيدنا ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما رمى به فى نار النمرود فصارت عليه بردا وسلاما ثم قالها بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما قيل لهم . إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد ما أصابهم القرح بأحد فاتبعوا قريشا . فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . قال وكذلك ذاكرها ينقلب بنعمة من الله وفضل فى دينه ودنياه وأولاه وأخراه ويدفع الله عنه سائر الأسواء ولا يرهقه بتضرات البلاء ، إلى آخر كلام الشيخ قدس الله روحه .

ونحن نأتى بما أمكن الاتيان به من فضائل هذا الذكر العظيم من الآيات والأخبار .

فاما الآيات فقد قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا) وقال تعالى (فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت) الآية . وقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) الآية . وقال تعالى (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) وقال تعالى (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا) وقال تعالى (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (أليس الله بكاف عبده) إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأخبار فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ياجبريل أنت مع قوتك هل أعييت قط قال نعم يامحمد ثلاث مرات (الأولى) يوم ألقى ابراهيم فى النار فأوحى الله إلى وأنا تحت العرش

أدركه فوعزتى وجلالى لئن سبقك إلى النار لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة فنزلت إليه بسرعة فأدركته بين النار والهواء وقد أعييت فقلت يا ابراهيم ألك حاجة قال اما إليك فلا (الثانية) حين أمر ابراهيم بذبح ولده أوحى الله إلى أن أدركه فوعزتى وجلالى لئن سبقك السكين إلى حلقه لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة حتى حولت السكين فى يديه بفداء ولده (الثالثة) حين رمى يوسف فى الجب فاوحى الله إلى أن أدركه فوعزتى وجلالى لئن سبقك إلى قعر الجب لأمحون اسمك من ديوان الملائكة فنزلت بسرعة فأدركته فى الفضاء فرفعت له صخرة كانت فى قعر الجب فأنزلته عليها سالما فعييت وكان الجب مأوى الحيات والأفاعى فلما أحسسن به قالت كل واحدة لصاحبتها اياك أن تتحركى فإن نبيا كريما نزل بجوارنا فلم تخرج واحدة من وكرها إلا أفعى فإنها خرجت وقصدت لدغه فصحت بهن صيحة صمتت آذانهنّ إلى يوم القيامة .

وعن الحسن البصرى أنه قال كان جماعة ممن يقتدى بهم فى الدين ينتحلون قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة خلف كل صلاة مفروضة . وقالوا بها يحفظ وبها يرزق . قال وما أظن ذلك إلا عن قوله (عليه توكلت) وقد جاء ومن يتوكل على الله فهو حسبه . وروى أن النمرود وقومه لما أرادوا القاء الخليل عليه السلام فى النار عمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين يعنى الانس والجن صيحة واحدة أى ربنا ابراهيم خليلك يلقى فى النار وليس أحد يعبدك غيره فأذن لنا فى نصرته فقال الله عزوجل إنه خليلى وليس لى خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيرى فإن استغاث بشئ منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك وإن لم يدع غيرى فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا إلقاءه فى النار أتاه خازن المياه . فقال ان أردت أخمدت النار . وأتاه خازن الرياح فقال له إن شئت طيرت النار فى الهواء

فقال ابراهيم لاحاجة لى إليكم حسبى الله ونعم الوكيل .

وروى عن أبى بن كعب ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار . لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لاشريك لك ثم رموا به فى المنجنيق إلى النار . فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة . فقال ابراهيم أما إليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال كل يوم سبع مرات (فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) كفاه الله ما أهمه من آخرته ودنياه صادقا كان أو كاذبا ، وقال عليه الصلاة والسلام حسبى الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف . رواه شداد بن أوس .

وقال عليه الصلاة والسلام إذا وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقال عليه الصلاة والسلام حسبى رجائى من خالقى وحسبى دينى من دنياى رواه ابراهيم بن أدهم عن أبى بن ثابت .

وروى ابن أبى الدنيا فى الفرج من طريق الخليل بن مرة عن فقية أهل الأردن بلاغا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصابه غم أو كرب يقول حسبى الرب من العباد حسبى الخالق من المخلوقين حسبى الرازق من المرزوقين حسبى الذى هو حسبى حسبى الله ونعم الوكيل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

وروى أبو داود فى السنن عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما أدبر حسبى الله ونعم الوكيل فقال صلى الله عليه وسلم إن الله لا يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل قال النووى والكيس الرفق ومعناه

عليك بالعمل فى رفق بحيث تطيق الدوام عليه .

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحابه رضى الله عنهم فقالوا كيف نفعل أو كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وربما قال على الله توكلنا أخرجه الترمذى .

وعن ابن زعب الأيادى قال نزلت على عبدالله بن حوالة الأزدى فقال لى: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نغنم على أقدامنا فرجعنا ولم نغنم شيئاً وعرف الجهد فى وجوهنا فقام فينا فقال اللهم لا تكلهم إلى فاضعف عنهم ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم ثم وضع يده على رأسى ثم قال يابن حوالة إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة فقد ذهبت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدى هذه من رأسك أخرجه أبو داود .

قلت ويلتمح من هذا الحديث المبارك دعاء عظيم يدعى به فيقال اللهم لا تكلنا إلى غيرك فيضعف عنا ولا تكلنا إلى أنفسنا فتعجز عنا . ولا تكلنا إلى الناس فيستأثروا علينا .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ثم يقول يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا فيها لكفتهم نقله صاحب كتاب الفرج بعد الشدة ، قال الشرجى فى فوائده .

(فائدة) فى العطف والوجهة قوله تعالى : ﴿فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو﴾ إلى آخر السورة . خاصية هذه الآية أنها تعطف قلوب المعرضين على من أعرضوا عنه وتنفع من كيد الكائدين فمن قرأها ليلة الجمعة نصف الليل ثلاثين

مرة وقال فى آخر كل مرة اللهم أنت يارب حسبى على فلان ابن فلانة أو فلانة بنت فلان اعطف قلبه أو قلبها وذلله أو ذللها فإن الله تعالى يعطف قلبه عليه أو قلبها عليه ويذلله أو يذللها له ، وروى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال العبد حسبى الله سبع مرات قال الله تعالى صدق عبدى لأكفينه صادقاً كان أو كاذباً .

قال الجيشى فى كتاب البركة بعد إيراد حديث حسبى الله المذكور أولاً فتنبغى المواظبة على هذا قال وقد قال ابن الصيف اليمنى ينبغى الاعتماد من ربع العبادات على تلاوة القرآن . وقول حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال لأن العبادات سوى هذين يشترط فيها حضور القلب والصدق . وتلاوة القرآن قد جاء أنها أعظم القرب إلى الله تعالى بفهم وغير فهم وقائل حسبى الله قد جاء أن الله يكفيه ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً انتهى ما ذكره عنه فافهم .

وقال عليه السلام من قال عند همه عشر مرات حسبى الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم اذهب الله همه وغمه . ومن صلى وسلم علىّ عشر مرات فكأنما اعتق رقبة .

وروى البغوى فى تفسيره أن نبى الله يوسف عليه السلام لما جاءه رسول الملك يدعوه إلى حضرته ويخرجه من السجن قام على باب السجن ودعا لأهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار فى كل بلد فلما خرج يوسف من السجن كتب على باب السجن هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء . ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً حساناً وقصد الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى عن دنياى وحسبى ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال [أى يوسف] اللهم إنى أسألك

بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره .

* * *

وأما قول السلف فقد روى عن معروف الكرخى رضى الله عنه أنه قال لمحمد بن حسان ألا أعلمك عشر كلمات خمساً للدنيا وخمساً للآخرة من دعا بهن وجد الله تعالى عندهن . قال محمد بن حسان فقلت لمعروف اكتبها لى قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها على أبو بكر بن خنيس رحمه الله وهى هذه .
حسبى الله العظيم لدينى ، حسبى الله الحليم لدنياى ، حسبى الله الكريم لما أهمنى ، حسبى الله القوى لمن بغى على ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء ، حسبى الله الرحيم عند الموت ، حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر ، حسبى الله الكريم عند الحساب ، حسبى الله اللطيف عند الميزان ، حسبى الله القدير عند الصراط ، حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

(قات) واعلم أن معنى قولك حسبى الله أى رضيت بقضائه وقدره . وفوضت أمرى إليه . وألجأت ظهرى إليه . قال الله الكريم . فى كتابه العظيم . ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله الآية . كما روى أن إبراهيم لما وضع فى المنجنيق . قال حسبى الله . وكانت هذه من الدعوات العظام فامتحن وعورض بجبريل فى الهواء حتى قال ألك حاجة . فقال أما إليك فلا . وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبى الله . وأخبر الله عنه بقوله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذى وفى ﴾ أى وفى بموجب قوله حسبى الله .

هذا وقد قيل إنه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام مامن عبد يعتصم بى من دون خلقى فتكيده أهل السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً ، وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها .

وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله تعالى أوثق منه بما فى يديه .

وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال أثنى رجل على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ويلك قطعت عنق صاحبك.قاله ثلاثاً ثم قال من كان مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه أخرجه الشيخان وأبو داود . قوله قطعت عنق صاحبك أى أهلكته بالإطراء والمدح والتعظيم عند نفسه فإنه يعجب بذلك فيهلك كأنك قطعت عنقه .

وفى كتاب أنس المنقطعين حكى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال من قال ثلاثاً حين يصبح وثلاثاً حين يمسى حسبى الله ونعم الوكيل لم يزل فى أمان الله وستره وكفايته مالم يخرق ذلك بكبيرة .

﴿ فائدة ﴾ قال الإمام النووى فى شرح المهذب : واعلم أنه يستحب لكل أحد فى كل موطن قول حسبى الله لقوله تعالى فإن تولوا فقل حسبى الله . وقوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الآية . ولحديث البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم والحديث للبخارى أيضاً كان آخر قول إبراهيم حين ألقى فى النار حسبى الله انتهى . ونقل فى الشرح المذكور عن أبى جعفر النحاس أنه قال قول الإنسان حسبى الله أحسن من قوله حسبنا الله لما فى الثانى من التعظيم قال الله تعالى فإن تولوا فقل حسبى الله إلى آخر ما قال الشيخ . وقال بعضهم .

توكل على الرحمن فى كل حاجة ... أردت فإن الله يقضى ويقدر
متى مايرد ذو العرش أمراً بعبده ... يصبه وما للعبد مايتخير
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بحمد الله من حيث يحذر

وقال آخر :

حسبى الله من جميع البرايا وكفى عن غنيهم والفقير
هو عونى إذا طلبت غياثاً ومعينى على المراد الخطير

وقال آخر :

إن كنت أجمعت على هجرنا من غير ماذنب فصبر جميل
وإن تبدّلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال آخر :

حسبى أن قدك حسبى يا حديثى ويا شغلى

وقال آخر :

حسبى الله واتكالى عليه فنواصى عبيده بيديه

وقال سيدنا عبد الله بن علوى الحداد :

قل حسبى ذو العرش الذى يعلم بالسر والجهر واستسلم له تسلم
ولا تقل كذا كان كذا تندم وارض بمر القضا تنجو من الخطر

* وقال الشيخ أبو بكر العدنى *

قل حسبى الله فيما هو على ولى نعم الولى فما بعد الولى ولى

وقال الإمام جعفر الصادق عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع .. لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه أن يقول مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر ، وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهب عنه أن يقول حسبى الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول (وأفوض أمرى إلى الله ان الله بصير بالعباد) والله تعالى يقول (فوقاه الله سيئات مامكروا) ، وعجبت لمن أنعم الله تعالى عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول ماشاء الله لاقوة إلا بالله . والله تعالى يقول . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة إلا بالله . كذا سنة

الله تعالى فيمن صدق فى التجائه إليه ولم يتوكل فى مهماته إلا عليه ، وفى بعض النسخ وعجبت لمن بلى بالغم كيف يذهب عنه أن يقول لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين .

﴿ فائدة ﴾ رأيت فى فوائد الشرجى قال بعضهم من قال عند نومه نؤمن بالله نثق بالله نرد أمرنا إلى الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لم ير فى منامه إلا خيراً بلطف الله تعالى .

وفيه عن بعض مصنفات البونى أن هذه التسعة الأسماء لها تأثير سريع قوى لطالبى الأسباب ، وتثبيت النعم ونفعها وتيسير العسير من أسباب الرزق وإقبال الوجوه والبركة فى الكسب ، ذاكرها يسخر له كل من يطلب منه حاجة وهى لاتصح إلا لأرباب البدايات فإنها عظيمة وهى هذه (التواب الغافر الحسيب الوكيل الكافى الرزاق السلام المؤمن السريع).

وفى كتاب الاكتفاء للكلاعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما وجه جيوش المسلمين إلى جهة العراق والتقوا بأهل فارس بالقادسيه بعد حروب جرت بينهم فهزمهم الله بعد قتال شديد وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم هرب من نجا منهم إلى المدائن فاتبعهم المسلمون حتى فتحوا مدينة نهر شيروبها إيوان كسرى ثم نجا ملكها وعبر دجلة إلى مدينة العتيقة وبها القصر الأبيض الذى يرى من مسيرة خمسة أيام الذى بناه الاسكندر وحالت بينهم وبينه دجلة وكانت بحراً هائلا لايعبر إلا بالسفن ولم تكن للمسلمين سفن تعبر بهم الماء ولم يكن لهم اصطبار عن قتال الكفار . فقال لهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان أميرا على ذلك الجيش من قبل سيدنا عمر رضى الله عنه اقتحموا الماء وقولوا نستعين بالله ونتوكل على الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وركب سعد رضى الله عنه فرسه واقتحم بالناس اللجة وإنها

مسودة لها جررة تقذف بالزبد وإنهم ليتحدثون على ظهور الخيل وغيرها من الدواب والرحال حتى جاوزوها بقدرة الله تعالى ولم يغرق منهم أحد بل كانوا يمشون كأنهم على الأرض وفى ذلك قال قائلهم .

ألا هل أتاها ان دجلة ذللت على ساعة فيها للقلوب تقلب

قلت وهذا يحكى مانقله العلماء الحفاظ عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال بعث العلاء الحضرمى فى جيش كنت فيهم إلى البحرين فسلكنا بمفازة فعطشنا عطشا شديدا حتى خفنا الهلاك فنزل العلاء فصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعظيم اسقنا فجاءت السحابة كأنها جناح طائر فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الآنية وسقينا الركاب ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ماخيض قبل ذلك اليوم ولا خيض بعده فلم نجد سفنا فصلى العلاء ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم ياعظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه وقال بسم الله جوزوا . قال أبو هريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف .

وقال الشيخ أحمد بن عمر الأنصارى المرسى تلميذ سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى قوله تعالى وابراهيم الذى وفى . قال وفى بمقتضى قوله حسبى الله انتهى .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام الذى قال فيه لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج والصبى الذى كان يرضع أمه ومر عليه بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل . فقالت أم الصبى اللهم لاتجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر إليها وقال اللهم اجعلنى مثلها الحديث وهو حديث طويل مروى فى الصحاح وهذا ملخصه . .

﴿ فائدة ﴾ من شرح أسماء الله الحسنى اسمه (الحسيب) خاصيته جمع الضوال

والحفظ فى الأهل المال فصاحب الضالة يكثر من قراءته فتجتمع عليه . ويقرؤه من خاف على جنين فى بطن أمه سبع مرات فيثبت . وكذلك لو أراد سفرا يضع يده على رقبة من يخاف عليه المكروه من أهل أو ولد ويقوله سبعا فإنه يأمن عليه إن شاء الله . قال الشارح وبركة هذا الاسم تطّلع الملائكة على أفعال الناس ويحصونها ومن خاف الحساب يوم القيامة قرأه ألف مرة .

اسمه (الوكيل) ببركة هذا الاسم حفظ الله ابراهيم من النار وحفظ سرير سليمان فمن خاف من صاعقة أو نار أو شر أو خاف على سفينة فليرتب قراءته فإن الله يكفيه ذلك كله . وقال الشيخ زروق اسمه (الوكيل) خاصيته أن يكتب فى كاغد أى ورقة بياض مربع على أركانه الأربع ويجعله على كفة سحَرا ويرفعه إلى السماء فإن الله يكفيه ما أهمه .

﴿ فائدة ﴾ قال الشيخ داود الشاذلى فى كتابه اللطيفة المرضية الذى شرح به حزب البحر للشيخ أبى الحسن الشاذلى عند قوله حسبى الله ينبغى أن يقول العبد ذلك ويعتمد ذلك ويريد الله تعالى به اقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم وامتثالا لأمر ربه تعالى وتذكيراً بحقائق الأمور وذلك كأنما يقال للعبد إذا نظرت بعين الإيمان فرأيت الأكوان آفلة زائلة لا بقاء لها ولا دوام منصرمة بذواتها وصفاتها فلا عز ولا غنى ولا قوة ولا نصر ولا ملك ولا نعيم ولا بقاء ولا وجود إلا وهو آفل زائل إلا ما حكم له الحق تعالى بالبقاء وثبته بعد أن كان لولا ذلك معرضاً للفناء ولا شىء من الأشياء تركن النفوس إليه وتقبل بالاعتماد عليه سوى الله تعالى إلا وسيف القهر يفنيه ورياح الفتن تذهبه وتعفيه فلما تولت الأكوان لبصر الإيمان رجع العبد المؤمن مكتفياً بمن له العز حقاً والجبروت ، متوكلا على الحى الذى لا يموت وقال إذ ذاك حسبى الله أى كافينى من كل سوء ومطلوبى دون كل شىء كما قال على رضى الله عنه لبعضهم عظنى فقال يا أمير المؤمنين إذا كان الله معك فمن تخاف فقال زدنى فقال يا أمير المؤمنين إذا كان عليك فمن ترجو فقال حسبى الله .

ثم قال الشيخ داود فقول العبد عليه توكلت زيادة فى الاكتفاء وتعبد للمولى، وانخلاع عن رق الدعوى أى أتوكل على من هذه صفته وذا الملك ملكه . وينبغى للعبد أن يعتمد ذلك بقلبه ويعقد عقدة توكل وتفويض بينه وبين ربه مقارنة للفظه فإذا فعل ذلك جاءته المعونة واللطف .

ورد العشرة أذكار

﴿ فائدة عظيمة ﴾ ورد عشرة أذكار كان العباد والزهاد يلازمونه ويقولون إنه من وظائف الأبدال والأوتاد . ومن رتبه كل يوم بعد صلاة الصبح والمغرب كفاه الله ما أهمه صادقاً كان أو كاذباً . فما أعظم هذه النفاعة قالوا وقد لازمه أهل الصلاح وجربوا منه البركة والفلاح وجربوه لتيسير الرزق وكفاية الهموم وتسخير الخلق والحفظ من كيد الأعداء ومن السحر ومن الجن والشياطين والحفظ من كل عاهة فى النفس و لأهل والمال وشرح الصدر وحسن الثناء والذكر والنور فى القبر وغير ذلك مما لا يحصى هذا فى هذه الحياة الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا . وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم (مائة مرة) الحمد لله رب العالمين (مائة مرة) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم (مائة مرة) لا إله إلا الله محمد رسول الله . (مائة مرة) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . (مائة مرة) أستغفر الله العظيم وأسأله التوبة (مائة) اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى . (مائة) قل هو الله أحد إلى آخرها (مائة) حسبنا الله ونعم الوكيل (مائة) اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آل محمد وسلم (ثلاثا) يرتب ذلك كل يوم وليلة كما ذكرناه أولا وبالله التوفيق .

فصل

فى تفسير حسبنا الله ونعم الوكيل

فاما حسب فقد ذكر العلامة ابن هشام الأنصارى فى كتابه أوضح المسالك

إلى ألفية ابن مالك . أن لها استعمالين (أحدهما) أن تكون بمعنى كاف فتستعمل
استعمال الصفات المنكرة نعتاً لنكرة كمررت برجل حسبك من رجل أى كاف
لك من غيره ، وحالا لمعرفة كهذا عبدالله حسبك من رجل ، واستعمال الأسماء
نحو حسبهم جهنم فإن حسبك الله بحسبك درهم . قال وبهذا يرد على من زعم أنها
اسم فعل فإن العوامل اللفظية لا تدخل على أسماء الأفعال باتفاق « والثانى »
أن تكون بمنزلة لا غير فى المعنى فتستعمل مفردة وهذه هى حسب المتقدمة .
ولكنها عند قطعها عن الاضافة تجدد لها إشرابها هذا المعنى وملازمتها للوصفية
أو الحالية أو الإبتدائية وبناؤها على الضم فتقول رأيت رجلا حسب ورأيت زيداً
حسب قال الجوهرى كانك قلت حسبى أو حسبك فأضمرت ذلك فلم تنون اه
وتقول قبضت عشرة فحسب أى فحسبى ذلك اه .

وأما نعم . فهى فعل على الأصح وهى فى المدح بضد بئس فى الذم . قال
ابن هشام وهما أى نعم وبئس فعلان عند البصريين والكسائى بدليل التاء فيهما
فتقول بئست ونعمت واسمان عند باقى الكوفيين بدليل ماهى بنعم الولد
جامدان رافعان لفاعلين معرفين بأل الجنسية نحو بئس العبد وبئس الشراب
أو بالاضافة إلى ما قارنها نحو ولنعم دار المتقين وبئس مثوى المتكبرين أو إلى
مضاف إلى ما قارنها كقوله .

فنعم أخت القوم غير مكذب . زهيرٌ حسامٌ مفردٌ من حمائل

أو مضمرين مستترين بتمييز نحن بئس للظالمين بدلا . وقوله :

نعم امرأ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

قال وأجاز المبرد ابن السراج والفارسى أن يجمع بين التمييز والفاعل
الظاهر كقوله :

نعم الفتاة فتاة هند لو بذلت رد التحية نطقا أو بإيماء

ومنعه سيبويه والسيرافى مطلقاً وقيل إن أفاد معنى زائداً جاز وإلا فلا نحو قوله :

تخيَّره فلم يعدل سواه فنعم المرء من رجل يمانى

ثم قال ويذكر المخصوص بالمدح والذم بعد فاعل نعم وبئس . فيقال نعم الرجل أبو بكر وبئس الرجل أبو لهب . وهو مبتدأ والجملة قبله خبره ، ويجوزان أن يكون خبراً لمبتدأ واجب الحذف أى الممدوح أبو بكر والمذموم أبو لهب وقد يتقدم المخصوص ويتعين كونه مبتدأ نحو زيد نعم الرجل وقد يتقدم ما يشعر به فيحذف نحوانا وجدناه صابراً نعم العبد أى هو وقوله فنعم الماهدون . أى فنعم الماهدون نحن . وليس منه العلم نعم المقتنى ، وإنما ذلك من التقديم انتهى كلام ابن هشام .

(قلت) فمعنى حسبنا الله ونعم الوكيل أى محتسبنا وكافينا من أحسبه إذا كفاه ويدل على أنه بمعنى المحتسب أنه لا يستفيد بالاضافة تعريفاً فى قولك هذا الرجل حسبك قاله البيضاوى ، وقال غيره أحسبه الشىء إذا كفاه وهو من الحساب ، قلت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود قال النووى فى شرح صحيح مسلم وقوله بحسب بإسكان السين ومعناه يكفيه ذلك من الكذب فإنه قد استكثر منه من قولهم حسب الحسود أى كفاه وقوله صلى الله عليه وسلم بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وقوله بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، رواه الترمذى ، والباء زائدة ومعناه يكفيه وقد ورد فى الحديث الصحيح أن صعصعة بن عقال التميمى لما سمع وهو عند النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ قال حسبى لا أبالى إن لم أسمع غيرها اه .

وورد أيضا عن على رضى الله عنه قال خرجت من بيتى فى يوم شات وإنى لشديد الجوع ألتمس شيئا فمررت بيهودى ذى مال له يسقى ببكرة فاطلعت عليه من ثلمة الحائط فقال مالك ياأعرابى هل لك فى دلو بتمرة قلت نعم فافتح الباب حتى أدخل ففتح فدخلت فأعطانى دلواً فكلما نزعت دلوا أعطانى تمرة حتى إذا امتلأت كفى أرسلت دلوه وقلت حسبى فأكلتها ثم جرعت من الماء ثم جئت المسجد أخرجه الترمذى انتهى .

فليعلم بجميع هذه الألفاظ وغيرها أن معنى الحسب والحسيب هو القائم بالكفاية بحسب الحاجة وقدرها .

ومعنى قوله نعم الوكيل أى الموكول إليه الأمور قال البغوى فعيل بمعنى مفعول وقيل الموكول إليه تدبير خلقه وقيل القائم بمصالح خلقه وقيل الحافظ وقيل هو الكفيل بأرزاق عباده وحقيقته أنه الذى يستقل بأمر الموكول إليه انتهى .

فصل

فى قصة قول الرسول (حسبنا الله ونعم الوكيل)

قال تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم) وذكر الإمام البغوى فى تفسيره . ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم ، قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم ، ارجعوا فاستأصلوهم . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فانتدب عصابة منهم

مع مابهم من ألم الجراح والقرح الذى أصابهم يوم أحد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لايخرجنَّ معنا أحد الامن حضرنا بالأمس وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدوِّ . وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة ابن الجراح فى سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فمر به صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ومعبد يومئذ مشرك . فقال والله يا محمد لقد عزَّ علينا ما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله قد أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى أباسفيان ومن معه بالروحاء قد أزمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرَّنَّ على بقيتهم فلنفرغَنَّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً . قال : ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً وقد جمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ، قال ويحك ما تقول ، قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم : قال فإنا والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت :

كادت تهد من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

فذكر أبياتاً فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه بها . ومرَّ ركب من بنى عبدالقيس فقال أين تريدون فقالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة . قال فهل أنتم مبلغون محمداً عنى رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها

قالوا نعم . قال فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد اجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم . وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (حسبنا الله ونعم الوكيل) ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ثم قال البغوى هذا قول أكثر المفسرين .

ثم قال وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية فى غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام ذلك بيننا وبينك إن شاء الله ثم انصرف أبو سفيان وأصحابه فلما كان العام القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزلوا مرّ الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه وبدا له أن يرجع فمر به ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين . وقيل أتى نعيم بن مسعود الأشجعى وقد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان يا نعيم إنى واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصفرى وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لى أن لا أخرج إليها وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلى فالحق بالمدينة وثبطهم وأعلمهم أنى فى جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندى عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل ابن عمرو ويضمنها . قال فجاء سهيل فقال نعيم تريد أن تضمن لى هذه القلائص وانطلق إلى محمد فأثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة فوجد المسلمين يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال أين تريدون قالوا واعدنا أبا سفيان أن نلتقى بموسم بدر الصغرى . فقال بئس الرأى رأيتم أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد أفتريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم . والله لا يفلت

منكم أحد ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكباً وهم يقولون (حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى بلغوا بدراً وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون إليها فى كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحداً من المشركين . ووافوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين وذلك قوله تعالى . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء اه .

تبصرة فى أن الايمان يزيد وينقص

قال الإمام البيضاوى فى قوله تعالى فى الآية السابقة : (فزادتهم إيماناً) الضمير للمستكن للمقول أو المصدر أو لفاعله إن أريد به نعيم وحده ، والبارز للمقول لهم وذلك أنهم لم يلتفتوا إليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد إيمانهم وأظهروا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده . قال وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ، ويعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار .

وهذا ظاهر إن جعلنا الطاعة من جملة الإيمان وكذا إن لم تجعل من حقيقته وهى التصديق واليقين فإن اليقين يزداد بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج . انتهى موضحا (قلت) : وهذا ظاهر . للحديث ولقوله تعالى : (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) . وقوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً . فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون » . وقوله تعالى :

« ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً » وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال إن الذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء البقل .

وفى تهذيب النووى فى حرف العين منه فى ترجمة عبد الله بن رواحة الصحابى الأنصارى الخزرجى رضى الله عنه عن أبى الدرداء قال أعوذ بالله أن يأتى على يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقينى يقول يا عويمر أجلس فلنؤمن ساعة فنجلس فنذكر الله ما شاء الله ثم يقول يا عويمر هذا الإيمان .

وفى البخارى فى كتاب الإيمان وهو قول وفعل ويزيد وينقص وهو فرائض وشرائع وحدود وسنن والحب فى الله والبغض فى الله من الإيمان وروى أحمد من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه الإيمان يزيد وينقص . وروى ابن ماجه من حديث على الإيمان عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

وفى البخارى قال ابن مسعود اليقين الإيمان كله . وقال صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنباً نكت فى قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل قلبه وإن لم يتب ازداد ذلك حتى يسود قلبه فذلك الران الذى قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وفى الحديث إن الإيمان يبدو فى القلب لمعة بيضاء ثم تزيد حتى يبيض القلب كله . وإن النفاق يبدو فى القلب نكتة سوداء ثم تزيد حتى يسود القلب كله . وقال العلماء ، إنما يزيد الايمان بالمداومة على الأعمال الصالحة والاكثار منها مع الاخلاص لله فيها . وأما النفاق والعياذ بالله فزيادته بالأعمال السيئة من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات والعياذ بالله .

ونقل الامام النووى من صحيح البخارى قوله صلى الله عليه وسلم من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليه ويفرغ من دفنه فإنه يرجع

فى الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عايه ثم رجع قبل أن يدفن فإنه يرجع بقيراط .

وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه . قال النووى ومعنى قوله إيمانًا أى تصديقًا بأنه حق معتقداً فضيلته . ومعنى احتسابًا أن يريد به الله تعالى وحده لا يقصد به رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الاخلاص قال والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح قال ومعنى قوله غفر له ما تقدم من ذنبه أن هذا يختص بغفران الصغائر دون الكبائر . قال بعضهم ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة .

* * *

﴿ فائدة ﴾ قال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن محمد بن الفضل فى كتابه التحرير فى شرح صحيح مسلم أيضاً الايمان فى اللغة هو التصديق فإن عني به ذلك فلا يزيد ولا ينقص لأن التصديق ليس شيئاً يتجزأ حتى يتصور كاله مرة ونقصه أخرى والايمان فى لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص وهو مذهب أهل السنة . قال فالخلاف فى هذا على التحقيق إنما هو فى المصدِّق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الايمان هل يسمى مؤمناً مطلقاً أم لا . والمختار عندنا أنه لا يسمى به . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الاطلاق ثم قال النووى انتهى كلام صاحب التحرير .

وقال النووى أيضاً قال الإمام أبو الحسن على بن خلف بن بطال المكى فى شرح صحيح مسلم مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ما رواه البخارى رحمه الله

تعالى من الآيات يمنى قوله عز وجل : (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) وقوله : (وزدناهم هدى) وقوله تعالى : (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وقوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) . وقوله تعالى : (فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقوله : (فاخشوهم فزادهم إيماناً) وقوله : (وما زادهم إلا إيماناً وتسليما) .

ثم قال النووى قال ابن بطال : فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص قال : (فإن قيل) الإيمان فى اللغة التصديق . (فالجواب) أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فمهما ازداد المؤمن من أعمال البركان إيمانه أكمل وبهذه الجملة يزيد الإيمان وينقصانها ينقص فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كمالا هذا توسط القول فى الإيمان .

وأما التصديق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينقص ولذلك توقف مالك رحمه الله تعالى فى بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكا وخرج عن اسم الإيمان .

وقال بعضهم : إن توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصى من المؤمنين بالذنوب .

وقد قال مالك رحمه الله تعالى بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة .

قال عبد الرازق : سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثورى ومالك بن أنس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، والأوزاعى ومعمر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينه يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . وهذا قول ابن مسعود وحذيفة رضى الله عنهما ، والنخعى والحسن البصرى وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك رحمهم الله تعالى .

فالمعنى الذى يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه الأمور الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح انتهى ما نقله

الإمام النووى عن ابن بطال رحمهما الله تعالى وبه تكميل ما يسر الله لنا جمعه . وقدر لنا وضعه من فضائل هذا الذكر . أعنى قول (حسبنا الله ونعم الوكيل) . وإن كان الذى أتينا به هو القليل وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد الهادى الدليل إلى سواء السبيل .

الذكر الخامس عشر وشرحه

ولما فرغ سيدنا عمر من مهمات الأذكار . أتى بما تقضى به الأوطار . وتغفر به الأوزار . وهو الصلاة والسلام على النبى المختار . فقال : (اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم) « إحدى عشرة مرة » .

قال الشيخ على : والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من أفضل القربات وأرفع المقامات . والصلاة من الله هى رحمة مقرونة بالتعظيم ومقرونة بالتسليم ، وهذا الفضل وما ورد من الفضائل وعظم ما ينيل الله المصلى عليه صلى الله عليه وسلم ، مقروناً بنية المصلى إذا صلى حباً له صلى الله عليه وسلم وطالباً من الله له صلى الله عليه وسلم بأن يعظمه ويرحمه ويكرمه ويشرفه ويرفع مقامه مما نص عليه أئمة أهل العلم كالإمام الشعرانى . قال : وسمعت عن شيخنا يعنى صاحب الراتب أنه قال : لا بأس إذا تمكن بأن يكون وحده أن يقرن الآل والصحب . أما إذا كان فى جمع فتكفيه صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما هنا

قلت : فعلى هذا إذا أراد قارىء هذا الراتب المنفرد أن يقرن الآل والصحب يقول اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وآله وصحبه وسلم . ثم قال الشارح : وجعلها إحدى عشرة مرة لظهور سر الوترية وعموم مظهر الأحدية على مظهر الفردية انتهى .

ونحن نشرع فى ذكر فضائل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفوائدها العظيمة . فنقول جاءت بذلك محكمات الآيات . وصحيحات الأخبار .

وسنورد منها أحرفا يسيرة . لتكون لعزمات الطالبين مثيرة . على كثرة الصلاة والسلام على خير الأنام لتصبح بها إن شاء الله أعينهم قريرة ولكنى أقدم على ذلك فصلا فى ذكر بعض فضائله وخصائصه وشمائله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول

فى ذكر شيء من فضائله وخصائصه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن المتعرض لذكر فضائله . والمتهدف لنشر شمائله . كالمتعرض لنزف البحار المتلاطمة . وعد الرمال المتراكمة ، أو كمن جاء يريد أن يحرز جميع ذلك فى شنته ، فما يليق به إلا أن يأخذ وسعه بطاقته ولا يدع اليسير مخافة أن لا يأتى بالكثير هذا لمن أفرد ذلك بالتصانيف . وحرره بغاية التكاليف . فضلا عن صاحب العزم الضعيف . إذا أتى بالشيء الطفيف . ولكن الكل مشكورون فيما فعلوا ، مثابون فيما حصلوا . ولكل درجات مما عملوا . وإنما شرفوا بذلك نفوسهم . وأطالوا فى المعالى رؤوسهم . ورنقوا برائق خلقه العظيم طروسهم :

ولئن مدحت محمداً بقصيدتى   فلقد مدحت قصيدتى بمحمد

ومن أجلّهم بل أجلهم القاضى عياض . فقد جمع من ذلك البحر الفياض وهو كتاب شفا الأمراض . فعليك به فإن فيه من زواهر أوصافه صلى الله عليه وسلم ما يزرى بأزهار الرياض . ومن بواهر معجزاته وظواهر آياته أعذب الحياض . ولقد حوى من عظيم الفوائد . ما يرومه أصدق محب رائد . ونبتدى الآن فنقول :

أما الآيات فقد قال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم

فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى الت ة ومثلهم الانجيل) الآيات وقال تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إ حى يو ، وقال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فا ا) ، و تعالى : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن لوك وما لون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكـ ، والحكمة علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ، وقال ت : (م يطع الرسول فقد أطاع الله) ، وقال تعالى : (إنه لقول رسول كريم ذى ة عند ذى العرش مكين مطاع ثمَّ أمين . وما صاحبكم بمجنون و رآه بالأ المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم ن تذهبو إن هو إلا ذكر للعالمين) وقال تعالى : (وإن يكاد الذين كفر ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر لمين) و تعالى : (الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) ، و تعالى : إنا فتحنا لك فتحاً مبينا) الآيات ، وقال تعالى : (ألم نشرح لك ك ووضعنا عنك وزرك)[1] : أى لم نسلط عليك داعيته ، (الذى أنقض رك) أى الو سلطنا عليك داعيته وفعلته لأنقض ظهرك هذا ما ظهر لى و أعلم ، (عنا لك ذكرك) ، وقال تعالى : (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً و يراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا) وقال تعالى (وإنه لذكر ك ولقو وسوف تسألون) وقال تعالى (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمـ) وقال لى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تق) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و لى الأمر كم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) الآية وقا تعالى (وربك لا يؤمنون

(١) بل منعناه خففنا عنك أعباء النبوة و سالة فالو هنا كناية عن هذه الأعباء والوضع تخفيفها عنه صلى الله عليه وسلم بـ ام بها وأ كما أمره ربه تعالى.

حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) الآية وقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأخبار فقد قال عليه السلام « أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع وأول من تنشق عنه الأرض. ولى المقام المحمود والحوض المورود . ولى الوسيلة وهى درجة فى الجنة لا تكون إلا لواحد وأنا أرجو أن أكون ذلك الواحد . وأدخل الجنة قبل الأنبياء وتدخل أمتى الجنة قبل الأمم ، وأمتى السابقة والآخرة وهى أكثر أهل الجنة ، الواحد من أمتى يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومضر ولا أزال أشفع حتى تقول النار يا محمد ماتركت لى نصيباً من أمتك ، وأمتى أقل عملاً وأقصر عمراً وأكثر فضلاً وجزاء . هذا من فضل الله على وعلى أمتى » انتهى الحديث المشهور .

فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق كلهم لأنه رحمة للعالمين ، والعالم كل ما سوى الله تعالى والمرحوم به أفضل من المرحوم بغيره .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه وأبقى قائماً بين يدى ربى منتصباً مخافة أن يبعث بى إلى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقول يا رب أمتى فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد أن أصنع فأقول يارب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى برجال قد بعث بهم إلى النار حتى أن مالكاً خازن النار يقول يا محمد ماتركت للنار ولغضب ربك فى أمتك من بقية .

وقال صلى الله عليه وسلم إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أ كسى حُلّة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما جلس أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه نخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلا اتخذ إبراهيم خليلا. وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما. وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله . نخرج عليهم وقال سمعت كلامكم وتعجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وإن موسى نجيُّ الله وهو كذلك وإن عيسى روحه وكلمته وهو كذلك وإن آدم صفى الله وهو كذلك . ألا وأنا حبيب الله ولا نخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا نخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا نخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أ كرم الأولين والآخرين ولا فخر .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد أخرجه الترمذى وصححه .

وقال بعض العلماء العقل ذاته واحد ولكن له وجهان أحدهما فى الخلْق وهو العقل المشترك بين المؤمن والكافر ويسمى عقل المعاش والثانى فى الخُلق وهو العقل الخاص بالمؤمن ويسمى عقل الهداية ثم إن رزقه الله بعد ذلك فهماً فهو أعقل فإن رزقه علماً فهو أعقل فإن رزقه حكمة فهو أعقل فإن رزقه معرفة فهو أعقل فإن كشف له عن الحقيقة فهو أعقل فإن رزقه كمال التوحيد فهو أعقل فإن رزقه الولاية فهو أعقل فإن رزقه مقام الصوفية فهو أعقل فإن جعله نبياً فهو أعقل . ونبينا صلى الله عليه وسلم أعقل من الكل .

قال فى كتاب عوارف العوارف عن ابن منبه أنه قال أتى فى سبعين كتاباً

أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل فى جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا .

وللحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى فى هذا المعنى .

خيار الورى الرسل الكرام وخيرهم أولو العزم فضلا كاملا بفخار
وعقلهم فى جنب عقل محمد كقطرة ماء فى ألوف بحار

وقال العلماء وأرسل صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس والجن ولا نبى بعده إلى قيام الساعة . وعلماء أمته كأنبياء بنى إسرائيل ونصره الله بالمعجزات الظاهرات قال صاحب البردة .

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وأيده الله بالآيات الباهرات حتى غلب الدين وظهر على سائر الأديان وعم الإسلام وظهر ، وذل الكفر واندحر .

ولقد بعث صلى الله عليه وسلم فى أوان فترة شديدة من الرسل لتقادم الآماد فنطق بالحق ودعا إلى الله من غير مبالاة بالخلق قام وحده وقال معشر الناس إنكم لفى ضلال وإن أديانكم باطلة ما خلا دين الإسلام ، وما زال يجاهدهم ويناجزهم والله يعصمه منهم حتى قرّنا قره . وقرّ كافره وكثر ناصره . صلى الله عليه وسلم وما زال الدين به فى اتساع ، وظهور وارتفاع ، ببركة أسراره ، وسطوع أنواره ، فنوره صلى الله عليه وسلم أصل كل نور وروحه وعقله ومعرفته وعلمه وحلمه معدن لذلك كله ، قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نورى وفى رواية روحى وفى رواية عقلى والإشارة بها كلها فهو البحر الجامع والنور اللامع والغيث الهامع صلى الله عليه وسلم قال الإمام البوصيرى .

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم

فالكل وأنوارهم وعلومهم ومعارفهم وأعمالهم وأحوالهم دونه صلى الله عليه وسلم كيف وهو الأصل والكل له فروع . وقد ورد عنه من دل على خير فله مثل أجر فاعله .

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبسما فقالوا يارسول الله لم ضحكت فقال آية نزلت على آنفاً وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم . قال إنه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم ، وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه اللؤلؤ المجوف : قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك الحديث .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمس النار مسلماً رآنى ورأى من رآنى أخرجه الترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير فلما نُزِل به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأعلى . قلت إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا به وهو صحيح فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الأعلى أخرجه الثلاثة والترمذى . الرفيق الأعلى النبيون الذين يسكنون أعلى عليين .

(فمن معجزاته القاطعة) صدقه فى جميع ما جاء به وأخبر عنه ، وانشقاق القمر نصفين ، وتسليم الحجر ، ومشى الشجر قال صاحب البردة .

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة   تمشي إليه على ساق بلا قدم

(ومنها) كلام الصبى ، وشهادة الضب له بالرسالة ، وحنين الجذع حتى سمعه أهل المسجد كلهم (ومنها] قلب الأعيان وإعطاء العود لبعض أصحابه فصار سيفاً جاهد به حتى تكسر ، وقد عطش الجيش فوضع يده فى ماء قليل فنبع الماء من بين أصابعه فشربوا كلهم حتى رووا وكانوا فى رواية ألفاً ونصفا .

(ومنها) أنه قدم إليه طعام فى إناء فما زال يدعو إليه الناس وهم يأكلون وينصرفون حتى شبع الكل وكانوا ألفاً ونصفا أو أكثر .

(ومنها) إخباره بالغيوب السابقة واللاحقة فتجيء كما أخبر من غير زيادة ولا نقصان قال الإمام البوصيرى .

وبها أخبر النبى وكم أخرج خبأ له الغيوب خباء

ومعجزاته لا تحصى وهباته لا تستقصى ، . (ومنها) خلقه العظيم عليه الصلاة والتسليم والتكريم قال بعض العلماء ومن حقق أخلاقه ومكارمه ومحاسنه وخصائصه صلى الله عليه وسلم عرف واعترف أنها المعجزة الربانية التى لا تمكن لبشر إلا بتأييد إلهى وتخصيص ربانى وتحقق أنها لم تجتمع لأحد قبله قال الإمام البوصيرى فى همزيته المشهورة .

ما سوى خلقه النسيم ولا غيـ ـر محياه الروضة الغناء
رحمة كله وعزم وحزم ووقار وعصمة وحياء
لا تحل البأساء منه عرى الصبـ ـر ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فما يخطر السو ء على سره ولا الفحشاء
عظمت نعمة الإله عليه فاستقلت لذكره العظماء
جهلت قومه عليه فأغضى وأخو الحلم دأبه الإغضاء
وسع العالمين حلماً وعلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء
مستقيل دنياه ينسب الإمساك منها إليه والاعطاء

شمس فضل تحقق الظن فيـه أنه الشمس رفعة والضيـاء
فإذا ما ضحى محى نوره الظل وقد أثبت الظلال الضحاء
فـكأن الغمامة استودعتــه من أظلت من ظله الدفنـاء
خفيت عنده الفضائل وانجـا بت به عن عقولنـا الأهـواء
أمع الشمس للنجوم تجـل أمع الصبح للظـلام بقاء
معجز القول والفعال كريم الـ خُلق والخلق مقسط معطاء
لا تقس بالنبي فى الفضائل خلقاً فهو البحر والأنام اضـاء
كل فضل فى العالمين فمن فضـ ـل النبى استعـاره الفضـلاء

قصيدة ما أغلى جواهرها وما أحلى باطنها وظاهرها. تقبل الله من ناظمها وناظرها وقارئها وحافظها.

وقد قال صلى الله عليه وسلم أعطيت مكارم الأخلاق. وفى رواية بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

قال بعض العلماء اعلم أن أهل الفضل والعقل يرون محاسن أخلاقه العظيمة أكبر المعجزات له ولا شك فى ذلك، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. قال عليه الصلاة والسلام إن ربى عرض على أن يجعل بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً. فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك. وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد دقيق ولا نسفة دقيق فلم يكن بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة

أن تقوم فقال لا ولكن هذا إسرافيل قد نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال إن الله سمع ماذكرت فبعثنى بمفاتيح الأرض وأمرنى ان أعرض عليك إن أحببت ان أسير معك جبال تهامه زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ، وإن شئت نبيا ملكا . وإن شئت نبيا عبدا . فأوما إليه جبريل أن تواضع لله تعالى فقال نبي عبد ثلاثا .

وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيته به من الجوع . فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لوسألت ربى عز وجل أن يجرى معى جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزنها على فرحها يا عائشة إن الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض لى إلا أن يكافنى ما كلفهم فقال . فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته والله لأصبرن بجهدى ولاقوة إلا بالله ، وقال صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث فى روعى أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وعش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزىء به .

قال الغزالى رحمه الله بعد نقل هذا الحديث فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف ديناراً ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال لوكنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن .

ثم قال الغزالى فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا الفكر فى خطر تلك الحال أن الحجاب عما ذا يرتفع وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر ، والعجب من غفلتنا هذه والعظائم بين أيدينا وأعجب من

ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأسبابنا ودنيانا بل بأعضائنا وسمعنا و بصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا انتهى .

وعن جابر رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر إليها بكى وقال يافاطمة تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الأبد فأنزل الله تعالى عليه (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد الحديث وقال عليه الصـــلاة و السلام من جاءه ثلاثة من الولد ولم يسم منهم محمدا فقد جفانى ومن سميتموه محمدا فلا تسبوه ولا تضربوه وأكرموه وكل بيت فيه محمد مبارك وكل مشورة دخل فيها محمد عاقبتها خير وينادى يوم القيامة منادمن اسمه محمد فليقم وليدخلن الجنة كل ذلك كرامة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم . وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم ان أعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أدع الله أن يكشف عن بصرى فقال أو أدعك قال يارسول الله إنه قد شق على ذهاب بصرى قال فانطلق فتوضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيى محمد نبى الرحمة يامحمد إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف لى بصرى اللهم فشفعه فى وشفعنى فى نفسى فرجع الأعمى وقد كشف عن بصره والحمد لله رب العالمين .

صفته الخلقية والخليقة صلى الله عليه وسلم

قال العلماء ما كانت صفته الخلقية يعنون كتابتها فى بيت إلا وأمنه الله من السرق والحرق والغرق . ولا كانت مع أحد إلا وأمنه الله من جور السلاطين وكيد الشياطين ولم يفارق منزله السرور .

أما صفته الخلقية فكان صلى الله عليه وسلم (أزهر اللون) أى ان بياضه كبياض القمر (أدعج العينين أنجلهما) والعين الدعجاء شديدة سواد الحدقة والنجلاء الواسعة (أهدب الأشفار) أى طويل شعر الأجفان (أبلج الوجه)

مشرقه مضيئه (أقنى الأنف) أى طويل الأنف وسط أنفه مرتفع (مدور الوجه مع طول أفلج الثنايا واسع الجبين كث اللحية) أى كثير شعرها (سواء البطن والصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل) والعبل هو الضخم (رحب الكفين والقدمين) والرحب الواسع (سائل الأطراف) أى طويل الأصابع (أنور المتجرد) أى بدنه إذا تجرد عن القميص بيِّن مشرق (دقيق المسربة) وهو خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة . (ربعة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا كان النبى صلى الله عليه وسلم أطول منه رجل الشعر) والشعر الرجل هو المنكسر قليلا كأنه مشط (لاسبط ولاجعد جدا إذا افتر ضاحكا افترعن مثل سنا البرق وإذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه . عنقه كأنه ابريق فضه أجمل الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب كان الشمس ترى فى وجهه يتلألأ وجهه كالقمر ليلة كماله من رآه قبل أن يخالطه هابه ومن خالطه أحبه) .

ولما وصفته صلى الله عليه وسلم أم معبد الخزاعية لزوجها معبد حين مرَّ بها مهاجراً هو وأبو بكر الصديق قالت لقد مربنا رجل أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزر به صقلة وسيم قسيم ، فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف وفى صوته صحل وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأحلاهم من قريب حلو المنطق فصل لانزر ولاهذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن . ربعة لا بائن من طول ولاتقتحمه عين من قصر غصن بين غصين فهو أنظر الثلاثة منظراً واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا لأمره محفود محشود لاعابس ولا مفنِّد . نقله الطبرى .

ثم قال والأبلج المشرق الوجه والنجلة عظم البطن والصقله صغر الرأس

والوسيم الحسن وكذلك القسيم والدعج السواد فى العين . والوطف كثرة اشفار الحاجبين والعينين والصحل البحة والسطع الطول والأزج الدقيق طرف الحاجبين والأقرن مقرون الحاجبين والنزر القليل والهذر الكثير من الكلام وتقتحمه تحتقره والمحفود المخدوم والمحشود الذى عنده حشد وهم الجماعة والعابس من عبوس الوجه والمفند الذى يكثر اللوم .

أما أخلاقه الشريفة فنذكر طرفا منها على سبيل الاختصار وإلا فمن ذا يعد الرمال أو ينزف البحار قال الله تعالى لنبيه الكريم (وإنك لعلى خلق عظيم) وقال تعالى (قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم) الآية وقال تعالى (بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم) الآية وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين سألت جبريل عن معناها فقال إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن إلى من أسأ إليك فهذه أخلاق الأنبياء ومن اقتدى بهم من الأولياء ، ولما كسرت رباعيته وأدمى وجهه يوم أحد قيل له لودعوت عليهم فقال اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون وقيل له ألا تدعو على قريش فقد آذوك كثيراً فقال ما بعثت لعانا وإنما بعثت رحمة .

وقال عليه الصلاة والسلام إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا . والخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد يعنى الثلج . قلت ومعنى الخلق الحسن كما ذكره العلماء . بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه ، ومنه السخاء والايثار والحلم والعفو والاحسان والتواضع والرفق والرحمة والعفاف والحياء والتأنى والنصيحة والألفة وخفة المؤنة ونحو ذلك من أخلاقه صلى الله عليه وسلم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأجودهم وأكثرهم حياء ، وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها . وكان أوسع الناس صدراً وأصدقهم لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويأكلها ويكافىء عليها ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، يمازح أصحابه ويخالطهم ويحنك أطفالهم ويضعهم فى حجره ويداعبهم ، ويجيب دعوة العبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى ولو فى أقصى المدينة ماشياً ولو من وجع العين ، ويعود الأعراب والصبيان ، ويقبل عذر المعتذر ويكثر مشاورة أصحابه . وقال لوفد عبد القيس : مرحباً بالقوم ، وقال لعمار : مرحباً بالطيب ، وقال لفاطمة : مرحباً بابنتى . وكان إذا دخلت قام إليها وقبلها وأجلسها مجلسه . وقال لما بلغه أنها فهمت بعض إشارته . فداها أبوها وأمها ، وارتحله أحد أولادها وهو ساجد يصلى بالناس فطول سجوده لأجل ذلك ، وكان يكرم كريم كل قوم ويقول : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه فإن الرجل إذا أكرم أخاه فإنما يكرم ربه . وأنزلوا الناس منازلهم .

وكان يحذر الناس ويحترز منهم . ولا يطوى عن أحد بشره ولا خلقه .

وكان يؤلفهم ولا ينفرهم . وقال : يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا . ويتفقد أصحابه .

وكان يسأل الناس عما فى الناس ويعطى كل جلسائه نصيبه من وجهه ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه . ومن جاءه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . قد وسع الناس خلقه وبسطه .

وكان لهم أباً ، وصاروا عنده فى الخلق سواء وما أخذ أحد بيده فيرسلها حتى يكون الذى أخذ يرسلها . ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من دخل عليه ، وربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يجلسه عليه

وربما إذا رأى الرجل من أصحابه مغموماً يداعبه ويسره . وكانوا يتناشدون الشعر ويذكرون أمر الجاهلية وهو عندهم ساكت .

وكان يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون ، وكان يمشي في السوق مرة بعد أخرى يأمر فيه وينهى .

وكان إذا جلس إليه أحد وهو يصلي خفف صلاته ويسأله حاجته ثم يعود إلى صلاته . وكان أكثر الناس تبسما ، وكان يجالس الفقراء والمساكين ، ويأكل ما سقط من المائدة . وقال لغلام المغيرة : ادع لنا واستغفر لنا . وقال لعمر لا تنسانا يا أخي من صالح دعواتك .

وكان له عبيد لا يرتفع عليهم في مطعم ولا ملبس ، وكان يجلس بالأرض ويأكل عليها . وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد .

وكان أشجع الناس كان أصحابه إذا اشتد الحرب يحتمون به ، وكان أشد الناس خوفاً من ربه عز وجل وحياء منه تعالى ، ولم يقل مه قط ولا لم فعلت . ولا هلّا فعلت . وكان إذا ذكروا الدنيا أو الطعام أو الآخرة ذكر ذلك معهم . وكان يركب الحمار أحياناً ويمشي حافيا وبلا رداء وبلا قلنسوة وبلا عمامة أحيانا. وكان أبعد الناس غضبا وأقربهم رضا يعطي الواحد العطاء الكثير عطاء من لا يخشى الفقر ، وكان أكثرهم عبادة يصوم حتى يقال لا يفطر ويقوم حتى يقال لا ينام ، وكان طويل الصمت دائم الفكرة متواصل الأحزان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الثاني

في ذكر شيء من فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم

ومقصودنا في هذا الفصل التبرك بذكر اليسير من الكثير من فضائل الصلاة على البشير والنذير والحث والتذكير على اغتنام خيرها العميم وثوابها العظيم

كما جاء فى الذكر الحكيم والأحاديث والأخبار وصحيح الآثار فنقول :

أما الآيات فقد قال تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ، وقال تعالى (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) ، فيالها من عمل بدأ فيه الإله بنفسه وثنى بالملائكة المسبحة بقدسه وثلث بالمؤمنين من عباده فأمرهم بها وجزاهم عليها أن يصلى عليهم وينيلهم عليها من عظيم كراماته .

والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة لازمة لا تصح صلاة إلا بها . وقد قرن ذكره بذكره فلا يذكر الله تعالى إلا ذكر نبيه وذلك معنى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وقد أوجب الله أن يصلى على نبيه كلما ذكر وفى تركها غاية التفريط .

وقد نقل الشرجى فى فوائده عن القاضى مجد الدين الشيرازى فى كتاب الصلاة والبشرى أن رجلا شكى إلى بعض العلماء قلة النوم فقال له إذا أردت أن تنام فاقرأ قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

وأما الأخبار . والآثار عن الأخيار فقد ذكر الإمام الثعلبى فى تفسيره أنهم قالوا يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي ، قال عليه السلام : هذا من العلم المكنون . فلولا أنكم سألتمونى ما أخبرتكم إن الله تعالى وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال الملكان : غفر الله لك ، وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة إلا بطهور وبالصلاة على » رواه البيهقى والدارقطنى ونقله أبو اسحاق

الشيرازى فى المهذ ، ثم قال والأفضل أن يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراه على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إ يم وعلى إبراهيم إنك حميد مجيد لما روى كعب بن عجرة عن النبي صلى الله ه وسلم .

وقال عليه ا لاة والسـ : من ذكرت عنده فأخطأ الصلاة على أخطأ طريق الجنة .

وجاء فى بـ الأخبار ن الصلاة التي لا يصلى فيها على الآل تسمى الصلاة البتراء .

وأخرج البي فى الخلا ، بسند قوى عن الشعبى وهو من كبار التابعين قال : من لم يصل ، النبي صـ الله عليه وسلم فى التشهد فليعد صلاته ، أو قال لا تجزىء صلاته

قال البيهقى ه فهذا الشعبى يبطل قولهم إن العلماء لا يقولون فى هذه المسألة بوجوب ا لاة على صلى الله عليه وسلم نقله السمهودى فى جواهر العقدين عند الا لال على قول إمامنا الشافعى رحمه الله بوجوب الصلاة على النبي صلى ا ليه وسلم د على مدعى شذوذ الشافعى بإيجابه فى التشهد الأخير وقبل سا النحال : السمهودى : وهو أحد قولى الامام أحمد . وظاهر ما فى الم من كتب نه الذى رجع إليه أحمد آخراً وإحدى الروايتين عن إسحاق بن وية قال الخلاف أيضا فى كتب المالكية والصحيح أنها عندهم من سنن لاة وهو هب الحنفية .

وقد جاء أبى مسعو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علي سلم من صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيتى لم تقبل منه . أخرجه ا رقطنى و قى وهو عندهما أيضا موقوف على أبى مسعود قال : لو صليت لاة لم أصـ ـها على آل محمد ما رأيت أن صلاتى تتم « ذكره

فى كتاب جواهر العقدين » ثم قال :

ويشهد له ماقى قول الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى المظفر يوسف الزرندى المدنى فى أوائل كتابه معراج الوصول إلى معرفة فضل الرسول صلى الله عليه وسلم مالفظه وقد قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فى هذا المعنى مشيراً إلى وصفهم ومنبهاً على ماخصهم الله تعالى به من رعاية فضلهم .

يا أهل بيت رسول الله حبكم   فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم   من لم يصل عليكم لاصلاة له

وقال فى كتابه (نظم درر السمطين) إنه روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه إذا هالك أمر فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد أن تكفينى ما أخاف وأحذر فإنك تكفى ذلك الأمر .

* * *

ونقل السيد السمهودى عن التاج اللخمى الاسكندرى فى كتابه الفجر المنير عن الشيخ الصالح موسى الضرير أنه أخبره أنه ركب مرة مركباً فى البحر المالح قال وقامت علينا ريح شديد قل من ينجو منها من الغرق وضج الناس خوفا من الغرق قال فغلبتنى عيناى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول قل لأهل المركب يقولون ألف مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات وتقضى لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات. قال فاستيقظت فأعلمت أهل المركب بالرؤيا فصلينا بهذه الصيغة كما فى الرؤيا ففرج الله عنا . هذا لفظه أو قريب منه قال وقد نقل هذه القصة عن التاج اللخمى الحافظ أبو عبدالله الزرندى . ثم قال الشيخ الصالح الفقيه حسن بن على الأسوانى أخبرنى بها وقال من

قالها فى كل مهم ونازلة ألف مرة فرج الله عنه وأدرك مأموله انتهى .

* * *

وقال عليه الصلاة والسلام أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علىَّ . وأولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة . ومن طلب شفاعتى فليكثر الصلاة على . ومن صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفع له عشر درجات ومحا عنه عشر خطيئات . قال بعض المحققين لو صلى الله على العبد فى طول عمره مرة واحدة لكفاه ذلك شرفا وكرامة فكيف بعشر صلوات على كل صلاة يصليها العبد المسلم على نبيه اه .

فالحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على قالوا وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت أى بليت فقال ان الله تعالى حرم على الأرض ان تأكل أجساد الأنبياء أخرجه أبو داود والنسائى .

وفى رواية من صلى على واحدة صلى الله وملائكته عليه سبعين صلاة ومن صلى على من أمتى واحدة حط الله بها عنه خطاياه ولو كان بعدد الرمل ومن تعسر عليه أمر من الأمور فليكثر الصلاة على ومن صلى على فى اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ثلاثين لدنياه وسبعين لآخرته ولا يصعد الدعاء للداعى حتى يصلى على .

وذكر صاحب كتاب شرف المصطفى عن مقاتل بن سليمان قال إن لله تعالى ملكا تحت العرش على رأسه ذؤابة قد أحاط بالعرش مامن شعرة على رأسه إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا صلى العبد على النبى صلى لله عليه وسلم لم تبق شعرة من شعره إلا استغفرت لصاحبها يعنى قائلها :

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فاما رقى الدرجة الأولى قال آمين ثم رقى الدرجة الثانية فقال آمين ثم رقى الدرجة الثالثة فقال آمين قالوا يارسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات . قال لما رقيت الدرجة الأولى جاءنى جبريل عليه السلام فقال شقى عبد أدرك رمضان ولم يغفر له فقلت آمين ثم قال شقى عبد أدرك والديه الكبر أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت آمين ثم قال شقى عبد ذكرتَ عنده فلم يصل عليك فقلت آمين هذا حديث حسن أخرجه الطبرى فى تهذيبه .

وقال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة . وفى رواية إلا فكأنما تفرقوا عن جيفة .

* * *

وقال عليه السلام لاتصلوا علىّ الصلاة البتراء بقولوا اللهم صل على محمد ثم تمسكوا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . وقال عليه السلام من قال فى يوم الجمعة اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وسلم ثمانين مرة ويعقد أصبعاً بكل مرة إلا غفرت له ذنوب ثمانين سنة وفضلها لا يحصى تعداده ..

وقال عليه الصلاة والسلام من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى .

وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب .

وقال عليه السلام إن فى الأرض ملائكة سياحين يبلغوننى السلام .

وقال ليس أحد يسلم على إلا ردَّ الله روحى حتى أرد عليه السلام ، وقيل

يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وروى عن أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله بم جزى الإمام الشافعى عنك حيث يقول فى كتابه صلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . فقال جزى عنى أنه لا يوقف للحساب ذكر ذلك فى الاحياء عند ذكر فضيلة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى الإمام أحمد والنسائى واللفظ له وابن حبان فى صحيحه والحاكم أنه عليه الصلاة والسلام قال من ذكرت عنده فليصل على ومن صلى على مرة صلى الله عليه عشراً . وفى رواية عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ورفع له عشر درجات . وروت عائشة رضى الله عنها أنها كانت تخيط شيئاً فى السَّحر فضلت الإبرة وطفىء السراج فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه صلى الله عليه وسلم فوجدت الإبرة فقالت ما أضوأ وجهك يارسول الله قال ويل لمن لا يرانى يوم القيامة قالت ومن لا يراك قال البخيل . قالت ومَن البخيل قال الذى لا يصلى على إذا سمع باسمى .

وقال صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده ولم يصلِّ على أبعده الله رواه ابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما والحاكم وقال صحيح الأسناد .

وروى الطبرانى مرفوعاً قال صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشراً . ومن صلى على عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة كتب بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشراً قال القاضى عياض معناه رحمته وتضعيف أجره لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفاً له بين الملائكة كما فى الحديث وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم والله أعلم .

وقال صلى الله عليه وسلم « حيثما كنتم فصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى رواه الطبرانى . وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم جمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة » رواه أبو حفص بن شاهين .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة » رواه البيهقى مرفوعاً باسناد حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال جزى الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح » رواه الطبرانى قال الإمام الشعرانى وهى من أورادى فأقولها ألف مرة صباحاً وألف مرة مساء كل يوم والحمد لله .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد صلت الملائكة علىَّ وعلى علىٍّ لأنا كنا نصلى ليس معنا أحد يصلى غيرنا نقله المحب الطبرى فى كتاب الرياض النضرة فى فضائل العشرة فى باب مناقب الإمام على بن أبى طالب عن أبى الحسن الخلعى .

وعن رسول الله صلى عليه وسلم قال قال « من صلى على فى كل يوم جمعة أربعين مرة محا الله عنه ذنوب أربعين سنة » الحديث .

وروى الترمذى والإمام أحمد والحاكم أبو عبد الله وصححه وقال الترمذى حديث حسن صحيح . عن كعب بن عجرة قال قلت يارسول الله إنى أكثر

الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى . قال ما شئت قلت الربع قال ماشئت وإن زدت فهو خير لك . قلت النصف . قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتى كلها قال إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك . وفى رواية إذاً يكفيك الله هم دنياك وآخرتك . وقوله كم أجعل لك من صلاتى قال الحافظ المنذرى معناه كم أجعل لك من دعائى صلاة عليك . قال الشيخ أبو المواهب الشاذلى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ما معنى قول كعب بن عجرة فكم أجعل لك من صلاتى . قال أن تصلى على وتهدى ثواب ذلك إلى لا إلى نفسك .

وقال عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على . وقال صلى الله عليه وسلم إنى لقيت جبريل فبشرنى وقال ربك يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكراً .

* * *

وعن أبى يزيد أنه قال ماهابتنى السباع ولا ائتلفت على القلوب إلا ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال ما زهدنى فى الدنيا ورغبنى فى الآخرة وصيرنى إلى ما ترون إلا كثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد . وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى .

وقال عليه الصلاة والسلام ليس أحد يصلى على يوم الجمعة إلا عرضت علىَّ صلاته .

* * *

وفى كتاب حياة الحيوان للدميرى نقلا من كتاب الدعوات للطبرانى عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا فى مجمع طرق المدينة بصرنا بأعرابى آخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم السلام وقال كيف أصبحت فجاء رجل كأنه حرسى فقال يارسول الله هذا الأعرابى سرق بعيرى هذا فرغا البعير ساعة فأنصت له النبى صلى الله عليه وسلم وسمع رغاءه فلما هدأ البعير أقبل النبى صلى الله عليه وسلم على الحرسى وقال انصرف عنه فإن البعير شهد عليك أنك كاذب فانصرف الحرسى فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم على الأعرابى وقال أى شىء قلت حين جئتنى فقال بأبى أنت وأمى قلت اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة اللهم بارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا تبقى رحمة . فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى أبداها لى والبعير ينطق بعذره وأن الملائكة قد سدوا أفق السماء ، وفى رواية للطبرانى عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا هذا ما قلت آنفاً فأخبره بما قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأجل ذلك رأيت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بينى وبينك ثم قال صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك أضوء من القمر ليلة البدر اهـ .

لكن فى حديث زيد أنه اخذ بخطام بعير وفى حديث ابن عمر أنها ناقة ولا تنافى بين ذلك فان اسم البعير يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس وإنما يقال له بعير إذ جذع .

وصف عمر بن الخطاب

للرسول صلى الله عليه وسلم

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سُمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك كانت أولى بالحنين عليك لما فارقتهم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك فى آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم الآية ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران قد أعطاه الله تعالى حجراً يفجر منه الأنهار فما ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حتى سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالى إحياء الموتى فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت الذراع لا تأكلنى فإنى مسمومة ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . ولو دعوت علينا مثلها

لهلكنا كانا . ولقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت اللهم اغفر لقومى يا رسول الله لقد اتبعك فى صغر سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله لولم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤا مانكحت إلينا ولو لم توا كل إلا كفؤا ماوأ كلتنا فلقد والله جالستناو نكحت إلينا ووا كلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك بالأرض ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال بعضهم كنت أ كتب الحديث وأصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ولا أسلم عليه فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال صلى الله عليه وسلم أما تتم الصلاة على فى كتابتك . فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت .

وفى بعض الأخبار مكتوب على ساق العرش من اشتاق إلىَّ رحمته ومن سألنى أعطيته ومن تقرب إلى بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .

وعن بعض الصحابة رضى الله عنه أنه قال ما من مجلس يصلى فيه على النبى صلى الله عليه وسلم إلا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبى صلى الله عليه وسلم .

ونقل شارح دلائل الخيرات عن الشيخ أبى جعفر قال روى عن بعض الصحابة أنه قال مامن موضع يذكر فيه النبى أو يصلى عليه فيه إلا نمت منه رائحة طيبة تخرق السموات السبع حتى تنتهى إلى العرش يجد رائحتها كل ماخلق الله فى الأرض إلا الانس والجن فإنهم لو وجدوا رائحتها لا شتغل كل واحد

منهم بلذتها عن معائشه . ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خاق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعد دهم كلهم حسنات ويرفع لهم بعد دهم درجات سواء كان فى المجلس واحد أو مائة يأخذ من أجر هذا العدد .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصلى على صلاة تعظيما لحقى إلا خاق الله تعالى من ذلك القول ملكاً له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب فيقول له صل على عبدى كما صلى على نبيى فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة .

وقال الإمام النووى فى كتابه الأذكار روينا فى كتاب ابن السنى عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على فقد شقى وإسناده ضعيف . اه .

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمار بن ياسر إن الله تعالى أعطى ملكاً من الملائكة أسماع الخلائق وفى نمظ أسماء الخلائق وهو قائم على قبرى إلى أن تقوم الساعة ليس أحد من أمتى يصلى على صلاة إلا قال يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه صلى عليك كذا وضمن الرب عز وجل أنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً وإن زاد زاده الله عز وجل .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة فى حال الدنيا إنه قد قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما خص بذلك المؤمنين ليثيبهم عليه .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أقربكم منى يوم القيامة فى كل موطن أكثركم على صلاة فى الدنيا من صلى على فى يوم الجمعة أو ليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من

حوائج الدنيا ثم يوكل الله تعالى بذلك ملكاً يدخله فى قبرى كما يدخل عليكم الهدايا يخبرنى من صلى على باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندى فى صحيفة بيضاء .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وما من أحد يصلى على إلا عرضت على صلاته حين يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت إن الله تعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وذكر الإمام حجة الإسلام فى كتاب الاحياء عن عبد الواحد بن زيد أنه قال خرجت حاجا فصحبنى رجل فكان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك: خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبى فلما انصرفنا نمت فى بعض المنازل فبينما أنا نائم إذ أتانى آت فقال لى قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه . قال فقمت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجه أبى فإذا هو ميت أسود الوجه فدخلنى من ذلك رعب فبينما أنا فى ذلك الغم إذ غلبتنى عينانى فنمت فإذا على رأس أبى أربعة سودان معهم أعمدة من حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتانى فقال لى قم فقد بيض الله وجه أبيك فقلت له من أنت بأبى أنت وأمى قال أنا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبى فإذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم

يقول أكثروا الصلاة على نبيكم فى الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة وزاد بعض الرواة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإن صلاتكم تعرض على فأدعو لكم واستغفر الله تعالى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على من قريب سمعته ومن صلى على من بعيد أبلغته .

وعن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تعرضون على بأسمائكم وسماتكم فاحسنوا الصلاة على .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة فإنكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قال قالوا علمنا فقال قولوا اللهم أجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة (اللهم) ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون (اللهم) صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد .

وعن زيد بن على بن الحسين بن على عن أبيه على عن أبيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال عدّهن فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن فى يدى جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة (اللهم) صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد (اللهم) وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد

(اللهم) وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتب عنى علما وكتب معه الصلاة على لم يزل فى أجر ماقرىء ذلك الكتاب أو عمل بذلك العلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم محابر وحبرهم خلوف يفوح فيقول الله عز وجل لهم أنتم أصحاب الحديث طالما كنتم تصلون على النبى صلى الله عليه وسلم انطلقوا بهم إلى الجنة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا لى الله الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى .

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين ينادى المنادى اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وارضَ عنى رضا لاسخط بعده استجاب الله عز وجل دعوته .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلىَ على حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتى .

وعن عثمان بن أبى حرب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم بأمر فشاور فيه وفقه الله لرشد أمره ومن أراد أن يحدث حديثا فنسيه فليصل على فإن فى صلاته على خلفا من حديثه وعسى أن يذكره .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من خاف على

نفسه النسيان فليكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن كعب رحمه الله تعالى أنه دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب مامن يوم تطلع عليه الشمس إلا نزل سبعون الفاً من الملائكة حتى يحفوا بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول لله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين الفا من الملائكة يزفونه .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال إن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تدرك الرجل وولده وولد ولده .

* * *

وعن سفيان الثورى رحمه الله قال بينما أنا حاج إذ دخل شاب لا يرفع قدما ولا يضع أخرى إلا وهو يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقلت أبعلم تقول هذا قال نعم من أنت قلت سفيان الثورى قال سفيان العراقى قلت نعم قال هل عرفت الله تعالى قلت نعم قال كيف عرفته قلت بأنه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويصورا لولد فى الرحم قال ياسفيان ماعرفت الله حق معرفته قلت كيف تعرفه قال عرفته بفسخ الهمة ونقض العزيمة هممت ففسخ همى وعزمت فنقض عزيمتى فعرفت أن لى ربا يدبرنى . قلت فما صلاتك على النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت حاجا ومعى والدتى فسألتنى أن أدخلها البيت فوقعت وتورم بطنها واسود وجهها ثم ماتت فجلست عندها وأناحزين فرفعت يدى نحو السماء فقلت يارب هكذا تفعل بمن دخل بيتك قال فإذا غمامة قد ارتفعت من قبل تهامة وإذا رجل عليه ثياب بيض فدخل البيت وأمر يده على وجهها فابيض وأمر يده على بطنها فسكن الورم ثم مضى ليخرج فتعلقت بثوبه فقلت من أنت الذى فرجت عنى فقال أنا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن الأقليشى قال جاء الشبلى إلى أبى بكر بن مجاهد فقام إليه فعانقه وقبّل بين عينيه فقلت له يا سيدى تفعل هذا بالشبلى وأنت وجميع أهل بغداد تقولون إنه مجنون . قال فعلت كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل وذلك أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد أقبل الشبلى فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقبل بين عينيه فقلت يا رسول الله تفعل بالشبلى هذا قال نعم هذا يقرأ بعد صلاته لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه الآية ويتبعها بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وحكى عن الشبلى رحمه الله تعالى قال مات رجل من جيرانى فرأيته فى المنام فقلت ما فعل الله بك . فقال يا شبلى مرت بى أهوال عظيمة وذلك أنه ارتج على عند السؤال فقلت فى نفسى من أين أتى على ألم أمت على الإسلام فنوديت هذه عقوبة إهمالك اسانك فى الدنيا فلما هم بى الملكان الموكلان حال بينى وبينهما رجل جميل الشخص طيب الرائحة فذكرنى حجتى فذكرتها فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا شخص خلقت بكثرة صلاتك على النبى صلى الله عليه وسلم وأمرت أن أنصرك فى كل كرب .

وعن محمد بن الحسين الصفار قال لما مات أبو العباس أحمد بن منصور الحافظ جاء رجل إلى والدى فقال رأيت البارحة يعنى فى المنام أبا العباس أحمد بن منصور وهو واقف فى المحراب فى جامع شيراز وعليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل بالجوهر فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى وتوجنى وأدخلنى الجنة فقلت بماذا قال بكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ورئى أبو حفص الكاغدى بعد وفاته فى المنام وكان سيداً كبيراً فقيل له ما فعل الله بك قال رحمنى وغفر لى وأدخلنى الجنة فقيل بماذا قال لما أوقفنى بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبى وحسبوا صلاتى على النبى صلى الله عليه وسلم

فوجدوها أكثر فقال هم جنت قدرته حسبكم ملائكتي لا تحاسبوه واذهبوا به إلى جنتي .

وعن ابن أسعد أبي مطرف وكان من الأخيار الصالحين قال كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا أويت إلى مضجعي عدداً معلوماً أصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فانى فى بعض الليالى قد أكملت العدد فأخذتنى عينى وكنت ساكناً فى غرفة فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل على من باب الغرفة فأضاءت الغرفة نوراً ثم نهض نحوى وقبلنى فى خدى لصلاتى كثيراً عليه فانتبهت من فورى ونبهت صاحبتي إلى جنبى فإذا البيت يفوح مسكاً من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت رائحة المسك من قُبلته صلى الله عليه وسلم فى خدى نحو ثمانية أيام تجد زوجتى كل يوم الرائحة فى خدى .

وعن وكيع بن الجراح قال لولا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل حديث ما حدثت .

* * *

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ان لآدم عليه السلام من الله تعالى موقفاً فى فسيح العرش عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطلق من ولده إلى الجنة وينظر إلى من ينطلق من ولده إلى النار قال بينما آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينطلق به إلى النار فينادى آدم يا أحمد يا أحمد فيقول لبيك يا أبا البشر فيقول هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار فأشد المئزر وأهرع فى أثر الملائكة فأقول يارسل ربى قفوا فيقولون نحن الغلاظ الشداد الذين لا نعصى الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر فإذا أيس النبي صلى الله عليه وسلم قبض على لحيته بيده اليسرى واستقبل العرش بوجهه فيقول رب أليس وعدتني أن لا تخزيني فى أمتى فيأتى النداء من عند العرش أطيعوا محمداً وردوا هذا العبد إلى المقام فأخرج من حجزتى بطاقة بيضاء كالأنملة

وألقيها فى كفة الميزان وأنا أقول بسم الله فترجح الحسنات على السيئات فينادى سعد وسعد جده وثقلت موازينه انطلقوا به إلى الجنة فيقول العبد يارسل ربى قفوا حتى أكلم هذا العبد الكريم على ربه فيقول بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وأحسن خلقك فمن أنت فقد أقلتنى عثرتى ورحمت عبرتى فيقول أنا نبيك محمد اللهم صل عليه وسلم وهذا صلاتك التى كنت تصلى على فقد وافتك أحوج ما تكون إليها .

وعن على بن أبى طالب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قال : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء للنار والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من ضرب السيف فى سبيل الله .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه ويصليان على النبى صلى الله عليه وسلم إلا لم يبرحا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج حجة الإسلام وغزا بعدها غزوة كتبت غزاته بأربعمائة حجة . قال فانكسرت قلوب قوم لا يقدرون على الجهاد ولا الحج فأوحى الله عز وجل إليه ما صلى عليك أحد إلا كتبت صلاته بأربعمائة غزوة وكل غزوة بأربعمائة حجة .

وعن أبى كاهل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واعلم يا أبا كاهل أنه من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبًا لى وشوقًا إلى ، كان حقًا على الله أن يغفر ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال جبريل يا محمد إن الله تعالى يقول من صلى عليك عشر مرات

استوجب الأمان من سخطه .

وروى القاضى مجد الدين الشيرازى بسنده المتصل إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن الرفيع صاحب اللوح المحفوظ عن الله تعالى أنه أظهر فى اللوح المحفوظ أن يخبر الرفيع اسرافيل وأن يخبر اسرافيل ميكائيل وأن يخبر ميكائيل جبرائيل وأن يخبر جبرائيل محمداً صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليك فى اليوم والليلة مائة مرة صليت عليه ألف صلاة ويقضى الله له ألف حاجة أيسرها أن يعتقه من النار .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معالقه وملأ قدحه ماء فإن كانت له حاجة فى أن يتوضأ أو أن يشرب وإلا أهرقه فاجعلونى فى وسط الدعاء وفى أوله وفى آخره .

وعن عبد الله بن مسعود قال : كنت أصلى والنبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسى ، فقال صلى الله عليه وسلم : سل تعطه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما عبد كسب مالا من حلال فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله تعالى فإنه زكاة له . وأيما رجل لم تكن عنده صدقة فليقل اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فإنها كفارة له .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء كله محجوب حتى يكون فى أوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو فيستجاب لدعائه

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد ، فإن فُعِل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء فإن لم يُفعل رجع ذلك الدعاء .

وفى الاحياء قال : قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : من أراد أن يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع مابينهما .

وروى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة على فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى رواه أبو طالب المكى رحمه الله .

* * *

صلوات لها فضائل كثيرة

وهذه صلوات مخصوصات وردت فيها فضائل كثيرة ذكر أبو طالب المكى أنها من أفضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاً ولحقه اداء وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وأجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جزيت نبياً عن أمته وصل على جميع إخوانه من النبيين والصالحين » يقول هذا سبعين مرة ففيه فضل عظيم .

ويقال : من قاله سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له الجنة وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو الحسن البكرى وأبو عمارة بن زيد المدنى ومحمد بن إسحاق المطلبى قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد إذا برجل متلثم

فأسفر عن لثامه وأفصح فى كلامه ، وقال : السلام عليكم يا أهل العز الشامخ والكرم الباذخ . فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى بكر رضى الله عنه فنظر أبو بكر الاعرابى ، فقال لرسول الله أتجلسه بينى وبينك ولا أعلم على الأرض أحب منى إليك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر إن هذا الاعرابى أخبرنى جبريل عنه أنه يصلى على صلاة لم يصلها أحد قبله ، قلت يا رسول الله كيف يصليها عليك حتى أصلى عليك مثله ؟

(٢) قال النبى صلى الله عليه وسلم : يقول (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فى الأولين والآخرين وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين) . فقلت لرسول الله ما ثواب هذه الصلاة ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر لقد سألتنى عن شىء لا أقدر أحصيه فلو كانت البحار مداداً والأشجار أقلاماً والملائكة كتابا لفنى المداد وتكسرت الأقلام ولم تبلغ الملائكة ثواب هذه الصلاة رواه أبو الفرج فى كتابه للطرب حديث صحيح غير منكر انتهى .

وذكر بعضهم أنه روى عن بعض علماء السلف أن من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة ثلاث مرات حين يصبح وثلاث مرات حين يمسى هدمت ذنوبه وأديم سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط فى رزقه واعطى أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيداً ، وهى هذه الصلاة :

(٣) اللهم صل على سيدنا محمد فى الأولين وصل على سيدنا محمد فى الآخرين وصل على سيدنا محمد فى الملأ الأعلى إلى يوم الدين ، اللهم اعط محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الكبرى ، اللهم إنى آمنت بمحمد ولم أره فلا تحرمنى فى الجنان رؤيته ، وارزقنى صحبته وأمتنا على ملته واحشرنا فى زمرته واسقنا من حوضه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده أبداً إنك على كل شىء قدير ، اللهم أبلغ روح محمد منى تحية وسلاما ، اللهم كما آمنت به ولم أره فلا تحرمنى فى الجنان رؤيته .

وروى أن السلطان محمود الغزنوى كان فى أول عمره وأمره يقعد بعد صلاة الفجر يشتغل بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى ثلاثمائة ألف صلاة حتى يرتفع النهار ويقعد الناس على بابه ينتظرون خروجه ويشق عليهم الانتظار لقضاء الحاجات وفصل الخصومات ونظام مصالح العباد فلما كثر ذلك منه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول له ما هذا التطويل الذى تطوله على الناس حتى يضجر الضعفاء وذوو الحاجات من القعود على بابك والإنتظار فقال إنما أقعد لأنى أصلى عليك صلاة معلومة ولا أقوم حتى أفرغ منها فقال إن هذ يشق على الضعفاء وأولى الحاجات ولكن أعلمك صلاة مختصرة كل واحدة منها بمائة ألف تقرؤها ثلاث مرات فتلك ثلاثمائة ألف ثم تخرج لمصالح المسلمين فيحصل أجر تلك الصلوات وأجر نفع المسلمين والمساعدة فى قضاء حوائجهم فتعلمها وواظب عليها مدة ثم رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو يقول له ماذا فعلت حتى أتعبت الملائكة فى كتابة ثوابك قال ما عملت شيئاً إلا الصلاة التى علمتنا إياها وهى هذه .

(اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد رحمة الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد فضل الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد خلق الله (اللهم)صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد ما فى علم الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد كلمات الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد كرم الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد حروف كلام الله (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد قطر الأمطار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد ورق الأشجار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد رمل القفار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد الحبوب والثمار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد

ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد من صلى عليه (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد من لم يصل عليه (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد أنفاس الخلائق (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد نجوم السموات (اللهم) صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد بعدد كل شيء في الدنيا والآخرة وصلوات الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وشفيع المذنبين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته والأئمة الماضين والمشايخ المتقدمين والشهداء والصالحين وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين برحمتك يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين والحمد لله رب العالمين .

خاتمة

قال الإمام الشعراني فى (مشارق الأنوار من العهود) أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ليلا ونهاراً ونذكر لاخواننا ما فى ذلك من الأجر والثواب ونرغبهم فيه كل الترغيب اظهاراً لمحبته صلى الله عليه وسلم وأن يجعلوا لهم ورداً كل يوم وليلة صباحاً ومساء من ألف صلاة إلى عشرة آلاف صلاة . لأن ذلك من أفضل الأعمال وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول صلاة الله تعالى على عبده لا يدخلها العدد لأنه ليس لصلاة الله تعالى ابتداء ولا انتهاء وإنما دخلها العدد من حيث رتبة العبد المصلى لأنه محصور مقيد بالزمان فتنزل الحق تعالى للعبد بحسب شاكلة العبد وأخبر أنه تعالى يصلى على عبده بكل مرة عشراً فافهم ، ويؤيد ما قلناه كون العبد يسأل الله تعالى أن يصلى على نبيه دون أن يقول هو اللهم إنى صليت على محمد مثلا لأن العبد إذا كان يجهل رتبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم فرتبة الحق تعالى أولى فعلم أن تعداد الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من حيث سؤالنا نحن الله أن يصلى عليه فيجيب سؤالنا مرة .

ويحتاج المصلى على النبي صلى الله عليه وسلم إلى طهارة وحضور مع الله لأنها مناجاة لله كالصلاة ذات الركوع والسجود غير أنها لم تكن الطهارة لها شرطاً من حيث صحتها شرعاً لأن صاحبها جالس بين يدى الله عز وجل فى محل القرب يسأل الله أن يصلى على نبيه وإن كان الفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم أصالة فإنه هو الذى سن للمصلى أن يصلى عليه ليحصل له أعنى المصلى الصلاة من الله تعالى فمن واظب على ما ذكرناه كان له أجر عظيم ، وهو من أولى ما يتقرب به إليه صلى الله عليه وسلم : وما فى الوجود من جعل الله له الحلّ والربط دنيا وأخرى مثله صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والصفا دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما يرى ذلك فيمن كان مقرباً عند ملوك الدنيا ، ومن خدم السيد خدمته العبيد قال وكانت هذه طريقة شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ نور الدين الشونى (نسبة إلى بلد اسمها شونة قريباً من بلدة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه) وكذلك كانت طريقة الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الزواوى المدفون بدمنهور من أعمال البحيرة . وكان ورد الشيخ نور الدين كل يوم عشرة آلاف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكان ورد الشيخ أحمد أربعين ألف صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً .

قال وقال لى مرة طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة ، ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التى ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله صلى الله عليه وسلم فيها ، ومالم يقع لنا ذلك فلسنا من المكثرين للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

قال وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول لا يحق لأحد قدم الولاية المحمدية حتى يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالخضر والياس عليهما السلام ، قال وقد درج الصادقون كلهم على ذلك ولا يقدح فيه إنكار بعض المحجوبين .

ثم قال الشيخ الشعرانى وقد أخبرنى الشيخ عطية الانبانسى والشيخ صالح قاسم المغربى للقيم بتربة الإمام الشافعى أنهما سمعا الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بضعاً وسبعين مرة وقلت له فى مرة هل أنا من أهل الجنة يارسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك ، قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة فى أن يجتمع بالسلطان الغورى فى ضرورة وقعت لى فقال ياعطية أنا أجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة وأخشى إن اجتمعت بالغورى أن يحتجب صلى الله عليه وسلم عنى ثم قال إن فلانا الصحابى كانت الملائكة تسلم عايه فاكتوى فى جسده لضروة فلم ير الملائكة بعد ذلك سنة عقوبة له على اكتوائه اه .

ثم قال الشيخ الشعرانى ولكن بين الفقير وبين الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماع صوته بالرد عليه من قبره صلى الله عليه وسلم مائة ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعه وتسعون مقاماً ألف إلا واحد فمن ادعى هذا المقام طالبناه بان يتكلم معنا على هذه المقامات فإذا رأيناه لا يعرفها كلها كذبناه .

قال وقد كان سيدى الشيخ أبو العباس للرسى رحمه الله يقول لأصحابه أفيكم من إذا أراد الله تعالى أن يظهر أمراً فى الوجود أطلعه عليه قبل أن يظهره فيقولون لا فيقول أفيكم من إذا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يسمع رده عليه بإذنه ؟ فيقولون لا فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله ورسوله ،

ثم يقول والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة فى ساعة من ليل أو نهار لما عددت نفسى من جملة الفقراء اهـ .

(قلت) وقد قدمنا أوائل كتابنا هذا أن سيدنا الوالد عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله به لما سمع كلام الشخ أبى العباس المرسى هذا . قال وأنا أقول والله لو احتجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة واحدة لما عددت نفسى من المسلمين كيف يحتجب عنا وهو صلى الله عليه وسلم عين وجودنا اهـ .

* * *

﴿ نكتة ﴾ نقل الشيخ الشعرانى فى كتابه (اليواقيت والجواهر) . من كتاب الفتوحات المكية للشيخ محيى الدين بن عربى أنه قال حرَّم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهوداً لهم فإذا شكوا فى صحة حديث وحكم رجعوا إليه فى ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد الأئمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ قل هذه سبيلى ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ .

ثم قال الشيخ الشعرانى واعلم أن طريقة الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من أقرب الطرق فمن لم يخدم النبى صلى الله عليه وسلم الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال ولا يمكّنه حجّاب الحضرة أن يدخل وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير الواسطة المخصوصة به ، فعليك يا أخى بالاكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كنت سالماً من الخطايا .

قال وقد كان فى زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشونى من هو أكثر علماً وعملاً منه ولكن لم يكن يكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كما كان يكثر الشيخ فلم ينهض بهم علمهم وعملهم إلى التقرب الذى كان فيه الشيخ

وكانت حوائجه مقضية وطريقه ماشية وسائر العلماء يحبونه . ووالله ليس مقصود كل صادق من جميع القاصدين والمقبلين على ذكر الله إلا المحبة فى الله وماجمعهم على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا المحبة فيه فافهم ، قال وقد قدمنا أوائل العهود أن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح لمجالسته صلى الله عليه وسلم وأن من كان له سريرة سيئة يستحيي من ظهورها فى الدنيا والآخرة لا تصح له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان على عبادة الثقلين كما لم تنفع صحبة المنافقين ومثل ذلك تلاوة الكفار للقرآن لا تنفعهم ولا ينتفعون بها لعدم إيمانهم بأحكامه .

فوائد الصلاة والتسليم عليه

صلى الله عليه وسلم

ثم قال فى آخر العهد وقد حبب إلىّ أن اذكر لك يا أخى من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفاً لك لعل الله تعالى أن يرزقك محبته الخالصة ويصير شغلك فى أكثر أوقاتك الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وإهداء ثواب كل عمل عملته فى صحيفته صلى الله عليه وسلم كما أشار إلى ذلك خبر كعب بن عجرة السابق .

(فمن الفوائد) أو من أهمها صلاة الله وملائكته وسلامه ورسله على من صلى وسلم عليه : (ومنها) تكفير الخطايا وتزكية الأعمال ورفع الدرجات : (ومنها) مغفرة الذنوب واستغفار الصلاة عليه لقائلها : (ومنها) كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد والكيل بالمكيال الأوفى : (ومنها) كفاية الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها له كما تقدم : (ومنها) النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بها يوم القيامة ووجوب الشفاعة : (ومنها) رضا الله ورحمته والأمان من سخطه والدخول تحت ظل العرش :

(ومنها) رجحان الميزان فى الآخرة وورود الحوض والأمان من العطش: (ومنها) العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت: (ومنها) كثرة الأزواج فى الجنة والمقام الكريم: (ومنها) رجحانها على أكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها: (ومنها) زكاة وطهارة ونمو المال ببركتها: (ومنها) أنها علامة على أن صاحبها من أهل السنة: (ومنها) أن الملائكة تصلى على صاحبها ما دام يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم: (ومنها) أنه تقضى له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر: (ومنها) أنها عبادة وأحب الأعمال إلى الله تعالى (ومنها) أنها تزين المجالس وتنفى الفقر وضيق العيش (ومنها) أنها تلتمس بها مظان الخير: (ومنها) أن فاعلها أولى الناس به صلى الله عليه وسلم يوم القيامة: (ومنها) أنه ينتفع هو وولده وولد ولده بها وثوابها وكذلك من أهديت إليه فى صحيفته: (ومنها) أنها تقرب إلى الله عز وجل وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومنها) أنها نور لصاحبها فى قبره ويوم حشره وعلى الصراط: (ومنها) أنها تنصر على الأعداء وتطهر القلب من النفاق والصدأ: (ومنها) أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق ظاهر النفاق: (ومنها) رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وإن أكثر منها رآه فى اليقظة: (ومنها) أنها تقلل من اغتياب صاحبها، وهى من أبرك الأعمال وأفضلها نفعاً فى الدنيا والآخره وغير ذلك من الأمور التى لا تحصى.

ثم قال رضى الله عنه وقد رغبتك بذكر بعض ثوابها فواظب يا أخى عليها فإنها من أفضل ذخائر الأعمال وقد أمرنى أبو العباس الخضر عليه السلام. وقال لازم عليها بعد صلاة الصبح كل يوم إلى طلوع الشمس ثم اذكر الله عقبها مجلساً لطيفاً فقلت سمعاً وطاعة وحصل لى ولأصحابى بذلك خير الدنيا والآخرة وتيسير الرزق بحيث لو كان أهل مصر كلهم عائلتى ما حملت هماً والحمد لله رب العالمين انتهى.

وقال صاحب كتاب أنس المنقطعين حكى عن عبد الواحد بن زيد رحمه الله أنه قال كان لنا خادم يخدم السلطان وهو موصوف بالفساد والغفلة عن الله تعالى فرأيته ليلة فى منامى ويده فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن هذا العبد عبد سوء من المعرضين عن الله تعالى فكيف وضعت يدك فى يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرفت ذلك وها أنا أمضى لأتشفع فيه إلى الله تعالى قلت يارسول الله فبأى وسيلة بلغ ذلك منك فقال بكثرة الصلاة على إنه فى كل ليلة حين يأوى إلى فراشه يصلى على ألف مرة وإنى أرجو أن يقبل الله شفاعتى . قال عبد الواحد فلما أصبحت وإذا أنا بذلك الرجل وقد دخل المسجد باسماً وكنت فى ذكر ما رأيته له أقصة على أصحابى فلما دخل وسلم وجلس بين يدى قال ياعبد الواحد مد يدك ، فقد أرسلنى إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتوب على يديك وذكر لى ماجرى بينك وبينه الليلة فى شأنى . فلما تاب سألته عن حاله أى رؤياه فقال أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بيدى وقال قم لاشفع لك إلى ربى لأجل صلاتك على فانطلقت معه فشفع لى . وقال إذا أصبحت فأت عبد الواحد فتب على يديه انتهى .

الفصل الثالث

فى معنى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال بعض العلماء : الصلاة فى أصل اللغة الدعاء ، قال الله (وصلِّ عليهم) أى ادع لهم وفى الاصطلاح من الله رحمة مقرونة بالتعظيم . ومن الملائكة استغفار . ومن الآدميين تضرع ودعاء ومن الطير والهواء تسبيح . نقل ذلك عن الأزهرى واشتقت من صليت العود بالتشديد إذا لينته وقوّمته لأنها تلين قلب المصلى وتقوّمه . وقيل من الصلوين وهما عرقان يكتنفان الظهر أو عظمان ينحنيان فى الركوع والسجود .

وقال بعض العلماء : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم هى البركة والرحمة. قال . وقال الحليمى أما الصلاة فى اللسان فهى التعظيم وقيل للصلاة المعهودة صلاة لما فيها من حنى الصلا وهو وسط الظهر لأن انحناء الصغير للكبير إذا رآه تعظيم منه له فى العادات ، ولأن فى عامة ما فى الصلاة من قيام وقعود وغيرهما تعظيما للمدعو بالرغبة إليه والتناوش له وتعظيما للمدعو له بابتغاء ما ينبغى له من فضل الله تعالى وجميل نظره .

وقيل : الصلوات لله أى الأذكار التى يراد بها تعظيم المذكور والاعتراف له بجلالة القدر وعلو الرتبة كلها مستحقة لله لا تليق بأحد سواه ، فإذا قلنا اللهم صل على محمد فإنما نريد به اللهم عظم محمداً فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار دعوته وإبقاء شريعته . وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين الشهود .

وهذه الأمور وإن كان الله قد أوجبها للنبى صلى الله عليه وسلم فإن كل شىء منها ذو درجات ومراتب فقد يجوز إذا صلى عليه واحد من أمته فاستجيب دعاؤه فيه أن يزاد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء فى كل شىء رتبة ودرجة ولهذا كانت الصلاة عليه مما يقصد بها قضاء حقه ويتقرب باكثارها من الله جل ثناؤه ، ويدل على أن قولنا اللهم صل على محمد صلاة منا عليه أنا لا نملك إيصال ما يعظم به أمره ويعلو به قدره إليه وإنما ذلك بيد الله تعالى فصح أن صلاتنا عليه الدعاء له بذلك وابتغاؤه له .

قال وقد يكون للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه آخر وهو أن يقال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام على فلان . وقد قال الله عز وجل : ﴿ أولئك عليهم صلوات ﴾ الآية .

قال الواحدى فى تفسيره الموسوم بالوجيز : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ﴾

أى مغفرة ﴿ ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ إلى الجنة والثواب والحق والصواب ومعناه لتكن أو كانت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال صلى الله عليه وسلم أى كانت من الله عليه الصلاة أو لتكن الصلاة من الله عليه والله تعالى أعلم . ووجه هذا أن التمنى على الله عز وجل سؤال . ألا ترى أنه يقال غفر الله لك ورحمك الله فيقوم ذلك مقام اللهم اغفر له اللهم ارحمه .

﴿ فائدة ﴾ قال العلماء : اعلم أن لفظ الصلاة مما خص به الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام فلا يستعمل فى غيرهم إلا تبعاً لهم إظهاراً لتبجيلهم وإعظاماً وتنويهاً بأقدارهم الرفيعة وتمييزاً لعلو درجاتهم الشامخة المنيفة ، وألحق بهم فى ذلك الملائكة لمشاركتهم لهم فى العصمة وتوفية لمقامهم بحق الحرمة وإن كان الأنبياء أفضل من جميعهم عامهم وخاصهم كما أن من عدا الأنبياء من الصلحاء أفضل من غير خواصهم . وقالوا : أيضاً إنه يكره إفراد الصلاة عن السلام وإفراده عنها .

﴿ فائدة أخرى ﴾ : قال الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : ليست الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله . ولكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أنعم علينا فإن عجزنا عن المكافأة دعونا له وتضرعنا إلى ربنا أن يكافئه عنا ولما عجزنا عن مكافأة سيد الأولين والآخرين أمرنا رب العالمين أن نرغب إليه ونصلى عليه صلى الله عليه وسلم لتكون صلاتنا مكافأة لإحسانه إلينا وتوجيهه الهداية والمنة بها علينا . ولا إحسان أبلغ من إحسانه صلى الله عليه وسلم إذ دلنا على الطريق الأقوم فإنه هو السبب لنا فى الوصول إلى السعادة الأبدية وحصول الخيرات الدنيوية والأخروية انتهى .

قلت : ويحسن أن يراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مع ما فيها مما ذكره الشيخ عز الدين رحمه الله امتثال أمر الله تعالى لنا بتعظيمه صلى الله عليه وسلم

وتعزيره وتوقيره وتكريمه المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ وقوله : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ وأيضاً فنقصد بذلك تحصيل الثواب وحسن المآب عاجلا وآجلا لمن يصلى عليه صلى الله عليه وسلم كما وردت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحات مما تقدم فى فوائد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :

معنى التسليم

وأما التسليم فهو أن يقال السلام على النبى أو السلام عليك أيها النبى أو يا رسول الله ولو قال اللهم صل وسلم على محمد لأغنى ذلك عن السلام عليه فى التشهد ومعنى السلام عليك اسم السلام عليك . والسلام من أسماء الله عز وجل فكأنه يقال اسم الله عليك وتأويله لا خلوت من الخيرات والبركات ، وسلمت من المكاره والذام . إذ كان اسم الله تعالى إنما يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معنى الخير والبركة فيه وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنه .

ووجه آخر وهو أن يكون معناه ليكن قضاء الله عليه السلامَ وهو السلامة كالمقام والمقامة والملام والملامة أى سلمك الله من الذام والنقائص . فإذا قلنا اللهم سلم على محمد فإنما نريد به اللهم اكتب لمحمد فى دعوته وأمته وذكره السلامةَ من كل نقص فتزداد دعوته على الأيام علواً وأمته تكاثراً وذكره ارتفاعاً ولا يعارضه ما يوهن له أمراً بوجه من الوجوه والله تعالى أعلم .

وقال الشيخ الشعرانى فى اليواقيت والجواهر : فإن قيل فما الحكمة فى سلام المؤمنين على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة مع أنه آمن منهم صلى الله عليه وسلم . والسلام إنما هو أمان .

فالجواب كما قال الشيخ ابن عربى فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية : إن الحكمة فى ذلك المؤمنين هو أن مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

يعطى الاعتراض عليهم ولو بالباطل لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم كما أن مقامهم يعطى التسليم لهم أيضاً فلذلك شرع لنا أن نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنا نقول له يا رسول الله أنت فى أمان منا أن نعترض عليك فى شىء أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى .

قلت : ولذلك لما وصف الله ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر قال تعالى سلام هى حتى مطلع الفجر ، أى ما هى إلا سلامة أى لا يقدّر الله فيها إلا السلامة والخير ويقضى فى غيرها ما سوى ذلك .

وكذلك قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أى سلامة لك من الاغتمام لهم أو بهم فقد نجوا ، وقيل معناه التسليم عليك منهم مثل قوله تعالى ﴿ إلا قيلا سلاما سلاما ﴾ ؛ وقيل الضمير فى قوله فسلام لك راجع إلى الميت أى إن كان من أصحاب اليمين فسلام أى سلامة له من العذاب لكونه من أصحاب اليمين كذا قاله العلماء المحققون .

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم وقوله فى آخر الصلاة السلام عليكم قيل معناه التعويذ بالله والتحصين به سبحانه وتعالى فإن السلام اسم له سبحانه وتعالى فمعناه فى حقه تعالى السالم من النقائض ومن سمات الحدوث ومن الشريك والند . وقيل السلم أولياءه وقيل المسلم عليهم وقيل غير ذلك .

ثم قال وأما معنى السلام منه فى حقنا فتقديره الله عليكم حفيظ وكفيل كما يقال الله معك أى بالحفظ والمعونة واللطف ، وقيل معناه السلامة والنجاة لكم ويكون مصدراً كاللذاذه واللذاذ كما قال تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين انتهى ما نقلناه من كلام النووى .

معنى الرحمة

وأما الرحمة فإنها تجمع معنيين احدهما إزاحة العلة . والأخرى الاثابة بالعمل وهى فى الجملة غير الصلاة ألا ترى أن الله عز وجل قال أولئك عليهم صلوات

من ربهم ورحمة ففصل بينهما . وجاء عن عمر رضى الله عنه مادل على انفصالها عنده . قال البيهقى يعنى ما أخبرنا أبو العالية الحافظ حدثنا على بن عيسى الحيرى حدثنا مسدد بن قطن حدثنا عثمان ابن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر قال نعم العدلان ونعمت العلاوة (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى قال الحليمى رحمه الله تعالى وقيل فى تفسير قوله عز وجل أولئك عليهم صلوات من ربهم أنه الثناء من الله عز وجل عليهم والمدح والتزكية لهم . وقوله ورحمة أنها كشف الكربة وقضاء الحاجة . وقوله أولئك هم المهتدون يحتمل وأولئك هم المصيبون طريق الحق دون من خالفهم فخرج عن المقصود . وباء بسخط المعبود .

معنى البركة

قالوا وأما البركة فإنها فعل الله تعالى جده أى قدره وإنما يكون منا التبريك وأن نقول اللهم بارك على محمد وأصل البركة الدوام وهو من برك البعير إذا أنيخ فى موضعه فلزمه وقد توضع موضع النماء والزيادة وأصلها ما ذكروه لأن تزايد الشىء موجب دوامه . وقد توضع أيضا موضع التيمن فيقال للميمون مبارك بمعنى أنه محبوب ومرغوب فيه وذلك لا يخالف ما قلنا لأن البركة إذا أريد بها الدوام فإنما يستعمل ذلك فيما يراد ويرغب فى بقائه . وإذا قلنا اللهم بارك على محمد فالمعنى اللهم أدم ذكر محمد ودعوته وكثر أتباعه وأشياعه وعرف أمته من يمنه وسعادته أن تشفعه فيهم وتدخلهم جناتك وتحلهم دار رضوانك فيجمع التبريك عليه الدوام والزيادة والسعادة والله تعالى أعلم انتهى من شعب الإيمان للبيهقى مع زيادة من غيره .

خاتمة

(سئل) حجة الأسلام الغزالى عن قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة

صلى الله عليه عشراً ما معنى صلاة الله على من صلى عليه وما معنى صلاتنا عليه وما معنى استدعائه من أمته الصلاة ايرتاح لذلك أم هو شفقة على أمته . (فقال) أما صلاة الله على نبيه وعلى المصلين عليه فبمعنى إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم . وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال فى طلب تلك الكرامة ورغبة فى إفاضتها عليه لا كقول القائل غفر الله له ورحمه فإن ذلك يختص بطلب الرحمة وطلب الغفر والستر ولذلك تختص الصلاة به وذويه وأما قولك رضى الله عنه فيختص بالأكابر وطلب الرحمة والمغفرة للعوام وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فلثلاثة أمور .

(أحدها) أن الأدعية مؤثرة فى استدرار فضله ونعمته ورحمته لاسيما فى الجمع الكثير كالجمعات وعرفات والجماعات فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلى طلب مافى الامكان وجوده كالمطر ورفع الوباء وغيره فاض مافى الامكان من المفيض الحق بوسائط الروحانيات المسخرين لتدبير العالم الأسفل المقتضى لتفقدهم وإنما أثرت الهمم لما بين الأرواح البشرية والروحانيات العلية من المناسبة الذاتية فإن هذه الأرواح مجانسة لتلك الجواهر وإنما يقطع مجانستها التدنس بكدورات الشهوات ولذلك تكون كلمة القلوب الزكية الطاهرة أسرع تأثيرا ويكون فى حال التضرع والابتهال أنجح لأن حرقة التضرع تذيب كدورات الشهوات عن القلب فى الحال وتضعفه وتكسر من ظلمته ولذلك قلما يخطى دعاء الجمع ولا يخلو الجمع عن قلوب طاهرة ثم يزيدها التعاون تأثيراً .

(قلت) ويؤيد ماأشار إليه حجة الإسلام فى هذا الكلام من قوة تأثير الدعاء مع جمع أهل الإسلام ماروى فى الصحيح عن سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام فى حديث أصحاب الغار الذين سقطت عليهم الصخرة ومنعتهم من الخروج فدعا حينئذ كل واحد منهم فكان تخليها عن فم الغار قليلا قليلا فدعاء الأول فرجها بحيث رأوا علامة القبول ودعاء الثانى كان أقرب إلى الخروج وبدعاء

الثالث انفرجت عنهم بالكلية . فافهم .

ولفظ الحديث في الصحيحين عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لايستطيعون الخروج منه ، وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي . وفي رواية كنت أحبها كأشد مايحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها وفي رواية فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه فانفرجت شيئاً لايستطيعون الخروج منه ، وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي أعطيته وذهب فثمرت أجرته حتى كثرت الأموال فجاءني بعد حين فقال ياعبد الله أد إلي أجري فقلت كل ماترى من أجرتك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال ياعبد الله لا تستهزيء بي فقلت ما أستهزيء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .

ثم قال حجة الإسلام وإنما كان فى يوم الجمعة وقت يستجاب فيه الدعاء مبهم لأن الحال الذى تجتمع فيه على ذلك قلوب صافية وفى وقت واحد مبهم لايدرى متى يتفق لكن الغالب أن اليوم لايخلو عنه وهو وقت النفحات التى يتعرض لها . وربما كان اجتماع الهمم يوم الجمعة عند الأسباب الجامعة كابتداء الخطبة وابتداء الصلاة أولى لكن الأولى أن لايجرى القول بتعيين وقته بل يبهم ولذلك تتوقع تلك النفحات فى الأسحار لصفاء القلوب فإذا كانت الأدعية مؤثرة فى الاستجلاب لمزيد الفضل وكان ما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحوض وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدودة على وجه لا تتصور الزيادة فيها فاستمداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات .

(الأمر الثانى) ارتياحه به كما قال عليه الصلاة والسلام إنى أباهى بكم الملائكة . وكما لا يبعد أن يطلع النائم منا على الغيب من أحوال الموتى مع كوننا فى هذا العالم المظلم فلا يبعد أن يحصل للأرواح معرفة بمجارى أحوالنا مع أنهم فى عالم القدس والصفاء . ودار الحيوان فوجه اطلاع النائم على أحوال الموتى واطلاع الموتى على أحوال الناس يطول ذكره .

(الثالث) الشفقة على الأمة بتحريضهم على ماهو حسنة فى حقهم وقربة لهم وإنما تضاعف صلاة الله عليهم لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات إذ فيها تجديد الإيمان بالله أولا ثم بالرسول ثانياً ثم تعظيمه ثالثاً ثم العناية بطلب الكرامة له رابعاً ثم تجديد الإيمان باليوم الآخر وأنواع كرامته خامساً ثم بذكر الله سادساً وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ثم بتعظيم الله بسبب نسبتهم إلى الله تعالى سابعاً ثم بإظهار المودة لهم ثامناً ولم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم من أمته إلا المودة فى القربى ثم الابتهال والتضرع فى الدعاء تاسعاً والدعاء العبادة ثم بالاعتراف عاشراً بأن الأمر كله لله وأن النبى صلى الله عليه وسلم وإن جل قدره فهو عبد ذليل لله محتاج إلى رحمة الله وإلى مدد الله تعالى له .

فهذه عشر حسنات سوى ماورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها فقط . وسره أن الجوهر الإنسانى طبعه حنان إلى ذالك العالم العلوى لأنه مقتبس منه وهبوطه إلى العالم الجسمانى غريب فى طبيعته والسيئة تطاطيه عن الترقى إلى ذلك العالم على خلاف طبعه والحسنة ترقيه إلى موافقة الطبع والقوة التى تحرك الجبل إلى فوق ذراعاً هى بعينها إن استعملت فى تحريكه إلى أسفل تحركه عشرة أذرع وزيادة فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إذ منها إنه يوفى أجره بغير حساب وهى الحسنة التى لايدافع تأثيرها تقصير من رياء وعجب كالحجر الذى يدهور من شاهق لايصادمه دافع فإنه لايتقدر مقدار هبوطه بحساب حتى يبلغ الغاية والنهاية والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الأمين وعلى آله الأكرمين وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم وجميع اللائذين والمحبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

* * *

الذكر السادس عشر وشرحه

ولما قارب سيدنا عمر إكمال راتبه العظيم أخذ فيما يخفف حمل الآصار . ويكفر كبائر الأوزار . ويطفىء غضب الجبار . ويخمد عن قائله زفير النار . ويستنزل به الأمطار . وتجاب به الإمدادات المذكورة فى سورة نوح عليه السلام من البنين والأموال والجنان والأنهار وهو الاستغفار . فقال رضى الله عنه ﴿ أستغفر الله ﴾ إحدى عشرة مرة ثم تقول بعده تائب إلى الله « مرة » .

قال الشيخ على : ومعنى أستغفر الله أى أستقيل الله وشرطه ظهور الندم والعزم على عدم العود إلى المخالفة ودوام الموافقة . وما دام كذلك يقع فى الذنوب فليعد الاستغفار آناء الليل والنهار فبذلك يغلب العدو المحتال بعون الله الكبير

المتعال . إذا قال العبد أستغفر الله يقول الله عبدى أذنب وَعلم أن له رباً يغفر الذنوب وَيأخذ بالذنب قد غفرت لعبدى مادام يستغفرنى غفرت لعبدى على ما كان منه وفى حديث قدسى يقول الله تعالى ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا وَلم تشرك بى شيئاً ثم استغفرتنى غفرت لك وَلا أبالى . وَقراب هو ما يقارب ملئها : انتهى .

* * *

وَلنشرع الآن فى ذكر ماتيسر من فضائل الاستغفار . من الآيات وَالأخبار وَالآثار عن العلماء الأخيار . وَإن كانت فضله وَمنافعه لا تدخل تحت حيز الانحصار . وَلا يفى المجتهد فى نشرها بذكر عشر المعشار . ونجعل ذلك فى ثلاثة فصول ثم خاتمة فى التوبة . تقول سيدنا عمر فى آخره « تائب إلى الله » . .

الفصل الأول
فى فضائل الاستغفار

أما الآيات فقد قال تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) . وقال تعالى : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) وقال تعالى : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) . وقال تعالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وقال تعالى : (لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) . وقال تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) إلى (نعم أجر العاملين) . وقال تعالى : (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله) الآية . وقال تعالى : (وما كان الله

معذبهم وهم يستغفرون) . وقال تعالى : (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (واستغفر لهم) الآية . وقال . (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار) . وقال تعالى حاكياً عن نبيه آدم . (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . وقال تعالى فى مدح عباده المؤمنين . (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) إلى قوله . (وبالأسحار هم يستغفرون) . وقال على لسان نبيه نوح . (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) الآية . وقال على لسان نبيه إبراهيم : (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى إنه كان من الضالين) . وقال على لسان نبيه هود . (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة) الآية . وقال على لسان نبيه صالح : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب) . وقال تعالى على لسان نبيه شعيب : (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود) . وقال تعالى على لسان نبيه موسى : (إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) . وقال : (رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك) . الآية وقال تعالى على لسان نبيه يعقوب . (سوف أستغفر لكم ربى) الآية . وقال تعالى على لسان نبيه يوسف . (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) . وقال تعالى حاكياً عن داود . (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) . وقال تعالى على لسان سليمان . (رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى) الآية : وقال تعالى على لسان عيسى : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وقال تعالى على لسان نبيه محمد وصحبه : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا

وثبت أقدامنا) . (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) . وقال تعالى حاكياً عن ملائكته : (ويستغفرون لمن فى الأرض) (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا) . وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) إلى غير ذلك من الآيات الكريمات الدالات لأولى الألباب والأبصار على فضيلة الاستغفار ومنافعه الكبار .

* * *

وأما الأخبار فقد قال رسوله المختار « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه الإمام أحمد وغيره . وقال عليه السلام « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار » رواه البيهقى وفى رواية للحاكم خير الدعاء الاستغفار وروى الطبرانى عن معاذ بن جبل « من قال استغفر الله العظيم ثبت له غرس فى الجنة » .

وقال عليه السلام « يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فإنى استغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أو فى كل يوم مائة مرة وأكثر من مائة » رواه أحمد والطبرانى وغيرهما .

قال الإمام البغوى والاستغفار فى حق الأنبياء بعد النبوة على أحد الوجوه الثلاثة إما لذنب تقدم قبل النبوة أو لذنوب أمته وقرابته أو لمباح جاء الشرع بتحريمه فيرتكبه [قبل التحريم فيأتى] بالاستغفار يعنى فتكون كالهفوة فى حقهم وإن كانت تعد من الحسنات فى حق غيرهم كما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين انتهى . (قلت) ومن هذا القبيل قول إبراهيم سارة أختى وقوله إنى سقيم حتى أنه عد ذلك من الكذب واعتذر به عن الشفاعة العامة ، وإنما

كان يحاجُ الكفار بذلك عن دين الله .

ثم قال البغوى والاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع .

وقال علقمة بن الأسود قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله إلا غفر له . (والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم) الآيه. وقوله : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) . وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم . وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أنى لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » .

وقال عليه السلام كل بنى آدم خطّاؤن وخير الخطائين التوابون المستغفرون .

وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين فقال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالى ما تصلى وتفطر فى رمضان . فهذا نقصان الدين رواه مسلم فى صحيحه .

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم المعشر الجماعة الذين أمرهم واحد ، وقوله رأيتكن أكثر أهل النار هو بنصب أكثر إما على أن هذه الرؤية تتعدى إلى مفعولين . وإما على الحال على مذهب من قال إن أفعل لايتعدى بفعله إلى مفعولين قال وقيل هو بدل من الكاف فى رأيتكن ، وأما قولها فما لنا أكثر أهل النار فمنصوب إما على الحكاية وإما على الحال ، والجزلة ذات العقل والرأى والوقار ، والعشير الزوج ، واللب العقل ، وفى هذا الحديث الحث على الصدقة والبر والاكثار من الاستغفار وسائر الطاعات ، وفيه أن الحسنات يذهبن

السيئات وفيه أن كفران العشير وكفران الإحسان من الكبائر . وفيه اطلاق الكفر على غير الكافر بالله ككفر العشير والاحسان والنعمة والحق ، والعقل هو العلم وقيل هو بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات قال ومحله عند المتكلمين القلب وعند بعض العلماء الرأس انتهى كلام النووى على هذا الحديث .

* * *

وقال عليه الصلاة السلام من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أوعدد أيام الدنيا.

وروى أبو داود والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عثمان رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل .

ونقل الإمام النووى من الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ، وفى رواية لمسلم ينزل الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك من ذا الذى يدعونى فاستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فاغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر ، وفى رواية إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه .

وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فإن التوبة من الذنب بالندم والاستغفار .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى الاستغفار اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطائى

وعمدى وكل ذلك عندى ، اللهم اغفرلى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير .

وقال على رضى الله عنه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور فيقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم تلا (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم) الآية .

وروى أيضا عنه عليه الصلاة والسلام قال إن الله ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك. وروت عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤا استغفروا .

وقال عليه السلام ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة ، وقال عليه السلام من أذنب ذنبا فعلم أن الله اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر .

وقال عليه السلام يقول الله عز وجل ياعبادى كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم الحديث ، وقد سبق هذا الحديث بتمامه فى الفصل الثانى من المقدمة .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال خمس آيات مايسرنى أن لى بهن الدنيا ومافيها إحداهن أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الآية . وإن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية . ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية . إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما أخرجه رزين .

وعن على رضى الله عنه أنه قال مافى القرآن آية أحب إلى من هـذه

الآية إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذى.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم قال قال صلى الله عليه وسلم إن تغفر اللهم تغفرجما وأى عبد لك لا ألم أخرجه الترمذى وصححه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة فإذا نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه وهو الران الذى ذكره الله تعالى أخرجه الترمذى وصححه . (النكت) الأثر فى الشىء (وران على قلبه) أى غطى .

وفى بعض التفاسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب بنى شيبه فرآهم يضحكون فقال أتضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ثم مرّ ثم رجع إليهم القهقرى وقال نزل على جبريل وأتى بقوله نبئ عبادى إنى أنا الغفور الرحيم .

وروى الترمذى مرفوعا وقال حديث حسن « قال الله تعالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم أتيتنى لاتشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ولا أبالى يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى الحديث (والعنان بفتح العين المهملة السحاب ، وقراب الأرض بضم القاف مايقارب ملئها).

وروى الإمام أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد مرفوعا قال ابليس وعزتك وجلالك لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم فقال وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى .

وروى الحاكم وقال صحيح الاسناد مرفوعاً ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك ثلاث ساعات فإن استغفر من ذنبه لم يوقعه عليه ولم يعذب به يوم القيامة

وروى البيهقى مرفوعاً إن للقلوب صدأ كصدإ النحاس وجلاؤها الاستغفار .

وقال عليه السلام ما من عبد ولا أمة استغفر الله فى يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب . وقد خاب عبد أو أمة عمل فى يوم أو ليلة أكثر من سبعمائة ذنب .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حلف لا والله استغفر الله أخرجه أبو داود وروى الحاكم عن البراء بن عازب وقال صحيح على شرط الشيخين فى قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ هو لرجل يذنب فيقول لا يغفر الله لى ، وروى أيضاً مرفوعاً من قال اللهم مغفرتك أوسع من ذنبى ورحمتك أرجى عندى من عملى ثلاث مرات غفر الله له والله أعلم وأحكم :

وقال خالد بن معدان رحمه الله قال الله تعالى ﴿ إن أحب عبادى إلى المتحابون بحبى والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم ﴾ .

وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار ، وقال على رضى الله عنه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار ، وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول مات أخ لى فرأيته فى المنام

بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لى كل ذنب استغفرت منه وما لم استغفره منه لم يغفره لى انتهى :

وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيره أقلنى . وقال بعض العلماء العبد بين نعمة وذنب لا يصلحه إلا الحمد والاستغفار ، وطاعة لا يصلحها إلا شهود المنة ، وبلية لا يهونها إلا الصبر . وسمع اعرابى حول الكعبة يقول وهو متعلق بالأستار اللهم إن استغفارى إياك مع إصرارى للؤم وإن تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض إليك بالمعاصى مع فقرى إليك يامن إذا وعدوفى وإذا توعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين .

وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يدنو من خلقه فيغفر لمن استغفر إلا البغى بفرجها والعشار رواه عثمان بن أبى العاص .

وقال عليه السلام إن الله تعالى يقول إنى لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتى والمتحابين فىّ والمستغفرين بالأسحار صرفت عذابى عنهم رواه أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الإستغفار رواه الحاكم عن أنس .

وقال عليه الصلاة والسلام إن استطعتم أن تكثروا من الإستغفار فافعلوا فإنه ليس من شىء أنجح عند الله ولا أحب إليه منه رواه الحاكم عن أبى الدرداء

وقال عليه السلام أنزل الله على أمانين لأمتى قال الله تعالى « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فإذا مضيت تركت فيهم الإستغفار إلى يوم القيامة رواه أبو موسى ، وقال صلى الله عليه وسلم الإستغفار فى الصحيفة يتلألأ نوراً رواه ابن عساكر عن معاوية بن حيده ، وقال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فأسن لكم

السنن وأشرع لكم الشرائع . وأما موتى فإن أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسناً حمدت الله تعالى وما رأيت منها سيئاً استغفرت الله لكم نقله فى الاحياء وقال أيضاً الإستغفار ممحاة للذنوب رواه حذيفة .

وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بربه ومن آذى مسلماً كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل رواه ابن عساكر عن ابن عباس .

وقال عليه الصلاة والسلام التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله منه ثم لاتعود إليه رواه ابن أبى حاتم عن أبى رضى الله عنه :

وقال عليه الصلاة والسلام حقيق بالمرء أن تكون له مجالس يخلو فيها ويذكر ذنوبه فيستغفر الله منها رواه مسروق مرسلا .

وقال عليه الصلاة والسلام طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً رواه عبد الله بن بسر وعائشة رضى الله عنهما .

وقال عليه الصلاة والسلام كفارة من اغتبت أن تستغفر له رواه ابن أبى الدنيا عن أنس ، وروى ابن السنى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً فأراد أن يقوم استغفر عشراً أو خمسة عشر .

وقال صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء ودواء الذنوب الإستغفار ، عن ثوبان رضى الله عنه .

وذكر صاحب كتاب أنس المنقطعين حكاية عن العتبى قال كنت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت أعرابياً قد أقبل على بعير له فنزل عنه ثم أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول السلام عليك يامن اصطفاه الله أنت الذى أنزل الله عليك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما . وها أنا قد جيتك أستغفر من ذنبى فاشفع لى

إلى ربى . قال العتبى فغلب على النوم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدرك الأعرابى فعرفه أن الله تعالى قد غفر له .

وروى الإمام الواحدى بسنده عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك فيمسك سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شىء وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة .

وعن على الرضى بن موسى الكاظم رضى الله عنهما أنه قال من صام من شعبان يوماً واحداً ابتغاء ثواب الله دخل الجنة ومن استغفر فى يوم سبعين مرة حشر يوم القيامة فى زمرة النبى صلى الله عليه وسلم . ووجبت له من الله الكرامة ومن تصدق فى شعبان ولو بشق تمرة حرم الله جسده على النار ذكره ابن الصباغ فى كتابه الفصول وأورد فيه عن محمد الجواد بن على الرضى أنه قال ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله كثرة الإستغفار ولين الجانب وكثرة الصدقة وثلاث من كن فيه لم يندم ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزم .

وقال صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان إلى الله تعالى فى يوم صحيفة فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها الاستغفار إلا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى هذه الصحيفة ، وقال صلى الله عليه وسلم من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة ؛ وقال صلى الله عليه وسلم من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات فى كل يوم سبعا وعشرين مرة أو خمسا وعشرين أحد العددين كان من الذين يستجاب دعاؤهم ويرزق بهم أهل الأرض .

وقال حذيفة بن اليمان شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانى فقال أين أنت من الاستغفار إنى لأستغفر الله فى كل يوم مائة مرة ، وجاء رجل فقال يا رسول الله واذنوباه واذنوباه فقال قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى

ورحمتك أرجى عندى من عملى فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد فقال قم . قد غفر الله لك ، وجاءه رجل فقال يا رسول الله إن أحدنا يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود فيذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه ويتوب . قال فيغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتى تملوا .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال كنا لنعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد رب اغفرلى وتب على إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة ، وقال صلى الله عليه وسلم ما وضع عبد جبهته لله ساجدا فقال رب اغفرلى ثلاثاً إلا رفع رأسه وقد غفر له ، قال بعض العلماء رحمه الله تعالى وهذا فى كتاب الله تعالى فى قصة داود عليه السلام (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك) قال المفسرون أى ساجدا والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفى شرح الحكم نقلا من كتاب (التسبب والتيسير نصائح العمال للقاضى يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار) عن مغيث بن سمى قال كان رجل من بنى إسرائيل يعمل بالخطايا فبينما هو ذات يوم يسير ذكر ماسلف من عمله فقال اللهم غفرانك فمات على ذلك الحال فغفر له .

وفى كتاب الحقائق قال خرّج الطيالسى عن البراء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذ لقى المسلم أخاه فصافحه وحمد الله واستغفره غفر الله لهما .

وروى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه دخل على جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب فسلم عليه ثم جلس فقال يا سفيان قال لبيك قال إنك رجل يطلبك السلطان وأنا رجل اتقى السلطان فقم غير مطرود فقال سفيان تحدث وأقوم فقال جعفر أخبرنى جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنعم الله عليه بنعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن أحزنه أمر

فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قام سفيان فناداه جعفر يا سفيان قال لبيك قال خذهن ثلاثا وأى ثلاث وأشار بيده ذكره البيهقى فى شعب الإيمان .

وقال بعض القصاص يا أيها الناس ثلاث خلال لا يعذبكم الله ما عملتم بهن الشكر والدعاء والاستغفار ثم قال ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما وقال ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم وقال وما كان الله الله معذبهم وهم يستغفرون .

وقال الحسن البصرى أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طريقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم وأينما كنتم فإنكم لا تدرون فى أى وقت تنزل البركة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وفى حديث آخر من قال ذلك بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات كفرت عنه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر .

وفى حديث آخر من قال ذلك دبر كل صلاة غفر الله ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف ، وقال صلى الله عليه وسلم إذا أذنب العبد ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب قال تعالى عبدى أعمل ماشئت فقد غفرت لك

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قال . قلت : يا رسول الله إن ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين ، قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم معنى هذا الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والاطعام ووجوه المكارم لا ينفعه فى الآخرة لكونه كان كافراً وهو معنى قوله صلى الله عليه

وسلم إنه لم يقل رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين أى لم يكن مصدقاً بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل ، ثم قال وقال القاضى رحمه الله تعالى وقد انعقد الاجماع على أن الكفار لاتنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم أشد عذابا من بعض بحسب جرائمهم، ثم قال الإمام النووى قال البيهقى وقد يجوز أن يكون حديث ابن جدعان وماورد من الآيات والأخبار فى بطلان خيرات الكافر، إذا مات على كفره ، وورد أنه لا يكون لها موقع فى التخلص من النار وإدخال الجنة ولكن يخفف عنه من عذابه الذى يستوجبه على الجنايات التى ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات ، ثم قال العلماء وكان ابن جُدعان كثير الإطعام وكان اتخذ للضيفان جفنة يرقى إليها بسلم، وكان من بنى تيم بن مرة أقرباء عائشة رضى الله عنها؛ وكان من رؤساء قريش واسمه عبدالله وجدعان بضم الجيم وإسكان الدال المهملة والعين المهملة ، قال وأما صلة الرحم فهى من الإحسان إلى الأقارب وقد تقدم بيانها ، وأما الجاهلية فما كان قبل النبوة سموا بذلك لكثرة جهالتهم ، وذكر فى شرح مسلم أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا تنفعه قرابة المقربين لما صح فى مسلم أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفَّى دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار ثم قال النووى فيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار قال وليس فى هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين .

خاتمة

قال الإمام الشعرانى فى مشارق الأنوار أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الإستغفار ليلا ونهاراً سواء استحضرنا ذنوبنا أو لم نستحضرها وهذا العهد يخل به كثير من المتصوفة الذين لم يفطموا

على يد شيخ فيزين لهم الشيطان مراعاة أنهم صاروا موحِّدين لافعل لهم مع الله فلا يكاد أحدهم يستحضر له ذنباً يستغفر الله منه وربما قال فى نفسه بعيدٌ أن مثلى يعذبه الله ولو كشف الله عن بصيرته كما كشف للعارفين لرأى أنه قد استحق به فى الدنيا الخسف ودخول النار فى العقبى إذا العبد كله ذنوب وعيوب وكم قد وقع العبد فى ذنب ونسيه وسيبدو له ذلك يوم القيامة فأكثر يا أخى من الاستغفار وقد كان سيدى على الخواص يتفقد أعضاءه من رأسه إلى قدمه كل يوم صباحاً ومساء ويتوب إلى من جناية ذلك العضو فى ذلك اليوم أو تلك الليلة لاسيما الاذن والعين واللسان والقلب ويقول إن الاستغفار يطفىء غضب الجبار ومن قال استغفر الله لم يبق عليه ذنب إن شاء الله تعالى لاسيما إن أشرف الإنسان على معترك المنايا وضاق عمره عن العمل الصالح فإن هذا مابقى شىء أنفع له من كثرة الاستغفار ، قال وسمعته يقول ماتوقف لأحد حاجة من حوائج الدنيا إلا مِنْ ترك الاستغفار قال الله تعالى استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآية .

واعلم أنه ليس لمن عزل نفسه عن وظيفته أو حبس على جريمته أو دينه أنفع من كثرة الاستغفار وذلك أن العزل والحبس خزى للعبد بين الناس ونكال فإذا أرضى ربه بالاعتراف والاستغفار ورضى عنه ربه أخرجه لوقته فإن استغفر ولم يطلقه الحق تعالى فهو دليل على أن الحق تعالى لم يقبل توبته وأن عنده بقية تجبُّر أو ميل إلى معصية فيمالج ماعنده بكثرة الاستغفار ورد المظالم إلى أهلها فإن الله تواب رحيم ، قال وقد جُرِّب أن كل من أحكم سد باب المعاصى جملة لاتردُّ له دعوة لأنه يصير كالملائكة ، ثم قال فلا تقع يا أخى فى المعاصى وتطلب إجابة دعائك ، ذاك لا يكون وإن كان فهو استدراج فكما دعاك مولاك تعالى إلى طاعته حين دعاك إليها كذلك أسرع الحق تعالى بإجابتك على الفور جزاء وفاقا . ومن كلام الشيخ أبى النجا سالم لأصحابه وهو محتضر

أعلموا أن الوجود كله يعاملكم على حسب مابرز منكم فانظروا كيف تكونون وقال سيدى على الخواص من غزل لبس منه الحائك انتهى كلام الشعرانى

وفى الاحياء قال الربيع بن خيثم لايقولن أحدكم استغفر الله وأتوب إليه ليكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب على ،قال الإمام البغوى هذا الذى قاله من قوله اللهم اغفر لى وتب على حسن . وأما كراهته أستغفر الله وتسميته كذباً فلا يوافق عليه لأن معنى استغفر الله أطلب مغفرته وليس فى هذا كذب قال ويكفى فى رده ماورد فى الأحاديث فى الاستغفار مع ذكر هذه الصيغة . وقال الفضيل رحمه الله استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً بالله .

وقال الشيخ الشعرانى فى العهد وبالجملة فقد صرنا فى زمانٍ علامات الساعة «وهو النصف الثانى من القرن العاشر صاحب الفتن والمحن» وبرزت علامات الساعة على كواهلنا شئنا أم أبينا فلاَ فى يدنا رد التقدير عنّا ولافى يدنا رد الجزع علينا ومع ذلك فنقول استغفر الله العظيم امتثالا لأمر تعالى لاغير ، ومن لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لايحتسب ووالله لو جلس الواحد منا بقية عمره كله يقول استغفر الله لايغفل ساعة واحدة مايفى بجبر خالل معاصيه السابقة فضلا عن اللاحقة والله غفور رحيم انتهى كلام الشعرانى .

ورأيت للمعلم أحمد بن عبداللطيف باجابر كلاماً يشير فيه إلى ملازمة استغفار شعيب أبى مدين المشهور بالبركة والنور فعليك به فى الأسحار خاصة فهو عمدة وبالله التوفيق والهداية إلى أقصد طريق وصحبة أسعد فريق فهو الهادى والموفق لذلك وماتشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين .

وقال حجة الإسلام الغزالى فى كتاب التوبة من الاحياء (فإن قلت)، فكيف يكون الاستغفار نافعاً من غير حَل عقدة الاصرار وفى الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولى استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير (فاعلم) أنه قد ورد فى فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ذكرناها فى كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله تعالى الاستغفار ببقاء الرسول فقال (وما كان الله معذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول صلى الله عليه وسلم فينا . وبقى الاستغفار الذى هو توبة الكذابين . وهو الاستغفار بمجرد اللسان عن غير أن يكون للقلب فيه شركة كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله من غير أنْ يتأثر به قلبه وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله فى سؤال المغفرة عن صدق وإرادة وخلوص ورغبة فهذه حسنة فى نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة ، قال وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة فى فضل الاستغفار حتى قال ماأصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب ، والتوبةُ والاستغفار درجات وأوائلها لاتخلو من الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها انتهى .

الفصل الثانى

فى جملة من الفوائد العظيمة ذوات المنافع الجسيمة

فالعزيمةَ العزيمةَ والغنيمة الغنيمة فإنها استغفارات مشهورات بالخيرات والمسرات .

﴿ الفائدة الأولى ﴾ سيد الاستغفار وهو ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده إلى شداد بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل موقناً بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ، قال النووى أبوء بضم الباء الموحدة من تحت وبعد الواو همزة ممدودة معناه أقر واعترف .

﴿ الفائدة الثانية ﴾ استغفار الخضر وهو ما نقله حجة الإسلام الغزالى فى كتاب الاحياء قال: قال أبو عبد الله الوراق رحمه الله لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبٌ لمحيت عنك إذا دعوت بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى : اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ثم لم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك الكريم فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك ياعالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملاء وخلاء وسر وعلانية ياحليم اه .

قال الغزالى ويقال إنه استغفار الخضر عليه السلام .

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ استغفار أبينا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهو ما نقله الإمام أبو طالب المكى قال روينا عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده عن عائشة رضى الله عنها قالت لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم عليه السلام طاف آدم سبعاً بالبيت وهو يومئذ ليس بمبنى بل هو ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى

فأعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته على ، والرضا بما قسمت لى ياذا الجلال والإكرام فأوحى الله إليه إنى قد غفرت لك ولن يأتينى أحد من ذريتك يدعونى بمثل هذا الذى دعوتنى به إلا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا راغمة وإن كان لا يريدها .

﴿ الفائدة الرابعة ﴾ فى ذكر استسقاء سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستغفاره فيه روى عن الشعبى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقالوا له ما رأيناك استسقيت فقال عمر لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قرأ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً . والمجاديح المذكورة فى هذا الحديث واحدها مجدح بكسر الميم وضمها وهو كل نجم من النجوم التى كانت العرب تقول أنه يمطر به فى الأنواء فجعل عمر الاستغفار هو المجاديح التى يستنزل بها المطر لا الأنواء لأن عمر رضى الله عنه ممن لا يرى الأنواء وإنما ذلك على طريق التشبيه بما تقوله العرب قاله أبو عبيد رضى الله عنه اه .

(قلت) وقد ورد فى الصحيح عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس كافرين يقولون سقينا بنوء المجدح أخرجه النسائى ، المجدح بكسر الميم وسكون الجيم وآخره حاء مهملة نجم يقال له الدبران وبعضهم يضم الميم وقد ورد أن بعض الناس زار قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا قال : قال فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال ايت عمر فمره أن يستسقى للناس فإنهم سيسقون وقل له عليك

كيس الكيس فأتى الرجل عمر فاخبره فبكى عمر وقال يارب ما آلو إلا عجزت عنه نقله صاحب الرياض عن البغوى .

وفى كتاب الرياض عن خوات بن جبير قال أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر فأمرهم بالخروج إلى الاستسقاء فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفى ردائه جعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين ثم بسط يديه وقال اللهم إنا نستغفرك نستقيلك فما برح حتى مطروا فبينماهم كذلك إذ قدم الاعراب فأتوا عمر فقالوا ياأمير المؤمنين بينما نحن فى بوادينا فى يوم كذا فى ساعة كذا إذا أظلتنا غمامة سمعنا فيها صوتاً وهو يقول أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص .

﴿ الفائدة الخامسة ﴾ وهى ما روى الربيع بن صبيح أن رجلا أتى الحسن فشكى إليه الجدوبة فقال الحسن استغفر الله قال وأتى إليه آخر فشكى إليه جفاف بساتينه فقال استغفر الله فقال أتاك رجال يشكون الوابا ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالإستغفار فقال ما قلت من ذات نفسى فى ذلك شيئاً إنما اعتبرت فيه قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه نوح أنه قال لقومه استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا . ذكره الإمام الثعابى رحمه الله تعالى .

وروى أن أعرابياً عرض للمنصور يستجديه فقال لست أعطيك مالا ولكنى أذكر لك حديثاً أخبرنى به أبى عن جدى عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استغفر الله سنة فى كل يوم ألف مرة لم تنقض السنة حتى يستغنى ففعل الأعرابى ذلك ففى آخر السنة وقع غيث كثير فيه برد فنزل فى كنيسة فانخسف مقابلها من الأرض فانحسرت الأرض عن جرة فيها ستة وثلاثون ألف درهم فرفع أمره إلى المنصور وكان يأخذ من الدفائن الخمس فاطلق الأعرابى ، وكذلك عن بعضهم أنه لم يولد له إلا إناث فسأل العلماء

عن شيء يتوسل به إلى الله في ولادة الذكور فارشدوه إلى الاستغفار فولد له جملة من الذكور .

قال الشرجي في كتاب الفوائد وجدت بخط بعض العلماء أن من قال كل يوم خمساً وعشرين مرة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت أبداً وأتوب إليه . لا يرى في نفسه وماله وولده شيئاً يكرهه أبداً مجرب مجرب .

وفيه أيضاً يروى أن بعض الصالحين مرض مرضاً شديداً وحصل عليه غيبة فرأى ملك الموت في تلك الحالة فقال له أ كتب لك براءة من النار فقال له المريض نعم فكتب له في ورقة وجدها عنده أستغفر الله أستغفر الله حتى ملأ القرطاس باطناً وظاهراً وقال هذه براءة من النار فأفاق المريض وعوفي من ذلك المرض وقام بعد ذلك زماناً والكتاب معه .

وفيه قال وذكر الإمام البوني في تفسير مفاتح الغيب عند ذكر الاستغفار فقال اعلم أن لكل مقام كرامة وبركة مخصوصة كفعل الاستغفار في توسعة الرزق للمضيق عليه يتوضأ ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى بأم القرآن وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو . وفي الثانية بأم القرآن وقوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الآية ثم يجعل ذكره بعد ذلك أستغفر الله الغفور الرحيم يستديم هذا الذكر لا يعدل عنه وليس له حد معلوم إلا توسعة الرزق فيعطيء وسريع لأنه ربما يحرم العبد الرزق بالذنب يصيبه والاستغفار ماح للذنوب وإلى ذلك أشار نوح عليه السلام بقوله استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآيات أمرهم بذكر يحدث الله به ما هو الخاص من أفعاله قال وقد أمرت بذلك جماعة وظهرت لهم بركة ذلك وحصل لهم توسعة من الرزق .

وفي كتاب الحقائق . قال خرج ابن حبيب في كتاب الذكر له عن سعيد

ابن عبد الرحمن الجامحى . فعه قال من قال الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته والحمد لله الذى ذل كل شىء لعزته ، والحمد لله الذى استسلم كل شىء لقدرته والحمد لله الذى خضع كل شىء للملكه كتب الله له بها عشرة آلاف حسنة ورفع له ألف درجة ووكل به سبعين ملكاً يستغفرون له حتى يموت .

﴿ الفائدة السادسة ﴾ وهى ما روى عن الإمام اليافعى أنه روى عن الشيخ الولى أبى عبدالله القرشى أن شيخه أبا عبد الله المالقى علمه هذا الدعاء ينفق منه ، ما احتاج بعد ذلك لشىء إلا حصل له بفضل الله ورحمته قال اليافعى من داوم على هذه الكلمات عقيب كل فريضة أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ويسر عليه أمر معيشته ولو كان عليه مثل جبل ديناً أعانه الله على وفائه .

وقال القاضى محمد بن سعيد بن كبن أخبرنى من أثق به أن الشيخ بدر الدين بن عقيل قال كنت أدعو بهذا الدعاء للعلم وكان صاحبى ناصر الدين بن مسلم يدعو به للمال فرزقنى الله من العلم كثيراً ورزقه من المال كثيراً وهو هذا الدعاء .

(أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جُرمى وظلمى وماجنيته على نفسى وأتوب إليه ياالله ياواحد ياأحد ياجواد ياواجد ياموجد ياباسط ياكريم يا وهاب ياذا الطَّول ياغنى يامغنى يافتاح يارزاق ياحى ياقيوم يارحمن يارحيم يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام ياحنان يامنان أنفحنى بنفحة منك تغنينى بها عمن سواك (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح). ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ﴾ ، ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ ، ياغنى يامغنى ياحميد يامجيد يامبدى يامعيد يارحيم ياودود ياذ العرش المجيد يافعال لما تريد اكفنى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شىء قدير) .

(الفائدة السابعة) وهى منقولة من شرح أسماء الله الحسنى ينبغى أن تذكر

هنا « اسمه تعالى الغفور » بركة هذا الاسم يقبل الله من المطيعين ويغفر للخاطئين.
ومن كان به ألم أو حزن أو هم أو غم وكتبه فى ورقة ثلاث مرات أزال عنه
ذلك وشفى وإن كتبه وحمله كان أبلغ ومن داوم على قراءته بقلبه طهر الله قلبه
قال الشيخ زروق (الغفور) خاصيته التوسعة ووجود العافية فى البدن وغيره ،
من كتبه لمن به ضيق فى النفس وتعب فى البدن وثقل فى الجسم وتمسح به
وشرب منه برىء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد
بركة ذلك ، واسمه تعالى ﴿ الغفار ﴾ قال الشيخ زروق اسمه الغفار وخاصيته وجود
للمغفرة فمن ذكره أثر صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المغفرة . وقال غيره
من قال بعد صلاة الجمعة ياغفار اغفر لى ذنوبى مائة مرة غفر الله له كل ذنب
واسمه تعالى ﴿ التواب ﴾ قال بعض العلماء من قرأه بعد صلاة الضحى ثلثمائة
وستين مرة فإن الله يقبل توبته ومن قرأه على ظالم عشر مرات تخلص منه مظلومه.

(الفائدة الثامنة) قال الجيشى فى كعاب البركة له قال صلى الله عليه وسلم
لو أن لصاحب هذا الاستغفار من الذنوب مثل السموات السبع والأرضين
السبع والجبال الرواسى وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وماء البحر وعدد
الرمل لحطه الله عنه وكتب له عدد ذلك حسنات ولا يفتقر صاحبه أبداً وهو
هذا (اللهم إنى استغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه واستغفرك لما وعدتك
من نفسى ثم أخلفتك فيه واستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه فيه ماليس لك
وأستغفرك للنعم التى أنعمت بها على فتقويت بها على معاصيك وأستغفرك اللهم
الذى لا اله إلا أنت الحى القيوم عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لكل
ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ولكل ذنب أتيته أحاط علم الله به انتهى .

الفصل الرابع

فى معنى الاستغفار

قال العلماء لفظ الاستغفار اللهم اغفر لى ويقوم مقامه استغفر الله لأنه خبر بمعنى الطلب وقالوا معنى (الاستغفار) طلب المغفرة من الله تعالى ، وتقدم عن الفضيل بن عياض أن قول العبد استغفر الله تفسيره أقلنى وهو مأخوذ من الغفر بمعنى الستر ومنه المغفر الذى يستر به الرأس فمغفرة الله تعالى ستر الذنوب ومحوها وكذلك (العفو) معناه محو الذنوب واندراسها ومنه عفت الرياح الآثار إذا أزالتها ومحتها . وقال ولا تنال المغفرة إلا بفضل الله تعالى وإنما الأعمال مهيئات ومعدات لقبول المغفرة والكل بفضل الله تعالى .

واختلفوا هل العفو أفضل أو المغفرة والصحيح أن المغفرة أفضل وهى مراتب شتى ، منها غفران المعاصى ، ومنها غفران الغفلات عن الله تعالى وهى للعارفين ، وغايتها مغفرة ما تقدم وما تأخر ولم يقع ذلك لأحد فى الدنيا إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صار صاحب المقام المحمود والشفاعة العظمى وإليه الإشارة فى حديث الشفاعة اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما أعطاه الله عز وجل المغفرة الكاملة الشاملة فى الدنيا ذهبت عنه وحشة الخجل والحياء وأقامه الحق تعالى فى مقام البسط والثناء فقال أنا لها أنا لها . وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين لم تطلق عليهم المغفرة فى الدنيا ووعدوا بها فى الآخرة وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين اهـ .

خاتمة

فى تصحيح معنى التوبة وشروطها و فرائضها و كمالاتها وما يعين عليها كما وعدنا بذلك فيما تقدم لقول سيدنا عمر رضى الله عنه بعد تمام الاستغفار (تائب

إلى الله) وفيما ورد فى ذلك من الآيات والأخبار .

أما الآيات فقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فمن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظيم فضل التوبة والحث عليها .

وأما الأخبار فقد روى أبو سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفساً ، فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعا وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال : لا ! فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينك بين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : إنه جاء تائباً ومقبلا بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد بشبر ، فقبضته ملائكة الرحمة . أخرجه الشيخان زاد فى رواية فلما كان ببعض الطريق أدركه الموت فجعل ينوء بصدره نحو القرية الصالحة فجعل من أهلها .

وفى أخرى : فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال : قيسوا ما بينهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : لو أخطأتم حتى تبلغ خطايا كم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : التائب حبيب الله ذكره فى الاحياء .

وفيه يروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنّته الملائكة فهبط إليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا : يا آدم قرت عيناك بتوبة الله عز وجل عليك ، فقال آدم عليه السلام : يا جبريل وإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعانى منهم لبيته كتلبيتك ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب ، يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب انتهى ما ذكره الغزالى .

ومن أراد تحقيق أحكام التوبة فعليه بكتاب التوبة من الاحياء ، فإن الشيخ رحمه الله قد حرر معانيها بالعلوم الجليلة والدقيقة من حيث الشريعة والطريقة والحقيقة ، وبالجملة فكتاب الإحياء أنفع ما قرأه الأحياء . بعد كتاب الله وسنة رسول الله .

شروط التوبة وفرائضها وكمالاتها وما يعين عليها

وقال العلماء العاملون العارفون بالله : شروط صحة التوبة ثلاثة : الندم على ما فات ، والإقلاع فى الحال ، والنية أن لا يعود . وقيل إنها أربعة وعدّ منها العلم بمضرة الذنوب .

وأما فرائضها فهى أربعة : رد المظالم ، واجتناب المحارم ، وأداء الحقوق ، وتصميم القصد .

وأما كمالاتها فهى ستة : تصحيح التقوى بالورع ، وتحقيق الاستقامة بالصدق ، وتحسين الخلق بمعاملة الخلق مع مسامحتهم ، والتشمير للعمل ، والإعراض عن كل معارض وعائق وكسل ، وترك ما سوى الله تعالى جملة وتفصيلا .

إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت قبل : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها انتهى .

وقد أجمع أهل السنة على صحة توبة العبد من القتل ومن أخذ المال بغير حق ومن شرب الخمر وسائر المعاصى . وسئل مسروق رحمه الله هل للقاتل المؤمن توبة فقال لا أغلق باباً فتحه الله تعالى . وكان طلق بن حبيب رحمه الله يقول إن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العبد وإن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها ولكن أصبحوا وأمسوا تائبين .

وقد سئل بعض الحكماء هل يعرف العبد إذا تاب توبته قبلت أم ردت ، فقال : لا ولكن لذلك علامات منها أن لا يرى أن نفسه معصومة من المعاصى ، ويرى الفرح عن قلبه غائباً ، والهم شاهداً ، ويقرب من أهل الخير ويبعد من أهل الشر ، ويرى القليل من الدنيا كثيراً والكثير من عمل الآخرة قليلا ، ويرى قلبه مشتغلا بما أمر الله سبحانه وتعالى فارغاً عما ضمن الله له ، ويكون حافظ اللسان دائم الفكرة ملازم الغم والندامة .

قلت : وهذا كما قيل إن علامة الحج المبرور ثلاثة أشياء : أن يأتى الحاج بعد قفوله من الحج زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة وأن يستبدل بإخوان الشر والغفلة إخوان الخير واليقظة .

وقال لقمان لابنه : يا بنى لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة .

وقال عبد الله بن سلام : لا أحدثكم إلا عن نبى مرسل أو كتاب منزل إن العبد إذا أذنب ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة ، قيل : كيف ذلك يارسول الله ؟ قال : أن يكون نصب عينيه تائباً منه فاراً حتى يدخل الجنة . وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

وفى البخارى بسنده إلى أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم

قال : قال رسول الله ‍ الله علي‍ ‍لم : لَلّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله ‍ رض فلا

وفيه أيضاً بسند ‍ى الحار‍ ‍ن سويد قال صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قا‍ ‍ت جبل ‍ ‍اف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أ ‍ فقال به ‍ ‍ذا ، ثم قال ابن شهاب بيده فوق أنفه : الحديث بتمامه .

وفى الصحيح أ‍ ‍ بسنده ا‍ ‍ إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله ع‍ ‍ وسلم يقو ‍ والله إنى لاستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مر‍

قلت : وقد بو‍ ‍هذا الح‍ ‍ الإمام البخارى فى صحيحه الذى هو أصح الكتب بعد كتاب ‍ باباً فان‍ ‍ يا أخى إلى من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، كيف ي‍ ‍ر الله و‍ ‍ب إليه فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ؟ فكيف بنا و‍ ‍ رهائن ا‍ ‍ب والعيوب . وقسوة القلوب ، لا نستغفر ونتوب ، عسى الله ‍ هذا الن‍ ‍لوهوب . السيد المحبوب أن يتجاوز عن سائر الحوب والوزر ا‍ ‍م المكـ‍ ‍ ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن ‍ تغفر لنا ‍ ‍حمنا لنكونن من الخاسرين .

محل ‍بول التوبة

وأما محل قبول ‍ ‍بة من ا‍ ‍ فهو ما دام الروح فى الجسد لقوله تعالى : ﴿ إنما التوبة على الله ‍ ‍ن يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ الآ‍ ‍ .

قيل فى التفسير ‍ ‍ن قريب ‍ قبل الموت وقبل معاينة ملك الموت لما روى عنه صلى الله عليه و‍ ‍ نه قال : ‍ ‍ن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، رواه ابن عمر ونقله البغوى ‍ ‍نده فى ت‍ ‍يره .

وفى كتاب الناسخ والمنسوخ للشيخ المفسر ابن سلامة : قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : ما حدُّ التائبين ؟ فقال : من تاب قبل موته بسنة قبِل الله توبته ، ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير ! ثم قال : ومن تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ، ثم قال : ألا وإن ذلك لكثير ، ثم قال : ومن تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثم قال : ومن تاب قبل أن تغرغر نفسه قبل الله توبته ثم تلا ﴿ ثم يتوبون من قريب ﴾ قال صلى الله عليه وسلم : كل ما كان قبل الموت فهو قريب فينبغى للمؤمن أن لا يهمل شأن التوبة لقوله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ولا يقنط من المغفرة لما يعلم من نفسه وغيره من عظائم الذنوب وفاضحات العيوب لقوله تعالى : ﴿ قل يا عبادىَ الذين أَسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم ﴾ الآية .

﴿ تتمة ﴾ قد اختار سيدنا عمر هذه الصيغة من الاستغفار وهى قوله استغفر الله . فى هذا الراتب العظيم لما روى عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من صلاته : استغفر الله ثلاثاً ، وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام . قيل للأوزاعى وهو أحد رواة الحديث : كيف الاستغفار ؟ قال : يقول استغفر الله ، ذكره النووى فى كتابه الأذكار انتهى .

وهذا دعاء مبارك من أدعية سيدى أبى الحسن الشاذلى نقله ابن عباد فى شرح الحكم أردنا إثباته هنا للمناسبة وهو « اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكّرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بما هو بضدها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها » .

الذكر السابع عشر وشرحه

وقد جعل سيدنا عمر هذا الذكر خاتمة الراتب وفيه إشارة لطيفة إلى رجاء حسن الخاتمة فقال ﴿ يا الله بها يا الله بها[1] يا الله بحسن الخاتمة . (ثلاثا) ﴾

قال الشيخ على . وكررها تأكيداً واهتماماً بشأنها لأن كمال الأعمال وتمام الأحوال عند حضور الآجال وخواتيم الأفعال بأن يقبض العبد وهو مستغرق فى مشاهدة الحق غائب عن مظاهر السوء . وقد ذكر بعض للكاشفين أن إبليس ظهر له فى صورة شخص يعرفه فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكى العين مقصوم الظهر فقال له ما الذى أبكاك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لايخيبهم فيحزننى ذلك ، قال فما الذى أنحل جسمك قال صهيل الخيل فى سبيل الله ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلى ، قال فما الذى غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلى قال فما الذى قصم ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول ياويلنا متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن . فهذا الأثر المذكور عن هذا العارف المكاشف يؤكد ويرغب فى كثرة سؤال حسن الخاتمة فينبغى للمريد أن يستكثر من ذلك ختم الله لنا ولوالدينا ولاحبابنا بالحسنى آمين .

(قلت) وللشيخ على بعد إكمال الشرح هنا خاتمة قد نقلناها فى مواضع متفرقة من هذا الكتاب وغالبها أوردناه فى الفصل الجامع للكلمات الجامعات التى وردت فى الثناء على أكابر الأولياء فى الجزء الأول منه فلا نعيدها هنا .

ولنشرع فى ذكر مافتح الله به من بيان معنى حسن الخاتمة وأصلها وحقيقتها وعلاماتها الدالة عليها من حيث الشريعة واتباعها فنقول .

اعلم أن أصل حسن الخاتمة إنما هو حسن السابقة فمن خلق سعيداً مات

---

(١) الضمير فى بها راجع لحسن الخاتمة .

سعيداً ومن خلق شقياً مات شقياً فهذا من العلم القطعى الذى لاشك فيه لتواتر الدلائل القرآنية والسنية والعقلية عليه وإلى الله عاقبة الأمور .

* * *

أما الآيات فقد قال الله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآيات وقال تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقال تعالى : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) . وقال تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) الآية . وقال (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقال (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وقال تعالى : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) وقال تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) وقال تعالى : (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) وقال تعالى : (فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (يوم يأتى لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد) الآيات وقال تعالى (كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) قال البغوى أى أن الله بدأ خلق بنى آدم مؤمناً وكافراً ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً . قال أبو العالية يعودون إلى ماعلمه فيهم . وقال سعيد بن جبير كما كتب عليكم تكونون انتهى، وقال بعضهم الناس يبكون على العاقبة وأنا أبكى على السابقة قال الله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ثم قال سبقت لهم العناية فى الابتداء فوجبت لهم الولاية فى الانتهاء .

وقال الواسطى أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات .

وفى حكم ابن عطاء الله تحقيق لسرّ هذا المعنى حيث يقول علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية . فقال يختص برحمته من يشاء ، وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتماداً على الأزل فقال إن رحمة الله قريب من المحسنين .

وفى الإحياء قال سهل رحمه الله تعالى يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فإنه الآن كما كان .

وقال أبو عبدالله القرشى من لم تكن له سابقة عناية لم يقدر أحد على نفعه . والراسخون فى العلم يعلمون أن المؤثر هو الله تعالى والأسباب أيضاً لها دخل ولهذا قال نبى الله يعقوب لأولاده (وما أغني عنكم من الله من شىء) إشارة إلى أن الحذر لا يدفع القدر ، قال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار إليها وإن عمل بأعمال أهل السعادة كما أن إبليس كان يعمل بأعمال أهل السعادة ثم صار إلى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إليها وإن عمل بأعمال أهل الشقاوة كما أن السحرة [سحرة فرعون] كانت تعمل بأعمال أهل الشقاوة فصاروا إلى السعادة وذلك بالإرادة السابقة الأزلية فى الهداية والضلالة ، وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .

فانظر رحمك الله إلى سبق الحسنى لهم منه فى الآية وإلى هدايته ومحبته

بسابق تقديره ونافذ إرادته ومشيئته وتفضله بتوفيقه وعنايته ورضاه لمن أراد
(فإن قلت) قد قال الله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
(فاعلم) أن هذه الآية هي التي يحتج بها على أن حسن الخاتمة هي السابقة وهو
ظاهر لأن المراد بالمحو والإثبات أشياء سوى السعادة والشقاوة كما روى عن
سعيد بن جبير أنه قال . يمحو الله مايشاء من ذنوب العباد فيغفرها . ويثبت
مايشاء ولا يغفرها . وقال عكرمة يمحو الله مايشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت
بدل الذنوب حسنات . وقال الحسن يمحو الله مايشاء من الشرائع والفرائض فينسخه
ويبدله ويثبت الرزق والأجل والسعادة .

وفى البغوى أن عمر كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم إن
كنت كتبتنى فى أهل السعادة فاثبتنى فيها وإن كنت كتبت على الشقاوة
فامحنى واثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة فإنك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك
أم الكتاب .

وقيل إن معنى الآية أن الحفظة يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم
فيمحو الله من ديوان الحفظة ماليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قوله أكلت
دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صادق فيه ، ويثبت مافيه ثواب وعقاب
هذا قول الضحاك والكلبي قال الكلبي يكتب القول كله حتى إذا كان يوم
الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس : هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله
فيموت على ضلالة فهو الذى يمحو ، والرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو فى
طاعته فهو الذى يثبت ، وقد قال تعالى ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ وقال تعالى
﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ الآية .

وأما الأخبار فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : أدركت

النبي صلى الله عليه وسلم جنازة صبي من صبيان الأنصار ، فقالت عائشة طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال لها : رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم (أخرجه مسلم) .

وقال صلى الله عليه وسلم : كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء .

وقد قيل له عليه الصلاة والسلام : أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سابق أم فيما يستقبلون فقال لا . بل شيء قضى عليهم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .

وقال عليه السلام : إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء ، ثم قال : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك .

ولقد خرج عليه الصلاة والسلام وفي يده كتابان فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال : بيديه ونفضهن ، ثم قال : فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير . وكان عليه السلام يكثر من قول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقيل له : يا رسول الله ! وهل تخاف علينا ؟ قال : إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .

وقال صلى الله عليه وسلم : فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فو الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه الشيخان .

وقال فى بعض روايات البخارى : إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم .

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال : من سأل لله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه .

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الطويل : والشقى من شقى فى بطن أمه وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر بآخره وملاك العمل خواتمه ، الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر : ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ، ويحيى مؤمناً ، ويموت مؤمناً . ومنهم من يولد كافراً ، ويحيى كافراً ، ويموت مؤمناً . الحديث رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ذلك النور ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله تعالى ، أخرجه الترمذى .

وروى الإمام البغوى بسنده إلى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال : يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما فى الأرض جميعاً من شىء أ كنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم . فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم لاتشرك بى شيئا ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك . أخرجه الشيخان .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق ، فأصبنا سبياً من سبى العرب فاشتهينا النساء واشتدت العزوبة وأحببنا العزل ، فقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ؟ فسألناه ، فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهى كائنة ، أخرجه الستة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه (متفق عليه) .

وعنه قال : قلت يا رسول الله إنى رجل شاب وأخاف العنت ، ولا أجد ما أتزوج به ، ألا اختصى ؟ فسكت عنى ، ثم قلت له فسكت عنى ، ثم قال : يا أبا هريرة ! جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر ، أخرجه البخارى والنسائى .

وعن سعيد بن الحارث قال : سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول : أو لم تنهوا عن النذر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره وإنما يستخرج به من البخيل أخرجه الخمسة إلا الترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النذر لايقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدّره ولكن النذر يوافق القدر

فيخرج بذلك من البخيل مايريد أن يخرجه . أخرجه الخمسة واللفظ لمسلم :

وفى كتاب جواهر العقدين عن زيد بن على بن الحسين عن أبيه على ابن أبى طالب رضى الله عنهم قال : إن الله تعالى أخذ ميثاق من يحبنا وهم فى أصلاب آبائهم فلا يقدرون على ترك ولا اتيان ، لأن الله عز وجل جبلهم على ذلك ، أخرجه الجعانى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب من هؤلاء ؟ قال : ذريتك ! فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : رب من هذا ؟ قال : داود ! قال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : رب زده من عمرى أربعين سنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما انقضى عمر آدم عليه السلام إلا أربعين سنة جاءه ملك الموت ، فقال آدم : أو لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ فقال أو لم تعطها ابنك داود ؟ فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطىء آدم فخطئت ذريته ، أخرجه الترمذى وصححه . والوبيص بالموحدة والمهملة البريق .

وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه : شكى نبى من الأنبياء ما ناله من المكروه إلى الله عز وجل فأوحى الله إليه كم تشكونى ولست بأهل ذم ؟ هكذا بدء شأنك فى علم الغيب فلم تسخط على حسن قضائى عليك أفتريد أن أغير الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك وأقضى لك بما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب أنا بعزتى حلفت لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة ولأوردنك النار ولا أبالى .

وقال عليه السلام : إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة .

وقال عليه السلام : إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ، ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فتجب لهم النار ، رواه أبو هريرة نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

وقال صلى الله عليه وسلم : خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن ، ثم ضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، ثم قال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى ، رواه ابن عساكر عن أبى الدرداء .

فهذه هى السابقة المبشرة بحسن الخاتمة اللاحقة أو ضدها وهى التى بعدها فإنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قيل : كيف يستعمله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى وقال يا غلام احفظ الله تجده تجاهك ، أو قال أمامك تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فإن استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع الكرب الفرج وان مع العسر يسراً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاج آدم موسى عليهما السلام فقال أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم فقال آدم لموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى أخرجه الستة إلا النسائى، المحاجة المخاصمة.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله أباه آدم عليه السلام فقال أنت أبونا آدم فقال نعم فقال أنت الذى نفخ الله فيك روحه وعلمك الأسماء كلها وأمر الملائكة عليهم السلام فسجدوا لك قال نعم قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم ومن أنت قال أنا موسى قال أنت الذى اصطفاك الله برسالاته أنت نبى بنى إسرائيل الذى كلمك الله من وراء الحجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه قال نعم قال فما وجدت أن ذلك كان فى كتاب الله قبل أن أخلق قال بلى قال أفتلومنى فى شىء سبق من الله فيه القضاء قبلى قال صلى الله عليه وسلم عند ذلك فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا عليهما السلام أخرجه أبو داود.

وقال صلى الله عليه وسلم إن الروح الأمين ألقى فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب.

وروى الإمام البغوى بسنده أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سئل عن قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار .

وقال عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قيل وما استعمله. قال يفتح له عملا صالحاً بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله .

وقال مقاتل وغيره من أهل العلم إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال ألست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحمتى وهم أصحاب اليمين . وقال للسود هؤلاء فى النار ولا أبالى وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعاً فى صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) .

واختلف أهل العلم فى موضع أخذ الميثاق فقال ابن عباس ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة وروى أن الله تعالى قال لهم جميعاً اعلموا أنه لا إله غيرى وأنا ربكم لا رب لكم غيرى لا تشركوا بى شيئاً فإنى سأنتقم ممن أشرك بى وإنى مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتباً فتكلموا جميعاً وقالوا شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لولا سويت بينهم قال إنى أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه فذلك قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم أى من ظهور بنى آدم ذرياتهم الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لا شبح عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة أخرجه أبو داود فى رواية ذكر فيها قصة طويلة عن الزراع وكان فى وفد عبد القيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له ذلك قال يا رسول الله قديما كان ذلك أو حديثا قال قديما قال الحمد لله تعالى الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله تعالى ورسوله .

﴿ نكتة ﴾ يقال ان ملك الموت عليه السلام دخل يوماً على سليمان بن داود عليه السلام فجعل يطيل نظره ويحد بصره إلى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم يا نبى الله من كان ذلك الرجل فقال إنه ملك الموت فقال يا نبى الله رأيته يطيل النظر إلى وأخاف أنه يريد قبض روحى تخلصنى من يده قال وكيف أخلصك قال تأمر الريح أن تحملنى إلى بلاد الهند فلعله أن يضل عنى ولا يجدنى فأمر سليمان عليه السلام الريح أن تحمله فى الساعة إلى أقصى بلاد الهند فى الوقت ، وفى الوقت نفسه سار الملك إلى الهند وقبض روحه هناك وعاد ملك الموت ودخل على سليمان فقال له لأى سبب كنت تطيل النظر إلى ذلك الرجل فقال كنت أتعجب منه لأنى أمرت بقبض روحه بأرض الهند وهو بعيد عنها إلى أن اتفق وحملته الريح إلى هناك كما قدر الله فقبضت روحه هناك انتهى .

فانظر كيف طلب هذا الإنسان من نبى الله سليمان . ما سبق به قضاء الرحيم الرحمن .

وعن أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف رواه الشيخان . (قلت) فانظر كيف كان التعارف بين الأرواح فى سابق علم الله سبباً لتآلفها فى الدنيا ومحبة بعضها لبعض . والتناكر فى السابق أيضاً سبباً للاختلاف والعداوة فسلم لما ترى .

وقال الشيخ محمد العمرى فى كتاب بحر الأنوار قد أجمع أهل السنة على أن الأعمال ليست سبب السعادة والشقاوة وأنهما سابقتان بمشيئة الله تعالى وإنما

الأعمال شعار العبودية وتابعة للسابقة وأمارة عليها والتعرى عنها معلول التقدير السابق وأمارة عليه قال ومع ذلك هم مجمعون على أن الله يثيب عليها ويعاقب لأنه وعد على صالحها وأوعد على سيئها فهو ينجز وعده ويحقق وعيده إن شاء لأنه صادق وخبره صدق وقد قال صلى الله عليه وسلم أعملوا فكل ميسر لما خلق له معناه أن من قدرت له السعادة إنما قدرت له بسبب تيسر أسبابها له وهو العمل الصالح ومن قدرت عليه الشقاوة إنما قدرت عليه بسبب وهو بطالته وعمله السيء وقد يكون بسبب بطالته أن يستقر فى خاطره أنى إن كنت سعيداً فلا أحتاج إلى العمل وإن كنت شقياً فلا ينفعنى العمل وهذا جهل كبير فإنه لا يدرى أنه إذا كان سعيداً إنما يكون سعيداً لأنه تجرى عليه أسباب السعادة من العلم والعمل فإن لم يتيسر له ذلك ولم يجر عليه فذلك أمارة شقاوته. قال ويكفى العبد الضعيف الذليل عزاً وشرفاً أن يتوجه إليه خطاب ذى الجلال بالأمر والنهى اهـ كلام العمرى.

وقال سيدنا عبدالله بن علوى الحداد :

أطالع أمر القبضتين . فقبضة الـ يمين وأخرى لليمين الأخيرةِ
فسبق سعادات وسبق شقاوة بمحض اختيار دون سعى وحيلةِ
وأعمالهم تجرى على وفق سابق لهم عنده والختم كالأوليةِ
ومسح يد الرحمن ظهر صفيه فأخرجهم كالذر. يوم الشهادةِ
فاشهدهم والكل منهم موحد هناك وبعد الأمر ناف ومثبتِ
وسراً خفياً حار فيه أولو النهى على صورة فى الصورة الآدميةِ
فنزه آله العالمين وقدّسن عن الصورة الحسية البشرية
وغص فى بحار السر إن كنت عارفاً بساحتها الدرية الجوهرية

إلى آخر ما قال فى تائيته المشهورة :

وقال الشيخ عوض بامختار فيما نظمه فى ذلك من الاشعار .

هيهات ما قد كان فى الكون كان   فى الكاف والنون القرط يافلان
حد حل بالحرفين فى أعلى مكان   وحد تعذب ما وصل مطلبه
ما يقطع الرأس غير من ركبه

وقال سيدى الشيخ حسين الأهدل فى معنى ذلك .

لا أعتب الدهر ولا أهله   فى حط مقدار ولا منزله
نحن قسمنا بينهم قاله   آلهنا والخلق والأمر له
فالحمد والشكر لمن قد جرت   أحكامه بالقسمة العادله

وقال الإمام عبد الله بن أسعد اليافعى بعد إيراد كلام طويل فى المعنى هذه الأبيات .

وهل أنعمت نعم بنعمان بالقا   لنا أم نوت فى سرمد الدهر تهجر
فإن واصلتنا فالمكارم وصفها   وإن قاطعتنا نحن أدنى وأحقر

ثم قال عنيت بذلك حسن السابقة لأن على وفقها يكون حسن الخاتمة اللاحقة قال ونعمان هو الوادى المشهور الذى حصل النداء من الحق فيه لخلقه حيث قال ألست بربكم قالوا بلى إلى آخر ما ذكره الإمام اليافعى نفع الله به .

وقال الفقيه العلامة الشيخ عمر بن عبدالله بن أحمد مخرمه رضى الله عنه .

ما هى إلا سوابق وجه ذا أبيض وذا أسود
ما لعنا بالعنا لو يجهد العبد ما أجهد
ما نجا من نجا إلا بالمقادير أنا أشهد
أشهد أنه كذا وأشهره فى كل مقعد

وعن على رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من الجنة أو مقعده من النار قالوا يارسول الله أفلا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى

فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى نقله المحب الطبرى فى كتاب الرياض . ثم قال أخرجاه يعنى البخارى ومسلم .

وقال الشيخ الحافظ على بن حسن بن عساكر رحمه الله :

أيا نفس ويحك جاء المشيب   فماذا التصابى وماذا الغزل
تولى شبابى كأن لم يكن   وجاء مشيبى كأن لم يزل
كأنى بنفسى على غرة   وخطب المنون بها قد نزل
فياليت شعرى ممن أكون   وما قدر الله لى فى الأزل

وقال آخر

جرى قلم القضا بما يكون   فسيان التحرك والسكون
جنوناً منك أن تسعى لرزق   ويرزق فى غشاوته الجنين

انتهى ـ فتدبر هذه الأقوال ، وما فيها من الإشارات وخف من سطوة ذى الجلال .

فقد روى أن بعض العارفين كان يقول مابكائى وغمى من ذنوبى وشهواتى فإنها أخلاقى وصفاتى لا يليق بى غيرها. إنما حزنى وحسراتى كيف قسمى ونصيبى حين قسم الأقسام وفرق العطاء بين عباده وما كان قسمى منه البعد أم القرب؟ انتهى.

وذلك إن الإنسان ما دام حياً إن كان كافراً يرجى له الإسلام ، وإن كان مسلماً يخاف عليه الكفر لأن هذه الدار ما هى دار طمأنينة لمخلوق ما لم يبشر أى مالم يكن من أولياء الله المشار إليهم بقوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله)

ثم إنه إذا بلغ هذا المقام وتيقنه صار اشفاقه أكثر وذلك على عامة المسلمين كالأنبياء فافهم .

وقد جاء عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه واجعل خير أيامى يوم ألقاك » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال من كان مستناً فليستن بمن قد مات. فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ولإقامة دينه . فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع مافيه هداه الله تعالى من الضلالة فى الدنيا ووقاه سوء الحساب فى الآخرة .

نكتـه

حكى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثاً وثلاثين حجة فلما كان فى آخر حجة حجها قال وهو بعرفات اللهم إنك تعلم إنى وقفت فى موقفى هـذا ثلاثاً وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى والثانية عن أبى . والثالثة عن أمى فاشهدك يارب أنى قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم تقبل منه فلما دفع من عرفات نودى يا ابن المنكدر أتتكرم على مَنْ خلق الكرم والجود وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن يقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام .

مهمة من تحقيق بعض الأئمة

قال : المكلفون على أربعة أقسام (القسم الأول) : قوم خلقهم الله تعالى لخدمته ولجنته وهم الأنبياء والأولياء والمؤمنون والصالحون . (القسم الثانى) قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفاراً ثم ختم لهم

بالإيمان وفرطوا مدة حياتهم وانهمكوا فى العصيان ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فماتوا على حال التوبة والإحسان كسحرة فرعون . (القسم الثالث) قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر حرموا فى الدنيا نعيم الإيمان وفى الآخرة يخلدون فى العذاب والهوان . (والقسم الرابع) قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله تعالى ثم مكربهم فطردوا عن باب الله تعالى وماتوا على الكفر نسأله الله السلامة بمنه وكرمه .

ثم اعلم أن الإنسان مطالب بآداب العبودية وتفويض بواطن الأمور إلى الله تعالى .

قال سيدى عمر بن على بن الفارض :

إن ختم الله بغفرانه   فكل ما لاقيته سهل

وقال الإمام الجنيد بن محمد إن الله سبحانه وتعالى يعامل عباده فى الآخرة بمثل ما عاملهم فى الدنيا بدأهم تكرماً وأمرهم ترحماً ووعدهم تفضلا ويزيدهم تكرماً يعنى أن الخاتمة للسابقة فإنه بدأهم مع غناه عنهم فخلقهم ورزقهم ووفقهم لما إليه قربهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم وهذا نهاية الترحم ، ووعدهم بالجنان والخيرات الحسان . وذلك بمحض الفضل والامتنان . لعدم استحقاقهم عليه ذلك بأعمالهم ويزيدهم على ماوعدهم بأن يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً وذلك عين التكرم فمن شهد بره القديم يسهل عليه أداء أمره وسلوك صراطه المستقيم .

وكان الشيخ الشبلى رضى الله عنه يقول ليت شعرى ما اسمى عندك ياعلام الغيوب وما أنت صانع فى ذنبى يا غفار الذنوب وبم تختم على يا مقلب القلوب وينشد .

ليت شعرى كيف ذكرى   عند من يعلم سرى

أجميـــــل أم قبيـح أم بخـــير أم بشر
ليت شعرى كيف موتى بيقـــين أم بكفر
أترى يقبـــل قـــولى أم ترى يشرح صـدرى
ليت شعرى كيف حالى يوم إحضـارى وحشرى
ليت شعرى أين أمضى لنعـــــيم أم لجمر

خاتمة

قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الألواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يارب ماهذه الأمة المرحومة التى أجدها فى الألواح قال هم أمة محمد يرضون منى باليسير أعطيهم إياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل أحدهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله . قال إنى أجد فى الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرًّا محجلين قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة أرديتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتى . قال هم أمة محمد ، قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يصلون فى اليوم خمس صلوات فى خمس ساعات تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ، قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة تجعل لهم الأرض مسجداً وطهوراً وتحل لهم الغنائم فاجعلهم أمتى . قال هم أمة محمد ، قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يحجون لك البيت ليقضوا منه وطراً يعجون لك بالبكاء عجيجاً ويضجون لك بالتلبية ضجيجاً فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد . قال فما تعطيهم على ذلك . قال أعطيهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم . قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة

يستغفرون من الذنوب يرفع أحدهم اللقمة إلى فيه فلا تستقر فى جوفه حتى يغفر له يفتحها باسمك و يختمها بحمدك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة أنا جيلهم فى الصدور ويقرؤنها فاجعلهم أمتى . قال هم أمة محمد قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشرا إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد . قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد . قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد . قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثلل ثلة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيراً وثلة يمحّصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد . قال موسى يارب بسطت هذا الخير لأحمد وأمته فاجعلنى من أمته . قال تعالى لموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين .

وذكر الإمام القشيرى فى رسالته قال جاء رجل إلى ذى النون المصرى وقال له ادع الله تعالى فقال إن قد أيّدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك والأفان النداء لاينقذ الغرقى وقال أيضا فى رسالته المشهورة بعد أن أورد فيها جملا من كلمات المشايخ يقولون مانجا من نجا إلا بكذا . فقال القشيرى مانجا من نجا إلا بالحكم والقضا قال شيخ الإسلام فى شرح الرسالة هذا القول مُعرِض عن الأسباب فإن قائله إنما تكلم على ما سبق لمن نجا عند الله تعالى ، وفى كتاب التنوير أعلم أن الذى يحملك على اسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى أمور (الأول) علمك بسابق تدبير الله فيك وذلك أن تعلم

أن الله تعالى كان لك قبل أن تكون لنفسك فكما كان لك مدبرا قبل أن تكون ولا شيء من تدبيرك معه فكذلك هو سبحانه مدبر لك بعد وجودك فكن له كما كنت يكن كما كان لك ولذلك قال الحسين الحلاج كن لى كما كنت لى فى حين لم أكن فسأل من الله تعالى أن يكون له بالتدبير بعد وجوده كما كان له قبل وجوده لأنه قبل وجوده كان مدبّراً بعلم الله وليس للعبد هناك وجود فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه فيقع الخذلان والعياذ بالله تعالى لأجل ذلك، ثم قال اعلم أن الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك فى كل ذلك بوجود إبرارك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم ألست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك أن عرّفك به حينئذ فعرفته فتجلى لك فشهدته واستنطقك وألهمك الإقرار فوحدته. ثم إنه جعلك نطفة مستودعة فى الأصلاب من لدن أبيك آدم ثم قذفك فى رحم أمك إلى آخر ما ذكره من تنقلاتك فى الأطوار فى هذه الدار وفى دار القرار فافهم معانى الأسرار انتهى (قلت) ولولا حسن السوابق من الرحيم الخالق لما قال النبى الصادق فى الحديث الصحيح الفائق إن لله ضنائن من خلقه يغذوهم فى رحمته يحييهم فى عافية ويميتهم فى عافية وإذا توفاهم توفاهم إلى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية رواه ابن عمر.

وقال صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا يضن بهم عن القتل ويطيل أعمارهم فى حسن العمل ويحسن أرزاقهم ويحييهم فى عافية ويقبض أرواحهم فى عافية على الفرش فيعطيهم منازل الشهداء. رواه ابن مسعود.

فصل

فى ذكر شيء من علامات حسن الخاتمة وعلامات سوء الخاتمة

أما الآيات فقد قال الله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو

مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال تعالى (إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ومايغنى عنه ماله إذا تردَّى إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم ناراً تلظَّى لايصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وقال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) وقوله عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربهفويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) وقوله عز وجل (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقوله عز وجل (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون نزُلا من غفور رحيم) وقوله تعالى (إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم) .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن السعيد من طال عمره فى طاعة الله والشقى من طال عمره فى معاصى الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عز وجل فى قلبه وإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه » . قال ابن عباد وهذا الإنزال المذكور المنسوب إلى العبد هو معنى إقامة الله له فيما أقامه فيه إذ العبد لا فعل له على التحقيق .

وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر فى

طاعة الله تعالى . وفى الحديث إذا أراد الله بعبد خيراً زهَّده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصَّره بعيوب نفسه » . وقال صلى الله عليه وسلم « ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

وقال صلى الله عليه وسلم « من اشتاق إلى الجنة يسارع إلى الخيرات ومن خاف من النار لَهَا عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات » . وقال إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله فى الماء والطين . وعن حميد قال سمعت معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع ، أخرجه الترمذى .

وعن عمارة بن روبية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعنى الفجر والعصر ، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى .

وروى إذا أراد الله بعبده خيراً سلط عليه من يظلمه .

وقال صلى الله عليه وسلم : من أحبنى فليستن بسنتى وقال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عَضوا عليها بالنواجذ .

وقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ .

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة فقال لها : إن أردت اللحوق بى فإياك ومجالسةَ الأغنياء ، ولا تنزعى ثوباً حتى ترقعيه .

وروى ابن المسيب عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة فى قلبه وأنطق بها لسانه وعرَّفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام .

وفى الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه و إن شاء أدخله الجنة أخرجه الأربعة إلا الترمذى .

وفى الحديث الصحيح أيضاً عن أبى ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تبارك وتعالى : (وجبت محبتى للمتحابين فىّ والمتجالسين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين فىّ) ، أخرجه مالك .

وقال صلى الله عليه وسلم : أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله ، أخرجه أبو داود عن أبى ذر .

وفى الحديث أيضاً عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : إن من عبد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى ، قالوا : يا رسول الله أتخبرنا من هم ! قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وأنهم على نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ رواه أبو داود .

وفى الحديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل . قلت : لأن ذلك يؤدى إلى الختام الحسن لأن المرء يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه فافهم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النور إذا وقع فى القلب انشرح وانفسح . قيل : يا رسول الله هل لذلك من علامة ! قال : نعم التجافى عن دار

الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله .

وقال جابر بن عبد الله أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله ما الموجبات ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار :

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، قال : فأى الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وطول الأمل والحرص على الدنيا .

وعن العلاء بن زياد أنه كان يذكر بالنار ، فقال رجل : لم تقنط الناس ؟ فقال : وأنا أقدر أن أقنط الناس والله تعالى يقول : ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ . ويقول : ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوى أعمالكم وإنما بعث الله محمداً مبشراً بالجنة لمن أطاعه ومنذراً بالنار لمن عصاه ، أخرجه البخارى معلقاً .

وقال صلى الله عليه وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى . رواه الترمذى وحسنه .

وأجمع ما فى هذا الباب من العلامات ما نقله الإمام محمد العمرى فى كتابه بحر الأنوار . قال سلمان الفارسى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارقبوا الميت عند موته فى ثلاثة أشياء : إن رشحت جبينه ، وذرفت عيناه ، وانتشر منخراه فهى رحمة من الله قد نزلت به . وإن غط غطيط البكر المخنوق واحمر لونه واربد شدقاه فهو عذاب من الله قد حل به .

وقال العمرى : ومن علامات حسن الخاتمة بالخير توفيق المرء للعمل الصالح .

وجاء فى الحديث الشريف : إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه قبل موته بعام ملكا يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحايينه ، ويقول الناس : مات فلان على خير أحايينه ، فإذا احتضر ورأى ما أعد الله له من النعيم جعل ينزع نفسه من الحرص على أن يخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاه . وإذا أراد الله بعبد سوءا والعياذ بالله قيض له قبل موته بعام شيطاناً يضله ويغويه حتى يموت على شر أحايينه .

قال : ومن علامات سوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة أشياء : التهاون بالصلاة وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين وأذى المسلمين .

وقال أيضاً : ورأيت منقولا أن ثلاث طوائف يسابون التوحيد عند الموت : المبتدع المصرُّ على بدعته ، ومحلل الحرام لنفسه ، والمدعى مع الله حالا وليس له حال .

علامات الشقاء وعلامات السعادة

ونقل العمرى أيضاً من كتاب تنبيه الغافلين أن علامات الشقى إحدى عشرة خصلة : (أولها) أن يكون حريصاً على الدنيا وجمع المال . (الثانى) أن تكون همته فى الشهوات . (الثالث) أن يكون فحاشاً فى القول مكثاراً . (الرابع) أن يكون متهاوناً بالصلاة . (الخامس) صحبته الفجار . (السادس) أن يكون سيء الخلق . (السابع) أن يكون مختالا فخوراً . (الثامن) أن يمنع منفعته عن الناس . (التاسع) أن يكون قليل الرحمة . (العاشر) أن يكون بخيلا . (الحادى عشر) أن يكون ناسياً للموت فإنه إن كان ذاكراً للموت لم تبق فيه خصلة من هذه الخصال .

وذكر أيضاً أن علامات السعادة إحدى عشرة : (أولها) أن يكون زاهداً

فى الدنيا راغباً فى الآخرة . (الثانى) أن يكون همه العبادة وتلاوة القرآن . (الثالث) قلة القول فيما لا يحتاج إليه . (الرابع) أن يكون محافظاً على الصلوات الخمس فى الجماعة . (الخامس) أن يكون ورعا فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات (السادس) أن تكون صحبته مع الصالحين . (السابع) أن يكون متواضعاً . (الثامن) أن يكون سخياً كريماً . (التاسع) أن يكون رحيما بخلق الله . (العاشر) أن يكون نافعاً للخلق . (الحادى عشر) أن يكون ذاكراً للموت كثيراً انتهى من كتاب بحر الأنوار .

وقال سيدى محمد الجواد بن على الرضى رضى الله عنه : صحيفة السعيد حسن الثناء عليه .

وقال الغزالى : فإن قلت فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها ويصدق رجاؤك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك تبعد عن النار وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه . ولا تقصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه فاعلم أنه مقضى عليك بالشقاء . فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة السحاب على المطر ، ودلالة الدخان على النار ، فقد قال تعالى : ﴿ إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ﴾ ، فاعرض نفسك على الآيتين ، وقد عرفت مستقرك من الدارين انتهى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت رضى الله عنه : اضمنوا لى ستاً أضمن لكم الجنة : أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا الأمانة إذا أئتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم « رواه الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد » .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

يتكفل لى أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له الجنة ، فقال ثوبان : أنا . فكان لا يسأل أحداً شيئاً ، أخرجه أبو داود والنسائى .

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ قالوا بلى يا رسول ! قال : كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لأبره ، ألا اخبركم بأهل النار ؟ قالوا بلى يارسول الله ، قال كل عتل جواظ مستكبر ، أخرجه الشيخان .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات وهو برىء من ثلاث . الكبر والغلول والدين دخل الجنة أخرجه الترمذى .

* * *

قلت : فانظر رحمك الله إلى هذه العلامات الدالة على السعادة والقبول من الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال فطاحل العلماء وأعلام الحكماء واكتف بالجملة عن التفصيل . واسأل مولاك أن يهديك إلى أقصد سبيل . وتوسل إليه بنبيه محمد وهو خير دليل . وجدّ فى التحصيل وحسن التأميل بالظن الجميل . واجتنب الرخص والتأويل . فما يفيدك الهذيان بالقال والقيل إنما تنفعك أصناف العبادة من ذكر وفكر وصلاة وزكاة وصيام وحج وتهليل وتجنب الأخلاق السيئة وتخلق بالخلق الجميل لتفوز بالخلد فى النعيم فى جوار الملك الجليل وقل حسبى الله ونعم الوكيل .

وقال الإمام عبد الله بن علوى الحداد شهادة السابقة الحسنة أربعة ملازمة الطاعات ومجانبة المخالفات وايثار الآخرة على الدنيا والرضا بقضاء الله والتسليم له والاعتماد عليه فى السر والنجوى فإذا صحت هذه الأمور للعبد وتمت له صار من المحسنين ورحمة الله قريب منهم .

وقال رضى الله عنه من أصلح نيته مع الله وصفّى سريرته من إضمار الشر

لأحد من المسلمين وعول فى جميع أموره على ربه كان فى حرز الله وأمانه من كل مكروه فكونوا كذلك وفقكم الله .

خاتمة

فى ذكر شىء مما يورث حسن الخاتمة

اعلم أرشدنا الله وإياك لمرضاته . ووفقنا لطاعاته . أن الذى يكون به حسن الحال . وحسن المآل هو لزوم الطاعات فى الأقوال والأعمال : والاعتقادات فأما الأقوال فهى تحقيق الشهادتين وكثرة الذكر بهما واستشعار معناهما على ماسبق تفصيله عند قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأما الأعمال فكالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الواجبات والمندوبات ، والتخلق بالأخلاق الحسنات المنجيات ، والتبرى من الأخلاق السيئات المهلكات على وفق ما حرزه وحققه حجة الإسلام الغزالى فى الاحياء من ربع العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات ، وأما الاعتقادات فهى تحقيق ما اشتملت عليه عقائد أهل السنة والجماعة مما يطول ذكره ويتعذر حصره .

فإذا لزم المؤمن الموفق العمل بما ذكرناه بحسب الطاقة واجتنب ما نهى الله عنه من حرام وشبهة ومكروه وغير ذلك مما زجر الشرع عنه لاسيما المحافظة على إقامة الصلوات الخمس بشروطها وآدبها فنرجو ممن له الجمال الأسنى أن يختم له بالحسنى فضلا وكرماً ورحمة ومنا . وقد ورد فى الحديث يموت المرء على ماعاش عليه ويبعث على مامات عليه .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا

منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف رواه مسلم . وفى رواية له قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه . نقله الإمام النووى فى رياض الصالحين .

وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على هؤلاء الصلوات عاش بخير ومات بخير رواه الترمذى وقال حديث حسن .

* * *

وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه من أحب أن يختم الله بخير فليحسن الظن بالناس ، وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه رواه مسلم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

فانظر رحمك الله إلى هذا الحديث وافهم الإشارة بأن من ختم الله له بالحسنى كان مقيله الجنة فيالها من مِنَّة حيث شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طلب العلم موصل إلى الجنه وشهد صلى الله عليه وسلم أيضاً بأن العالم يستغفر له ما فى السموات وما فى الأرض وأى منصب أعظم من منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له وهو مشغول بما هو فيه ، وأى ذنب مع ذلك يبقى عليه ومعلوم أنه لا رتبه فوق رتبة النبوة ولا شرف مثل شرف الوراثة لتلك الرتبة .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد

الله به خيراً يفقهه فى الدين « متفق عليه » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع رواه الترمذى .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم الحديث رواه الترمذى .

وقد نقل حجة الإسلام الغزالى فى الاحياء عن يزيد بن مذعور أنه قال رأيت الأوزاعى فى المنام فقلت يا أبا عمر دلنى على عمل أتقرب به إلى الله عز وجل فقال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجات العلماء ثم درجات المحزونين . قال وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة وهو الأنيس فى الوحشة والصاحب فى الغربة والمحدِّث فى الخلوة والدليل فى السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة الحديث بتمامه إلى أن قال فى آخره يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .

وفى الخبر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق . وعن أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجوفان الفم والفرج .

وقال الشيخ محمد بن عباد فى شرح الحكم ويقال من علامات التوفيق ثلاثة دخول أعمال البر عليك من غير قصد منك إليها ، وصرف المعاصى عنك مع السعى فيها ، وفتح باب اللجأ والافتقار إلى الله تعالى فى كل الأحوال ، ومن علامات الخذلان ثلاثة تعسر الطاعات عليك مع السعى فيها ، ودخول المعاصى

عليك مع الهرب منها ، وغلق باب اللجأ إلى الله تعالى وترك الدعاء فى الأحوال انتهى.

(قلت) ينبغى للحازم العاقل الاستعداد للقاء الله بملازمة ذكر الله وإدمان طاعة الله خصوصا الاكثار من قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله مع تدبر معناهما وما اشتملتا عليه من مراتب الإسلام والإيمان والإحسان وذلك بالبحث والتطلع إلى تحقيق ذلك علماً ونظرا ومعرفة فقد قال جماعة من علماء الأمة وسلف الأئمة لابد للمؤمن فى عقائده من البحث والنظر والوقوف على الأدلة حتى يرسخ إيمانه وتثبت عقائده بما عنده من البراهين عليها فلا يتزلزل عند سكرات الموت والاشراف على الفوت فيورثه ذلك حسن الخاتمة المطلوبة فى دعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك ، ورسوخ العقيدة فى القلب أصل كل خير وأهم كل أمر وعليه ينبنى كل الدين بأوامره ونواهيه وعباداته وعاداته والأذكار والطاعات ويحصل إخلاصها لوجه الله الكريم فيكون منه عليها الثواب العظيم والقبول الكريم ويتضاعف جزاؤها ونفعها فى الدنيا والآخرة على حسب قوة اليقين ورسوخ العلم وصدق الإيمان فإذا قوى إيمان العبد صار كالجبل الراسى فلا يتحرك ولا يتزلزل عند هجمات البلايا وبغتات المصائب والرزايا ونزول المنايا فما أحوجه إلى ذلك خصوصا عند سكرات الموت وأهوالها وصدماتها فإن السعادة التامة الحسنى إنما هى حسن الخاتمة بالحسنى فهنيئا مريئا وطوبى لمن أحسن الله خاتمته بالعمل الصالح وطوبى ثم طوبى لمن توفى وقبض روحه على الايمان وبخ بخ لمن كان خاتمة عمره وآخر أمره التوبة النصوح الصادقة. فالتائب من الذنب كمن لاذنب له ، فمن أحسن الله خاتمته وأصلح له عاقبته فهو السعيد يرجى له كل خير فى الآخرة وتدركه كل نفاعة وشفاعة فى جميع أحواله ويتم الله عليه نعمته ويتغمده برحمته ويدخله جنته كما فى الحديث الصحيح عن معاذ

رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إنى أسألك تمام النعمة فقال أى شىء تمام النعمة؟ فقال دعوة دعوت بها أرجو بها الخير فقال إن تمام النعمة دخول الجنة والفوز بالنجاة من النار الحديث بتمامه أخرجه الترمذى

وقال سيدنا على بن أبى طلب تمام النعمة الموت على الإسلام ، وقال سعيد ابن جبير لاتتم النعمة على المسلم إلا أن يدخل الجنة .

وفى حديث آخر عن جابر رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « يبعث كل عبد على مامات عليه » فعليك ثم عليك بتصحيح إيمانك وتدارك مافات من زمانك بحسب إمكانك بحسن التوبة وصلاح العمل والسريرة ، وضبط الأنفاس والسيرة ، فهذا هو الذى يورث حسن الخاتمة المطلوبة وفقنا الله وإياكم لكل مايحب ويرضى وختم لنا بحسن الخاتمة فى عافية ورضا إنه ولى كل خير ودافع كل ضير .

فضل ملازمة الأوراد والأذكار

ومن أسباب حسن الخاتمة ملازمة الأوراد والأذكار الواردة عند كل فعل يفعله العبد من حين يستيقظ من نومه إلى حين رجوعه إليه ؛ قال العلماء ويستحب أن ينام على جنبه الأيمن مستقبلا كالمحتضر لأن النوم نوع من الوفاة فحق على العاقل أن يفتش عن قلبه عند نومه فإن رأى فيه خيراً شكر الله وإلا تاب واستغفر لئلا يختم له بسوء والعياذ بالله لأن المرء يموت على ماهو الغالب عليه ويبعث على مايموت عليه ، قالوا فلا تنام إلا طاهرا الطهور الظاهر والباطن أما الظاهر فبالوضوء ففى الحديث النبوى من نام على طهارة ذاكراً لله كتب مصليا حتى يستيقظ ، وأما طهارة الباطن فهى أولى بالمراعاة وهى أن تنام تائبا من كل ذنب سليم القلب من كل غش لأحد من المسلمين فهذا أكبر العبادات وأهم الطهارات .

وفى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حين قال له النبى صلى الله عليه

وسلم يطلع من هذا الفج رجل هو أعبد أهل الأرض أو كما قال فلزم عبد الله الرجل فى بيته مريداً أن ينظر ما يفعل فرآه ليس بكثير قيام ولا صيام فسأله وأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ماهو إلا ماترى غير أنى أبيت وليس فى قلبي غش لأحد من المسلمين فأقر له عبد الله بأنه أعبد أهل الأرض والحديث مشهور وهذا معناه ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن من مات وفى قلبه غش لأحد من المسلمين لم يرح رائحة الجنة .

وينبغى أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوى قيام الليل ولو لحظة قبل الفجر مع ماقد تيسر بين العشائين فمن جمع بين هذين الوقتين نرجو أن يحسب من قوام الليل المشار إليهم بقوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما) .

فضل تقصير الامل

ومما يورث حسن الخاتمة تقصير الأمل لأن ذلك يجر إلى تحسين العمل ، وقد قال بعض السلف من طال أمله ساء عمله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت أقرب غائب ينتظر ، وقال ينجو أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالحرص ، وطول الأمل ، وقال على كرم الله وجهه أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق . وأما طول الأمل فينسى الآخرة ومن نسى الآخرة لم يعمل لها ومن لم يعمل لها قدم إليها وهو مفلس من الأعمال الصالحة التى لانجاة ولا فوز فى الآخرة بدونها ، وفى الحديث كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، ولما سئل صلوات الله وسلامه عليه من الأكياس من الناس ؟ قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً ، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ونعيم الآخرة .

ومن ذلك أن لاينام إلا ووصيته مكتوبة إن كان يملك شيئا مما يحتاج إلى الايصاء فيه خوفاً من موت الفجأة وموت الفجأة رحمة للمؤمن المستعد للموت ونقمة للفاجر الناسى للقاء الله المعرض عن ذكر الله .

وليجتهد أن يكون آخر مايجرى على لسانه وقلبه ذكر الله وأول مايفتتح به عند انتباهه ذكر الله فهو علامة السعادة والموت على الشهادة وحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى .

أدعية مباركة

وَمن الأدعية المباركة التى تورث ملازمتها حسن الحال فى السابقة وحسن المـآل فى اللاحقة . وهو أيضاً مما يدعى به ليلة النصف من شعبان التى يفرق فيها كل أمر حكيم وتكتب الآجال والأرزاق وغيرها من المقادير بتقدير العزيز العليم كما صحت بذلك الآيات والأخبار .

وهذا الدعاء نقله الشيخ أبو الخير الشرجى قال : وجد بخط الفقيه العالم الصالح أبى بكر بن أحمد دعسين رحمه الله تعالى قال : أملى على الأخ الفقيه العلامة عبد الله بن أسعد اليافعى فى طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة هذا الدعاء المبارك .

« اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطَّول والإنعام لا إله إلا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين ، اللهم إن كنت كتبتنى فى أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مقترا على فى الرزق فامح من أم الكتاب شقاوتى وحرمانى وإقتار رزقى ، وأثبتنى عندك سعيداً مرزوقا موفقا للخيرات ، فإنك قلت فى كتابك المنزل على نبيك المرسل ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ » .

وقد رأيت فى بعض المؤلفات فى فضائل الذكر لبعض العلماء العارفين

بالله أن أخوين فى الله تصاحبا فى الدنيا وتواصيا أنه من مات قبل أخيه يعلمه بحاله قال فمات واحد منهما فرآه أخوه الحى فى المنام فقال مافعل الله بك فقال إنى لما دخلنى الموت غبت ولم أشعر به ولا بالغسل ولا بالتكفين ولا اللحد ولا الدفن إلا أنه لما رجعت روحى إلى جسدى لسؤال الملكين انتبهت كالنائم إذا انتبه فقلت الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الدعاء والذكر المأثور عند الانتباه وجعلت ألتمس السواك ظنا منى أنى فى البيت وأن السواك عند رأسى فإذا أنا باثنين عندى جالسين فقالا ماتريد قلت أريد السواك فقالا وأين أنت فقلت أليس أنا فى البيت فقالا إنك فى القبر وقد ثبتك الله بالقول الثابت وأجبتنا من غير سؤال أو كما قال إلى آخر ماقال .

فليعلم ذلك الحريص على نيل السعادة بالموت على كلمتى الشهادة ، وليلازم أداء ماافترض الله عليه من الصلاة والصيام والزكاة والحج وذكر الله فإنه أكبر الفرائض وذلك على كل حال ، وليكن مما يقوله عند النوم قبل أن يضع جنبه على فراشه باسمك اللهم أحيا وأموت ويقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين ، ثم يقول تمامها لا اله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، ويقول الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافى له ولا مؤوى له ، ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين وينفث فى كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما استطاع من جسده ويفعل ذلك ثلاث مرات ثم يضع جنبه ويقول باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفرلى ذنبى ، إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ويضطجع على شقه الأيمن كما تقدم ، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ويقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك

لاملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ، ويقول استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه « ثلاث مرات » .

وليحرص على أن يكون ملازماً لذكر الله تعالى حين يغلبه النوم وإن استيقظ قبل أوان استيقاظه وأراد النوم فليقل ماروى فى الصحيح عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعارَّ من الليل (أى انتبه) فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولاحول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لى أودعا استجيب له . فإن توضأ وصلى قبلت صلاته أخرجه الشيخان .

وفى كتاب الحقائق أخرج النسائى موقوفاً عن أبى هريرة رضى الله عنه من قال عند منامه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لاحول ولا قوة إلا بالله سبحان الله وبحمده لا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر .

وفيه قال خرَّج ابن وهب فى جامعه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال لعبد الله بن مطيع إنه ليس من عبد مسلم يقول حين يستيقظ من نومه سبحان الذى يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير إلا لقنها عند بعثه ولا يلقنها أحد عند بعثه إلا أمن من الفزع الأكبر فإذا استيقظ فليكن أول مايجرى على لسانه وقلبه ذكر الله تعالى فيقول أيضاً حينئذ لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم إنى استغفرك لذنبى وأسألك رحمتك ، رب زدنى علماً ولاتزغ قلبى بعد

إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، أصبحنا وأصبح الملك لله والحمدلله والعظمةوالسلطان والعزة والقدرة لله رب العالمين ، أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم مسلماً وما كان من المشركين ، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ويقرأ (إن فى خلق السموات والأرض) إلى آخر سورة آل عمران .

ورأيت فى بعض الآثار من قرأ الفاتحة وآية الكرسى وآمن الرسول مرة مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة أورثه الله حسن الخاتمة فليقرأها من يريد حسن الخاتمة ولو مرة فى العمر فقد قال محيى الدين النووى فى كتاب الأذكار من بلغه شىء من فضائل الأعمال فليعمل به ولو مرة فى عمره إلى آخر ماقال .

ومن الأسباب التى تورث حسن الخاتمة بغير شك ولامرية ولاجدال ولافرية حسن الظن بالله تعالى كما وردعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى أخرجه مسلم وأبو داود ، وفى أخرى للشيخين والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى زاد مسلم والترمذى وأنا معه إذا دعانى وفى رواية لأبى داود والترمذى عن أبى هريرة أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة .

وفى شرح الحكم لابن عباد قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله تعالى «ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى إلا أعطاه حسن الظن به»

فقد أعطاه مايظنه لأن الذى حسّن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له .

وفى الشرح المذكور روى عن أبى النضر قال خرجت عائداً لزيد ابن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو فى فراشه فلما رأى واثلة بسط يده يشير إليه فأقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الأسود بكفى واثلة حتى جعلها على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شىء تخبرنيه . قال لاتسألنى عن شىء أعلمه إلا أخبرتك به قال واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظنى والله بالله حسن قال فابشر فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدى بى إن ظن بى خيراً وإن ظن بى شراً .

وفيه أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك فقال يارسول الله حسن الظن قال فظن به ماشئت فإن الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به.

وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه أوثق الرجاء رجاء العبد بربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى .

ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التى لاينبغى للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الأهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب ذلك فى الجزع والسخط والحزن .

فضل محبة الأنبياء والاولياء والصالحين

ومما يورث حسن الخاتمة أيضا وحسن القضاء ونيل الرضا فيما يأتى وما مضى حسن الظن وصدق العقيدة والمحبة الخالصة ظاهراً وباطناً وقالباً وقالباً لأنبياء الله المرسلين وصحابتهم أجمعين وأوليائه المقربين والصالحين من المؤمنين

والعلماء العاملين من علماء الدين وعامة المسلمين فمن أحب قوماً كان معهم وإن لم يعمل بعملهم بهذا ورد الحديث الصحيح فى صحيح البخارى .

وقال الجنيد بن محمد التصديق بعلمنا هذا ولاية . وإذا فاتتك المنة فى نفسك فلا يفتك أن تصدق بها فى غيرك . فإن لم يصبها وابل فطل .

وقال الشيخ سهل بن عبد الله التسترى طوبى لمن عرف الحق وأهله فإنه يتدارك ما فرط منه فإن لم يتدارك كانوا له شفعاء .

وقال رجل لأبى يزيد دلنى على عمل اتقرب به إلى الله قال أحبب أولياءه ليحبوك فإنه ينظر فى قلوبهم فلعله أن ينظر اسمك فى قلب وليه فيغفر لك .

وكان الإمام أحمد بن عمر الهندوان باعلوى يقول لأصحابه إذا وقفتم بين يدى الأولياء الأحياء والأموات لزيارة فاحضرونى فى قلوبكم فإنهم يرون ذلك يعنى فتحصل الفائدة .

وقال بعضهم ويبلغ المريد بنظر الشيخ ما لم يبلغه بعبادته واجتهاده ألف سنة .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب مايقربنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد .

وقال صلى الله عليه وسلم إن لله عباداً من نظر إلى أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

وقال سيدنا الشيخ القطب أبو بكر بن سالم باعلوى هذا بنظر الناظر إليهم . وأما نظرهم إليه فإنهم يوصلونه إلى أعلى مقام عند الله مما لا يمكن تعبيره .

وقال بعضهم إن لله عباداً إذا نظروا إلى شخص أكسبوه السعادة ، وقال بعضهم لو علم الخلق ما لمن وقف بين يدى ولى الله لشدوا الرحال إليه حتى يقفوا بين يديه ولو مائة عام ، وقالوا من نظر المفلح كيف لا يفلح ، ويقال

إن جثث العارفين كؤس شراب المحبة .

قال فى شرح الحكم فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان عطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك فى الصحبة والمؤانسة .

وقال سيدنا القطب عبد الله العيدروس عليك بحسن الظن بالصالحين ومحبة محب محبهم فهو من أعلى المراتب وأجل المواهب ولصاحبه سابقة وعناية وتخصيص وهداية قال وسوء الظن مذموم مطلقا .

وقال أيضاً عليك بحسن الظن فى مواضع الصالحين وذراريهم ولا تظن بنفسك خيراً واعتقد فى سائر المسلمين وعليك بحسن الظن ى ذرارى الصالحين ولو شطوا واحترمهم وعظمهم واستر عوراتهم .

وقال بعضهم عليك بحسن الظن فإنه دليل على نور البصيرة وصلاح السريرة وكفى به سبباً لحصول السعادات ونيل الدرجات .

وقال الشيخ القطب محمد بن حسين البجلى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال وقوفك بين يدى ولى لله تحلب شاة أو شيح بيضة أفضل من أن تعبد الله حتى تتقطع اربا اربا فقلت حياً كان أو ميتاً فقال حياً كان أو ميتاً .

وقال بعضهم حسن الظن بالصالحين يورث حسن الخاتمة وقد لا تظهر إلا عند الموت . وسوء الظن بهم يورث سوء الخاتمة فاحذر يا أخى من الوقيعة فى أهل الله فإنك بالوقيعة فيهم تسقط من عين الله وتستحق المقت من الله إذ يقول الله من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب فعليك . بمحبة أولياء الله وتعاطى أسبابها فهى كل الطلب وناهيك بها فهى الغنيمة لمن وفقه الله تعالى قال الله الكريم فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . فالمحبة لهم هى التصديق بعلو مقامهم والقرب منهم والخدمة

لهم والمودة الكاملة وبذل النفس والمال فى رضاهم وعند الحاجة تقرباً إلى الله الكريم بذلك وإليه أشار البوصيرى بقوله :

وإذا سخر الإله أناساً　　لسعيد فإنهم سعداء

وقال آخر

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم　　ويسعد الله أقواماً بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته　　لكن جدود وأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد　　يرمى ويحرزه من ليس بالرامى

فهذا أكبر سبب وأعظم وسيلة إلى حسن الخاتمة وحصول المنفعة منهم فى هذه الدنيا بكفاية شرورها وفتنها ومحنها ، وعند الموت ومنكراته ، وفى القبر والحشر ، وعند جواز الصراط وغير ذلك كما بلغنا عن بعض سلفنا من السادة آل باعلوى أن بعض أصحابه لما توفى ودفن وأتاه الملكان ليسألاه تلجلج وتكلم بغير ماينبغى فحضر ذلك الشريف عنده وقال لهم إنه فزع منكم وأبهت فقال الذى سمعتم ثم أقبل عليه وعرفه فلما رأى حبيبه عنده وسألاه من ربك أجابهما بما ينجيه .

وبلغنا عن بعضهم أنه قيل له فلان خادمك توفى فأطرق ساعة ثم قال إنه لم يمت فإنى طفت الجنة وقصورها فلم أجده فيها ولايدخل خادمنا النار فجاء الخبر بعد أنه حى ثم وصل هو .

فإذا كانت محبتهم سبباً فى تحصيل حسن الخاتمة فلا شك أن بغضهم أعاذنا الله وإياكم منه سبب فى تحصيل سوء الخاتمة والشقاوة اللازمة . التى على القلب خاتمة . كما يشاهد ذلك عياناً فالمبغض لأولياء الله والمعادى لهم مبغض ومعادٍ لله بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله أنه قال من عادى لى

ولياً فقد آذنته بالحرب رواه البخارى من جملة حديث طويل عن أبى هريرة رضى الله عنه .

قال بعض العلماء ومعنى من عادى لى وليا أتخذه عدواً فقد آذنته بالمد وفتح الذال المعجمة بعدها نون (أى أعلمته بالحرب) أى أنى محارب له عن ذلك الولى وحرب الله مهلكة بلا شك ، قال الولى : فيه وجهان أحدهما أنه من يتولى الله رعايته وحفظه فلا يكله إلى نفسه لحظة كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين . والثانى أنه من يتولى عبادة الله وطاعته فيأتى بها على التوالى من غير أن يتخللها فتور ولا عصيان ، وكلا الوجهين شرط فى ثبوت الولاية فمن شرط الولى أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبى أن يكون معصوماً فكل من كان للشرع اعتراض عليه فليس بولى بل هو مغرور مخدوع كذا ذكره الامام أبو القاسم القشيرى .

ثم قال : قال الفاكهانى من حاربه الله أهلكه . وقال غيره إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة . كأكل الربا . فمن والى أولياء الله أكرمه الله . ومن عاداهم أهلكه الله .

وكان الشيخ أبو عبد الله القرشى يقول من غض من ولى لله عز وجل ضربه الله فى قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته ويخاف عليه من سوء الخاتمة . وقال اليافعى من عادى أولياء الله فكأنما عادى أنبياء الله وإن كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود فى النار وروى نبى الله عن الله أنه سبحانه قال من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ومعناه مخالفة أمر الله وارتكاب معاصيه فعلم بذلك أن الوقيعة فيهم تورث السلب .

وقال المشايخ العارفون: أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم ويخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله .

ونقلت من خط من نقل من خط الشيخ الكبير الحسين بن الفقيه العلامة عبدالله بلحاج بافضل نفع الله بهما أنه قال : لاينكر على الأولياء إلا ميت القلب، ناقص العقل قليل العلم ، مدع راض عن نفسه ، أحمق جاهل مغرور غافل ، ضعيف اليقين ، يابس جامد ، حشوى مبتدع ، أعمى البصيرة ، مخسوف به ، مفتون ، هالك ، مبغوض عند الله وعند الناس . لا يقبل الله قوله ولا يعبأ به ، ويخرج من الدنيا على غير الإسلام ، ويبتلى بالذل والفقر فى الدنيا وللآخرة أشد عذاباً وأبقى انتهى .

وقد حكى الإمام اليافعى فى كتاب (أطراف عجائب الآيات والبراهين وأرداف حكايات روض الرياحين) عن الشيخ عبد الله أبى محمد بن أبى الحسن المخزومى بسنده المتصل أنه كان رجل من وجوه أهل سنجار كثير الوقيعة فى الأولياء السالفين رضوان الله عليهم أجمعين ، فلما حضرته الوفاة جعل يتكلم بكل شىء إلا الشهادة ! فإذا قيل له : قل لا إله إلا الله ، يقول : لم يؤذن لى فى ذلك ، فضج الناس وأتوا إلى الشيخ سويد السنجارى رضى الله عنه فأتاه وجلس عنده وأطرق طويلا ، ثم قال له : قل لا إله إلا الله فقالها وكررها مراراً .

فقال الشيخ : إنه عوقب بتلك الوقيعة فى الأولياء السالفين وإنى شفعت فيه ، فقيل لى: قد شفعناك فيه إن رضى عنه أولياؤنا السالفون فدخلت الحضرة الشريفة واستوهبت ذنبه من معروف الكرخى وسرى السقطى والجنيد والشبلى وأبى يزيد وغيرهم فانطلق لسانه بالشهادة . قال : فقال الرجل : إنى كنت كلما أردت أن أتشهد وثب شىء أسود على لسانى ومنعنى النطق وقال لى : أنا وقيعتك فى أولياء الله تعالى ثم جاء بعده نور يتلألأ فطرد ذلك السواد عنى وقال لى : أنا رضاء أولياء الله تعالى عنك وها أنا أنظر خيلا من نور بين السماء والأرض قد ملأت الجو عليها ركبان من نور مطرقة رؤسهم هيبة يقولون : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، قال : وما زال ذلك الرجل يلهج

الشهادتين حتى مات رحمه الله تعالى انتهى .

وقال أبو تراب النخشبي رحمه الله من ألف الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في حق أولياء الله تعالى .

وروى عن حاتم الأصم عن جماعة من أهل العلم أن نبي الله جرجيس (من أنبياء بني إسرائيل) كان في زمانه ملك من ملوكهم وكان كثير الفساد ومصراً على مظالم العباد فمنع الله عنه القطر حتى أشرف ومن معه على الهلاك فركب هذا الملك الظالم الكافر في عسكره حتى أتوا إلى باب النبي المذكور فوجدوه في صومعته يكثر التسبيح والتقديس فقال : يا جرجيس إني أحملك رسالة إلى ربك تقول له يأتينا بالمطر وإلا آذيته أذية يسمعها سائر البشر فما يسقينا المطر غيره ، فاستعظم جرجيس ذلك وسكت ! فنزل جبريل إليه وقال : ربك يقول لك أسأله بماذا تؤذيه ؟ فسأله فقال الملك : لاقدرة لي على أذيته إلا من وجه واحد لأنه قوي وأنا ضعيف ، وإنما أوذي أحباءه ومن آذى أحباءه فقد آذاه ! فجاء جبريل فقال : يا جرجيس قل له لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر ، ثم جادت السماء بالسحاب وامتلأت الصحاري بالسيول وأمر الله الأرض فأنبتت نباتاً لم يعهد مثله .

فلما رآه الملك ركب إلى جرجيس وهو في صومعته يسبح ويقدس فخرج إليه وقال : يا هذا ما تريد منا لم لا تشتغل بمالك عنا ؟ وخشي أن يحمله رسالة أخرى فيها فظاعة في المقالة ، فقال : يا نبي الله ما أتيت حربياً قد أتيت مسلماً وقد انفتح بصر الضعيف الأعمى فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه يجب أن تسجد الجباه لعظمته ، وإني أريد المصالحة لتكون صفقتي رابحة ، فقد ظهرت لي الآن أسرار التوحيد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه .

فقد دل الحديث الإلهي والآثار كما هي أن عدو ولي الله تعالى عدوٌ لله فمن عاداه كان كمن حاربه نعوذ بالله من الخذلان والحرمان .

ونقل الإمام الغزالى عن بعض العارفين أنه كان يقول : من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به والتسليم لأهله فانظر رحمك الله إلى عاقبة الأمرين من المحبة والبغض وتدبر ولا تقل مقالة أهل الحرمان قد خلا الزمان من أهل الولاية والبرهان ، فإن الكون بهم ملآن لكن السر التصديق والإيمان وإشراق نور العيان وذهاب الكدر والران فأنى يرى الشمس العميان ، وقد قال قطب الزمان :

فياحسرتى إن مت من قبل أن أرى ... وجوهاً عليها نور علم وحكمة
وأنشق من أرياحهم كل طيب ... ذكى تهيم الروح منه بشمة
واسمع منهم كل علم مقدس

وفقنا الله وإياكم لمحبتهم وأدخلنا فى زمرتهم وجعلنا بفضله فى جملتهم آمين .

وقد قال سيدى الوالد عمر بن عبد الرحمن العطاس علوى نفع الله به : ما قلت للتناهل على أهل الزمان ولكنهم يأتون بأوعيتهم مخرقة انتهى .

أشياء تورث حسن الخاتمة

وعليك يا أخى بأربعة أشياء فإنها مما يورث حسن الخاتمة وثبات الإيمان عند الموت وضدها بضد ذلك وهى الشكر على الإسلام ، والخوف على ذهاب الإسلام ، وترك ظلم أهل الإسلام ، وترك عقوق الوالدين .

ومما يورث حسن الخاتمة والموت على الإسلام . المبادرة بكتابة الوصية لمن له مال أو شىء يقتضيها وذلك مع مجانبة الحيف ، وأن يزيد بعض الوارثين على بعض فإنه بالعكس لما روى أبو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم تحضرهما الوفاة فيضاران فى الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة رضى الله عنه من بعد وصية إلى قوله غير مضار انتهى .

وقد تقدم هذا الحديث فى الاحتجاج على أن حسن الخاتمة هو حسن السابقة .

خاتمة الخاتمة

نذكر فيها صفة الموت والبرزخ وما فيهما من الأهوال وتقلب الأحوال لتنظر حينئذ ما لديك وما عليك ثم يكون الأمر فى ذلك إليك فإنك ميت كما مات أبواك وأبوا أبويك والسبيل الذى سلكوه بين يديك ، نذكر ذلك على سبيل الاختصار والاقتصار تبصرة لأولى الأبصار ، ومن أراد تفصيل ذلك والوقوف على جميع ما هنالك فعليه بكتاب ذكر الموت وما بعده من الاحياء للامام الغزالى ، وكتاب الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة له أيضاً ؛ فإنهما من أحسن ما صنف فى هذا الباب .

قال الشرجى : كان رجلان من العلماء يجتمعان على مطالعة الاحياء فمات أحدهما فرآه الآخر فى النوم فقال له : أخبرنى بحال الموت ! فقال : يا أخى كما ذكر الغزالى فى كتابه الاحياء سواء من غير مخالفة انتهى ، من مقال الناصحين .

* * *

ثم نختم ذلك بحديث الشفاعة المشهور ونستغنى به عن ذكر الموقف وقيام الساعة ويكون به خاتمة الكتاب . وإلى الله المرجع والمآب . لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ، فنقول :

أما صفة الموت والبرزخ فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن ابن آدم إذا استكمل رزقه واستوفى عمره وحضر أجله نزلت عليه أربعة أملاك وجذبوا نفسه من بين يديه ورجليه وهو يظن من شدة ما يلقاه من الكرب أن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما وكأن فى بطنه غصن شوك ، وجذبه من جوفه رجل شديد القوة فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى فعند ذلك يرشح جبينه ويصفر لونه ويعلو صدره وترتفع أضلاعه لعظيم مايلقى من المشقة ، ثم يموت بدنه عضواً بعد عضو ويلقى الموت كل عضو سكرة بعد سكرة حتى يبلغ روحه الحلقوم ،

فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويشاهد الآخرة وأهوالها . ويغلق عنه باب التوبة وتعرض عليه أنواع الفتنة فى دينه ويحضره إبليس وجنوده لعنهم الله تعالى ويتمثلون له فى صورة من يعرفهم ممن مات قبله من أصدقائه ويقولون له : يا فلان مت إما يهوديا أو نصرانيا فإنه الدين المقبول عند الله ، فعند ذلك يزيغ الله من أراد زيغه ويثبت الله من أراد تثبيته فإن كان إيمانه قويا وطاعته غالبة عليه حضرته ملائكة الرحمة وطردت عنه الشياطين وإن كان إيمانه ضعيفاً وكان مضيعا للطاعات ، كثير المعاصى ، غلب عليه إبليس وجنوده ؛ فإن أغووه عن دين الإسلام ومات على الكفر استحق الخلود فى النار إلا من رحمه الله تعالى .

وقالوا : وأكثر من يزيغ عن دين الإسلام عند الموت تارك الصلاة ومدمن شرب الخمر والمكاس وقاتل النفس والزانى بنساء جيرانه ومن مات مصراً على معصية من غير توبة نسأل الله العافية .

فإذا قبض ملك الموت النفس فإن كانت سعيدة ناولها إلى أعوان له حسان الوجوه ولها رائحة طيبة من طيب أعماله الصالحة فيعرجون بها إلى السماء السابعة أسرع من البرق الخاطف ، وكلما مروا على أهل سماء قالوا مرحبا بكم وبمن معكم نعم العبد فلان ويثنون عليه بما كان يصعد إليهم من صلاته وصدقته وصيامه وذكره وتلاوته وغير ذلك حتى ينتهى به الأعوان إلى بين يدى الله تعالى فيعاتبه ربه ببعض الهفوات التى لم يطلع عليها إلا الله سبحانه حتى يظن العبد أنه هالك فيرحمه ربه ويقول : لا تخف يا عبدى سترتها عليك فى الدنيا بحلمى فأنا أغفرها لك بكرمى ، ثم يأمر الأعوان بردها — يعنى الروح إلى الجسد — .

وإن كانت النفس شقية ناولها الملك إلى زبانية قباح الوجوه غلاظ شداد فيصعدون بها ولها رائحة خبيثة من خبث أعمالها القبيحة ، فإذا قرعوا باب سماء

الدنيا قالت لهم خزنتها : لا أهلا ولا سهلا بفلان كنا نلعنه وهو يمشي على الأرض فكيف نفتح له باب السماء . وقاطع الصلاة ترده الصلاة وتقول ضيعك الله كما ضيعتني ولو حفظتني لحفظك الله . وقاطع الرحم ترده الرحم وتقول : قطعك الله كما قطعتني ولو وصلتني لوصلك الله ، وهكذا كل من غلبت عليه خصلة قبيحة ومات على غير توبة منها خشي عليه أن تحجبه عن رحمة الله تعالى .

فإذا سمعت الزبانية ما قيل له طرحوه من أيديهم ولعنوه فيخر من السماء وتهوى الروح حتى تعود إلى جسده الخبيث ، فإذا عادت النفس إلى الجسد وأدرج الميت فى الكفن صارت نفسه ملتصقة بصدره وهى تصيح بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلين الإنس والجن ، فإن كانت سعيدة قالت : أسرعوا بى إلى جنة ورضوان . ورب غير غضبان . يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ، وإن كانت شقية قالت : رويداً رويداً إلى أى عذاب تحملونى ، لو علمتم ما حملتمونى إليه فإذا فرغوا من دفنه انضم عليه القبر ضمة شديدة تتداخل منها عظامه وقلّ من يسلم من هذه الضغطة . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضغطة لو نجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ وقد اهتز لموته عرش الرحمن » . ثم يدخل عليه منكر ونكير وهما ملكان أسودان ، كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ، بيد كل منهما مقمعة من حديد لو ضرب بها الجبل لهدّه فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فمن ثبته الله قال : الله ربى والإسلام دينى ومحمد نبيى ، فيقول أحدهما للآخر : صدق وقد كفى شرنا ، ثم يوسع الله عليه قبره ويصير له التراب كالماء حيثما تحرك انفسح ويفتح له باب إلى الجنة فيرى منزله فيها ويأتيه من روحها وطيبها ويتصور له عمله الصالح فى أحسن صورة ولا يزال معه يحدثه ويؤنسه إلى يوم القيامة ويكون قبره روضة من رياض الجنة ، وأما الشقى فإذا سألاه منكر ونكير عن ربه ودينه

ونبيه ذهب عقله من الفزع فيقول لا أدرى وإن كان يعبد الشيطان قال ربه الشيطان فيضربانه ضربة يشتعل بها عليه قبره ناراً إلى يوم القيامة ويفتح له باب إلى جهنم ويرى مقعده فيها ثم يأتيه عمله السوء فى أقبح صورة فالظالم يتمثل له عمله حية عظيمة تنهشه إلى يوم القيامة . والنمام يتمثل له عمله عقربا عظيمة تلدغه إلى يوم القيامة . والمغتاب يتمثل له عمله كلبا يعقره إلى يوم القيامة إلى غير ذلك من الصور القبيحة المشابهة لما كان فيه من الطباع القبيحة . وقاتل النفس لايزال سكينه بيده يقتل نفسه قتلة بعد قتلة إلى يوم القيامة ويكون قبره حفرة من حفر النار ويوم القيامة يصير إلى أشد العذاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجى منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه . وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا رآى قبرا تمثل بهذا البيت :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة   وإلا فإنى لا أخالك ناجيا

وإن الميت إذا وضع فى قبره حضرته أعماله الصالحة فإن جاءه العذاب من جهة رأسه رده القرآن وإن أتاه من جهة رجليه ردته الصلاة وإن جاءه من جهة يديه ردته الصدقة فيدافعون عنه كما يدافع عن الإنسان إخوانه فتقول له ملائكة العذاب نعم الأعوان الذين ادخرتهم لنفسك ولولم تقدم الخير لحل بك العذاب ، قال بعض الصالحين رأيت بعض إخوانى فى الله بعد موته فقال إنى الآن أقول الحمد لله أو غيرها من ذكر الله أو أن أصلى ركعتين أحب إلى من الدنيا ومافيها فانا لانقدر على العمل وأنتم تقدرون عليه ولا تعملون .

حديث الشفاعة

وأما حديث الشفاعة فهى المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم المشار إليه بقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

وهو ما رواه الشيخان البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوة فقدمت إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة وقال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة هل تدرون فيم ذاك ، يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعى وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه ألا تنظرون إلى من يتشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك جنته ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه وما لتينا فيقول إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيت « نفسى نفسى » اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً أما ترى إلى مانحن فيه ومابلغنا ثم يطلبون منه الشفاعة فى فصل القضاء بينهم فيقول إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى « نفسى نفسى » اذهبوا إلى غيرى دعوت دعوة أغرقت بها أهل الأرض وإنى استحى من الله أن أسأله فى مثل هذا ولكن انطلقوا إلى ابراهيم خليل الرحمن هو سماكم المسلمين من قبل فلعله أن يشفع لكم . فيتشاورون فيما بينهم قدر ألف عام ، ثم يأتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام . فيقولون يا ابراهيم يا أبا المسلمين الذى اتخذك الله خليلا فاشفع لنا إلى الله تعالى بفصل القضاء فيما بين الخليقة فيقول لهم إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد كنت كذبت فى الإسلام ثلاث كذبات جادلت بهن عن دين الله تعالى فأنا استحى من الله تعالى أن أسأله الشفاعة فى مثل هذا المقام . ولكن اذهبوا إلى موسى عليه السلام فإن الله تعالى اتخذه كليما وقربه نجيا

فعسى أن يشفع لكم فيتشاورون بينهم ألف عام والحال يزداد شدة والموقف يغص بأهله فيأتون موسى عليه السلام فيقولون له ياموسى بن عمران أنت الذى اتخذك الله كليما وقربك نجيا وأنزل عليك التوراة فاشفع لنا إلى ربك فى فصل القضاء فقد طال المقام. واشتد الزحام وتزلزلت الأقدام وتأذى أهل الكفر والإسلام من طول المقام فيقول لهم موسى عليه السلام إنى سألت الله تعالى أن يأخذ آل فرعون بالسنين وأن يجعلهم مثلا للآخرين فأنا أستحيي من الله تعالى أن أسأله الشفاعة فى مثل هذا المقام مع أسباب جرت بينى وبينه فى المناجاة يلوح منها تعريض الملاك إلا أنه ذو رحمة واسعة ورب غفور . ولكن اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فإنه أصح الرسل يقينا وأكثرهم معرفة بالله تعالى وأشدهم زهدا وأبلغهم حكمة فلعله أن يشفع لكم فيتشاورون. فيما بينهم قدر ألف عام والحال يزداد شدة والموقف يزداد تضييقا . فيأتون عيسى عليه السلام .فيقولون أنت روح الله وكلمته وأنت الذى سماك الله وجيها فى الدنيا والآخرة أشفع لنا إلى ربك فى فصل القضاء فيقول لهم إنى اتخذت وأمى إلهين من دون الله فكيف أشفع عند من عبدت معه وسميت له ابنا وسمى لى أبا . ولكن أرأيتم لو كان لأحدكم كيس فيه نفقة وعليه خاتم أيقدر أن يبلغ إلى ما فى الكيس حتى يفض الخاتم قالوا نعم فقال ألا اذهبوا إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين أخى العرب فإنه أخر دعوته شفاعة لأمته صلى الله عليه وسلم وأكثر ما آذاه قومه حتى شجوا جبينه وكسروا رباعيته وبالغوا فى أذيته وإنه لأحسنهم نجارا وأكثرهم شرفا وهو يقول كما يقول الصديق لاخوته لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وجعل يتلو عليهم من فضائله صلى الله عليه وسلم مالم تحصره آذانهم حتى امتلأت نفوسهم حرصا على الذهاب إليه حتى أتوا منبره صلى الله عليه وسلم وقالوا أنت حبيب الله والحبيب أوجه الوسائط أشفع لنا إلى الله تعالى فقد ذهبنا إلى أبينا آدم فأحالنا على نوح وذهبنا إلى نوح فأحالنا على ابراهيم

وذهبنا إلى إبراهيم فأحالنا على موسى وذهبنا إلى موسى فأحالنا على عيسى وذهبنا إلى عيسى فأحالنا عليك وليس بعدك مطلب ولا عنك مهرب فيقول صلى الله عليه وسلم (أنا لها) حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ثم ينطلق إلى سرادقات الجلال فيستأذن فيؤذن له ثم يرفع الحجاب ويلج العرش ويخر ساجداً يمكث فى سجوده ماشاء الله تعالى يحمد الله تعالى بمحامد ماحمده بها أحد قط .

قال بعض العارفين إن تلك المحامد هى التى أثنى الله تعالى بها على نفسه يوم فراغه من خلقه فيتحرك له العرش تعظيما وفى رواية فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق حتى آتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد : ثم يقال لى : يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع رأسى فأقول أمتى يارب أمتى يارب فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأول من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفى رواية البخارى فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى مايبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، قال وهذا المقام المحمود الذى وعد نبيكم صلى الله عليه وسلم . وفى رواية للبخارى أيضاً بإسناده إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه . وقال فاستأذن على ربى فيؤذن لى ويلهمنى محامد أحمده بها لا تحضرنى الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتى فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان فانطلق فافعل ثم أعود

فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فذكر مثله قال فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان فانطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فذكر مثله ثم يقال انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فانطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واُشفع تشفع فأقول يارب أئذن لى فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله انتهى الحديث العظيم . الذى احتوى على غاية التعظيم ونهاية التكريم لنبينا المخصوص بالخُلق العظيم والخَلق الوسيم . والمنصب الفخيم . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأمته أفضل الصلاة والتسليم .

تكميل وتتميم

نقل الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى المبحث السبعين من اليواقيت عن الشيخ محيي الدين بن عربى أنه قال إنما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع ولا فخر شفقة علينا لنستريح من التعب فلانطلب الشفاعة من غيره . وقال فى آخر الحديث ولا فخر أى لا أفتخر بكونى سيد ولد آدم وإنما قصدت بذلك إراحتكم من التعب يوم القيامة وجلوسكم مكانكم حتى يرجع الكلام فى الشفاعة إلى . ثم قال فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه إلا لغرض صحيح وكذلك تزكية جميع الأئمة لأنفسهم لا تكون إلا لغرض صحيح فإنهم منزهون عن رؤية فخر أنفسهم على أحد من خلق الله بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ العبد مقام الكمال حتى يرى نفسه أنها ليست بأهل أن تنالها رحمة الله ...

ونقل أيضاً عن الشيخ ابن عربى أنه قال واعلم أن الشفاعة الأولى لنبينا

محمد صلى الله عليه وسلم تكون فى فتح باب الشفاعة للناس فيشفع فى كل شافع أن يشفع .

شفاعاته صلى الله عليه وسلم

ثم قال الشعرانى فى اليواقيت فى مبحث الشفاعة قال الجلال السيوطى وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات (أولها وأعظمها) شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تعجيل حساب الخلائق وراحتهم من طول ذلك الموقف وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم (ثانيها) فى ادخال قوم الجنة بغير حساب . قال النووى وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم وتردد فى ذلك الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد والشيخ تقى الدين السبكى وقالا لم يرد فى ذلك شىء . وكان الشيخ محيي الدين يقول فى معنى أن قوماً يدخلون الجنة بغير حساب أن المراد أنه لم يكن فى حسابهم وفكرهم أن الله يدخلهم الجنة أبداً لشهودهم قبيح زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضاً (ثالثها) فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها . وتردد النووى فى كون هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم . قال السبكى لأنه لم يرد فى ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته (رابعها) فى إخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلو طبقاتها منهم وينبت فيها الجرجير كما ورد ، وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضى عياض فى ذلك تفصيلاً فقال إن كانت هذه الشفاعة لإخراج من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فهى خاصة به ليست لأحد من الأنبياء والملائكة والمؤمنين وإن كانت لغير من ذكر فقد يشاركه فى ذلك غيره . (خامسها) فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها وجوز الإمام النووى رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم . (سادسها) فى جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات كما ذكره القزوينى فى العروة الوثقى .

(سابعها) فيمن خلد من الكفار فى النار أن يخفف عنهم العذاب فى أوقات مخصوصة جمعاً بين هـــذه وبين قوله تعالى : لا يُفتّر عنهم كما ورد ذلك فى الصحيحين فى حق أبى طالب وكما ذكره ابن دحية فى حق أبى لهب من أنه يخفف عنه العذاب فى كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثويبة حين بشرته به . ثم قال الجلال السيوطى ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لأن هذه شفاعة فى المؤمنين وفى البرزخ وكلامنا إنما هو فى شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مرّ . (ثامنها) فى أطفال المشركين أن لايعذبوا ، وهذه الثلاث الأخيرة ذكرها بعضهم وأضاف إليها من دفن بالمدينة رواه الترمذى وصححه .

* * *

تم الكتاب بحمد الله التواب الكريم الوهاب ، رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنزل الكتاب ومخرج الذرية من الأصلاب وضامن الرزق لجميع الناس والدواب . ونرجو من فيض فضله ومنّه وكرمه أن يجزينا جزيل الثواب لنا ولوالدينا وأولادنا وذوى الأنساب والأحساب ، والضنائن والمعارف واللائذين والأولاد والأصهار والأنصار والأصحاب ومن يواصلنا بالخير فى الله بأى سبب من الأسباب . وأن يوفقنا لاصابة الصواب وأن يجعل جمعنا لهذا الكتاب خالصاً لوجهه نقياً مخلصاً مما شان وشاب ، مخلصاً من مناقشة الحساب ، منجياً من أليم العذاب والعتاب بحق محمد الذى بلغ أدنى من قاب ، المشرّف بالتكريم والخطاب ، المفضل على سائر الأحباب المتقدم على كل نبى أوّاب وآله الأطياب ، وصحبه الأنجاب ، وتابعيه بإحسان إلى يوم الحساب .

* * *

قال المؤلف المتخلف عن بلوغ شأو المعالى وسلوك مسالكها الصعاب فرغت

محمد صلى الله عليه وسلم تكون فى فتح باب الشفاعة للناس فيشفع فى كل شافع أن يشفع .

شفاعاته صلى الله عليه وسلم

ثم قال الشعرانى فى اليواقيت فى مبحث الشفاعة قال الجلال السيوطى وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات (أولها وأعظمها) شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تعجيل حساب الخلائق وراحتهم من طول ذلك الموقف وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم (ثانيها) فى ادخال قوم الجنة بغير حساب . قال النووى وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم وتردد فى ذلك الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد والشيخ تقى الدين السبكى وقالا لم يرد فى ذلك شيء . وكان الشيخ محيي الدين يقول فى معنى أن قوماً يدخلون الجنة بغير حساب أن المراد أنه لم يكن فى حسابهم وفكرهم أن الله يدخلهم الجنة أبداً لشهودهم قبيح زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضاً (ثالثها) فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها . وتردد النووى فى كون هذه مختصة به صلى الله عليه وسلم . قال السبكى لأنه لم يرد فى ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته (رابعها) فى إخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلو طبقاتها منهم وينبت فيها الجرجير كما ورد ، وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضى عياض فى ذلك تفصيلاً فقال إن كانت هذه الشفاعة لإخراج من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فهى خاصة به ليست لأحد من الأنبياء والملائكة والمؤمنين وإن كانت لغير من ذكر فقد يشاركه فى ذلك غيره . (خامسها) فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها وجوز الإمام النووى رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم . (سادسها) فى جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات كما ذكره القزوينى فى العروة الوثقى .

(سابعها) فيمن خلد من الكفار فى النار أن يخفف عنهم العذاب فى أوقات مخصوصة جمعاً بين هــــذه وبين قوله تعالى : لا يُفتّر عنهم كما ورد ذلك فى الصحيحين فى حق أبى طالب وكما ذكره ابن دحية فى حق أبى لهب من أنه يخفف عنه العذاب فى كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثويبة حين بشرته به . ثم قال الجلال السيوطى ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لأن هذه شفاعة فى المؤمنين وفى البرزخ وكلامنا إنما هو فى شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مرّ . (ثامنها) فى أطفال المشركين أن لا يعذبوا ، وهذه الثلاث الأخيرة ذكرها بعضهم وأضاف إليها من دفن بالمدينة رواه الترمذى وصححه .

* * *

تم الكتاب بحمد الله التواب الكريم الوهاب ، رب الأرباب ومسبب الأسباب ومنزل الكتاب ومخرج الذرية من الأصلاب وضامن الرزق لجميع الناس والدواب . ونرجو من فيض فضله ومنّه وكرمه أن يجزينا جزيل الثواب لنا ولوالدينا وأولادنا وذوى الأنساب والأحساب ، والضنائن والمعارف واللائذين والأولاد والأصهار والأنصار والأصحاب ومن يواصلنا بالخير فى الله بأى سبب من الأسباب . وأن يوفقنا لاصابة الصواب وأن يجعل جمعنا لهذا الكتاب خالصاً لوجهه نقياً مخلصاً مما شان وشاب ، مخلصاً من مناقشة الحساب ، منجياً من أليم العذاب والعتاب بحق محمد الذى بلغ أدنى من قاب ، المشرّف بالتكريم والخطاب ، المفضل على سائر الأحباب المقدم على كل نبى أوّاب وآله الأطياب ، وصحبه الأنجاب ، وتابعيه بإحسان إلى يوم الحساب .

* * *

قال المؤلف المتخلف عن بلوغ شأو المعالى وسلوك مسالكها الصعاب فرغت

من تحصيله يوم الأحد سابع عشر شوال سنة ٥٤ أربع وخمسين ومائة وألف من الهجرة وذلك بغير استعداد ولا استحساب ولا معرفة كاملة لدخول هذه الأبواب مع استغراق تام بعام من الأشغاب .

وأنا أرغب إلى كل من وقف عليه من العلماء العارفين أولى الألباب ، في إصلاح ما رأى فيه من خلل أو خرلب وهو على ذلك مشكور مذكور مثاب ، وأن يدعو لى بدعوة صالحة بظهر الغيب فإنه مستجاب وإن الله يقبل دعاء المؤمن لأخيه خصوصاً إذا غاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ليس له حد ولا حساب .

* * *

ولنختم كلامنا بما ختم به إمامنا الغزالى كتابه الاحياء الذي قل القليل من أمثاله تفاؤلا بفأله وتبركا بزاكى مقاله واستمداداً لفيض أفضاله ونرجو من فضل مولانا وجزيل نواله أن يشملنا ويصلحنا ويقبلنا بحق محمد وآله وأن يلحقنا بذلك الشيخ فى أقواله وأعماله ، ويلبسنا من حلى جماله وحلى كماله وجميع أحواله وماذلك على الله بعزيز فنقول كما قال رضى الله عنه .

ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أوطغى به القلم فى كتابنا هذا وفى سائر كتبنا ، ونستغفره من أقوالنا التى لاتوافقها أعمالنا ، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة من دين الله مع التقصير فيه ، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ، ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعنا بها على معصيته ، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتزين فى كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه : ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع فى كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز .. جميع السيئات ظاهراً وباطنا فإن الكرم

عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه انتهى .

قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وحسبنا الله ونعم الوكيل ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وسلام على المرسلين وعلى عباده الصالحين وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين آمين اللهم آمين .

تم نقله بحمد الله وعونه فى شهر ذى القعدة من سنة ١٣٥٩ هجرية بالجهة الشرقية الجاوية . بقلم الفقير إلى عفو مولاه الكريم سالم بن محمد بن عبد الله بن محسن بن سالم بن أبى بكر بن حسين بن أبى بكر بن سالم بن عمر العطاس غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين ولمن قال آمين آمين .

(تنبيه)

ذكر فى صحيفة ٢١٥ كلمة «الفصل الرابع» وصحتها « الفصل الثالث » .

منحة الفتاح ورقية الارواح

للامام أبى المعارف قدرة السالكين

سيدى أحمد بن شرقاوى الخلوتى المتوفى سنة ١٣١٦ هـ بالصعيد رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

يانفس كفى عن سوى مولاك	وابغى حماه فالسوى أرداك (١)
يانفس ضاع العمر فى مرضاتك	يانفس بعدى صار من لذاتك
يانفس رمت الخلد فى القطيعه	يانفس فارقت الصفا جميعه (٢)
يانفس سقيتنى إلى حرمانى	من خمرة التقديس والمعانى (٣)
يانفس تبغين سنا التدانى	وتشغلين القلب بالأكوان (٤)
يانفس أصاحت المحيا الفانى	وتتركين القلب فى الهوان (٥)
يانفس حب الغير قد أرضاك	هل يشتفى بالسم والهلاك
يانفس بعت القرب من إلهك	بثمن بخس حقير هالك
يانفس كيف السير فى لمسالك	ومشهد الأغيار ليل حالك (٦)
يانفس طال البعد والتنائى	ونجم قربى غاب من سمائى (٧)
يانفس غضى الطرف عن هواك	فبعدك قد زاد فى ارتباكى (٨)
يانفس سقت القلب للمهالك	حتى تناءى عن شهود المالك

(١) الحمى فى الأصل : موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى . وحمى الله : محارمه . أرداك : أهلكك . .

(٢) الخلد : البقاء الدائم .

(٣) التقديس : التطهير .

(٤) تبغين : تطلبين ، السنا : الضوء والإشراق . الأكوان : المكونات وهى العوالم كلها

(٥) المحيا : الوجه . والمراد هنا ما ظهر من الإنسان بقرينة مقابلته بالقلب . الهوان : الذل

(٦) حالك : شديد الظلمة .

(٧) التنائى : التباعد .

(٨) غض الطرف : خفضه . الارتباك : الاختلاط والاضطراب ، يقال ارتبك : اختلط عليه أمره . وارتبك الصيد فى الحبالة : اضطرب .

يانفس شُغلي بالسِّوى دهاني ... وميل قلبي للورى أعياني[١]

يانفس فارقت حمى الغفار ... وقد شكوت فرقة الأغيار

يانفس رمت الخلق باشتياق ... وتغفُلين عن شهود الباقي

يانفس كم تسعين فى هلاكى ... يانفس يكفى فالعنا أتاك[٢]

يانفس نوحى فالقِلى وافاك ... وكيف لا وخصمك مولاك[٣]

يانفس فابكى مذبدا عماك ... لما جليس العز قد قلاك

يانفس رمتِ بُعد من سوّاك ... فما جدير بالبَلا سواكِ[٤]

يانفس توبى وأفردى ذا الجود ... بالحب والأغيارَ بالشرود[٥]

يانفس رومى حضرة الخلاق ... وانف الورى عن رؤية الأحداق

يانفس حودى عنك تشهديه ... وورونق الأسرار تنظُريه[٦]

يانفس رومى حالك الأصليا ... وحاولى مشهودك القبليا[٧]

يانفس رقى وادخلى فى الحان ... لتظفرى بالقرب والتهانى[٨]

يانفس راعى سيد السادات ... فى سائر الأحوال والأوقات

صلى عليه الله ذو الجلال ... ماحنَّ مشتاق إلى الوصال

وآله وسائر الأصحاب ... من سارعوا فى الحق والصواب[٩]

---

(١) دهانى: أصابنى بداهية، وهى الأمر العظيم. أعيانى. أعجزنى.

(٢) العنا - مقصور العناء -: أى الخضوع والذل. أو المشقة.

(٣) نوحى: من النوح وهو البكاء. القلى: البغض.

(٤) رمت: طلبت. سواك: خلقك فى أحسن تقويم. البلا - بفتح الباء - مقصور البلاء - بمعنى الغم والحزن، أو بمعنى الهلاك.

(٥) الشرود: النفار والهرب.

(٦) حودى عنك: انصرفى عن ذاتك وافنى عنها. من حاد عن الشيء يحود - كيحيد: إذا مال عنه وبعد. الرونق: الحسن وجمال المنظر.

(٧) حالك الأصليا: السابق على عهد انغماسك فى عوائق الشهود، وحاولى القرب من مشهودك القبلى: هو الله تعالى، حين أشهدها على ربوبيته يوم «ألست بربكم» وهى فى عالم الذر فشهدت مقرة بها.

(٨) ادخلى فى الحان: اسلكى مقام شهود الحضرة.

(٩) سارعوا فى الحق: اجتهدوا فى نصرته وتأييده والمحافظة عليه؛ ولتضمينه هذا المعنى عداه بفى اهـ من إتحاف الوراد.

تم هذا التعليق الموجز فى صبيحة يوم الثلاثاء ١٨ من المحرم سنة ١٣٨٠ هـ ١٢ يوليه سنة ١٩٦٠ والحمد لله رب العالمين. بيد كاتبه حسنين محمد مخلوف عفى عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه قصيدة روحية رائعة

لمولانا الأستاذ العارف بالله (الشيخ أحمد أبي الوفاء الشرقاوى)

المتوفى آخر ذى الحجة سنة ١٣٨٠ هـ طيب الله ثراه

ا) أباحوا الوصل واطَّرحوا اللثاما وساقى الكأس دار بها مُداما

ب) بُروق جمالهم لمعت لعينى فأورثنى تجلّيها أصطلاما

ت) تبدى فى مَرايا القلب سر لهم عن غيرنا عزَّ اكتتاما

ث) ثملت براحة التقريب لكن كستنى حلةُ الصحو احتشاما

ج) جلت أسرارهم عن عين قلبى حجاب ظلامه فصفا وهاما

ح) حبونى وصلهم فسعدت حظا كما أهوى وبلغت المراما

* * *

خ) خفضت جناح نفسى فاطمأنت وكنت أذيقها قبل الحماما

د) دنوت بها إلى حضرات قدس يعز سناؤهـا عن أن يراما

ذ) ذكت عرفًا وطاب لنا شذاها وأروى صِرفها منا الأواما

ر) رقى لرفيع رتبتهم همام له فى الصدق شأو لا يسامى

ز) زمام وجوده يلقى إليهم ونار فؤاده تذكو ضِراما

س) سرى عن جملة الأغيار طرا وفى سفح الحمى ضرب الخياما

ش) شموس وصالهم فى أفق سرى بدت فجلت عن الحسن الظلاما

ص) صفت فى الحان أدنان التدانى فشِمت رحيقها بدراً تماما

ض) ضفت خِلَع الرعاية من لدنهم على من جدّ فى المسرى وقاما

ط) طربت وانعشتنى ساجعات تنادى من لرشف الكأس راما

ظ) ظمئت وقد شربت بكل كأس   وهل تروى السُّلافة مستهاما
ع) على متن العناية كان سيرى   إليهم جاعــلا عزمى حساما
غ) غضضت عن السِّوى طرفى فأمسى   خطور سواهم عنــدى حراما

* * *

ف) فيوض عطائهم تنهل دوما   على من أمَّهم تهمى انسجاما
ق) قطوف الحضرة العلياء تدنو   إليه وقــد جفا فيها المناما
ك) كسته ثياب إجــلال وعز   ونادت يا حبيبيَ زد هُيامــا
ل) لوى عن نشأتيه عِنان روح   إليهــا سائراً يرعى الذماما
م) مدام الوصل ريحانى وروحى   حييت به ومت به غراما
ن) نداؤهمُ هــديت به وكانت   تحيتهم لنــا قيــلا سلاما
هـ) هواتف حضرة المحبوب تدعو   أحبَّتهــا إلى مغنى تسامى
و) ولاء قلوبهم يرقى إليــه   بهم وجنــانه حسنت مقــاما
لا) لآلىء فضلهم نظمت عقوداً   لمن خطب الدنو لهم وساما
ى) يروم متيم الأحشــاء منكم   كئوساً مسكها يحلو ختاما
وصلى وسلمن ربى على من   ختمتَ ببعثه الرسل الكراما

مباحث الجزء الثانى من القرطاس